رموز الكنوز
في
تفسير الكتاب العزيز

تأليف

الإمام الحافظ عز الدين عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي

(٥٨٩ - ٦٦١هـ)

دراسة وتحقيق

أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الجزء الرابع

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

أ. د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع

مكة المكرمة ـ العزيزية ـ مدخل جامعة أم القرى ت ـ ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس ـ ٥٥٧٥٢٤١

فرع العزيزية الشارع العام ت ـ ٥٢٧٣٠٢٧ ص. ب ٢٠٨٢

سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة النِّعَم؛ لكثرة تعداد النعم فيها.

وهي مائة وثماني وعشرون آية.

قال ابن عباس وأكثر المفسرين: هي مكية، واستثنى ابن عباس في رواية عنه قوله: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ فقال: نزلت بعد مقتل حمزة، وكذلك قال الشعبي، وزاد: إلى آخر السورة[1].

واستثنى في رواية أخرى عنه ثلاث آيات: ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ إلى قوله: ﴿يعملون﴾[2] وكذلك قال قتادة منضماً إلى ما قاله الشعبي.

واستثنى مقاتل[3]: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا﴾، وقوله: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾، وقوله: ﴿وضرب الله مثلاً قرية﴾ وقوله: ﴿والذين هاجروا في الله﴾، وقوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم إلى آخرها﴾ فقال: نزلن بالمدينة.

وقال جابر بن زيد: من أول النحل إلى آخر أربعين آية مكي، والباقي مدني[4].

أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١

---

(١) أخرج أبو الشيخ عن الشعبي قال: نزلت النحل كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات ﴿وإن عاقبتم...﴾ إلى آخرها (الإتقان ١/ ٤٩).

(٢) في الأصل: يعلمون.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢١٣).

(٤) زاد المسير (٤/ ٤٢٦).

قوله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾ قال ابن عباس: « لما نزلت قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة﴾ [القمر:١] قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد اقتربت، فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا: ما نرى شيئاً، فأنزل الله تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ [الأنبياء:١] فأشفقوا من قرب الساعة، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد! ما نرى شيئاً مما تُخَوِّفُنا به، فأنزل الله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾(١) فوثب رسول الله ﷺ ورفع الناس رؤوسهم، فنزل: ﴿فلا تستعجلوه﴾، فاطمأنوا »(٢).

والمعنى: قَرُبَ ما تستعجلون به استهزاء وتكذيباً؛ من قيام الساعة أو نزول العذاب.

﴿فلا تستعجلوه﴾ أي: لا تطلبوه قبل حينه.

ولما كان استعجالهم بذلك استهزاءً وكفراً قال: ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: «تشركون» بالتاء على الخطاب في الموضعين(٣).

يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾

---

(١) في الأصل زيادة: «فلا تستعجلوه» وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٨٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٧٥) عن ابن جريج. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٨٤)، وزاد المسير (٤/ ٤٢٦).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٣٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٩)، والكشف (١/ ٥١٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٨٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٧).

قوله تعالى: ﴿ينزل الملائكة﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف، والباقون بالتشديد[١]. يريد جبريل عليه السلام.

﴿بالروح من أمره﴾ وهو الوحي؛ سُمِّي روحاً؛ لما فيه من حياة القلوب.

﴿على من يشاء من عباده﴾ وهم الأنبياء عليهم السلام، ﴿أن أنذروا﴾ قال الزمخشري[٢]: هو بدل من «الروح»، أي: ينزلهم بأن أنذروا، وتقديره: بأنه أنذروا، أي: بأن الشأن أقول لكم أنذروا، المعنى: اعلموا ﴿أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾

ثم دلّهم على قدرته وعظمته ووحدانيته فقال: ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾، ثم نَزَّه نفسه عما يقولون فقال: ﴿تعالى عما يشركون﴾.

قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ سبب نزولها: أن أبي بن خلف أخذ عظماً نَخِراً فجعلَ يفتُّهُ بيده، ويقول: يا محمد! كيف يبعثُ الله هذا بعدما رَمّ[٣].

والمعنى: خلق الإنسان من مني غير حساس ولا متحرك.

﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ أي: مخاصم منطيق، مظهر للحجة بعدما كان نطفة، فكيف يُنكر قدرتي أو يستبعدها وهو يعلم هذه الحالة من نفسه؟ فلا يستدل بما

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٥)، والنشر (٢/ ٣٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٠).

(٢) الكشاف (٢/ ٥٥٤).

(٣) أسباب النزول للواحدي (ص:٢٨٥)، وزاد المسير (٤/ ٤٢٨-٤٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٥) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في البعث عن أبي مالك.

يعرفه على ما ينكره.

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧﴾

ثم ذكَّرهم نعمه عليهم حضّاً لهم على الشكر وترك الشرك والكفر فقال: ﴿والأنعام﴾ وهي الأزواج الثمانية، وانتصابها [بمضمر](١)، فَسَّره الظاهر وهو ﴿خلقها﴾، ثم يبتدئ ﴿لكم فيها دفء﴾، أو يعطف على الإنسان، ثم يبتدئ: ﴿خلقها لكم﴾، أي: لأجلكم ولمصالحكم.

والدِّفْء: ما يُستدفأ به من الأكسية والأخبية المتخذة من الصوف والشعر والوبر(٢).

قال الفراء(٣): يقال: دفيت تدفأ دِفاءً ودَفأً بفتح الدال وكسرها.

﴿ومنافع﴾ سوى الدِّفْء من نسلها ودرّها وركوبها والعمل عليها، ﴿ومنها تأكلون﴾، فإن قيل: تقديم [«ومنها»](٤) مؤذن بالاختصاص، وقد يؤكل من غير بهيمة الأنعام؟

---

(١) في الأصل: بمضر. والتصويب من الكشاف (٢/ ٥٥٥).

(٢) انظر: اللسان (مادة: دفأ).

(٣) انظر قول الفراء في: الوسيط (٣/ ٥٦).

(٤) في الأصل: وهو منها.

قلت: المقصود من ذلك الامتنان عليهم [وتذكيرهم][(١)] بنعمة الله عليهم بما به قوام معيشتهم، ولا شك أن بهيمة الأنعام أصلٌ في ذلك، وما عداها من الدجاج والأوز والبط وغير ذلك في حكم التابع، لشذوذ الانتفاع به.

قوله تعالى: ﴿ولكم فيها جمال﴾ أي تجمل وزينة ﴿حين تريحون﴾ أي: تردونها إلى مراحها، وهو المكان الذي تأوي إليه ﴿وحين تسرحون﴾ أي: ترسلونها إلى مراعيها. يقال: سَرَحَ القوم إبلهم سَرْحاً[(٢)]، وإنما قدّم الإراحَة على السَّرْح؛ لأن الجمال والزينة فيها أظهرُ إذا أقبلت بِطاناً حُفَّلاً[(٣)] ممتدات الأسنام تتناوح بالثغاء [وتتجاوب][(٤)] بالرغاء.

﴿وتحمل أثقالكم﴾ يريد الحمولة من الإبل ﴿إلى﴾ كل بعيد ﴿بلد لم تكونوا بالِغيه﴾ لولا الإبل، بأنفسكم فضلاً عن الأثقال وحملها على ظهوركم، ﴿إلا بشق الأنفس﴾ قرأت لأبي جعفر: «إلا بشَق» بفتح الشين، وهما لغتان في معنى المشقة[(٥)].

وقيل: الشَّق -بفتح الشين-: مصدر شَقَّ عليه الأمر شَقاً، والشِّق -بالكسر-: النِّصف[(٦)].

---

(١) في الأصل: وتذكرهم.

(٢) انظر: اللسان (مادة: سرح).

(٣) حَفَلَ اللَّبَنُ في الضَّرْع: اجتمع. وضَرْع حافل، أي: ممتلئ لبناً، والجمع: حُفَّل (اللسان، مادة: حفل) والمقصود: رجعت ضُروعها ملأى.

(٤) في الأصل: وتتجواب.

(٥) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٧).

(٦) انظر: (اللسان، مادة: شقق).

قال الفراء[١]: فكأن الجَهْد يُنْقِصُ من قوّة الرّجل ونفسه، كأنه قد ذهب نصفه.

وقيل: المعنى: «وتحمل أثقالكم» ذنوبكم التي أثقلتكم «إلى بلد» وهو مكة كرمها الله تعالى وشرفها.

﴿إن ربكم لرؤوف رحيم﴾ رحمكم وخلق لكم ما تنتفعون به وتأكلون منه، وترتفقون بالركوب والحمل عليه.

فإن قيل: الهاء من «بالغيه» ما هو موضعها من الإعراب؟

قلت: مذهب سيبويه: أن موضعها الجر بإضافة «بالغي» إليه.

وكان الأخفش يقول: موضعها من الإعراب: النصب[٢]، ويحتج بقوله: ﴿إنا منجّوك وأهلك﴾ [العنكبوت:٣٣]، ومثله: ﴿وإنا لموفوهم نصيبهم﴾ [هود:١٠٩].

وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ مفعول لأجله[٣]، أي: خلقها لأجل الركوب والزينة.

فصل

سُئل سعيد بن جبير عن أكل لحوم الخيل فكرهها، وتلا هذه الآية: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها﴾ وقال: هذه للركوب، وتلا التي قبلها: ﴿والأنعام

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٩٧).

(٢) التبيان (٢/ ٧٨).

(٣) التبيان (٢/ ٧٨)، والدر المصون (٤/ ٣١٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٩٢).

خلقها لكم فيها دفء ... الآية﴾ فقال: هذه للأكل[١].

وقال الحكم: لحوم الخيل حرام في كتاب الله، وتلا هذه الآية[٢]. وإلى هذا ذهب مالك وأبو حنيفة.

واحتجوا أيضاً بما أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث خالد بن الوليد قال: ((نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير))[٣].

وذهب الإمامان أحمد والشافعي إلى جواز أكل لحوم الخيل؛ لما أخرج الإمام أحمد في مسنده والشيخان في صحيحيهما من حديث جابر: ((أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحُمُر وأذن في لحوم الخيل))[٤].

وأخرجوا أيضاً من حديث أسماء قالت: ((نحرنا في عهد رسول الله ﷺ فرساً فأكلناه))[٥].

وأما الآية فلا حجة لهم فيها؛ لأنها سيقت في معرض الامتنان على الناس، والمقصود الأعظم منها الركوب لا أكلها، فلذلك لم يذكره. أو نقول: [لو][٦] ترك

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٨٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٧)، وابن أبي شيبة (٥/ ١٢١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١١٢) وزاد نسبته لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١١٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٨٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٤٤ ح٣٩٨٢)، ومسلم (٣/ ١٥٤١ ح١٩٤١)، وأحمد (٣/ ٣٦١ ح١٤٩٣٣).

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٩٩ ح٥١٩١)، ومسلم (٣/ ١٥٤١ ح١٩٤٢)، وأحمد (٦/ ٣٤٥ ح٢٦٩٦٤).

(٦) زيادة على الأصل.

ذكر الأكل [لانضم][1] في سلكها والذكر معها ما لم يؤكل، [والحديث][2] الـذي احتجوا به لا يثبت، فلا يقاوم أحاديثنا الصحيحة الصريحة[3].

قال الإمام أحمد: هو حديث منكر. وقال الدارقطني: هو حـديث ضـعيف؛ لأنه لو صح لكان النهي محمولاً على الإشفاق عليها لأجل الجهـاد والاسـتظهار على العدو؛ لأن الخيل كانت قليلة عندهم جداً.

قوله تعالى: ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ قال الـشعبي: هـذا الحـرف مـن أسرار القرآن[4].

وقال أبو سليمان الدمشقي: من الناس من كره تفسير هذا الحرف في الجملة.

والمقصود من ذلك: إعلام العباد بـأن لـه مـن المخلوقـات مـا لا يعلمونـه، [ليزدادوا][5] علماً بقدرة الله وعظمته وسَعَة ملكه.

وقيل: ويخلق ما لا تعلمون تفاصيله وكنهه وإن [علمتم][6] جملته كنعيم الجنة وعذاب النار، فإنه لا يبلغه وصف واصف، ولا يخطر على قلب بشر.

---

(١) في الأصل: لأنظم.

(٢) في الأصل: الحديث.

(٣) قال الطبري (١٤/ ٨٣): والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله أهل القول الثاني، وذلك أنه لو كان في قوله تعالى: ﴿لتركبوها﴾ دلالة على أنها لا تصلح إذ كانت للركوب للأكل لكان في قولـه: ﴿فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون﴾ دلالة على أنها لا تصلح إذ كانت للأكل والدفء للركوب.

(٤) زاد المسير (٤/ ٤٣٢).

(٥) في الأصل: لزدادوا.

(٦) في الأصل: علتم.

وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ
ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ
﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ أي: تبيين الطريق الموصل إلى الحق بإقامة الحجج وإيضاح البراهين. والقصد: مصدر بمعنى الفاعل، وهو القاصد. يقال: سَبيلٌ قَصَدَ وقاصِد أي: مستقيم[1]. فالمعنى: على الله هداية الطريق، كقوله: ﴿إن علينا للهدى﴾ [الليل:١٢] والمراد: جنس السبيل، فلذلك قال: ﴿ومنها جائر﴾ أي: عادل عن الحق.

قال ابن المبارك: يعني: الأهواء والبدع[2].

وفي قراءة ابن مسعود: «ومنكم جائر»[3].

﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ قهراً وقسراً، ولكنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء على ما تقتضيه الحكمة الإلهية.

---

(١) انظر: (اللسان، مادة: قصد).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٣٣).

(٣) البحر المحيط (٥/ ٤٦٣)، والدر المصون (٤/ ٣١٥).

قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء﴾ يعني: المطر ﴿لكم﴾ متعلق بـ«أنزل» وبـ«شراب» فيكون خبراً له[١]، والشراب: ما يشرب، ﴿ومنه شجر﴾ على حذف المضاف، أي: ومنه شرب شجر، أو يكون المعنى: ومنه ينشأ الشجر ويتكوّن.

فعلى المعنى الأول: «من» للتبعيض، وعلى الثاني: لابتداء الغاية. والمراد به: الشجر الذي ترعاه المواشي، لقوله: ﴿فيه تسيمون﴾ أي: ترعون. يقال: أسْمْتُ الماشية وسَامَت هي فهي سائمة[٢]، واشتقاقه من السِّمَة، وهي العلامة، فكأنها تؤثر برعيها في الأرض علامات وآثاراً.

قوله تعالى: ﴿ينبت لكم﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم: «نُنْبِتُ» بالنون[٣]، ﴿لكم به الزرع﴾ يعني: الحبوب ﴿والزيتون﴾ جمع، واحدته: زيتونة ﴿والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات﴾ «مِنْ» للتبعيض؛ لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة.

قوله تعالى: ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ ذلّلهما لمصالحكم ومنافعكم، ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ قال الأخفش[٤]: المعنى: وجعل لكم النجوم مسخراتٍ. وجاز إضمار فعل غير الأول؛ لأن هذا المضمر في المعنى مثل المظهر، وقد تفعل العرب أشدَّ من هذا. قال الراجز:

---

(١) الدر المصون (٤/ ٣١٥-٣١٦).

(٢) انظر: اللسان (مادة: سوم).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٦)، والكشف (٢/ ٣٤)، والنشر (٢/ ٣٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٠).

(٤) معاني الأخفش (ص:٢٣٦).

تسمعُ في أجوافهنَّ صَرَداً وفي اليدين جُسْأَةً وبَدَدا[١]

المعنى: وترى في اليدين. الجُسْأَة: اليَبَس، والبَدَد: السِّعَة.

وقال غيره: «مسخرات» حال مؤكدة[٢]؛ لأن تسخيرها قد عُرف بقوله: ﴿وسخر﴾.

وقرأ ابن عامر: «والشمسُ» بالرفع على الابتداء «والقمرُ والنجومُ»[٣] عطفاً على الشمس، «مسخرات» خبر الابتداء[٤].

قال الواحدي[٥]: قرأ حفص: «مسخراتٌ» بالرفع وحدها، وجعلها خبر ابتداء محذوف، كأنه قال: هي مسخرات.

وهذا سهو، فإن حفصاً قرأ: «والنجومُ» بالرفع على الابتداء، «مسخرات» خبره[٦].

﴿إن في ذلك﴾ التسخير ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ قال الزمخشري[٧]: جَمَعَ الآية

---

(١) يروى الرجز بلفظ:

تسمع للأحشاء منه لغطا ولليدين جسأة وبددا

وهو في أمالي المرتضى (٢/ ٢٥٩)، وشرح عمدة الحافظ (ص:٦٣٦).

(٢) التبيان (٢/ ٧٩)، والدر المصون (٣/ ٢٨١-٢٨٢).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٦)، والكشف (٢/ ٣٥)، والنشر (٢/ ٣٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٠).

(٤) الحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٦)، والحجة للفارسي (٣/ ٣٢)، والكشف (٢/ ٣٥)، والنشر (٢/ ٣٠٢-٣٠٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٠).

(٥) الوسيط (٣/ ٥٨).

(٦) انظر: التخريج ما قبل السابق.

(٧) الكشاف (٢/ ٥٥٩).

هاهنا وذكر العقل؛ لأن الآية العُلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة، وأبْيَنُ شهادة للكبرياء والعظمة.

قوله تعالى: ﴿وما ذرأ لكم في الأرض﴾ أي: وسخر لكم ما خلق لأجلكم في الأرض من دابة وشجرة وثمرة وغيرها. ويجوز أن يكون في موضع الجر عطفاً على موضع «ذلك»، أي: إن في ذلك وفيما ذرأ لكم.

﴿مختلفاً ألوانه﴾ نصب على الحال[1]، والمعنى: مختلف المناظر والهيئات.

﴿إن في ذلك لآية﴾ دالّة على القدرة [والوحدانية][2] والعَظَمة ﴿لقوم يذكرون﴾.

وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وهو الذي سخر البحر﴾ ذلّله للركوب فيه والاصطياد منه والغوص فيه لإخراج لآلِئه ﴿لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ يعني: السَّمَك،

---

(١) التبيان (٢/ ٧٩)، والدر المصون (٤/ ٣١٦).

(٢) في الأصل: والوحدنية.

﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ يريد: الدر واللؤلؤ والمرجان.

فإن قيل: لبس الحلية مخصوص بالنسوة، فما وجه الامتنان على الرجال؟

قلت: أضيف إليهم في معرض الامتنان عليهم؛ لأن التزيُّن به من أجلهم، أو نقول: الامتنان واقع على جنس بني آدم، والنساء من جملتهم.

فإن قيل: قد سمّى الله تعالى السمك لحماً، فهل يحنث بأكله إذا حلف لا يأكل لحماً؟

قلت: لأصحابنا رضي الله عنهم فيه وجهان:

أحدهما: يحنث، وهو اختيار الخرقي؛ نظراً في اللفظ.

والثاني: لا يحنث، وهو اختيار الشريف ابن أبي موسى الهاشمي؛ نظراً إلى العرف.

فصل

وفي قوله: «حلية» دليل واضح على أن من حلف لا يلبس حلياً فلبس لؤلؤاً؛ يحنث، وهو قول إمامنا وجمهور العلماء.

وقال أبو حنيفة: لا يحنث.

قوله تعالى: ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ قال ابن عباس: جَوارِيَ[(١)]. يقال: مَخَرَتِ السفينةُ مَخْراً إذا شَقَّت الماءَ في جريانها[(٢)].

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ بالركوب فيه للتجارة.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١١٧) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: اللسان (مادة: مخر).

وقيل: باستخراج الحلية والاصطياد منه.

ودخول الواو في: «ولتبتغوا من فضله» للعطف على لام مضمرة، لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا، أو بفعل مضمر تقديره: وفعل ذلك لتبتغوا من فضله[١].

﴿ولعلكم تشكرون﴾ مَنْ أسبغ عليكم هذه النعم الجسيمة، فتُوحِّدوه وتُمجِّدوه.

قوله تعالى: ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ وهي الجبال ﴿أن تميد﴾ أي: كراهة أن تميد، أي: تميل وتضطرب ﴿بكم﴾ فكان نصب كراهة على مفعول له، فلما حذف انتصب ما قام مقامه على أنه مفعول له.

وقال قوم: المعنى: لئلا تميد بكم، وحذف المضاف أكثر من حذف لا.

﴿وأنهاراً﴾ أي: وجعل فيها أنهاراً، ﴿وسبلاً﴾ طرقاً ﴿لعلكم تهتدون﴾ إلى مقاصدكم.

﴿وعلامات﴾ يريد: معالم الطرق من جبل أو أكَمة أو سهل أو وادٍ وغير ذلك، ﴿وبالنجم﴾ قال الزجاج: يريد: الجنس.

وقال السدي[٢]: يريد: الثريا[٣] والفرقدين[٤] وبنات

(١) الدر المصون (٤/ ٣١٧).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٣٦).

(٣) الثريا: ويسمى النجم علماً عليها، وهي ستة أنجم صغار يظنها الناظر سبعة أنجم، وهي في شكل مثلث متساوي الساقين، وبين نجومها نجوم صغار جداً كالرشاش، ومطلعها إلى الشمال على مطلع الشَّرَطَيْن والبُطَيْن، وأول ما يطلع منها ويغيب هو الجانب العريض دون الأفخاذ منها (صبح الأعشى ٢/ ١٧٤).

(٤) الفَرْقَدان: هما كوكبان متقاربان معدودان في بنات نعش (صبح الأعشى ٢/ ١٨١).

نعش[١] والجدي[٢].

وقرأ الحسن: «وبالنُجْم» بضم النون وسكون الجيم[٣]، وقرأ الجحدري بضمتين[٤]، وهو جمع نَجْم، كرَهْن ورُهُن.

﴿هم يهتدون﴾ في ظلمات البر والبحر وإلى القِبْلَة.

﴿أفمن يخلق﴾ هذه العجائب السمائية والأرضية، وهو الله تعالى، ﴿كمن لا يخلق﴾ وهو الصَّنَم، وجاء بصيغة «مَنْ» مع اختصاصه بمن يفعل للمشاكلة، أو لما نَحَلوها من العقل والتمييز ﴿أفلا تذكرون﴾.

ولما عدّد لهم هذه النعم العظيمة نبههم على أن وراءها نعماً لا تحصر فقال: ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾ أراد: الجنس ﴿لا تحصوها﴾ مفسر فيما مضى.

﴿إن الله لغفور﴾ يغفر ما كان منكم من التقصير عن شُكْر نعمه ﴿رحيم﴾ بكم حيث لم يكلفكم القيام بواجبها، فإن القوى البشرية تعجز وتضعف عن ذلك.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ۝١٩ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ

---

(١) بنات نَعْش: هي سبعة أنجم على القرب من القطب الشمالي، منها أربعة في صورة نعش وثلاثة أمامه مستطيلة، وهي المعبَّر عنها بالبنات، وتعرف هذه ببنات نعش الكبرى، وبالقرب منها سبعة أنجم على شكلها (صبح الأعشى ٢/ ١٨١).

(٢) الجدْي: وهو الذي تُعرف به القبلة، وهو نجم صغير على القرب من القطب الشمالي يستدل به على موضع القطب، ويقال له: جدي بنات نعش الصغرى (صبح الأعشى ٢/ ١٨١).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٧).

(٤) البحر المحيط (٥/ ٤٦٦)، والدر المصون (٤/ ٣١٨).

أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ
رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ
وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ تهديد وتخويف وإشعار بالمجازاة.

﴿والذين يدعون من دون الله﴾ يعني الأصنام ﴿لا يخلقون شيئاً﴾ أي: لا يقدرون على خلق شيء من الأشياء ﴿وهم يخلقون﴾ «هم»: مبتدأ، «يخلقون»: خبره[1].

﴿أموات﴾: خبر ثان، أو يقال: «أموات» خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هم أموات لا أرواح فيها، ﴿غير أحياء﴾ توكيد[2]، أو يكون المعنى: غير قابلي الحياة، فإن بعض الجمادات تقبل الحياة؛ [كالنطف][3] والبَيْض.

قوله: ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ «يبعثون» اختلف العلماء في تأويلها؛ فقال قوم: الضميران للأصنام متى تبعث، فكيف تكون آلهة ومُجازية.

قال ابن عباس: تُبعث الأصنام يوم القيامة لها أرواح ومعها شياطينها

---

(١) التبيان (٢/ ٧٩)، والدر المصون (٤/ ٣١٩).

(٢) مثل السابق.

(٣) في الأصل: كالنظف.

فيتبرؤون من عابديهم، ثم يؤمر بالشياطين والذين كانوا يعبدونها إلى النار[1].

وقال قوم: الضميران للكفار، فيكون ذلك خارجاً مخرج التهديد لهم.

وقال قوم: الضمير الأول للأصنام، والثاني: للكفار.

المعنى: وما تشعر الأصنام متى يبعث عابدوها، كأنه تهكم بهم حيث عبدوا من لا يعلم وقت بعثهم ومجازاتهم على عبادتهم.

و«أيان» نصب بـ«يبعثون»[2]، وهو مبني لتضمّنه معنى همزة الاستفهام، وبُني على الفتح؛ لالتقاء الساكنين.

ولما أوضح بطلان إلهية غيره قال: ﴿إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة﴾ جاحدة للوحدانية، ﴿وهم مستكبرون﴾ عن الإيمان بها.

﴿لا جرم﴾ سبق القول عليها في هود[3]، والمعنى: حقاً.

﴿أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين﴾ عن التوحيد. ويجوز أن يراد عموم المستكبرين بالكفر وغيره.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: لهؤلاء المتكبرين ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ على محمد ﷺ، وهذا قول بعضهم لبعض على طريقتهم في التهكم والسخرية بالقرآن والرسول ﷺ والمؤمنين، كما قالوا: ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ [الحجر:٦]، وقولهم: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء:٢٧]. ويجوز أن يكون من قول المسلمين لهم، فيكون خارجاً مخرج التعجب من بركته وحسنه،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٣٨).

(٢) التبيان (٢/ ٧٩)، والدر المصون (٤/ ٣١٩).

(٣) آية رقم: ٢٢.

والتنبيه لهم على ما حُرموا من الانتفاع به.

وقيل: نزلت في الذين اقتسموا مداخل مكة لتنفير السائلين لهم عن أمر محمد ﷺ، على ما تقدم ذكره.

﴿ماذا أنزل ربكم﴾ «ماذا» في موضع نصب بـ«أنزل»، تقديره: أي: شيء أنزل ربكم، أو في موضع رفع على الابتداء، على معنى: أيّ شيء أنزله ربكم (١).

﴿قالوا أساطير الأولين﴾ مُفسر في الأنعام. وهذه الجملة إما في موضع نصب، أو رفع حملاً على «ماذا أنزل».

قوله تعالى: ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ هذه لام العاقبة، والمعنى: ليحملوا آثامهم ﴿كاملة يوم القيامة﴾ لم يكفَّر منها وزر بحسنة مُتَقَبَّلَة، ولا بمصيبة في نفس أو ولد أو مال كما تُكفَّر آثام المؤمنين بذلك.

﴿ومن أوزار﴾ أي: ويحملوا بعض أوزار ﴿الذين يضلونهم﴾ لأنهم لا يحملون وزراً لم يُزَيِّنُوه لهم ولم يكونوا السبب فيه.

وقيل: ﴿بغير علم﴾ في محل الحال من المفعول أو الفاعل (٢). وقد ذكرنا في سورة الأنعام معنى حمل الأوزار على الظهور (٣).

قوله تعالى: ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ أي: بئس ما يحملون على ظهورهم.

أخبرنا المؤيد بن محمد في كتابه، أخبرنا الفراوي، أخبرنا عبد الغافر، أخبرنا

---

(١) قال أبو حيان في البحر (٥/ ٤٧٠): أجاز الزمخشري أن يكون «ماذا» مرفوعاً بالابتداء، وهذا لا يجوز عند البصريين إلا في ضرورة الشعر.

(٢) الدر المصون (٤/ ٣٢١).

(٣) عند قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [٣١].

محمد بن عيسى، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه، حدثنا مسلم، حدثنا علي بن حجر.

وقرأتُ على أبي المجد القزويني، أخبركم محمد بن أسعد فأقرّ به، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حدثنا محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني، أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميهني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»(١).

انفرد بإخراجه مسلم.

قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ وهو نمرود بن كنعان، بنى قصراً طويلاً ببابل(٢).

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦٠ ح٢٦٧٤)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٦٦).

(٢) بابل: اسم ناحية في العراق، أول من سكنها نوح عليه السلام، وهو أول من عمرها، وكان قد نزلها عقب الطوفان (معجم البلدان ١/ ٣٠٩).

قال ابن عباس: كان طوله خمسة آلاف ذراع، ورام بجهله الصعود إلى السماء لقتال أهلها على زعمه[١].

﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ وهي أساطين البناء، فتضعضعت فسقط ﴿عليهم السقف من فوقهم﴾ فهلكوا.

قال المفسرون: أرسل الله تعالى الريح فاقتلع رأس الصرح فألقاه في البحر، وخرّ عليهم الباقي[٢].

﴿وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ أي: من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون.

قال السدي: أُخِذوا من مَأْمَنِهم[٣].

فإن قيل: ما وجه قوله تعالى: «من فوقهم» وهو معلوم؟

قلت: التوكيد والإشعار بأنهم كانوا تحته. تقول العرب: تَدَاعَتْ عليهم الدار، وسقط عليهم الحانوت، وإن لم يكونوا تحته، فلو لم يقُل: «من فوقهم» لجاز تَوَهُّم مثل هذا المعنى.

﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ يُذلِّهم ويُهينهم بأنواع العذاب جزاء لهم على استكبارهم، ويقول موبخاً لهم: ﴿أين شركائي الذين كنتم تشاقّون فيهم﴾ أي: تخالفون المؤمنين فيهم.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٦٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٤٠).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٩٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٤١)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

وقرأتُ لنافع: «تشاقونِ» بكسر النون[١]، وعلّته ما أشرنا إليه عند قوله: ﴿فَبِمَ تبشرون﴾[٢] [الحجر: ٥٤].

قال ابن عباس: هم الملائكة[٣].

وقيل: هم الأنبياء والعلماء الذين خلفوا الأنبياء في الدعاء إلى الله تعالى، قالوا على وجه الشماتة بالمستكبرين: ﴿إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين﴾.

فإن قيل: ما الفائدة في حكاية هذه المقالة؟

قلت: التنفير والتحذير عن سلوك سبيل يفضي إلى هذه الحالة.

ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

ثم وصف الكافرين فقال: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ مُفَسَّر في النساء[٤].

وقرأ حمزة: «يتوفاهم» بالياء في الموضعين[٥]؛ لتقدم الفعل، ولأن التأنيث غير

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٨)، والكشف (٢/ ٣٦)، والنشر (٢/ ٣٠٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧١).

(٢) (٣/ ٦١٥).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٦٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٤١).

(٤) عند الآية رقم: ٩٧.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٨)، والكشف (٢/ ٣٦)، والنشر (٢/ ٣٠٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٢).

حقيقي.

﴿فألقوا السلم﴾ استسلموا وانقادوا، وقالوا طمعاً منهم أن ذلك يجري عليهم نفعاً، أو يدفع عنهم مكروهاً.

﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ فجحدوا ما كانوا فيه من الشرك والفجور وشقاق المؤمنين، فردَّت الملائكة عليهم ذلك فقالت: ﴿بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون * فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾ عن توحيد الله تعالى وعبادته.

فإن قيل: ما بال اللام في «لبئس» لم تدخل على التي في الزُّمَر والمؤمن؟

قلت: لأن الكلام هاهنا أخرج إلى التأكيد من حيث كان سياق الآية في التابع والمتبوع جميعاً، ألا تراه قال: ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم﴾.

ولأنه قال من بعد: ﴿ولدار الآخرة خير﴾ فأدخل اللام لتطابق اللام الذي بعده.

۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿للذين اتقوا﴾ وكان هذا أيضاً أيام الموسم، كان الوافد يسأل الذين أرصدوا لتكذيب رسول الله ﷺ، فيُنَفِّرُون عنه، ويسألون المؤمنين عنه

فيقولون: ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾ أي: أنزل خيراً.

ثم فسره فقال: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا﴾ بقول: لا إله إلا الله ﴿حسنة﴾ وهي الجنة. هذا قول أكثر المفسرين[١].

ويجوز عندي أن يكون المعنى: للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة، وهو ما جوزوا به من عز الإسلام وعلو سلطانه، وخضوع الأمم لهم، وفتح البلاد عليهم، وجباية الأموال إليهم، ألا تراه قال: ﴿ولدار الآخرة خير﴾ يعني: الجنة خير ما جوزوا به في الدنيا.

وهذه الجملة وهي قوله: «للذين أحسنوا» وما في خبرها مفسر للجملة التي قبلها، فهي بدل منها[٢]. ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ عِدَةً للقائلين.

ثم مدح الله تعالى دار الآخرة فقال: ﴿ولنعم دار المتقين﴾، وفيه إضمار تقديره: ولنعم دار المتقين دار الآخرة، فحذف المخصوص بالمدح؛ لظهور الدلالة عليه[٣].

قوله تعالى: ﴿جنات عدن﴾ مبتدأ أو خبر مبتدأ محذوف أو بدل من المخصوص بالمدح[٤].

وما بعده ظاهر مفسر إلى قوله: ﴿طيبين﴾ وهو حال من المفعول[٥]. التقدير: تتوفاهم الملائكة طاهرين من دَنَسِ الشرك، أو طيبة أنفسهم بالموت لما بشروا به

---

(١) زاد المسير (٤/ ٤٤٣)، والقرطبي (١٠/ ١٠٠).

(٢) الدر المصون (٤/ ٣٢٤).

(٣) قوله: «عليه»: مكرر في الأصل.

(٤) التبيان (٢/ ٨٠)، والدر المصون (٤/ ٣٢٤).

(٥) التبيان (٢/ ٨٠)، والدر المصون (٤/ ٣٢٥).

عند نزوله بهم من ثواب الله تعالى ورضوانه.

﴿يقولون﴾ حال من الفاعل[١].

قال البراء بن عازب: يُسَلِّمُ ملكُ الموت على المؤمن إذا دخل عليه[٢].

قال القرظي: يقول له الملك: السلام عليك ولي الله، الله يقرأ عليك السلام ويبشرك بالجنة[٣].

قال مقاتل[٤]: هذا قول خزنة الجنة في الآخرة، يقولون: ﴿سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا

(١) التبيان (٢/ ٨٠)، والدر المصون (٤/ ٣٢٥).

(٢) أخرج نحوه الطبري (١٤/ ١٠١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٤٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٢)، والبيهقي في الشعب (١/ ٣٦١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٢٨) وعزاه لابن مالك وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة، وأبي القاسم بن منده في كتاب الأحوال، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٢١).

أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ أي: هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ وهو العذاب، أو يوم القيامة.

﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ وهم كفار الأمم السالفة، أي: كذبوا كما كذب هؤلاء. ﴿وما ظلمهم الله﴾ بتعذيبهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالكفر والمعاصي.

﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ من الشرك، ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ من العذاب.

﴿وقال الذين أشركوا ... الآية﴾ مفسرة في سورة الأنعام(١).

قال الزجاج(٢): قالوا هذا على جهة الهزء، ولو قالوا هذا معتقدين لكانوا مؤمنين. وقد اتفقت الأمة على أن الله تعالى لو شاء أن لا يعبدوا غيره مشيئة اضطرار إلى ذلك؛ لم يقدر أحد على غير ذلك، ولكن الله تعالى جلَّ اسمه تَعَبَّد العباد، ووفَّق من أَحَبَّ توفيقه، وأضلَّ من أَحَبَّ إضلاله.

وما بعده ظاهر ومفسر إلى قوله تعالى: ﴿إن تحرص على هداهم فإن الله لا

---

(١) عند الآية رقم: ١٤٨.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٩٧).

يهدي من يضل﴾ قرأ أهل الكوفة: «يَهدِي» بفتح الياء وكسر الدال[(١)] على إضافة الفعل إلى الله، وفيه ضمير يعود إلى المنصوب بـ«إنْ».

أي: لا يهدي الله من يضل، و«مَنْ» في موضع نصب بـ«يهدي».

وقرأ الباقون: «يُهدَى» بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول[(٢)].

وفي «يضل» ضمير يعود إلى اسم «إن»، ومفعول «يضل» محذوف، وهو العائد إلى «مَنْ»، أي: من يضله.

وهذه الآية في المعنى كقوله: ﴿منْ يضلل الله فلا هادي له﴾ [الأعراف:١٨٦].

وقيل: في قراءة الكوفيين: «يهدي» في معنى: يهْتَدي. تقول العرب: قد هدي فلان الطريق، يريدون: اهتدى[(٣)]، فتكون «مَنْ» في موضع رفع بفعلها، والتقدير: فإن الله لا [يهدي][(٤)] من يضله.

﴿وما لهم من ناصرين﴾ من عذابه.

وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَـٰجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٨-٣٨٩)، والكشف (٢/ ٣٧)، والنشر (٢/ ٣٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٢).

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) انظر: اللسان (مادة: هدي).

(٤) في الأصل: يهتدي.

لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ قال أبو العالية: كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دَيْن، فتقاضاه، فقال المسلم: والذي أرجوه بعد الموت، فقال المشرك: وإنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت، فأقسم لا يبعث الله من يموت، فنزلت هذه الآية(١).

﴿بلى﴾ إثبات لما بعد النفي ﴿وعداً عليه حقاً﴾ أي: ليبعثنهم، ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني: المشركين ﴿لا يعلمون﴾.

أخرج البخاري في صحيحه من أفراده من حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: « قال الله عز وجل: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أولُ الخلق بأهون عَلَيَّ من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد »(٢).

قوله تعالى: ﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾ اللام في «ليبين» متعلقة بما دل عليه قوله: «بلى»، أي: يبعثهم ليبين لهم، أو تكون متعلقة بقوله: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً﴾. والأول أظهر؛ لقوله: ﴿وليعلم الذين كفروا﴾، وذلك عند معاينة ما

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٠٥). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٨٥)، وزاد المسير (٤/ ٤٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٣٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠٣ ح٤٦٩٠).

وُعدوا به من العذاب الكائن بعد البعث، ﴿أنهم كانوا كاذبين﴾ فيما أقسموا عليه من نفي البعث.

وإن قلنا: اللام متعلقة بقوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا﴾ فالمعنى: وليعلم الذين كفروا إذا شاهدوا معجزات الرسل، وبراهينهم الساطعة، ودلائلهم القاطعة، أنهم كانوا كاذبين على الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ أي: أُحْدِثُ فيَحْدُثُ عقيب ذلك من غير توقف، فماذا تستبعدون من إعادة الأجساد البالية.

وقرأ ابن عامر والكسائي: «فيكونَ» بالنصب عطفاً على «نقولَ»[(١)]. وقد سبق الكلام على هذه الآية في سورة البقرة[(٢)].

قوله تعالى: ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا﴾ نزلت في الذين عُذِّبُوا من أصحاب رسول الله ﷺ؛ كبلال، [وعمار][(٣)]، وصهيب، وخباب بن الأرتّ، وأمثالهم من الذين هاجروا من بعد ما ظلموا وعذبوا[(٤)].

أخرج الإمام أحمد من حديث عبدالله بن مسعود قال: «كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله تعالى بعمِّه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٩)، والكشف (١/ ٢٦٠)، والنشر (٢/ ٢٢٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٣).

(٢) آية رقم: ١١٧.

(٣) في الأصل: عمار. والمثبت من زاد المسير (٤/ ٤٤٨).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٦٣)، وأسباب النزول (ص:٢٨٥).

تعالى بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في الله عز وجل، وهان على قومه، وأعطوه الولدان، فأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول: أَحَدٌ أَحَد))[١].

وقيل: نزلت في جميع المهاجرين الذين ظلمهم أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم، فمنهم من هاجر الهجرتين؛ كعثمان بن عفان، وجعفر بن أبي طالب، والزبير بن العوام، ومنهم من هاجر إلى المدينة فقط.

ومعنى قوله: ﴿في الله﴾ في طلب مرضاته وثوابه.

﴿لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾ أي: بلدة أو داراً حسنة، وهي المدينة، في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والأكثرين[٢].

ويجوز أن يكون صفة، التقدير: لنبوئنهم تبوئة حسنة[٣].

وقيل: المعنى: لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة، وهي الغلبة والنصر على الأعداء، وجميل الذكر والثناء.

قال عمر بن الخطاب: ((أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا بلالاً))[٤].

وقال أيضاً: ((نعم الرجل صهيب، لو لم يَخَف الله لم يَعْصِه))[٥].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٤ ح٣٨٣٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٦٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٤٨).

(٣) التبيان (٢/ ٨١)، والدر المصون (٤/ ٣٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٧١ ح٣٥٤٤).

(٥) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٤٢٨ ح٢٨٣١) وقال: اشتهر في كلام الأصوليين وأصحاب المعاني وأهل العربية من حديث عمر، وبعضهم يرفعه إلى النبي ﷺ. وذكر البهاء السبكي: أنه لم

يريد: لو أَمِنَ عذاب الله لأطاعه؛ لما طُبِعَ عليه من صفات الخير، فكيف وهو يرجوه ويخافه.

﴿ولأجر الآخرة أكبر﴾ قال ابن عباس: يريد: أمر الجنة أعظم وأكبر من أن يعلمه أحد ويقدر على صفته أحد[١].

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أعطى الرجل من المهاجرين العطاء قال: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا، وما ادخر لك في الآخرة أكبر، ثم تلا هذه الآية[٢].

قوله تعالى: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ اختلفوا في الضمير في «كانوا» فقال قوم: هو للكفار، على معنى: لو علموا ما يجمع الله لهؤلاء المستضعفين في أيديهم من خير الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم وانتظموا في سلكهم.

وقال قوم: الضمير للمهاجرين، أي: لو كانوا يعلمون ذلك على حقيقة ما هو عليه لزادوا في اجتهادهم وصبرهم.

ثم مدحهم فقال: ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ وهو في موضع نصب أو رفع، وكلاهما على المدح[٣].

والمعنى: صبروا على مفارقة الأهل والأزواج والأولاد والأوطان وعلى

= يظفر به بعد البحث، وكذا كثير من أهل اللغة، لكن نقل في المقاصد عن الحافظ ابن حجر: أنه ظفر به في مشكل الحديث لابن قتيبة من غير إسناد.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٦٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ١٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٣٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٣) التبيان (٢/ ٨١)، والدر المصون (٤/ ٣٢٧).

العذاب وعلى ربهم يتوكلون.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ نزلت جواباً لقول الكفار: الله أعظم أن يكون رسوله بشراً[1].

﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ وهم العلماء من اليهود والنصارى ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ أن الرسل بشر.

وقيل: إن كنتم لا تعلمون أن محمداً ﷺ رسول الله.

فعلى هذا؛ يراد بأهل الذكر: المؤمنون من أهل الكتاب؛ كسلمان، وعبد الله بن سلام.

قوله تعالى: ﴿بالبينات والزبر﴾ في متعلق الباء أوجه:

أحدها: قوله: ﴿وما أرسلنا﴾ مع ما في خبره من الاستثناء، تقديره: وما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات والزبر، كما تقول: ما ضربت إلا زيداً بالسوط.

الثاني: أنه «أرسلنا»، وفيه إضمار، كأنه قيل: بم أرسلوا؟ فقال: بالبينات.

الثالث: أنه «رجالاً»، أي: رجالاً ملتبسين بالبينات والزبر.

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٠٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٤٩)، والسيوطي في الدر (٥/ ١٣٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

الرابع: أنه «يوحِي» على معنى: يوحي إليهم بالبينات[١].

فعلى هذه الأوجه: «فاسألوا أهل الذكر» اعتراض.

الخامس: أنه «لا تعلمون»، ويكون معنى الشرط إلزامهم وتبكيتهم؛ كقولهم: إن كنت ابني فأطعني[٢]. وقد سبق تفسير البينات والزبر في آل عمران.

﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ وهو القرآن ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ من الحلال والحرام والوعد والوعيد ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ فيأخذوا في الاستعداد للمعاد.

أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات﴾ وهم أهل مكة ومن والاهم ممن كاد الإسلام، وبذلوا الجهد في إطفاء نور محمد ﷺ.

﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ كما فعل بقارون، ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث

---

(١) التبيان (٢/ ٨١).

(٢) الدر المصون (٤/ ٣٢٧-٣٢٨). وقد ذكر السمين الحلبي في الدر المصون (٤/ ٣٢٨) ثلاث وجوه أخرى عند هذه الأوجه في متعلق الباء، قال:

يمكن أن يتعلق بـ «أرسلنا» أيضاً، إلا أنه على نية التقديم قبل أداة الاستثناء، تقديره: وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالاً، حتى لا يكون ما بعد «إلا» معمولين متأخرين لفظاً ورتبة، داخلين تحت الحصر لما قبل «إلا».

أن الباء مزيدة، وعلى هذا فتكون «البينات» هو القائم مقام الفاعل؛ لأنها هي الموحاة.

أن الجار متعلق بمحذوف على أنه حال من القائم مقام الفاعل، وهو «إليهم».

لا يشعرون﴾ قال ابن عباس: يعني: يوم بدر[١].

﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ في أسفارهم، أو في منامهم، وليلهم ونهارهم، ﴿فما هم بمعجزين﴾.

﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ يعني: متخوفين متوقعين ما أصاب أشباههم من الكفار، وهو خلاف «من حيث لا يشعرون».

قال ابن عباس وأكثر المفسرين: «على تخوف» أي: تخوّن وتنقّص في الأنفس، إما بقتل أو موت، وفي الأموال، فينقصهم شيئاً بعد شيء حتى يهلكوا[٢]. يقال: تخوفه الدهر وتخوَّنه؛ إذا نقصه[٣].

ويروى «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقى المنبر فقال: أيها الناس! ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾؟ فسكت الناس. فقام إليه شيخ فقال: يا أمير المؤمنين، هذه لغتنا بني هذيل، التخوُّف: التنقُّص، قال عمر: هل تعرفُ العربُ ذلك في أشعارهم؟ قال: نعم. شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقة:

تخوَّفَ الرَّجْلُ منها تامِكاً[٤] قَرِداً   كما تخوَّفَ عودُ النبعةِ السَّفَنُ[٥]

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٦٤).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٦٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٥١).

(٣) انظر: اللسان (مادة: خوف، خون).

(٤) التامك: المرتفع من السنام (اللسان، مادة: تمك). والقرد: المتلبد بعضه على بعض (اللسان، مادة: قرد). والسفن: المِبْرَد (اللسان، مادة: سفن).

(٥) البيت لأبي كبير الهذلي. ونسبه الزمخشري في الكشاف (٢/ ٥٦٨) لزهير وليس في ديوانه، وابن منظور في اللسان، مادة: (خوف) لابن عقيل، وفي مادة: (سفن) نسبه لذي الرمة وليس في ديوانه، =

فقال عمر: أيها الناس، عليكم بديوانكم لا يضل. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم»[1].

﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿أولم يروا﴾ قرأ حمزة والكسائي: «تروا» بالتاء على المخاطبة[2]، على معنى: أو لم تروا أيها الناس.

وقرأ الباقون بالياء على المغايبة، حملاً على ما تقدم من قوله: ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله﴾ وما في خبرها.

﴿إلى ما خلق الله من شيء﴾ من جِرْمٍ له ظل من جبل أو شجر أو بناء، ﴿يتفيأ ظلاله﴾ قرأ أبو عمرو: «تتفيأ» بتائين، لتأنيث الظلال. وقرأ الباقون: «يتفيأ» بتاء[3]؛

=

والجوهري في الصحاح كذلك (٤/ ١٣٥٩).

انظر: الطبري (١٤/ ١١٣)، والقرطبي (١٠/ ١١٠)، والبحر المحيط (٥/ ٤٧٩)، والدر المصون (٤/ ٣٢٩).

(١) القرطبي (١٠/ ١١٠).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٠)، والكشف (٢/ ٣٧)، والنشر (٢/ ٣٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٣).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩١)، والكشف (٢/ ٣٧)، والنشر

=

لأن التأنيث غير حقيقي، أو حملاً على المعنى؛ لأن الظلال في معنى الظل. وقد أشرنا إلى علة ذلك في مواضع.

قال ابن قتيبة[(١)]: «يتفيأ ظلاله»: يدور ويرجع من جانب إلى جانب.

﴿عن اليمين والشمائل﴾ أراد الأيمان، فوحَّد طلباً للإيجاز، كقوله: ﴿ويولّون الدبر﴾ [القمر:٤٥].

﴿سجداً لله﴾ حال من الظلال.

والمعنى: منقادة مستسلمة مسخرة لما يراد منها، من طول وقصر، وانتقال من جانب إلى جانب، ﴿وهم داخرون﴾ أي: صاغرون، وهو حال من الضمير في «ظلاله»، وجمع جمع مَنْ يعقل؛ لأن الدخور من أوصاف العقلاء، أو لأن في جملة ذلك من يعقل.

قوله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة﴾ أما مَنْ يعقل فسجوده عبادته وخضوعه لله تعالى.

وأما ما لا يعقل فسجوده انقياده لتسخير الله تعالى ونفاذ أمره فيه، وظهور أثر صنعته عليه. هذا قول جمهور المفسرين[(٢)].

والصحيح عندي والذي يدل عليه العلم: أنه سجود على الحقيقة، كما قلنا في تسبيح ما لا يعقل، ويكون منشأ ذلك معنىً يخلقه الله فيه، كما أفهم السماوات والأرض والجبال خطابه، حيث عَرَضَ عليها الأمانة فأَبَتْ.

= (٢/ ٣٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٤).

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٢٤٣).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٥٣)، والوسيط (٣/ ٦٥).

وفي صحيح مسلم: أن النبي ﷺ قال: «إني لأعرفُ حجراً كان يُسلِّمُ عليّ بمكة قبل أن أُبعث»[(١)].

وصح: «أن الجذع حَنّ إليه حتى نزل إليه فاحتضنه فسكت»[(٢)].

فإذا كان هذا في الجماد فأولى أن يكون في الدواب الموصوفة بالحياة والإحساس والعلم ببعض المعلومات.

والذي يؤيد ما ذكرناه؛ ما أخرج في الصحيحين من حديث أبي ذر قال: «كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد حين وجبت الشمس فقال: يا أبا ذر! تدري أين ذهبت الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها، فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت، فترجع إلى مطلعها، فذلك مستقرها، ثم قرأ: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾»[(٣)] [يس:٣٨].

ومما يوضح ما ذكرته ويحققه: أن الله تعالى جمع بين مَنْ يعقل وما لا يعقل في الإخبار بالسجود، فلو تغاير سجودهما لكان معبِّراً عن النوعين بلفظ واحد، وهذا لا يسوغ.

فإن قيل: أي فائدة في قوله: ﴿والملائكة﴾ مع دخولهم في العموم؟

قلت: التنبيه على فضلهم وشرفهم، أو لتدخل ملائكة الأرض فيهم، فإنهم ليسوا مما في السماوات ولا من دواب الأرض، خصوصاً أولي أجنحة منهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٨٢ ح٢٢٧٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٥٤ ح١٤١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٠ ح٣٠٢٧)، ومسلم (١/ ١٣٩ ح١٥٩).

قوله تعالى: ﴿وهم لا يستكبرون﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: هو عام في جميع المذكورات[١].

والصحيح: أنهم الملائكة؛ لقوله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ فإن قوله: «يخافون» إما حال من الضمير في «يستكبرون»، على معنى: فهم لا يستكبرون خائفين، وإما بيان لنفي الاستكبار وتأكيد له[٢]. وأياً ما كان فهو بالملائكة أشبه.

فإن قيل: «من فوقهم» بما يتعلق؟

قلت: بـ«ربهم» على معنى: يخافونه عالياً عليهم، قاهراً لهم، كما قال: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨]. ويجوز أن يكون متعلقاً بـ«يخافون»، على معنى: يخافونه أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم[٣].

وفي الآية دليل على أن الملائكة يخافون بالأمر والنهي، مخاطبون بالوعد والوعيد، وأنهم بين الخوف والرجاء.

۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّـٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَـٰهُمۡۚ

---

(١) زاد المسير (٤/ ٤٥٤).

(٢) الدر المصون (٤/ ٣٣٣).

(٣) التبيان (٢/ ٨٢)، والدر المصون (٤/ ٣٣٣).

﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ أي: لا تعبدوا معه غيره.

قال صاحب الكشاف[١]: إن قلتَ إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين، فقالوا: عندي رجال ثلاثة، وأفراس أربعة؛ لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص. [وأما][٢] رجل ورجلان، وفرس وفرسان، فمعدودان فيهما دلالة على العدد، فلا حاجة إلى أن يقال: رجل واحد، ورجلان اثنان، فما وجه قوله: «إلهين اثنين»؟

قلت: الاسم [الحامل لمعنى][٣] الإفراد والتثنية [دال][٤] على شيئين: على الجنسية والعدد المخصوص، فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما، والذي يساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده، فدل به على القصد إليه والعناية به، ألا ترى أنك لو قلت: إنما هو إله، ولم تؤكد بواحد: لم يحسن، وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية.

﴿فإياي فارهبون﴾ نقل [للكلام][٥] عن الغيبة إلى التكلم، وجاز؛ لأن الغائب هو المتكلم.

قوله تعالى: ﴿وله الدين واصباً﴾ الدين: الطاعة، والوُصُوب: الدوام. يقال:

---

(١) الكشاف (٢/ ٥٧٠).

(٢) في الأصل: فأما. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: الجائي بمعنى. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: ذال. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: الكلام. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

وَصَبَ الشيء يَصِبُ وُصُوباً فهو واصِب؛ إذا دام[١].

قال أبو الأسود الدؤلي:

لا أبتغي الحمدَ القليلَ بقاؤهُ　　　يوماً بذمِّ الدهر أجمعَ واصِبَا[٢]

قال ابن قتيبة[٣]: فالمعنى: ليس من أحدٍ يُدَانُ له ويطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوالٍ أو هلكة، غير الله تعالى، فإن الطاعة تدوم له.

وقال الزجاج[٤]: «واصباً» دائماً، أي: طاعته واجبة أبداً.

ويجوز -والله تعالى أعلم- أن يكون «وله الدين واصباً»: أي: له الدين والطاعة، رضي العبد بما يؤمر به أو لم يرض، وسَهُلَ ذلك عليه أو لم يَسْهل، فله الدين وإن كان فيه الوَصَبُ، والوَصَبُ شدّة التعب.

وقال ابن الأنباري وغيره[٥]: ويجوز أن يكون «واصباً» مُوصباً: متعباً؛ لأن الحق ثقيل، كما تقول العرب: هَمٌّ ناصب، أي: منصوب، وأنشدوا:

كِلِيني لِهَمٍّ يا أميمةَ نَاصِبِ　　　..................

وقد سبق ذكر البيت[٦].

---

(١) انظر: اللسان، (مادة: وصب).

(٢) البيت لأبي الأسود الدؤلي، وهو واضع علم النحو. وانظر البيت في: مجاز القرآن (١/ ٣٦٣)، والطبري (١٤/ ١١٨، ٢٣/ ٤٠)، والبحر (٥/ ٤٨٣)، والدر المصون (٤/ ٣٣٤)، وروح المعاني (١٤/ ١٦٤).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٢٤٣).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٠٣).

(٥) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٥٦).

(٦) (٣/ ٥٩٨).

قوله تعالى: ﴿أفغير الله تتقون﴾ قال الزجاج[(١)]: أفغير الله الذي أبان لكم أنه واحد، وأنه خالق كل شيء، وأنّ ما بكم من نعمة فمن عنده، وأنه لو أراد هلاككم حين كفرتم وأن لا يُنْظِرَكُم إلى التوبة لفعل.

قوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ دخلت الباء هاهنا بتقدير الفعل، المعنى: وما حَلَّ بكم من نعمة؛ [من][(٢)] صحة في جسم، أو سعة في رزق، أو متاع من مال أو ولد، فمن الله.

وقرأ ابن أبي عبلة: «فمَنُّ الله» بفتح الميم وتشديد النون وضمها[(٣)].

﴿ثم إذا مسكم الضر﴾ في أبدانكم وأولادكم ﴿فإليه تجأرون﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء.

قال الزجاج[(٤)]: يقال: جأر يَجأر جُؤاراً، والأصوات مبنية على فُعَال وفَعِيل. فأما فُعال؛ فنحو: الصُّراخ والجؤار والبُكاء. وأما الفَعِيل؛ فنحو: العويل والزئير، والفُعَالُ أكثر.

﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم﴾ وهم الكفار والمنافقون ﴿بربهم يشركون﴾.

﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ أي: أعطيناهم من نعمة كشف الضر عنهم. واللام في «ليكفروا» هي لام العاقبة، ويجوز أن تكون لام الأمر في معنى التهديد؛ كقوله:

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٠٣).

(٢) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) زاد المسير (٤/ ٤٥٦).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٠٤).

﴿اعملوا ما شئتم﴾ [فصلت: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿فتمتعوا﴾ أي: انتفعوا بدنياكم هذه الفانية ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة ما تعملون.

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم﴾ جائز أن يكون الضمير في «يعلمون» لهم[(١)]، وجائز أن يكون للأصنام. فإن كان الأول؛ فالمعنى: أنهم جعلوا للأوثان نصيباً من الحرث والأنعام تقرباً إليهم، و«هم» أعني: الكفار لا يعلمون للأوثان ضراً ولا نفعاً؛ لأنها جمادٌ لا تعقل، فضلاً عن أن تضرّ وتنفع، ومفعول العلم محذوف، وهو ما ذكرناه. وهذا قول مجاهد وقتادة[(٢)].

أو يكون التقدير: ويجعلون لما لا يعلمونه إلهاً، فحذف المفعولين.

وإن كان الثاني؛ فالمعنى: فيجعلون للأوثان نصيباً وهم لا يعلمون شيئاً ولا

---

(١) أي: للكفار.

(٢) أخرج نحوه الطبري (١٤/ ١٢٢) عن مجاهد. وانظر: الوسيط (٣/ ٦٦-٦٧)، وزاد المسير (٤/ ٤٥٨). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٥/ ١٣٨) وعزاه لابن جرير عن مجاهد.

يعرفون من يتقرّب إليهم.

﴿تالله لتسألن عما كنتم تفترون﴾ تكذبون على الله في قولكم أنه أمركم بذلك.

﴿ويجعلون لله البنات﴾ وهم خزاعة وكنانة، كانوا يقولون: الملائكة بنات الله. ثم نَزَّهَ نفسه فقال: ﴿سبحانه﴾.

قوله: ﴿ولهم ما يشتهون﴾ يعني: البنين، وهذا كقوله: ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ [الطور:٣٩].

فإن قيل: ما موضع «ما» في قوله: «ما يشتهون» من الإعراب؟

قلت: النصب عطفاً على «البنات»، على معنى: ويجعلون لهم ما يشتهون، و«سبحانه» اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه.

وقال الزجاج[1]: «ما» في موضع رفع لا غير. والمعنى: سبحانه ولهم الشيء الذي يشتهون.

قوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ قد ذكرنا البشارة في أوائل البقرة. والمعنى: إذا بُشر أحدهم بالأنثى أنها قد وُلدت له ﴿ظل وجهه﴾ أي: صار وجهه ﴿مسوداً﴾، وهذا الموضع أحد المواضع السبعة التي جاءت في القرآن في هذا الباب، وقد ذكرتها في قصيدتي المسماة: «درّة القاري» أفرق فيها بين الضاد والظاء فقلت فيها مما يختص بهذا الموضع:

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٠٦).

ثُــم الــضَّلال وفيــه الأمــر مُـشتبه فافقــهْ تفاصــيل تُــدْعَ بــالفَطِن
بالــضاد تُقــرأ إلا تــسعة قــرأت بالظـاء إجمـاع أهـل العلـم واللُّـسُن
مــن الــسماء فظلُّــوا الحجــر أولهــا ووجهــه ظــلَّ مــسوداً مــن الــسِّجْن
لــسوء مــا حكمــوا تــتلى مــذمَّتهم في النحل والزخرف احذر كل مفتتن
طــه الــذي ظَلَّــتْ بعــد العنكبــوت لظَلّوا من وفي الشُّعرا حرفان ياسكني
إذا تلوتَ فظلَّتْ بعدها فنظَلُّ أعـرف فلـيظللنَ في الـشورى اهتـد اسـتبن
قبــل الحديــد فظلــتمْ وهــو آخرهــا اقتلــه علــماً فليــتَ الجهــل لم يكــن

والمعنى: تغيَّر وجههُ تغيُّر مُغْتَم.

قال الزجاج وغيره(١): العرب تقول لمن لقي مكروهاً: قد اسودَّ وجهـه غـماً وحُزناً، ومنه: سوَّدْت وجه فلان؛ إذا سُؤْته.

﴿وهو كظيم﴾ ممتلئ غيظاً.

قال قتادة: هذا صنيع مشركي العرب، أخبر الله خبث صنيعهم. فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله تعالى له، وقضاء الله للمرء خير من قـضاء المـرء لنفسه، وما قضي لك يا ابن آدم فيما تكره خير مما قـضى لـك ممـا تحـب، فـاتق الله وارض بقضائه، فإنه رُبَّ جارية خير لأهلها من غُلام، ورُبَّ غلام لا يأتي أهلـه بخير(٢).

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٠٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ١٢٣)، وابـن أبي حـاتم (٧/ ٢٢٨٦). وانظـر: الوسـيط (٣/ ٦٧)، وزاد المسير (٤/ ٤٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٣٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قوله تعالى: ﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به﴾ أي: يتخفَّى أياماً يدبر كيف يصنع في أمرها، هل يقتلها أم لا؟ وهو قوله: ﴿أيمسكه على هون﴾ أي: أيمسك ما بشر به على هون، أي: هوان، وكذا قرأ ابن مسعود[١]، ﴿أم يدسّه﴾ يخفيه ﴿في التراب﴾ بالوَأْدِ خوفاً من الفضيحة والعار، وحذاراً من الفقر عليها، فيطمع فيها غيرُ الأكْفاء.

وكان صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم جد الفرزدق بن غالب بن صعصعة بن ناجية الشاعر إذا أحسَّ بشيء من ذلك، وجّه إلى والد البنت إبلاً ليستَبقيها، فقال الفرزدق يفتخر:

ومنّا الذي مَنَعَ الوائداتِ فأحيا الوئيدَ فلم يُوأَدِ[٢]

ويروى: وجدِّي الذي مَنَعَ الوائدات.

وقال الثعلبي[٣]: صعصعة عم الفرزدق، وهو شيء قد قيل، لكنه وهمٌ عندهم.

وقال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه حين استشهد ببيت الفرزدق في سورة التكوير[٤]: يعني: صعصعة [بن][٥] صُوحان، وهو جدّ الفرزدق.

وهذا وهم؛ لأن صعصعة بن صوحان من عبد القيس، والأمر كما حققته

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٤/ ٤٥٨-٤٥٩).

(٢) البيت للفرزدق، انظر: اللسان (مادة: وأد)، والقرطبي (١٠/ ١١٧، ١٩/ ٢٣٣)، والبغوي (٣/ ٧٣)، وزاد المسير (٩/ ٤٠)، وروح المعاني (٣٠/ ٥٣).

(٣) تفسير الثعلبي (٦/ ٢٣).

(٤) زاد المسير (٩/ ٤٠).

(٥) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

لك، فتعرف ذلك.

﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ أي: بئس ما يقضون من جعلهم لله الولد الذي يكرهونه لأنفسهم -وهو عندهم في هذا المحل-، وجعلهم البنين لأنفسهم، ونظيره: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذاً قسمة ضيزى﴾ [النجم:٢١-٢٢].

قوله تعالى: ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ أي: صفة السوء من احتياجهم إلى الولد الذكور وكراهيتهم للإناث، وقتلهم إياهم خشية الفاقة والعار، وإقرارهم على أنفسهم بالشُّحّ الهالع.

﴿ولله المثل الأعلى﴾ الصفة العليا من تنزهه عن الولد وسائر ما لا يليق بجلاله، ﴿وهو العزيز﴾ فلا يحتاج إلى ولد ينصره ﴿الحكيم﴾ فيما يقتضيه ويدبره.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم﴾ أي: بشركهم ومعاصيهم وافترائهم عليه ﴿ما ترك عليها﴾ أي: على الأرض ﴿من دابة﴾ قال قتادة: وقد فعل ذلك في زمن نوح عليه السلام[1].

---

(١) زاد المسير (٤/ ٤٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٠) وعزاه لعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه وقد قرأ هذه الآية: كاد أن يَهلك الجُعَل[١] في حجره بذنب ابن آدم[٢].

وسمع أبو هريرة رجلاً يقول: إن الظالم لا يضرّ إلا نفسه، فقال: بلى والله حتى إن الحُبَارى[٣] لتموت في وكرها بظلم الظالم[٤].

قال السدي: لأقحط المطر فلم تبق دابة إلا هلكت[٥].

وقيل: المعنى: ما ترك عليها من دابة ظالمة.

قال ابن عباس: ما ترك عليها من مشرك يدبّ عليها.

وباقي الآية سبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ أي: ما يكرهونه لأنفسهم من البنات والشركة في الرئاسة والعظمة، ويجعلون له أرذل أموالهم.

وهذه الآية تنعي على ذي الثَّرْوة سوء فعلهم، من إهداء نفائس أموالهم

---

(١) الجُعَل: دابة سوداء من دواب الأرض، وجمعه: جِعْلان، وقيل: هو أبو جَعْران (اللسان، مادة: جعل).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٨)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٥٤)، والطبري (١٤/ ١٢٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٠) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٣) الحبارى: طائر، وهو ذكر الخَرَب (اللسان، مادة: حبر).

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ٥٤)، والطبري (١٤/ ١٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن جرير والبيهقي في الشعب.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٧). وانظر: الوسيط (٣/ ٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٠) وعزاه لابن أبي حاتم.

وأطايب طعامهم إلى أمرائهم وكبرائهم دون مساكينهم وفقرائهم.

قال بعضهم: كيف بك يوم القيامة إذا نودي: هاتوا ما دُفع إلى السلاطين وأعوانهم، فيؤتى فيه بالدواب والثياب وأنواع المال الفاخرة، وإذا نودي هاتوا ما دُفع إليّ، فيؤتى بالكِسر والخرق وما لا يُؤبه له، أما تستحي من ذلك؟.

قوله تعالى: ﴿وتصف ألسنتهم الكذب﴾ أي: تقول الكذب. وقرأ معاذ: «الكُذُبُ» بضم الكاف والذال والباء، على نعت الألسنة[١].

قال ابن جني[٢]: هو جمع كاذب أو كَذوب. ومفعول «تصف»: «أن لهم الحسنى» وعلى قراءة الجماعة: «الكَذِبَ» مفعول «تَصِفُ»، و«أن لهم الحسنى» بدل من «الكذب»؛ لأنه في المعنى كذب.

قال مجاهد: «أن لهم الحسنى» هو قول قريش: لنا البنون[٣].

وقال غيره: الجنة.

وقال الزجاج[٤]: يصفون أن لهم -مع قبيح فعلهم- من الله الجزاء الحسن.

وقوله: ﴿لا﴾ رد لقولهم وتكذيب لهم، أي: ليس ذلك كما وصفوا، ﴿جرم﴾ أي: كسب فعلهم ﴿أن لهم النار﴾ والمفسرون يقولون: حقاً أن لهم النار.

﴿وأنهم مفرطون﴾ أي: معجلون إلى النار، من قولهم: أفْرَطَ القوم الفارط، إذا

---

(١) زاد المسير (٤/ ٤٦٠).

(٢) المحتسب (٢/ ١١).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٧)، ومجاهد (ص:٣٤٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤١) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٠٧).

قدموه إلى الماء ليُصْلِح لهم شأنهم[١]. وهذا قول قتادة[٢] والزجاج[٣].

وقرأ نافع: «مفرِطون» بكسر الراء[٤]، بمعنى: مفْرِطُون في الافتراء على الله وفي معاصيه، ومثله أبو جعفر، إلا أنه شدد الراء من التفريط، بمعنى: مُفَرِّطُون في أمر الله مُضَيِّعون حقوقه.

تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك﴾ أي: أرسلنا إليهم رسلاً كما أرسلناك إلى هذه الأمة، ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ الخبيثة ﴿فهو وليهم اليوم﴾ يعني: في الدنيا، وجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا. والمعنى: فهو وليهم وناصرهم في الدنيا، ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة.

وقيل: فهو وليهم يوم القيامة، فيكون حكاية عن الحال الآتية، ويكون الواو في: «ولهم عذاب» واو الحال، على معنى: فهو وليهم حال كونهم معذبين في النار.

قوله تعالى: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾ من

---

(١) انظر: اللسان (مادة: فرط).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ١٢٨-١٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤١) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٠٧-٢٠٨).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩١)، والكشف (٢/ ٣٨)، والنشر (٢/ ٣٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٤).

الدين والأحكام والبعث والجزاء، ﴿وهدى ورحمة﴾ معطوف «أن» على محل «لتبين» التقدير: إلا بياناً وهدى ورحمة ﴿لقوم يؤمنون﴾.

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

وما بعده ظاهر مفسَّر إلى قوله: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ لدلالة موصلة إلى العلم بعظمة الله وقدرته ووحدانيته.

ثم بيَّنها فقال: ﴿نسقيكم مما في بطونه﴾ قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر: «نَسْقِيكُم» بفتح النون[(١)]، وضمها الباقون هنا وفي المؤمنين[(٢)]، وقد ذكرناه في الحجْر[(٣)]، وإنما ذكَّر فقال: ﴿في بطونه﴾ لأن الأنعام من الأسماء المفردة. هكذا ذكره سيبويه في باب ما لا ينصرف[(٤)].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩١)، والكشف (٢/ ٣٨-٣٩)، والنشر (٢/ ٣٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٤).

(٢) آية رقم: ٢١.

(٣) آية رقم: ٢٢.

(٤) انظر: الكتاب (٣/ ٢٣٠).

وقال الزجاج[(١)]: الأنعام لفظ [جمع][(٢)] اسم للجنس، يذكر ويؤنث، يقال: هي أنعام وهو الأنعام.

وقال الفراء[(٣)]: النَّعَم والأنعام شيء واحد، فرجع التذكير إلى النَّعَم إذ كان يؤدي عن معنى الأنعام، أنشدني بعضهم:

.... وطابَ ألبانُ اللِّقاحِ[(٤)] وبَرَدْ[(٥)]

فرجع إلى اللبن؛ لأن اللبن والألبان في معنى واحد.

قال[(٦)]: وقال الكسائي: أراد: نسقيكم مما في بطون ما ذكرنا، وهو صواب، أنشدني بعضهم:

مثلُ الفِراخِ نُتِفَتْ[(٧)] حواصِلُه[(٨)]

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٠٩).

(٢) في الأصل: جميع. والتصويب من الزجاج، الموضع السابق.

(٣) معاني الفراء (٢/ ١٠٨-١٠٩).

(٤) اللقاح: النوق إلى أن يفصل عنها ولدها (انظر: اللسان، مادة: لقح).

(٥) عجز بيت، وصدره:

بالَ سُهيلٌ في الفضيخِ فَفَسَد ....

انظر: اللسان مادة: (خرت، كتد)، والدر المصون (٤/ ٣٤٣)، والطبري (١٤/ ١٣١)، والفراء (١/ ١٢٩).

(٦) أي: الفراء.

(٧) في معاني الفراء (١/ ١٣٠، ٢/ ١٠٩): نَتَقَتْ، أي: سَمِنَت.

(٨) من الرجز، انظر: اللسان، مادة (نعم، خلف)، والدر المصون (٤/ ٣٤٣)، والبحر (٥/ ٤٩٢) وفيه «نبَقَت» بدل «نتفت»، والطبري (١٤/ ١٣٢)، والقرطبي (١٠/ ١٢٤)، وزاد المسير (٤/ ٤٦٣)، وروح المعاني (١٤/ ١٧٧، ٢٠/ ١١١).

وقال المبرد[(١)]: هذا فاشٍ في القرآن، مثل قوله للشمس: ﴿هذا ربي﴾ [الأنعام:٧٨] بمعنى: هذا الشيء الطالع، وكذلك ﴿وإني مرسلة إليهم بهدية﴾ [النمل:٣٥] ثم قال: ﴿فلما جاء سليمان﴾ [النمل:٣٦] ولم يقل: جاءت؛ لأن المعنى: [جاء][(٢)] الشيء الذي ذكرناه.

وقال أبو عبيدة[(٣)]: الهاء في «بطونه» للبعض.

المعنى: نسقيكم مما في بطون البعض الذي له لبن؛ لأنه ليس لكل الأنعام لبن.

قوله تعالى: ﴿من بين فرث ودم﴾ قال ابن عباس: إذا استقر العلف في الكَرِش طَحَنَه فصار أسفله فرثاً، وأعلاه دماً، وأوسطه لبناً، والكَبِد مُسلَّطة على هذه الأصناف الثلاثة، فيجري الدم في العروق، واللبن في الضرع، ويبقى الفَرْث[(٤)] في الكرش[(٥)].

و«من» في قوله: «مما في بطونه» للتبعيض، وفي قوله: «من بين فرث ودم» لابتداء الغاية.

﴿لبناً﴾ أي: نسقيكم لبناً، ﴿خالصاً﴾ لا يشوبه الدم ولا الفرث، سليماً من رائحتهما وطعمهما ولونهما، مع اشتراك الأصناف الثلاثة في العنصر والمستقر.

﴿سائغاً للشاربين﴾ سَلِساً سَهْلاً في حُلوقهم، مُستطاباً عندهم، لا تَعافُه

---

(١) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٧٠)، وزاد المسير (٤/ ٤٦٣).

(٢) زيادة من المراجع السابقة.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٦٢).

(٤) الفَرْث: بقايا الطعام في الكرش (المعجم الوسيط ص:٦٧٨).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٦٤).

نفوسهم، مع اقترانه بها ينفرون منه طبعاً وشرعاً، ما ذاك إلا بقدرة قادر عظيم وفعل حكيم.

قال الزمخشري[١]: قوله: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب﴾ متعلق بمحذوف، تقديره: ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب، أي: من عصيرها، وحذف لدلالة «نسقيكم» قبله عليه.

وقوله: ﴿تتخذون منه سكراً﴾ بيان وكشف عن كُنْه الإسقاء، أو تعلق بـ«تتخذون». ويجوز أن يكون «تتخذون» صفة موصوف محذوف، تقديره: ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً؛ لأنهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر.

وفي السَّكَر أربعة أقوال:

أحدها: أنه الخَمْر. [قاله][٢] ابن مسعود وابن عباس وابن عمر والحسن ومجاهد وأكثر المفسرين، وهؤلاء يقولون: كان نزول هذه الآية قبل تحريم الخمر[٣].

الثاني: أنه الخَلّ بلغة الحبشة. رواه العوفي عن ابن عباس[٤].

---

(١) الكشاف (٢/ ٥٧٥).

(٢) في الأصل: قال. والتصويب من زاد المسير (٤/ ٤٦٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٣٦)، ومجاهد (ص:٣٤٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٦٤)، والسيوطي في الدر (٥/ ١٤٢-١٤٣) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن ابن مسعود، وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر، ومن طريق آخر عن الحسن وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٤) الطبري (١٤/ ١٣٦)، وزاد المسير (٤/ ٤٦٤)، والدر المنثور (٥/ ١٤٢).

الثالث: أنه الطَّعْم[١]، يقال: هذا سَكَرٌ لك، أي: طَعْمٌ لك. قاله أبو عبيدة[٢]، [وأنشدوا][٣]:

جعلتَ أعراضَ الكِرَامِ سَكَرا[٤]

يريد: تنقَّلْت بأعراضهم وجعلتها طعماً لك.

الرابع: أنه العصير إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه، ثم يترك حتى يشتد. قاله الضحاك والشعبي[٥]، وهو النبيذ، الذي صار أبو حنيفة إلى القول بحلّه ما لم يسكر منه.

وله رحمه الله أحاديث وآثار، لكنها لا تترقى في الصحة إلى أحاديثنا وآثارنا، ولو شرعت في إقامة الحجة على ذلك وذكر الأدلة من الجانبين لَطَالَ الفصل.

ويكفي في الاعتبار على صحة ما صار إليه إمامنا وأكثر الفقهاء؛ ما أخرج رضي الله عنه في مسنده وأخرجه الشيخان في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «كل شراب أسكر فهو حرام»[٦].

---

(١) وهو اختيار الطبري.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٦٣).

(٣) في الأصل: وأنشد وجعلت...، والتصويب من زاد المسير (٤/ ٤٦٤).

(٤) من الرجز، لم أعرف قائله. انظر: اللسان (مادة: سكر)، والكشاف (٢/ ٥٧٦)، والدر المصون (٤/ ٣٤٥)، والبحر المحيط (٥/ ٤٩٥)، وروح المعاني (١٤/ ١٨٠).

وروي الرجز: جعلت عيب الأكرمين سكرا. انظر: الطبري (١٤/ ١٣٨)، والقرطبي (١٠/ ١٢٩)، وزاد المسير (٤/ ٤٦٤).

(٥) أخرج نحوه الطبري (١٤/ ١٣٧). وانظر: البغوي (٣/ ٧٥).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٩٥ ح٢٣٩)، ومسلم (٣/ ١٥٨٥ ح٢٠٠١)، وأحمد (٦/ ٩٦ ح٢٤٦٩٦).

وأخرج الإمام أيضاً من حديث سالم بن عبدالله بن عمر، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وما أسكر كثيره فقليله حرام»[١].

وأما الرزق الحسن: فهو الخَلّ والرُّبُّ[٢] والزّبيب والتمر وغير ذلك.

ويجوز أن يكونا وَصْفَيْ موصوف واحد، المعنى: تتخذون منه ما يسمى سكراً ورزقاً حسناً.

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ قال ابن عباس ومجاهد والأكثرون: ألهمها وقذف في أنفسها[٣].

وقال مجاهد في رواية: أرسل إليها[٤].

﴿أن اتخذي﴾ هي المفسرة؛ لأن في الإيحاء معنى القول، ﴿من الجبال﴾ أي: اتخذي بعض الجبال ﴿بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ أي: مما يرفع بنو آدم من

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٩١ ح٥٦٤٨).

(٢) الرُّبُّ: دبْس كل ثمرة، وهو سُلافة خُثارَتها بعد الاعتصار والطبخ (اللسان، مادة: ربب).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٣٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٩). وانظر: الوسيط (٣/ ٧١)، وزاد المسير (٤/ ٤٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٣) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن مجاهد وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٤) زاد المسير (٤/ ٤٦٥).

الأبنية والكروم وغيرها.

وقيل: المراد: ما يبنون لها من الأماكن.

﴿ثم كلي من كلِّ الثمرات﴾ قال ابن قتيبة[١]: أي: من الثمرات. و«كلّ» هاهنا ليست على العموم، ومثله: ﴿تدمر كلَّ شيء﴾ [الأحقاف:٢٥].

وقال الزمخشري[٢]: هذا إحاطة بالثمرات التي تَجْرُسُها[٣] النحل وتعتاد أكلها، أي: كلي كل ثمرة تشتهينها.

قوله تعالى: ﴿فاسلكي سبل ربك﴾ وهي الطرق التي تسلكها طلباً للرعي. هذا قول ابن عباس وجمهور المفسرين[٤].

وقال صاحب الكشاف[٥]: المعنى: فإذا أكلتها فاسلكي سبل ربك، أي: الطرق [التي][٦] ألهمك وأفهمك في عَمَل العسل. أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك، في مسالكه التي يُحيل فيها النَّوْرُ[٧] المرُّ عَسَلاً من أجوافك ومنافذ مآكلك. أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك، فاسلكي إلى بيوتك راجعة سُبُل ربك، لا تتوعَّر عليك ولا تضلّين فيها.

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٢٤٦).

(٢) الكشاف (٢/ ٥٧٧).

(٣) الجَرْسُ: الأكل (اللسان، مادة: جرس).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧١).

(٥) الكشاف (٢/ ٥٧٧).

(٦) في الأصل: الذي. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) النَّوْر: الزَّهْر (اللسان، مادة: نور).

والذي حمله[١] على هذه التأويلات وصَدَّه عما عليه جمهور المفسرين؛ ما يقتضيه قوله: «فاسلكي» من الترتيب.

والذُّلل: جمع ذلول، ونصبه على الحال، إما من المفعول، وهو السبل[٢]، على معنى: اسلكيها مذللة لا تتوعر عليك. وهذا قول مجاهد[٣] واختيار الزجاج[٤].

أو حال من الفاعل، وهو الضمير في «فاسلكي»[٥]، أي: اسلكي وأنت مذلَّلةٌ منقادةٌ لما أُمرتِ به. وهو قول قتادة[٦] واختيار ابن قتيبة[٧]. فسبحان من ألهَمَها تلك الصنعة العجيبة [المنتظمة][٨] على قانون بديع من الحكمة، يعجز ذوو الأفهام الثاقبة والبصائر النافذة عن تصوير شكله وتقدير مثله، وسخَّرها حيث استوطنت لمصالح بني آدم مضايق البناء مع اقتدارها على ملازمة فسيح الفضاء، ما ذاك إلا لتستدلوا يا ذوي العقول بما تشاهدون بأبصاركم، وتعلمون ببصائركم على وحدانية الله وقدرته وعظمته وحكمته، وتشكروا ما أفاض عليكم من سوابغ

---

(١) أي: الزمخشري صاحب الكشاف.

(٢) التبيان (٢/ ٨٣)، والدر المصون (٤/ ٣٤٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤٠)، ومجاهد (ص:٣٤٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢١٠).

(٥) التبيان (٢/ ٨٣)، والدر المصون (٤/ ٣٤٦).

(٦) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٤) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر.

(٧) تفسير غريب القرآن (ص:٢٤٦).

(٨) في الأصل: المنتضمة.

مِنَّتِه، سبحانك اللهم وبحمدك.

لقد وضح الطريق إليك قصداً فما خلقٌ أرادك يستدل

قوله تعالى: ﴿يخرج من بطونها شراب﴾ وهو العسل ﴿مختلف ألوانه﴾ قال ابن عباس: منه أبيض وأحمر وأصفر[١].

قال الزجاج[٢]: هي تأكل الحامض والمرّ وما لا يُوصف طعمه، فيُحيلُ الله تعالى من ذلك عسلاً يخرج من بطونها، إلا أنها تلقيه من أفواهها كالريق [الدائم][٣] الذي يخرج من فم ابن آدم.

قوله تعالى: ﴿فيه شفاء للناس﴾ قال مجاهد: أي في القرآن[٤].

وقال الضحاك: المعنى: في الاعتبار شفاء، أي: هدى للناس[٥].

والذي عليه الجمهور من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء: أن الضمير في «فيه» يعود إلى الشراب الذي هو العسل، وهو الصواب والأشبه بظاهر السنة والكتاب.

قال ابن مسعود: في العسل شفاء من [كل][٦] داء[٧].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٦٦).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢١٠).

(٣) زيادة من معاني الزجاج (٣/ ٢١٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم.

(٥) زاد المسير (٤/ ٤٦٧).

(٦) زيادة من المصادر التالية.

(٧) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٦٦)، والسيوطي في الدر =

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أخي استطلقَ بطنه[١] فقال: اسقه عسلاً، فسقاه، ثم أتى فقال: قد سقيته، فلم يزده إلا استطلاقاً، قال: اسقه عسلاً، إلى أن قال: فشُفي إما في الثالثة وإما في الرابعة، فقال رسول الله ﷺ: صدق الله وكذب بطنُ أخيك»[٢].

يشير عليه السلام إلى هذه الآية. وبعضهم يقول بعموم الآية في كل داء.

والصحيح: أنه محمول على الغالب، فإنه قلّ معجون من المعاجين إلا يذكر الأطباء فيه العسل.

قال الزمخشري[٣]: ومن بدع تأويلات الرافضة: أن المراد بالنحل علي وقومه.

وعن بعضهم، أنه قال عند المهدي: إنما النحل بنو هاشم، يخرج من بطونهم العلم، فقال له رجل: جعل الله طعامك وشرابك ما يخرج من بطونهم، فضحك المهدي وحدّث به المنصور، فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ وهو أردؤه، وأوضعه. قال علي عليه السلام: خمس وسبعون سنة[٤].

(٥/ ١٤٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير.

(١) استطلق بطنه: أي كثر خروج ما فيه. يريد الإسهال (اللسان، مادة: طلق).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٦١ ح٥٣٨٦)، ومسلم (٤/ ١٧٣٦ ح٢٢١٧).

(٣) الكشاف (٢/ ٥٧٨).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٦) وعزاه للطبري.

وقال قتادة: تسعون سنة[١].

وقال قطرب: ثمانون سنة[٢].

وليس هذا منهم على سبيل التحديد، وإنما ذكر كلُّ واحد منهم شيئاً هو في نظره مظنة انحلال القوى، واختلال الصحة، وزمن الهرم والخَرَف.

﴿لكي لا يعلم بعد علم شيئاً﴾ قال ابن عباس: لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له[٣].

وقال الزجاج[٤]: المعنى: أن منكم من يكبر حتى يذهب عقله خَرَفاً، فيصير بعد أن كان عَالماً جاهلاً.

وقد روى عطاء عن ابن عباس أنه قال: ليس هذا في المسلمين، المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفةً[٥].

وقال عكرمة: من قرأ القرآن لم يردّ إلى أرذل العمر[٦].

﴿إن الله عليم﴾ لا يعزب عن علمه الأشياء ﴿قدير﴾ على ما يشاء.

فإن قيل: بما نصبت «شيئاً»؟

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٦٧).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٦٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٣).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢١١).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٦٨).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٠)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٢٠ ح٢٩٩٥٧)، والبيهقي في شعبه (٢/ ٥٥٦ ح٢٧٠٦)، والحاكم (٢/ ٥٧٦ ح٣٩٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٦) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قلتُ: قد اختلف فيه سيبويه والفراء؛ فسيبويه نصبه بـ«علم» فأعمل العامل الثاني وأضمر المفعول في «يعلم» شريطة التفسير. والفراء نصبه بـ«يعلم» وأضمر «لعلم» مفعولاً، وفصل بين المعمول والعامل.

ومذهب سيبويه أجود؛ لسلامته عن الفصل، وخبر الإضمار فيه بتفسير مفعول علم له.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١﴾

قوله تعالى: ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ فكثَّر وقلّل، وبسط وقبض، ورجح السادة على العبيد، ﴿فما الذين فضّلوا﴾ وهم السادة ﴿برادّي رزقهم على ما ملكت أيمانهم﴾ حتى يكون الموالي والعبيد في المال سواء.

المعنى: فإذا لم تفعلوا ذلك ولم ترضوه لأنفسكم وأنتم على الحقيقة سواء في الجنسية والنوعية، كلكم بنو آدم، فكيف ترضون لي مع عظمة شأني وعلو سلطاني، وأنا الذي خلقتُ ورزقتُ؛ أن تجعلوا لي أنداداً من الحجارة أنتم تنحتونها بأيديكم الفانية.

﴿أفبنعمة الله﴾ التي من جملتها هذا البيان الواضح ﴿يجحدون﴾ فتجعلون له أنداداً وأولاداً.

وقيل: إن هذه الآية نزلت في نصارى نجران. وهو مروي عن ابن عباس[1].

---

(١) زاد المسير (٤/ ٤٦٨)، والقرطبي (١٠/ ١٤١).

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ أي: جعل لكم من جنسكم أشكالاً، يعني: النساء.

وقال قتادة وأكثر المفسرين: هو خلق حوّاء -من آدم- عليها السلام[1].

﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ وهم جمع حافد، وهو الذي يحفِد، أي: يسرع في الخدمة والطاعة.

ومنه قوله في دعاء القنوت: «وإليك نسعَى ونحفِد»[2].

قال الزجاج[3]: وحقيقة هذا الكلام: أن الله تعالى جعل لكم من الأزواج بنين وَمَنْ يعاونُ على ما يُحتاج إليه بسرعة.

واختلفوا في الحَفَدَة؛ فقيل: هم الأصهار[4]، أختان الرجل على بناته.

وقيل: هم الخدم[5].

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩١). وانظر: الوسيط (٣/ ٧٤)، وزاد المسير (٤/ ٤٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢/ ٢١٠).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢١٢-٢١٣).

(٤) تفسير ابن عباس (ص:٣١٣).

(٥) وهو اختيار ابن جرير.

وقيل: بنو امرأة الرجل من غيره.

وقيل: ولد الولد. رويت هذه الأقوال عن ابن عباس[١]. والأول قول ابن مسعود وسعيد بن جبير[٢]، وأنشدوا:

ولو أن نفسي طاوعتني لأصبحتْ لها حَفَدٌ مما يُعَدُّ كثير
ولكنها نفسٌ عليَّ أبيةٌ عَيوفٌ لأصْهَار اللئام قَذُور[٣]

وقال ابن السائب ومقاتل[٤]: هم كبار الأولاد، والبنون: صغارهم.

ويجوز أن يراد بالحفدة: البنون أنفسهم، كأنه قيل: جعل لكم منهن أولاداً هم بنون وهم حَفَدة. قاله ابن قتيبة[٥].

قوله تعالى: ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ قال ابن عباس: يريد: من أنواع الثمار

(١) أخرج الطبري هذه الأقوال في تفسيره (١٤/ ١٤٤-١٤٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩١-٢٢٩٢). وذكرها السيوطي في الدر (٥/ ١٤٨-١٤٩)، وعزا القول الأول والثالث والرابع لابن جرير وابن أبي حاتم. وعزا القول الثاني لابن جرير.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٨٧)، والبيهقي في سننه (٧/ ٧٧)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٤-٢٢٥)، والطبري (١٤/ ١٤٣، ١٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٨) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور والبخاري في تاريخه وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن ابن مسعود.

(٣) البيتان لجميل، انظرهما في: البحر المحيط (٥/ ٤٨٤)، والدر المصون (٤/ ٣٤٧-٣٤٨)، والقرطبي (١٠/ ١٤٤)، وزاد المسير (٤/ ٤٦٩)، وروح المعاني (١٤/ ١٩٠). وانظر البيت الأول في: اللسان، (مادة: حفد).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٠).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٢٤٦).

والحبوب والحيوان[١].

و«من» للتبعيض؛ لأن طيبات الدنيا بعضُ ما نسبه إلى جملة الطيبات الدنيوية والأخروية، وهي أنموذج لطيبات الجنة.

﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ وما يعتقدونه من منفعة الأصنام وشفاعتها والتقرب إليها بالذبائح وغيرها ﴿وبنعمة الله﴾ من القرآن ونبوة محمد ﷺ ﴿هم يكفرون﴾.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً﴾ قال قتادة: يريد: الأصنام[٢].

وقال مقاتل[٣]: يريد: الملائكة.

وقوله: ﴿رزقاً من السموات والأرض﴾ يريد: المطر والأرض، ويريد الثمرات وأنواع الحبوب والنبات.

وقوله: ﴿شيئاً﴾ مفعول «رزقاً» إن جعلته مصدراً، ومثله: ﴿أو إطعام في يوم

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٧٠).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٧١).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٠).

ذي مسغبة * يتيماً﴾ [البلد:١٤-١٥]. وإن أريد به المرزوق كان «شيئاً» بدلاً منه[(١)].

والمعنى: لا يملكون رزقاً قليلاً ولا كثيراً.

﴿ولا يستطيعون﴾ أي: لا يملكون ولا يستطيعون أن يملكوا؛ لأنهم جماد، وإنما وحّد «يملك» وجمع «يستطيعون»؛ نظراً إلى لفظ «ما» تارة، وإلى معناها أخرى.

قوله تعالى: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ أي تُشَبِّهُوه بخلقه، فإن من ضرب المثل لشيء لا بد له من تشبيه حال بحال وقضية بقضية.

﴿إن الله يعلم﴾ ما يصح من ضرب الأمثال وما لا يصح ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك.

وقال ابن عباس: يعلم ما يكون قبل أن يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة، وأنتم لا تعلمون قدر عظمته حين أشركْتُم به، ونسبتموه إلى العجز عن بعث خلقه[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً﴾ أي: ضرب لكم في إشراككم به الأوثان مثل من سوَّى بين عبد مملوك لا يقدر على شيء من التصرف، وبين حر مالكٍ قد رزقه الله تعالى رزقاً حسناً فهو يتصرف فيه وينفق منه سراً وجهراً لا يخاف أحداً ولا يداجيه، ﴿هل يستوون﴾ يعني جنس العبيد والأحرار.

وقد روي عن ابن عباس: أن هذا مَثَل للمؤمن والكافر، فالذي لا يقدر على شيء هو الكافر؛ لأنه لا خير عنده، وصاحب الرزق الحسن هو المؤمن لما عنده من

---

(١) التبيان (٢/ ٨٤)، والدر المصون (٤/ ٣٤٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٧١).

الخير[(١)].

وقال عطاء: «عبداً مملوكاً» هو: أبو جهل بن هشام، ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً﴾ أبو بكر الصديق[(٢)].

فإن قيل: بماذا نصبت «عَبْداً»؟

قلت: بـ«ضرب»، فإنه بمعنى: جعل، ويكون مفعولاً ثانياً. ويجوز أن يكون عطف بيان.

فإن قيل: هلا اكتفى بقوله: «عبداً»؟

قلت: لتميزه من الأحرار، فإنهم عبيد الله تعالى.

فإن قيل: ما فائدةُ قوله: «لا يقدر على شيء»؟

قلت: إخراجُ المكاتب والمأذون له في التصرف.

فصل

وذهب جمهور العلماء إلى أن العبد لا يملك وإن مُلِّك؛ [احتجاجاً][(٣)] بهذه الآية، وهو الصحيح من مذهب الأئمة الأربعة.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٧٢)، والسيوطي في الدر (٥/ ١٥٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٧٢).

(٣) في الأصل: احتجا.

﴿بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦﴾

ثم ضرب لهم مثلاً آخر فقال: ﴿وضرب الله مثلاً رجلين﴾ ثم بيّنهما فقال: ﴿أحدهما أبكم﴾ قد ولد أخرس، فلا يَفْهَمُ ولا يُفْهِمُ، ﴿لا يقدر على شيء﴾ من الأوصاف التي سُلِبَها، ﴿وهو كلٌّ على مولاه﴾ ثِقَلٌ على وليه القائم بأموره ﴿أينما يوجهه﴾ لعجزه واختلاله.

وقرأ ابن مسعود: «يُوجِّهْ» على معنى: يُوجِّه وجهه[1].

وقرأ علقمة: بفتح الجيم، على معنى: أين ما يُرسَل[2].

﴿هل يستوي﴾ هذا الأبكم، ومن هو صحيح سليم الحواس، ذو رشد وأمانة وديانة ﴿يأمر بالعدل﴾ أي: بالسواء من الفعل والقول ﴿وهو﴾ مع ذلك ﴿على صراط مستقيم﴾. وهذا مثلٌ مضروب للصَّنَم العاجز والرب القادر.

وقيل: للمؤمن والكافر.

قال ابن عباس: نزلت في رجلين، فالأبكم: أسيد بن أبي العيص، والذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم: عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان أسيد ينهاه عن النفقة في سبيل الله[3].

وقال عطاء: الأبكم: أبيّ بن خلف، ومن يأمر بالعدل: حمزة، وعثمان بن

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٥٠٤)، والدر المصون (٤/ ٣٥٠).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٥١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٥١-١٥٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر.

عفان، وعثمان بن مظعون، رضي الله عنهم[١].

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وما أمر الساعة﴾ يعني القيامة ﴿إلا كلمح البصر﴾ وهو النظر بسرعة ﴿أو هو أقرب﴾ أي: هو في قدرة الله تعالى أقرب من لمح البصر.

قال الزجاج[٢]: ليس يريد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر، ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها.

﴿إن الله على كل شيء﴾ من الساعة وغيره ﴿قدير﴾.

قوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم﴾ قد أشرنا إلى اختلاف القراء وتعليله في مثل هذا في سورة النساء[٣].

وقوله: ﴿لا تعلمون شيئاً﴾ في محل الحال[٤]، على معنى: أخرجكم جاهلين، ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ سبق الكلام على إفراد «السمع» وجمع

---

(١) زاد المسير (٤/ ٤٧٣).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢١٤).

(٣) آية رقم: ٢٣.

(٤) التبيان (٢/ ٨٤)، والدر المصون (٤/ ٣٥٠).

«الأبصار» في البقرة، وعلى «الأفئدة» في إبراهيم، ﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمته حيث أوجدكم من العدم وخلقكم في أحسن الصور، وأخرجكم من ضيق الرحم إلى سعة الأرض.

قوله تعالى: ﴿ألم تروا[١] إلى الطير مسخرات﴾ مذلّلات للطيران ﴿في جو السماء﴾ وهو الهواء البعيد من الأرض، وفي معناه اللوح، ﴿ما يمسكهن﴾ قابضات وباسطات ﴿إلا الله﴾.

وقال ابن السائب: معناه: ما يمسكهن[٢] أن يرسلن الحجارة على شرار هذه الأمة كما فعل بغيرهم إلا الله[٣].

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾

قوله تعالى ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً﴾ موضعاً تسكنون فيه من

---

(١) وهي قراءة حمزة وابن عامر، وقرأ الباقون بالياء.

(٢) في الأصل زيادة قوله: «إلا الله». وانظر: زاد المسير (٤/ ٤٧٦).

(٣) زاد المسير (٤/ ٤٧٦).

الحَجَر والمَدَر، ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً﴾ وهي القباب والخيم المتخذة من الأَدم[١]، ﴿تستخفونها يوم ظعنكم﴾ أي: سفركم.

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة: «ظعْنكم» بإسكان العين، وفتحها الباقون[٢]، وهما لغتان كالشَّعْر والشَّعَر، والنَّهْر والنَّهَر.

قال أبو علي[٣]: ولا يجوز أن يكون الظَّعْنُ مخففاً من الظَّعَن، كما أن عَضْداً مخفف من عَضُد، وكتْفاً مخفف من كَتِف؛ لأن الفتحة لا تُستثقل كما تُستثقل الضمة والكسرة، كما أن الذي يقول: ﴿والليل إذا يسر﴾ [الفجر:٤] فحذف الياء استخفافاً، لا يقول إلا: ﴿والليل إذا يغشى﴾ [الليل:١] بإثبات الألف؛ لأن الألف غير مستثقلة؛ لسهولة مخرجها، فكذلك الفتحة.

والمعنى: تستخفونها زمان سفركم وزمان إقامتكم.

﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً﴾ الأصواف للضأن، والأوبار للإبل، والشعر للمَعز.

قال ابن قتيبة[٤]: والأثاث: متاع البيت من الفُرش والأكْسِية.

قال الفراء[٥]: الأثاث: المتاع لا واحد له، كما أن المتاع لا واحد له.

---

(١) الأدم أو الأديم: الجلد ما كان، وقيل: المدبوغ (اللسان، مادة: أدم).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٣)، والكشف (٢/ ٤٠)، والنشر (٢/ ٣٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٥).

(٣) الحجة (٣/ ٤٤).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٢٤٧).

(٥) معاني الفراء (٢/ ١٧١).

وقال أبو زيد: واحد الأثاث: أثاثة[١].

قال الخليل: أصله من الكثرة، ومنه: شعر أَثِيث[٢].

﴿ومتاعاً﴾ أي: وشيئاً ينتفعون به ﴿إلى حين﴾ انقضاء أعماركم أو انقضاء أوطاركم، أو إلى أن يبلى.

قوله تعالى: ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً﴾ قال ابن عباس: ظلال الغمام[٣].

وقال قتادة: ظلال الشجر[٤]. واختاره الزجاج[٥].

وقال ابن السائب: ظلال البيوت[٦].

وقال أبو سليمان الدمشقي: هو عام في كل شيء له ظل[٧].

﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ وهي الكُهُفُ والغِيران والبيوت المنحوتة فيها، واحدها: كِنٌّ.

---

(١) الطبري (١٤/ ١٥٤)، وزاد المسير (٤/ ٤٧٧).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٧٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٧٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٥٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٢١٥).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٧٧).

(٧) زاد المسير (٤/ ٤٧٧).

قال الزجاج[١]: ولا يجوز أن يكون واحدها [كنانـاً][٢]؛ لأن جمـع الكِنـان: أكِنَّة.

والمعنى: وجعل لكم ما يُكنكُم ويسترُكم ويقيكم الحر والبرد. وكلُّ شيء وقَى شيئاً وستَره فهو كِنّ.

﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر﴾ السرابيل: القُمُص المتخـذة مـن القطـن والكتان والصوف وغير ذلك، واحدها: سِرْبال. قال الشاعر:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيتُ من الإسلام سِرْبَالا[٣]

قال أبو عبيدة[٤]: لم يقل لبيد في الإسلام غير هذا البيت، وكان قد عمّر مائـة وخمسين سنة.

قال الحافظ ابن عبد البر[٥]: وقيل: إن هذا الشعر لقردة بن نفاثة السلولي. وهو الصواب.

قال[٦]: وكان قردة شاعراً قدم على النبي ﷺ في جماعة من بني سـلول، فـأمَّره عليهم بعد أن أسلم وأسلموا، وأنشأ يقول:

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢١٥).

(٢) في الأصل: كناً. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) انظر البيت في: القرطبي (١/ ١٥٣)، والطبري (٣/ ٤٥)، ونسبه للنابغة الجعدي، والإصابة (٥/ ٦٧٥).

(٤) لم أقف عليه في مجاز القرآن.

(٥) الاستيعاب (٣/ ١٣٣٥).

(٦) أي: الحافظ ابن عبدالبر في: الاستيعاب (٣/ ١٣٠٥-١٣٠٦).

بانَ الشبابُ فلم [أحْفَل][١] به بالا وأقبلَ الشيبُ والإسلامُ إقبالا
وقد أروي نديمي من مُشَعْشِعَة وقد أُقلِّبُ أوراكاً وأكفالا
الحمدُ لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيتُ من الإسلام سِرْبالا[٢]

وهو الذي يقول:

أصبحتُ شيخاً أرى الشخصينِ أربعةً والشخصُ شخصينِ لما مسَّني الكبر
وكنتُ أمشي على الساقين مُعتدلاً فصرتُ أمشي على ما تُنبتُ الشجر[٣]
إذا أقومُ عَجَنْتُ الأرضَ متكئاً على البراجِم[٤] حتى يذهبَ النَّفَر

وقال الزجاج[٥]: كل ما لَبِسْتَه فهو سِرْبال، من قميص أو دِرْع أو جَوْشَن[٦] أو غيره، ولم يقل: وتَقِيكم البرد؛ لأن ما وَقَى الحر فهو يقِي البرد.

وقيل: إنما خص الحر؛ لأنهم كانوا في مكاناتهم [أكثر][٧] معاناة للحرِّ من البرد.

﴿وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ يريد: الدروع، تقيكم شدة الطَّعْن والضرب والرمي، ﴿كذلك﴾ مثل ما أنعم به عليكم من هذه الأشياء ﴿يتم نعمته عليكم﴾ في

---

(١) في الأصل: أجعل. والتصويب من الاستيعاب (٣/ ١٣٠٥)، وانظر مصادر تخريج البيت.
(٢) انظر الأبيات في: كتاب الزهد الكبير للبيهقي (٢/ ٢٤٧)، والإصابة (٥/ ٤٣٠).
(٣) يقصد أنه صار مسناً يتوكأ على عصا.
(٤) البراجم: هي مفاصل الأصابع (اللسان، مادة: برجم).
(٥) معاني الزجاج (٣/ ٢١٥).
(٦) الجوشن: اسم الحديد الذي يُلبس من السلاح (اللسان، مادة: جشن).
(٧) زيادة من زاد المسير (٤/ ٤٧٨).

الدنيا ﴿لعلكم تسلمون﴾.

قال ابن عباس: لعلكم يا أهل مكة تعلمون أنه لا يقدر على هذا غيره، فَتُوَحِّدُوه وتصدقوا رسوله ﷺ[١].

قال الشيخ أبو الفرج[٢] رحمه [الله][٣]: ولو قيل إنه خطاب للمسلمين جاز، فالمعنى: لعلكم تدومون على إسلامكم.

والأول أرجح؛ للآية التي تليها.

وقرأ ابن عباس: «لعلكم تَسْلَمُون» بفتح التاء واللام[٤]، على معنى: لعلكم تَسْلَمُون من الجِراح بلبْس الدروع، أو تَسْلَمُون من العذاب، أو من الشرك المُفْضي إليه.

قوله تعالى: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ قال مجاهد والسدي والزجاج[٥]: يعرفون أن أمر محمد ﷺ حق، ثم ينكرون ذلك[٦].

وقال ابن السائب: يعرفون ما ذكر من النعم في هذه السورة وأنها كلها من الله

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٧).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٧٨).

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٧٨). وردّ هذه القراءة ابن جرير (١٤/ ١٥٦) وقال: والقراءة التي أستجيز القراءة بخلافها بضم التاء من قوله: ﴿لعلكم تسلمون﴾ وكسر اللام، مِنْ أسلمت، تُسلِم يا هذا؛ لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليها.

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٢١٦).

(٦) أخرجه الطبري (١٤/ ١٥٧) عن السدي. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٥٥-١٥٦) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن السدي.

عز وجل، ثم ينكرونها بقولهم بشفاعة آلهتنا(١).

وقيل: إنكارهم لها، قولهم: ورثناها عن آبائنا.

وقيل: قولهم: لولا فلان ما أصبتُ النعمة الفلانية، وأمثال ذلك(٢).

﴿وأكثرهم الكافرون﴾ الجاحدون بقلوبهم.

وقال الحسن: المعنى: وجميعهم الكافرون(٣).

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ

---

(١) زاد المسير (٤/ ٤٧٩).

(٢) والقول الأول هو أولى الأقوال بالصواب عند ابن جرير.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٧٩).

قال الرازي: فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ مع أنه كان كلهم كافرين؟ قلنا: الجواب من وجوه:

الأول: إنما قال: ﴿وأكثرهم﴾ لأنه كان فيهم من لم تقم عليه الحجة ممن لم يبلغ حد التكليف، أو كان ناقص العقل معتوهاً، فأراد بالأكثر: البالغين الأصحاء.

الثاني: أن يكون المراد بالكافر: الجاحد المعاند، وحينئذ تقول: إنما قال: ﴿وأكثرهم﴾ لأنه كان فيهم من لم يكن معانداً، بل كان جاهلاً بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام وما ظهر له كونه نبياً حقاً من عند الله.

الثالث: أنه ذكر الأكثر، والمراد: الجميع؛ لأن أكثر الشيء يقوم مقام الكُلّ، فذكر الأكثر كذكر الجميع، وهذا كقوله: ﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ [النحل:٧٥]. انظر: الرازي (٢٠/ ٧٧).

لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ
يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ نبياً يشهد لها وعليها بالإيمان والتصديق، والكفر والتكذيب.

﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ في الاعتذار، لأنهم لا عذر لهم ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي: لا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم، أي: يرضوه. وسنذكر إن شاء الله تصاريف هذه الكلمة عند قوله: ﴿وإن يستعتبوا﴾ في حم السجدة[(١)].

قوله تعالى: ﴿وإذا رأى الذين ظلموا العذاب﴾ يعني المشركين إذا رأوا النار ﴿فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون﴾ أي: يُمْهَلُون ويُؤَخَّرُون.

﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ يعني: الأصنام التي جعلوها شركاء لله عز وجل وعبدوها من دونه، فإن الله يبعث يوم القيامة كل معبود في الدنيا.

وقيل: المراد بشركائهم: شياطينهم وشركاؤهم في الكفر.

﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك﴾ أي: نعبد، ﴿فألقوا إليهم القول﴾ أجابوهم وقالوا لهم متبرئين من عبادتهم: ﴿إنكم لكاذبون﴾ فأنطقهم الله تعالى بإنكار عبادتهم إياهم ترغيماً وتصغيراً، وإظهاراً لفضيحتهم، ونظيرُه: ﴿سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً﴾ [مريم:٨٣].

قال الزمخشري[(٢)]: إن قلت: قد عبدوهم على الصِّحَّة، فلم قالوا: «إنكم

---

(١) الآية رقم: ٢٤، في سورة فصلت.

(٢) الكشاف (٢/ ٥٨٥).

لكاذبون»؟

قلت: لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة. والدليل عليه قول الملائكة: ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ [سبأ:٤١] يعنون: أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن، فهم المعبودون دوننا. أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيهاً لله عز وجل عن الشَّريك.

وإن أريد بالشركاء: الشياطين، جاز أن يكونوا كاذبين في قولهم: «إنكم لكاذبون»، كما يقول الشيطان: ﴿إني كفرت بما أشركتمون من قبل﴾ [إبراهيم:٢٢].

﴿وألقوا إلى الله﴾ يعني: المشركين ﴿يومئذ السلم﴾ استسلموا لأمر الله يوم القيامة وانقادوا له خاضعين بعد إبائهم واستكبارهم في الدنيا.

﴿وضل عنهم﴾ زال وبطل ﴿ما كانوا يفترون﴾ من أن لله شركاء وأنها تشفع لهم عنده وتنصرهم.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ قال ابن عباس: منعوا الناس من طاعة الله والإيمان بمحمد ﷺ(١).

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٨١).

﴿زدناهم عذاباً﴾ مضاعفاً عليهم بسبب ضلالهم وإضلالهم ﴿فوق العذاب﴾ المعدّ لأهل الضلال ﴿بما كانوا يفسدون﴾ في الدنيا بالكفر والفجور والصد عن سبيل الله.

قال ابن مسعود: زيدوا حيات كأمثال الفيلة، وعقارب كأمثال البغال[١].

وقيل: إنهم يخرجون من حر النار إلى الزَّمْهَرير[٢]، [فيتبادرون][٣] من شدة برده إلى النار.

قوله تعالى: ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم﴾ يريد: الأنبياء، كما سبق آنفاً.

﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﴿شهيداً على هؤلاء﴾ الأمة. وهذا وقف التمام.

وقد تكلمنا على هذا المعنى فيما سبق.

ثم ابتدأ فقال: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ يعني: لكل شيء من أمر الدين، إما نصاً وإما دلالة وإحالة على السُّنَّة، فإن الكتاب العزيز اشتمل على الأمر بالانتهاء إليهما والاعتماد عليهما. قال الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر:٧].

قال الزجاج[٤]: التبيان: اسم في معنى البيان. ويجوز فتحه في غير القرآن،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٨٢)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٨١).

(٢) الزمهرير: شدة البرد (اللسان، مادة: زمهر).

(٣) في الأصل: فيبادون. والتصويب من زاد المسير (٤/ ٤٨٢).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢١٧).

ونظيره كسر أوله: «تِلْقَاء».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾

قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ قال ابن عباس: «العدل»: شهادة أن لا إله إلا الله، و«الإحسان»: أداء الفرائض[1].

وقال في رواية أخرى: «العدل»: الحق، و«الإحسان»: العفو[2].

وقال سفيان بن عيينة: «العدل»: استواء السر والعلانية في العمل لله. و«الإحسان»: أن تكون السريرة أحسن من العلانية، و«الفحشاء والمنكر»: أن يكون علانيته أحسن من سريرته[3].

﴿وإيتاء ذي القربى﴾ صلة الأرحام، ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ وهو ما قَبُحَ من الأفعال والأقوال.

قال ابن عباس: هو الزنا[4].

﴿والمنكر﴾ ما لا يعرف في شريعة ولا سُنَّة.

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٨٣).

(٣) الطبري (١٤/ ١٦٣)، وزاد المسير (٤/ ٤٨٣-٤٨٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٩). وانظر: الوسيط (٣/ ٧٩)، وزاد المسير (٤/ ٤٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

وقال مقاتل[١]: هو الشرك.

وقال [ابن السائب][٢]: هو ما وعد الله عليه النار[٣].

﴿والبغي﴾ الظلم. وقد ذكرنا ما ورد في الزواجر عنه في يونس[٤].

﴿يعظكم﴾ قال ابن عباس: يؤدبكم[٥]، ﴿لعلكم تذكرون﴾قال ابن مسعود: هذه الآية أجمع آية في القرآن لخير ولشر[٦].

ولما سمع الوليد بن المغيرة هذه الآية مع شدة كفره ونفرته عن اتباع محمد ﷺ، وأنفته من الانقياد لرجل من بني هاشم، قال: ما هذا بقول البشر.

ولله درّ عمر بن عبد العزيز ما أرجحه، ودليل توقيفه ما أوضحه، حيث سَنَّ قراءة هذه الآية مُسْقطاً بها ما مرن عليه بنو مروان من الفحشاء والمنكر والبغي بسبِّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خطبهم، ومقيماً لها مقام لعنتهم إياه على الأعواد في الجُمَع والأعياد.

قرأتُ على الشيخ أبي العز يوسف بن سوار بن عبيد البلوي الصعيدي برأس

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٥).

(٢) في الأصل: مقاتل. والمثبت من زاد المسير (٤/ ٤٨٤). وانظر: البحر المحيط (٥/ ٥١٣).

(٣) زاد المسير (٤/ ٤٨٤).

(٤) آية رقم: ٢٣ و ٩٠.

(٥) زاد المسير (٤/ ٤٨٤).

(٦) أخرجه الطبري (١٤/ ١٦٣)، والحاكم (٢/ ٣٨٨)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٣٢)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٧٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ١٧١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٠) وعزاه لسعيد بن منصور والبخاري في الأدب ومحمد بن نصر في الصلاة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

عين سنة ثلاث عشرة وستمائة، أخبركم أبو الفتح أحمد بن عبد الرحمن البغدادي الحنبلي المدرّس بالمدرسة النورية بحرّان[١] سنة سبعين وخمسمائة فأقرَّ به، أخبرنا أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني[٢] سنة تسع وخمسمائة، أخبرنا الحسن بن علي الجوهري سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة بباب المراتب[٣]، أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حمويه سنة خمسين وسبعين وثلاثمائة قال: قرأ عَلَيَّ [أبو][٤] بكر محمد بن خلف بن المرزبان وأنا أسمع في صفر سنة ثمان وثلاثمائة بباب المحول[٥]، حدثني محمد بن إسحاق المديني، حدثنا أبو عبد الرحمن العايشي، عن أبيه قال: قال رجل للحسن: يا أبا سعيد، ما المروءة؟ فقال: قد فرغ الله عز وجل لك منها اقرأ: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن

---

(١) حران: مدينة مشهورة من جزيرة أقور وهي قصبة أخذها مضر، بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم. قيل: سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بناها، فعربت فقيل: حران (معجم البلدان ٢/ ٢٣٥).

(٢) محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذاني، أبو الخطاب البغدادي، كان حسن الأخلاق، مليح النادرة، سريع الجواب، حادّ الخاطر، غزير العقل، جميل السيرة، مرضيّ الفعال، محمود الطريقة، وحدّث بالكثير، توفى يوم الأربعاء ثالث عشري جمادى الآخرة سنة عشر وخمسمائة، وترك يوم الخميس وصُلّي عليه يوم الجمعة فى جامع القصر، ودفن إلى جانب قبر الإمام أحمد رضى الله عنه (المقصد الأرشد ٣/ ٢٠-٢٣).

(٣) باب المراتب: هو أحد أبواب دار الخلافة ببغداد، كان من أجلّ أبوابها وأشرفها، وكان حاجبه عظيم القدر ونافذ الأمر (معجم البلدان ١/ ٣١٢).

(٤) في الأصل: أبي.

(٥) باب المحول: محلة كبيرة منفردة بجنب الكرخ، وكانت متصلة بالكرخ أولاً (معجم البلدان ٥/ ٦٦).

الفحشاء والمنكر والبغي﴾، هذه المروءة.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عثمان بن أبي العاص قال: «كنت عند رسول الله ﷺ جالساً إذ شخص ببصره، ثم صوبه حتى كاد يلزقه بالأرض، قال: ثم شخص ببصره فقال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: ﴿إن الله يأمر بالعدل ... الآية﴾»[1].

وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾

قوله تعالى: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ قال مجاهد: نزلت في حلف الجاهلية[2].

والمعنى: أوفوا بما عاهدتم الله عليه مما يلزم الوفاء به؛ كبيعة النبي ﷺ وبكل ما يحسن فعله.

قال ابن عباس: والوعد من العهد[3].

﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ أي: بعد تغليظها وتشديدها بالعزم على

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢١٨).

(٢) الطبري (١٤/ ١٦٤)، وزاد المسير (٤/ ٤٨٤).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٨٤).

اليمين. يقال وَكَّدْتُ الشيء وأَكَّدْتُه تَوْكِيداً وتَأْكيداً[١]، والأصل الواو، والهمزة بدل منها، ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ شهيداً ورقيباً، والواو للحال ﴿إن الله يعلم ما تفعلون﴾ من النقض والوفاء وغيرهما من الأشياء.

﴿ولا تكونوا﴾ في نقض الأيمان بعد التوكيد ﴿كالتي نقضت غزلها﴾ وهي امرأة من قريش. وقيل: من بني مُرَّة اسمها: ريطة، وقيل: رائطة، وكانت حمقاء خرقاء، معروفة بذلك عند أهل مكة، وكانت اتخذت مغزلاً قدر ذراع، وصنارة مثل الإصبع، وكانت تغزل الغزل من القطن والصوف والشعر والوبر، وتأمر جواريها بذلك إلى نصف النهار، ثم تأمرهنّ بنقض ما غزلْن، فكان ذلك دأبها، فضربت مَثَلاً لناقض العهد.

﴿من بعد قوة﴾ أي: إحكام وإبرام ﴿أنكاثاً﴾ جمع نِكْث، وهو ما نكث، أي: نقض بعد فتله غزلاً أو حبلاً.

﴿تتخذون أيمانكم﴾ حال، ﴿دخلاً بينكم﴾ ثاني مفعولي «تتخذون»، التقدير: ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلاً بينكم خديعة بينكم.

﴿أن تكون أمة هي أربى﴾ قال الزجاج[٢]: موضع «أربى» رفع. وزعم الفراء[٣] أن موضع «أربى» النصب [و«هي» عماد][٤]. وهذا خطأ، [«هي» لا

---

(١) انظر: اللسان (مادة: وكد).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢١٨).

(٣) معاني الفراء (٢/ ١١٣).

(٤) زيادة من معاني الزجاج (٣/ ٢١٨).

تدخل][1] عماداً[2] [ولا فصْلاً][3] مع النكرات، وشبه بقوله: ﴿تجدوه عند الله هو خيراً﴾ [المزمل:٢٠]، و ﴿تجدوه﴾ الهاء فيه معرفة، وأمَّة نكرة.

قال ابن قتيبة: المعنى: لا تكون أمة هي أربى، أي: أزيد عَدداً وعُدداً ومالاً ورجالاً من أمة.

قال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثرَ منهم وأعز، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك، فنُهوا عن ذلك[4].

﴿إنما يبلوكم الله به﴾ أي: يختبركم بكونهم أربى وأكثر، ليعلم أتتمسكون بحبل العهد فتمضونه، أم ترفضونه فتنقضونه.

﴿وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون﴾ من البعث وغيره.

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ

---

(١) في الأصل: هو لا يدخل، والتصويب من معاني الزجاج (٣/ ٢١٨).

(٢) العماد: هو ضمير الفصل عند البصريين.

(٣) في الأصل: وفضلاً. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٦٧)، ومجاهد (ص:٣٥١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ أمة حنيفية مسلمة. قال ابن عباس: على دين واحد[١].

﴿ولكن يضل من يشاء﴾ قال الواحدي[٢]: هذا صريح في تكذيب القَدَرية، حيث أضاف الضلالة والهداية وجعلهما إلى نفسه لمن يشاء من خلقه بالمشيئة الأزلية.

﴿ولتسئلن عما كنتم تعملون﴾ المعنى: وتُجازُون عليه.

ثم إنه سبحانه وتعالى كرر النهي عن أيْمان الخديعة والمكر فقال: ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم﴾ عن طريق العهدى ﴿بعد ثبوتها﴾ عليها.

قال أبو عبيدة[٣]: يقال لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في وَرْطة بعد سلامة: زَلَّتْ به قدمه.

﴿وتذوقوا السوء بما صددتم﴾ أي: بصدكم ﴿عن سبيل الله﴾ وخروجكم عن الدين، أو بصدكم غيركم من المقتدين بكم المرتدين بسببكم.

قال المفسرون: وهذا نهي للذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام والنصرة أن ينقضوا بيعتهم[٤].

ولما كانت الرغبة في الدنيا والمنافسة في الاستكثار منها والطلب لِلَـذَّاتِها، من

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨٠).

(٢) الوسيط (٣/ ٨٠).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٦٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٨٧).

أعظم الأسباب الباعثة للإنسان على نقض الأيمان، زجرهم الله تعالى عنها ونبههم على ما هو خير لهم منها، فقال: ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ أي: عَرَضاً يسيراً من الدنيا ﴿إنما عند الله﴾ من حسن الثواب والثناء والجزاء على الوفاء ﴿خير لكم﴾ من ثمن قليل سريع الزوال والفناء ﴿إن كنتم تعلمون﴾ ذلك.

﴿ما عندكم ينفد﴾ أي: يفْنَى وينقطع، ﴿وما عند الله﴾ من خزائن رحمته ﴿باق﴾ دائم لا ينقطع ﴿وليجزين﴾ وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم: «ولنجزين» بالنون[1].

والمعنى: وليجزين ﴿الذين صبروا﴾ على التمسك بالعهد ومشاق الإسلام ومضايق ما نيط به من الأحكام وأذى المشركين وغير ذلك ﴿أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ في الدنيا ويتجاوز عن سيئاتهم.

وقيل: إن قوله: «بأحسن ما كانوا يعملون» إشارة إلى مضاعفة الجزاء، كما قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام:١٦٠]، فهذا هو الأحسن.

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

قوله تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ قال علي عليه السلام ومجاهد ووهب وعكرمة: هي القناعة[2].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٣)، والكشف (٢/ ٤٠)، والنشر (٢/ ٣٠٤-٣٠٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ١٧١) عن علي، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠١)، والحاكم (٢/ ٣٨٨)، =

وفي الحديث: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه»(١).

وقال الضحاك: هو أن يأكل حلالاً ويلبس حلالاً(٢).

وقيل: هي السعادة(٣). والأقوال الثلاثة عن ابن عباس.

وقيل: الجنة.

وقال الحسن: لا تطيب لأحد الحياة إلا في الجنة(٤).

والأول أظهر(٥)؛ لقوله: ﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ كأنه

= والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٩١) كلهم عن ابن عباس. وانظر: الوسيط (٣/ ٨١)، وزاد المسير (٤/ ٤٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من طرق عن ابن عباس.

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٨٨ ح٣٣٦٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ١٧٠-١٧١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٤) وعزاه لابن جرير عن الضحاك. ومن طريق آخر عن ابن عباس؛ وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٧١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٧١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) وهو اختيار ابن جرير، قال: وأولى الأقوال بالصواب؛ قول من قال: تأويل ذلك: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ بالقناعة. وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه، ولم يعظم فيها نصبه، ولم يتكدر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على مالاً لعله لا يدركه فيها (الطبري ١٤/ ١٧٢).

وعدهم ثواب الدنيا وثواب الآخرة، كما قال تعالى: ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة﴾ [آل عمران:١٤٨].

فإن قيل: على هذا ما تصنع بقوله عليه السلام: ((نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء، ثم الأمثل فالأمثل))(١). فأين الحياة الطيبة مع شدة البلاء؟

قلت: المؤمن الصالح إما مُنْعَمٌ عليه فيشكر، وإما مُبْتَلى فيرضى ويصبر، ثقة منه بثواب الله وحسن جزائه، وعلماً منه بفناء الدنيا وهونها على الله.

أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد(٢) بإسناده: « أن أبا الدرداء كان يقول: أحب الموت وتكرهونه، وأحب السقم وتكرهونه، وأحب الفقر وتكرهونه ».

وكان حذيفة يقول: «إن أقرّ أيامي لعيني يوم أدخل على أهلي وهم يشكون إليّ الحاجة»(٣).

ودخلوا على سويد بن شعبة وقد أضنى على فراشه، فلولا أن امرأته كلَّمَتْه ما علموا أن تحت الثوب أحداً، فقال: والله ما أحب أن الله نقصني منه قلامة ظفر(٤).

ودخلوا على عابد مبتلى، فقيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وكل عرق مني يألم على حدة، وأحبه إليّ أحبه إلى الله(٥).

وأخبار الراضين بالقضاء يفوت حد العدد والإحصاء.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠١ ح٢٣٩٨)، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٤ ح٤٠٢٣).

(٢) الزهد (ص:١٧١).

(٣) أخرجه البيهقي في شعبه (٧/ ٢٣١ ح١٠١٢١).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (ص:٣٥٩).

(٥) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ٢٨٧).

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن﴾ أي: إذا أردت قراءته، كقوله: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا﴾ [المائدة:٦]، و﴿إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ [الطلاق:١]، ومثله: إذا أكلت فقل: بسم الله. وهذا قول جمهور العلماء.

ويروى عن أبي هريرة: أن الاستعاذة بعد الفراغ من القراءة، أخذاً بظاهر اللفظ، وإليه ذهب داود[(١)].

وقد فسرنا الاستعاذة في مقدمة الكتاب.

قوله تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا﴾ أي: ليس للشيطان على المؤمنين سلطان وولاية، كما قال: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ وقد فسرناه في الحِجْر[(٢)].

﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ في حراستهم منه. جَعَلَ سبحانه الإيمان والتوكل عليه سبباً مانعاً من تسلط اللعين واستيلائه، ودفْعاً لشر إضلاله وإغوائه.

﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾ بطاعته ﴿والذين هم به﴾ أي: بالله

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨٢-٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٩٠).

وداود هو: ابن علي بن خلف الفقيه الظاهري، أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، تنسب إليه الطائفة الظاهرية، توفي سنة ٢٧٠هـ (انظر: ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٩٧-١٠٨)، ولسان الميزان (٢/ ٤٢٢-٤٢٣).

(٢) آية رقم: ٤٢.

﴿مشركون﴾. هذا قول مجاهد[١]. وهو من باب ما جاء في التنزيل من الضميرين المختلفين؛ كقوله: ﴿فأنزل الله سكينته عليه وأيده﴾ [التوبة:٤٠] فالهاء الأولى للصِّدِّيق، والثانية للرسول ﷺ، وكقوله: ﴿الشيطان سوّل لهم وأملى لهم﴾ [محمد:٢٥] فالضمير في «سوّل» للشيطان، وفي «أملى لهم» لله عز وجل، وكقوله: ﴿ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه﴾ [الفتح:٩][٢].

وقيل: المعنى: والذين هم به، أي: بسبب إغوائه وإضلاله مشركون، فيتّحد الضميران، وهو قول ابن قتيبة.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ قال ابن السائب وغيره: كان إذا نزلت آية فيها شدة ثم [نزلت][٣] آية ألين منها ناسخة لها، قال كفار مكة: والله إن محمداً يسخر من أصحابه، يأمرهم اليوم بأمر ويأتيهم غداً بما هو أهون منه، فنزلت هذه الآية[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٧٥)، ومجاهد (ص:٣٥١) ولفظه: يعدلون بالله عز وجل. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٩١)، والسيوطي في الدر (٥/ ١٦٦) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو، وقرأ حفص بالتاء في أربعتهن.

(٣) في الأصل: نزل.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨٤)، وأسباب نزول القرآن (ص:٢٨٨)، وابن الجوزي في زاد =

﴿والله أعلم بما ينزل﴾ من الناسخ والمنسوخ على حسب مصالح الناس على اختلاف الأوقات، فإنه قد يكون ما هو مصلحة اليوم مفسدة غداً، وبالعكس.

﴿قالوا إنما أنت مفتر﴾ كاذب ﴿بل﴾ ردٌّ لقولهم ﴿أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الله أنزله ولا يعلمون فائدته.

﴿قل نزله﴾ يعني: القرآن ﴿روح القدس﴾ مُفسر في البقرة[1] ﴿من ربك بالحق﴾ أي: ملتبساً بالحكمة فهو في محل الحال ﴿ليثبت الذين آمنوا﴾ بما فيه من الحجج والبراهين.

﴿وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ مفعول لهما، ومحلهما النصب عطفاً على محل «ليثبت»[2]، تقديره: نزله تثبيتاً وهدى ورحمة.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون﴾ يعني: قريشاً، يقولون: ﴿إنما يعلمه بشر﴾ قال ابن عباس: يريدون غلاماً لبني المغيرة، يقال له: يعيش[3].

= المسير (٤/ ٤٩١).

(١) آية رقم: ٨٧.

(٢) التبيان (٢/ ٨٥)، والدر المصون (٤/ ٣٥٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٧٨) عن عكرمة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٩٢)، =

وقال في رواية أخرى: أرادوا غلاماً نصرانياً يقال له: بلعام، كان يدخل بمكة على النبي ﷺ[١].

وقال مقاتل[٢]: عنوا غلاماً لعامر بن الحضرمي، يكنى: أبا فكيهة، كان يهودياً.

وقال ابن زيد: عنوا رجلاً حداداً يقال له: يحنس النصراني[٣].

وقال عبدالله بن مسلم: كان لنا عبدان من أهل عين التمر، اسم أحدهما: يسار، والآخر: جبر، وكانا صَيْقَلَين[٤] يقرآن الإنجيل، وكان رسول الله ﷺ يمر بهما ويسمع قراءتهما، فقال المشركون: إنما يتعلم منهما[٥].

قلت: ولا منافاة بين هذه الأقوال؛ لجواز أن تكون أقوال قريش تقسمت هؤلاء، فأكذبهم الله تعالى فقال: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «يَلْحَدُون» بفتح الياء والحاء؛ يقال: ألحَدَ ولحَدَ؛ إذا مال عن القصد[٦].

ومنه: الملحِد؛ لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها. ومنه: ألحَدَ القبرَ ولحدَه؛ إذا مال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه[٧].

= والسيوطي في الدر (٥/ ١٦٧) وعزاه لابن جرير عن عكرمة، وفيه: «مقيس» بدل «يعيش».

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٧) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٨).

(٣) زاد المسير (٤/ ٤٩٣).

(٤) الصَّيْقَل: شَحَّاذُ السيوف وجَلاَّؤُها (اللسان، مادة: صقل).

(٥) أخرجه الطبري (١٤/ ١٧٨). وانظر: الوسيط (٣/ ٨٤-٨٥)، وزاد المسير (٤/ ٤٩٣).

(٦) انظر: اللسان (مادة: لحد).

(٧) مثل السابق.

وقال الزجاج[١]: المعنى: «لسان الذي يلحدون إليه» يميلون القول إليه أعجمي.

وقال ابن قتيبة[٢]: لا يكاد عوام الناس يفرّقون [بين][٣] العجمي والأعجمي، والعربي والأعرابي، فالأعجمي الذي لا يفصح وإن كان نازلاً بالبادية، والعجمي منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً، والأعرابي هو البدوي، والعربي منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدوياً.

﴿وهذا﴾ يعني: القرآن ﴿لسان عربي مبين﴾ ذو بيان وفصاحة، فكيف يكون مقتبساً من أعجمي لا يفقه؟

قوله تعالى: ﴿إنما يفتري الكذب الذي لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون﴾ هذا ردٌّ لقولهم: ﴿إنما أنت مفتر﴾، حَصَرَ سبحانه وتعالى الكذب فيهم وجعله وصفاً لازماً لهم، ولا نجد على الكذبة آية أشد من هذه، وقد أسلفنا في غضون كتابنا في الزجر عن الكذب ما فيه مقنع.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «إياكم والكذب فإنه مجانبٌ للإيمان»[٤].

وقد روى الثعلبي والواحدي بإسنادهما عن يعلى بن الأشدق، عن عبدالله بن جراد قال: «قلت: يا رسول الله! المؤمن يزني؟ قال: قد يكون ذلك. قال: قلت: يا رسول الله! المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك، قال: قلت: يا رسول الله! المؤمن

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢١٩).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٩٤).

(٣) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٥ ح١٦).

يكذب؟ قال: لا، ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾»[1].

وقلت: وهذا الحديث لا يصح. قال ابن عدي الحافظ: يعلى بن الأشدق وعمه عبد الله بن جراد غير معروفين، وعبدالله بن جراد لا تثبت صحبته[2].

وقال أبو حاتم بن حبان الحافظ[3]: لقي يعلى عبدالله بن جراد، فلما كبر اجتمع عليه من لا دين له، فوضعوا له شبيهاً بمائتي حديث نسخه عن ابن جراد، فجعل يحدث بها وهو لا يدري، لا تحل الرواية عنه بحال.

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

قوله تعالى: ﴿من كفر﴾ بدل من قوله: ﴿الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾، ويكون قوله: ﴿وأولئك هم الكاذبون﴾ اعتراضاً بين البدل والمبدل منه، والمعنى: إنما يفتري الكذب من كفر بالله، أو بدل من المبتدأ، وهو قوله: «وأولئك»، أو بدل من الخبر،

(١) أخرجه الثعلبي (٦/ ٤٤-٤٥). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨٥)، والسيوطي في الدر (٥/ ١٦٨) وعزاه للخرائطي في مساوئ الأخلاق وابن عساكر في تاريخه.

(٢) انظر: الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ٢٨٧)، وميزان الاعتدال (٧/ ٢٨٤).

(٣) المجروحين (٣/ ١٤٢).

وهو قوله: «هم الكاذبون»[(١)]. ويجوز أن يكون شرطاً، والجواب محذوف؛ لأن جواب «من» شرح دالٌ عليه، تقديره: من كفر فعليهم غضب إلا من أكره[(٢)].

﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب﴾ قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أقوام أكرههم أهل مكة على الارتداد عن الإسلام، وكان فيهم من نطق بالكفر معتقداً للإيمان؛ كعمار بن ياسر، عذّبه المشركون، ولم يزالوا به حتى سَبَّ رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير، ثم أتى رسول الله ﷺ [فقال][(٣)]: ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، فقال له: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئناً بالإيمان، قال: فإن عادوا لك فعُد لهم لما قلت[(٤)].

ومنهم من صبر واحتسب حتى قتل كياسر وسمية أبوي عمار، وهما أول قتيلين في الإسلام.

فإن قيل: أيّ الفعلين أولى فعل عمار أو فعل أبويه؟

قلت: بل فعل أبويه. نص عليه الإمام أحمد في أسير خُيّر بين القتل وشرب الخمر، فقال: إن صبر على القتل فله الشرف، وإن لم يصبر فله الرخصة[(٥)].

ودليل الأولوية في جانب العزيمة ما يتضمن من إعزاز الإسلام وإظهار كلمة الحق وبذل النفس لله تعالى رغبة في ثوابه وخوفاً من عقابه.

---

(١) التبيان (٢/ ٨٦)، والدر المصون (٤/ ٣٦٠).

(٢) مثل السابق.

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٨٩ ح٣٣٦٢)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٠٨).

(٥) القواعد والفوائد الأصولية (ص:٤٩)، والمدخل لابن بدران (ص:١٦٨).

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى الغضب والعذاب العظيم.

وقيل: إشارة إلى الشرح والكفر.

﴿بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ آثروها عليها، ﴿وأن الله﴾ أي: وبأن الله ﴿لا يهدي القوم الكافرين﴾ لا يريد هدايتهم.

ثم وصفهم فقال: ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم﴾ وقد فسرناه في البقرة، ﴿وأولئك هم الغافلون﴾ أي: هم الكاملون في غفلتهم.

قال ابن عباس: هم الغافلون عما يراد بهم[١].

والآية التي بعدها سبق تفسيرها[٢].

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾

قوله تعالى: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ أي: هو لهم بالنصر والمعونة والمغفرة. والمعنى: هاجروا إلى رسول الله ﷺ من بعد ما فتنوا في مكة بأنواع الأذى والعذاب والإكراه على الكفر، وهم المستضعفون من المؤمنين، كعياش بن أبي ربيعة، وأبي جندل بن [سهيل][٣] بن عمرو، وعبدالله بن أسيد الثقفي.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٩٧).

(٢) سبق تفسيرها في سورة هود عليه السلام (٣/ ١٤١).

(٣) في الأصل: سهل. والتصويب من زاد المسير (٤/ ٤٩٨). وانظر: ترجمته في: الثقات (٣/ ٤٥٢).

وقرأ ابن عامر: «من بعد ما فَتَنوا» بفتح الفاء والتاء[1]، أي: فتنوا أنفسهم بإظهار ما أظهروا من الكفر تقية، لأن الرخصة في ذاك لم تكن نزلت بعد.

وقيل: فتنوا غيرهم ليرتدوا.

﴿ثم جاهدوا وصبروا﴾ معك على الجهاد والدين ﴿إن ربك من بعدها﴾ أي: من بعد هذه الأفعال من الهجرة والجهاد والصبر ﴿لغفور رحيم﴾.

فإن قيل: أين خبر «إن» التي في أول الآية؟

قلت: «غفور رحيم»، وهذا من باب ما جاءت «إن» فيه مكررة في التنزيل، ومثله: ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا ... الآية﴾، ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه﴾ [الأنفال:٤١]، ومثله: ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم﴾ [التوبة:٦٣]، وقوله: ﴿كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله﴾ [الحج:٤]، قوله: ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون﴾ [المؤمنون:٣٥].

قوله تعالى: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ العامل في الظرف «غفور رحيم»، أو مضمر تقديره: اذكر يا محمد يوم تأتي كل نفس صالحة وطالحة تجادل عن نفسها لا يهمها غيرها[2].

وقد روي: « أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٥)، والكشف (٢/ ٤١)، والنشر (٢/ ٣٠٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٠-٢٨١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٥-٣٧٦).

(٢) التبيان (٢/ ٨٦)، والدر المصون (٤/ ٣٦٢).

الأحبار: خوفنا؟ فقال: إن لجهنم زفرة ما يبقى ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ إلا وقع جاثياً على ركبتيه، حتى إن إبراهيم خليل الرحمن ﷺ ليدلي بالخلة فيقول: يا رب أنا خليلك إبراهيم لا أسألك إلا نفسي، وأن تصديق ذلك في كتاب الله: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾»[1].

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً قرية﴾ وهي مكة، في قول جمهور المفسرين[2].

وقال الحسن: قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز، فبعث الله تعالى عليهم الجوع حتى كانوا [يأكلون][3] ما يقعدون[4].

وقد تكلمنا على إعراب هذا فيما سبق من هذه السورة[5].

﴿كانت آمنة﴾ ذات أمن لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم، كقوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم﴾ [العنكبوت:٦٧].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٩، ٥٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ١٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٧٤) وعزاه لابن جرير.

(٣) زيادة من زاد المسير (٤/ ٤٩٩).

(٤) زاد المسير (٤/ ٤٩٩).

(٥) عند قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً عبداً﴾ [آية رقم: ٧٥].

﴿مطمئنة﴾ أي: لا يزعجها خوف ولا ضيق، ﴿يأتيها رزقها رغداً﴾ واسعاً ﴿من كل مكان﴾؛ كقوله تعالى: ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾ [القصص:٥٧] وذلك كله بدعوة إبراهيم ﷺ، ﴿فكفرت بأنعم الله﴾ قال أبو عبيدة[١]: هو جمع نُعم.

وقال الزجاج[٢]: جمع نعمة.

وقال ابن قتيبة[٣]: ليس هذا بشيء، لأن فِعْلَة لا تجمع على أفْعُل، وإنما هو جمع نِعَم يقال: يوم نِعَم ويوم بؤس، ويجمع [أنعماً وأبؤساً][٤].

﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ وقرأتُ لعبد الوارث عن أبي عمرو: «والخوفَ» بالنصب، عطفاً على «لباس»[٥]، وذكر اللباس للإشعار باشتمال ما غشيهم من الجوع والخوف عليهم.

قال ابن قتيبة: لباس الجوع والخوف: ما ظهر عليهم من سوء آثارهما.

قال المفسرون: عذبهم الله تعالى بالجوع سبع سنين، حتى أكلوا الجِيَف والعظام المحْرَقة[٦].

وأشعر الله تعالى قلوبهم الخوف من رسوله والمؤمنين ﴿بما كانوا يصنعون﴾ من الكفر بالله تعالى، وتكذيب رسوله ﷺ، والتضييق على المؤمنين القائمين بنصره،

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٦٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٢١).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ٥٠٠).

(٤) في الأصل: أنعاماً وأبؤاساً. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨١).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٥٠١).

حتى حرّموا مناكحة بني هاشم ومبايعتهم، وألجؤوهم إلى الشِّعب، وكتبوا تلك الصحيفة الظالمة القاطعة، إلى أن قام بنقضها ملأ من أشراف قريش، ولهم قصة معروفة عند أهل العلم.

وقد روى سليم بن نمير قال: «صدرنا من الحج مع حفصة، وعثمانُ رضي الله عنه محصورٌ بالمدينة، فرأت راكبين فسألتهما عنه، فقالا: قتل، فقالت: والذي نفسي بيده إنها تعني المدينة للقرية التي قال الله تعالى فيها في كتابه: ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة﴾»[1].

وقلت: وهذا من حفصة على سبيل التمثيل، لا على وجه التفسير للآية.

قال ابن الجوزي رحمه الله[2]: يعني: أنها كانت على قانون الاستقامة في أيام النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ﴿فكفرت بأنعم الله﴾ بقتل عثمان.

﴿ولقد جاءهم﴾ يعني: أهل مكة ﴿رسول منهم﴾ وهو محمد ﷺ ﴿فكذبوه فأخذهم العذاب﴾ قال ابن عباس: يعني: الجوع[3].

وقال مجاهد: ما أصابهم يوم بدر[4].

﴿وهم ظالمون﴾ مبتدأ وخبر في محل الحال، أي: أخذهم العذاب حال تلبسهم بالظلم.

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٨٦).

(٢) زاد المسير (٤/ ٥٠٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٥٠١).

(٤) مثل السابق.

فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ
تَعۡبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ
ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٥﴾ وَلَا
تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ
عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٞ
قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن
قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ
مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿فكلوا مما رزقكم الله﴾ أي: كلوا يا معشر المسلمين مما رزقكم الله من الأنعام والزروع وغيرها، أو يكون ذلك صاداً لهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الباطلة في تحريم ما أحل الله تعالى من الأنعام والزروع.

ويدل على صحة هذا التأويل الآية التي بعدها[1]، والآيتان مفسرتان في سورة البقرة[2].

قوله تعالى: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب﴾ قال ابن الأنباري[3]: اللام في «لما» بمعنى: من أجل، [وتلخيص الكلام: ولا تقولوا هذه الميتة حلال

(١) وهي: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به...﴾.

(٢) عند الآية: رقم: ١٧٢و ١٧٣.

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ٥٠٢).

وهذه البحيرة حرام من أجل][1] تكذيبكم وإقدامكم على الوصف والتخرص لما لا أصل له، فَجَرَتْ اللام هاهنا مجراها في قوله: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ [العاديات:٨]، أي: وإنه من أجل حب الخير لبخيل، و«ما» بمعنى المصدر، و«الكذب» منصوب بـ«تصف»، والتلخيص: ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب.

وقال الزمخشري[2]: انتصاب «الكذب» بـ«لا تقولوا» على الله: ولا تقولوا الكذب لما تصف ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم: ﴿ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ [الأنعام:١٣٩]، [من غير استناد ذلك الوصف إلى وحي من الله أو إلى قياس مستند إليه][3].

[وقوله: ﴿هذا حلال وهذا حرام﴾][4] بدل من «الكذب».

وقرأ ابن عباس: الكُذُبُ، بضم الكاف والذال والباء، جعله نعتاً للألسنة[5].

وقرأ الحسن البصري: الكَذِبِ، بفتح الكاف وكسر الذال والباء، صفة لـ«ما» المصدرية[6]، كأنه قيل: لوصفها الكذب، يعني: الكاذب.

﴿لتفتروا﴾ لام العاقبة ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾؛ لأن

---

(١) زيادة من زاد المسير (٤/ ٥٠٢).

(٢) الكشاف (٢/ ٥٩٨).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: وقولكم: هذا حرام وهذا حلال. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) زاد المسير (٤/ ٥٠٢)، والبحر المحيط (٥/ ٥٢٧).

(٦) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨١).

ما هم فيه من النعيم [سيزول][(١)] وينقطع، وهو قوله: ﴿متاع قليـل﴾ أي: منفعتـه متاع قليل، ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾ وذلك في سورة الأنعام في قوله: ﴿حرمنا كل ذي ظفر ... الآية﴾ [الأنعام:١٤٦].

وقوله: «بجهالة» في محل الحال[(٢)].

﴿إن ربك من بعدها﴾ أي: من بعد التوبة أو الجهالة.

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾

وما لم أذكره سبق تفسيره إلى قوله: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ كان وحده أمّة من الأمم، اجتمع فيه ما تفرق في الأمم من صفات الخير ونعوت البركة، كما قيل:

وليسَ لله بمستنكرٍ أن يجْمَعَ العالمَ في واحد[(٣)]

وكما قيل:

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) الدر المصون (٤/ ٣٦٥).

(٣) ويروى البيت: (وليس على الله)، بدل: (وليس لله). انظر: الكشاف (٢/ ٥٩٩)، والبحر (٥/ ٥٢٩)، ومعاهد التنصيص (٢/ ١٣٩)، والتصريح (١/ ١٥)، وحاشية الشهاب (٥/ ٣٧٩)، والدر المصون (٤/ ٣٦٦)، وروح المعاني (٢٢/ ٢٢٠).

.... وواحد كالألف إن أمر عنا[١]

وقال مجاهد: كان وحده مؤمناً، والناس كلهم كفار[٢].

وقيل: المعنى: كان مؤتماً به، فهو فُعْلَة في معنى: مفعول، كالنُّخْبَة والرُّحْلَة.

قال ابن مسعود: الأمّة: الذي يُعَلِّمُ الخير[٣].

﴿قانتاً﴾ مطيعاً ﴿لله حنيفاً﴾ مائلاً إلى التوحيد والطاعة. وقد سبق ذكر الحنيف في البقرة.

وفي قوله: ﴿ولم يك من المشركين﴾ تكذيب لكفار قريش، فإنهم كانوا يقولون: إنهم على ملته.

﴿شاكراً لأنعمه﴾ بدل من «أمّة»، ﴿اجتباه﴾ اختصه للنبوة واصطفاه للخلّة، ﴿وهداه إلى صراط مستقيم﴾ وهو دين الإسلام.

﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾ وهي التنويه بذكر الثناء عليه، حتى ليس من أهل دين إلا وهم يتولّونه ويصلّون عليه. هذا معنى قول ابن عباس وقتادة[٤].

---

(١) عجز بيت، وصدره: (والناس ألف منهم كواحد) انظر البيت في: روح المعاني (١٩/ ١٠٥، ٢٨/ ٥٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٧٦) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٦)، والحاكم (٣/ ٣٠٥)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٥٩-٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٧٦) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والحاكم وصححه.

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٩٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٧) كلاهما عن قتادة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٥٠٤)، والسيوطي في الدر (٥/ ١٧٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن

وقال الحسن: هي النبوة[١].

وقيل: قول المصلِّي: «كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وكما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم».

ويحتمل عندي أن تكون الحسنة: ما كُرِّمَ به وشُرِّفَ من كون سيد بني آدم المبعوث إلى الأحمر والأسود مأموراً بمتابعته ومشايعته، وذلك قوله تعالى: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾.

ويجوز عندي أيضاً أن تكون الحسنة: ما اختصه الله به من الخِلَّة التي لم يشاركه أحد قبله فيها.

وفي قوله: ﴿أن اتبع ملة إبراهيم﴾ دليل واضح على أن نبينا كان مأموراً بمتابعة دين إبراهيم فيما لم يأته فيه وحي.

وقال محمد بن جرير[٢]: أمر باتباعه في التبرؤ من الأوثان والتدين بالإسلام.

وقال عبدالله بن عمرو: أمر باتباعه في مناسك الحج، كما عَلَّمَ جبريل إبراهيم عليهما السلام[٣].

= المنذر وابن أبي حاتم.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٥٠٤).

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ١٩٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٣٢)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٤٦٤). وانظر: الوسيط (٣/ ٩١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٧٧) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة معاً في المصنف وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إنما جعل السبت﴾ وقرأ الحسن: «جُعِلَ» على البناء للفاعل، «السبت» بالنصب[(١)]، والمعنى: إنما فرض تعظيمه وتحريمه ﴿على الذين اختلفوا فيه﴾ حين أمرهم موسى بالتفرغ لله في كل سبعة أيام يوماً يقطعون فيه أشغالهم ويتخلون لعبادة ربهم، وعيَّن لهم يوم الجمعة فقالوا: لا ينبغي أن يفعل ذلك إلا في يوم السبت؛ لأنه اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من الخلق، فقال لهم أحبارهم: انتهوا إلى أمر نبيكم، فخالَفوا وأبوا وقالوا: ما نريد إلا يوم السبت، فجعل ذلك لهم وشدد عليهم، حتى إن موسى عليه الصلاة والسلام رأى رجلاً يحمل فيه قصباً فضرب عنقه. هذا قول ابن عباس وجمهور المفسرين[(٢)].

وقيل: «إنما جعل السبت» أي: وبال السبت، وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه، فأحَلُّوا الصيد فيه تارة وحرَّمُوه أخرى.

قال قتادة: استحله بعضهم وحرمه بعضهم[(٣)].

وذكر ابن قتيبة في مختلف الحديث[(٤)]: أن الله تعالى بعث موسى عليه الصلاة والسلام بالسبت، ونسخ السبت بالمسيح.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨١).

(٢) زاد المسير (٤/ ٥٠٥). وانظر: الدر المنثور (٥/ ١٧٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٩٤). وانظر: الوسيط (٣/ ٩١)، وزاد المسير (٤/ ٥٠٥).

(٤) تأويل مختلف الحديث (ص:١٩٥).

«أضل الله تعالى عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله تعالى بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم يوم القيامة قبل الخلائق»[(١)].

قوله تعالى: ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة﴾ أي: يفصل بينهم بما يستوجبونه من الجزاء، ﴿فيما كانوا يختلفون﴾ فيه في الدنيا.

ﭐدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ وهو دين الإسلام ﴿بالحكمة﴾ وهو الدليل الواضح المبين للحق المزيل للشبهة.

قال ابن عباس: «بالحكمة»: بالقرآن[(٢)].

﴿والموعظة الحسنة﴾ مواعظ القرآن وزواجره، أي: ناظرهم مُلَيِّناً لهم جانبك، كما قال لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ [طه:٤٤].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «يا عائشة! إن الله تعالى يحب الرفق في الأمر كله»[(٣)].

وفي أفراد مسلم من حديثها أيضاً: أن النبي ﷺ قال: « إن الرفق لا يكون في

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٥٨٦ ح٨٥٦).

(٢) زاد المسير (٤/ ٥٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٢ ح٥٦٧٨)، ومسلم (٤/ ١٧٠٦ ح٢١٦٥).

شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[١].

وقد أحسن الشاعر في قوله:

لو سَارَ ألفُ مُدرَّعٍ في حَاجةٍ لم يقْضها إلا الذي يترفَقُ

وقال بعض الحكماء: من عَذُبَ لسانُه كَثُرَ إخوانه.

وقال علي عليه السلام: من لانتْ كلمتُه وجبتْ محبّتُه[٢].

﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ وإنما يأمرك بإيضاح المحجة لئلا يكون للناس على الله حجة، وقد أعذر من أنذر.

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ السبب في نزولها: أنه لما كان يوم أحد وأصيب حمزة ومُثّل به وبالقتلى، وقف النبي ﷺ على حمزة صريعاً قد مُثّل به، فلم ير شيئاً كان أوجع لقلبه منه، فقال: والله لأقتلن سبعين رجلاً منهم، ولئن ظفرت بقاتلك لأمثلن به مُثْلة تتحدث بها العرب[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٤ ح٢٥٩٤).

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٣٧٦).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٢١٨ ح٤٨٩٤)، والطبراني في الكبير (٣/ ١٤٣)، والبيهقي في الشعب (٧/ ١٢٠). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير

وقالت الأنصار: لئن أمكننا الله منهم لنمثلن بالأحياء فضلاً عن الأموات، فأنزل الله تعالى هذه الآية. هذا قول ابن عباس وأبي بن كعب وأبي هريرة وعامة المفسرين[١].

وقد أخرج الترمذي من حديث أبي بن كعب قال: «لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة، منهم: حمزة بن عبدالمطلب، فمَثَّلُوا بهم. فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنُربينَّ عليهم في التمثيل. فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ فقال النبي ﷺ: كفوا عن القوم إلا أربعة»[٢].

فإن قيل: قتلُ الكافرين للمؤمنين لم يكن عقوبة بل مثوبة، فكيف قال: ﴿بمثل ما عوقبتم به﴾؟

قلت: لازدواج الكلام، وقد سبقت نظائره.

﴿ولئن صبرتم﴾ رجاء الثواب ﴿لهو خير للصابرين﴾.

فإن قيل: ما وجه هذا الكلام وقد ثبت بالدليل الشرعي والبرهان العقلي أن النكاية في الكفار وبكل ما فيه استئصال شأفتهم أفضلُ من الصبر عليهم؟

قلت: المعنى: ولئن صبرتم عن المثلة، أو صبرتم عن التمثيل بالأحياء منهم، أو يكون ذلك ترغيباً لهم في الصبر عن الأخذ بالثأر على وجه التشفِّي والانتقام

= (٤/ ٥٠٧).

(١) أسباب النزول للواحدي (ص:٢٩١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٥٠٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٩ ح٣١٢٩).

نظراً إلى حظوظ أنفسهم. أما إذا كان الانتقام والتشفِّي لأجل الله تعالى، فإيقاع المكروه بهم أفضل من الصبر.

ثم عزم الله تعالى على نبيه بالصبر على ما أصابه وعلى ما كان عزم عليه فقال: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ أي: بتوفيقه ومعونته وربطه على قلبك، ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي: لا تَأْسَ على إعراضهم عنك، أو لا تحزن على المؤمنين الذين استشهدوا يوم أحد، فإنهم أفضوا إلى كرامتي ورضواني، ﴿ولا تك في ضيق﴾، وقرأ ابن كثير: «في ضِيق» بكسر الضاد[١].

قال الأخفش[٢]: يقال: ضَاقَ يَضيقُ ضَيْقاً وضِيقاً، لغتان بمعنى واحد.

وقال الفراء[٣]: الضَّيْقُ: بالفتح ما ضاقَ عنه صدرُك، وبالكسر: ما يكون في الذي يَضيقُ ويتَّسِع كالدار والثوب.

﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ الفواحش والكبائر بالتوفيق والمعونة والمناصرة ﴿والذين هم محسنون﴾ بالطاعة.

قيل لهرم بن حيان عند الوفاة: أوْصِ فقال: أوصيكم بخواتيم سورة النحل[٤].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤٥-٤٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٥)، والكشف (٢/ ٤١)، والنشر (٢/ ٣٠٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٦).

(٢) انظر: القرطبي (١٠/ ٢٠٣).

(٣) معاني الفراء (٢/ ١١٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٩٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٢١)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/ ١٣٢).

سورة بني إسرائيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي مائة آية وعشر آيات.

وهي مكية، وقد استثني منها آيات، ستجدها إن شاء الله تعالى مُبَيَّنَةً في موضعها عند ذكر أسبابها.

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ قال طلحة بن عبيدالله: «سألت رسول الله ﷺ عن تفسير: سبحان الله فقال: تنزيه الله عن كل سوء»[1].

قال سيبويه[2]: «سبحان» من جملة المصادر المتروك إظهار الأفعال العاملة فيها، الموضوعة موضعاً واحداً، وهو النصب، وترك الألف واللام، فإذا قلت: سبحان الله، فكأنك قلت: تسبيحاً، أي: أُسَبِّحُ تسبيحاً، لكن «أسبح» لا يظهر مع سبحان الله البتة.

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٦٨٠ ح١٨٤٨).

(٢) انظر: الكتاب (١/ ٣٢٢).

وقال الزمخشري[١]: «سبحان» عَلَم للتسبيح كعثمان للرَّجُل، وانتصابه بفعل مضمر، أي: أسبح الله سبحان، ثم نُزِّلَ سبحان منزلة الفعل فَسَدَّ مسدَّه، ودلّ على التنزيه البليغ.

وأسرى وسرى لغتان، و«ليلاً» نصب على الظرف[٢].

فإن قلت: الإسراء لا يكون إلا بالليل، فما معنى ذكر الليل؟

قلت: أراد بقوله: «ليلاً» بلفظ التنكير: تقليل مدة الإسراء، [وأنه][٣] أسري به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أن التنكير فيه قد دل [على][٤] معنى البعضية، ويشهد لذلك قراءة عبدالله وحذيفة: «من الليل»[٥] أي: بعض الليل، كقوله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ [الإسراء:٧٩]، يعني: الأمر بالقيام في بعض الليل.

وقال الزجاج[٦]: «أسرى بعبده»: سَيَّر عبدَه. يقال: أسريتُ وسريتُ؛ إذا سِرْتُ ليلاً[٧]، وقد جاءت اللغتان في القرآن. قال الله تعالى: ﴿والليل إذا يسري﴾ [الفجر:٤] والمراد «بعبده» محمد ﷺ، وفيه إشعار بأنه أُسْرِيَ بجسده.

---

(١) الكشاف (٢/ ٦٠٤).

(٢) التبيان (٢/ ٨٧)، والدر المصون (٤/ ٣٦٨).

(٣) في الأصل: على أنه. والتصويب من الكشاف (٢/ ٦٠٤).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) انظر: الطبري (١٥/ ٢).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٢٢٥).

(٧) انظر: اللسان (مادة: سرا).

قال الحسن وقتادة: أُسري به من نفس المسجد[(١)]، ويدل على قولهما حديث مالك بن صعصعة[(٢)].

وقال أكثر المفسرين: أسري به من بيت أم هانئ[(٣)].

فعلى هذا يريد بالمسجد الحرام: الحرم كله.

قال ابن عباس: الحرم كله مسجد[(٤)].

قال بعضهم: سمي به لإحاطته بالمسجد والتباسه به.

وفي الحديث: «أنه قص قصته على أم هانئ، وقام ليخرج إلى المسجد، فتشبثت به أم هانئ، فقال: ما لكِ؟ قالت: أخشى أن تذكر لهم ذلك فيكذبوك، فقال: وإن كذبوني»[(٥)].

قالت عائشة وابن عباس رضي الله عنهم: قال رسول الله ﷺ: « لما كانت ليلة أسري بي وأصبحت بمكة فظعتُ بأمري، وعرفت أن الناس مكذبي، فقعد رسول الله ﷺ معتزلاً حزيناً، فمرَّ به أبو جهل فجلس إليه، فقال له كالمستهزئ به: هل استفدت من شيء؟ فقال: نعم، أسري [بي][(٦)] الليلة، قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس قال: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قال: نعم، قال: أتحدث قومك ما حدثتني؟

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢). وانظر: الوسيط (٣/ ٩٣)، وزاد المسير (٥/ ٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٣ ح٣٠٣٥)، ومسلم (١/ ١٤٩-١٥٠ ح١٦٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢). وانظر: الوسيط (٣/ ٩٣)، وزاد المسير (٥/ ٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٠٩) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير عن أم هانئ.

(٤) الطبري (١٥/ ٢)، وزاد المسير (٥/ ٥)، والوسيط (٣/ ٩٤).

(٥) ذكره أبو السعود في تفسيره (٥/ ١٥٤).

(٦) زيادة من سنن النسائي (٦/ ٣٧٧).

قال: نعم، فقال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي، هلـم، فجـاؤوا فجلـسوا إليهما فقال: حَدِّثْ قومك ما حدثتني، قال: نعم، أُسري بي الليلة، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قال: نعم، قال: فمن بـين مُصفِّق وبين واضع يده على رأسه متعجباً للتكذيب، فارتدّ ناس ممن كان آمن بـه وصدقه، فسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لـك في صاحبك، يزعم أنه أسري به إلى البيت المقدس، فقال: أو قد قـال ذلـك؟ قـالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أتصدقه أنه ذهب إلى الشام في ليلة وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أُصَدِّقُه بخبر السماء في غدوة أو رَوحة، فلذلك سُمي الصدّيق صدّيقاً »[١].

وفي الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لما كذبني قريش [قمت][٢] في الحِجْر، فجلاّ الله لي بيت المقدس، فطفقت أقول أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»[٣].

وفي رواية أخرى: أنهم قالوا: «أما النعت فقد أصـاب، فقـالوا: خبرنـا عـن عيرنا، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها، وقال: تقدم يوم كذا مع طلـوع الـشمس، يقدمها جمل أوْرق، فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية، فقال قائل منهم: هذه

(١) أخرج هذا الحديث مجزءاً، فالطرف الأول منه أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٧٧ ح١١٢٨٥)، وأحمد (١/ ٣٠٩ ح٢٨٢٠) عن ابن عباس. والطرف الآخر منه أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٥ ح٤٤٠٧) وَ (٣/ ٨١ ح٤٤٥٨) عن عائشة، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) زيادة من الصحيحين.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٤٠٩ ح٣٦٧٣)، ومسلم (١/ ١٥٦ ح١٧٠).

الشمس والله قد أشرقت، فقال آخر: وهذه العير والله قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد، ثم لم يؤمنوا وقالوا: ما هذا إلا سحر مبين»(١).

قالت عائشة وابن عباس: «كان الإسراء لسبع عشرة مضت من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة»(٢).

وقد روى حديث الإسراء والمعراج جماعة؛ منهم: علي، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وحذيفة، وسعيد، وجابر، وأبو هريرة، وابن عباس، وأم هانئ.

فإن قيل: المعراج والإسراء في ليلة واحدة، فهلا أخبرهم بعروجه إلى السماء مقترناً بالإسراء؟

قلت: استدرجهم إلى الإيمان بذكر الإسراء أولاً، فلما ظهرت أمارات صدقه ووضحت لهم براهين رسالته، واستأنسوا بتلك الآية الخارقة، أخبرهم بما هو أعظم منها، وهو المعراج، فحدَّثَهم النبي ﷺ به، وأنزله الله تعالى في كتابه في سورة النجم.

سياق الأحاديث التي جاءت في المعراج:

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي قراءة عليه وأنا أسمع بدمشق، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بقراءتي عليه برأس عين قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام بن

---

(١) ذكره أبو السعود في تفسيره (٥/ ١٥٥). وانظر: الدر المنثور (٥/ ٢٠٩).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢١٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٠٩) وعزاه لابن سعد وابن عساكر عن عبدالله بن عمر وأم سلمة وعائشة وأم هانئ وابن عباس.

يحيى، حدثنا قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بـن صعـصعة: أن نبـي الله ﷺ حدثهم عن ليلة الإسراء به: «بينما أنا في الحطيم -وربما قال: في الحجر- مضطجعاً، إذ أتاني آت فقدّ وقال: سمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه، فقلـت للجـارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقـول: مـن قصّه إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطشت من ذهب مملوءٍ إيماناً فغسل قلبي ثم حشي، ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة! قال أنس: نعم، يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قـال: جبريـل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيـل: مرحبـاً بـه ونعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك، فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم صـعد حتـى أتـى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جـاء، ففـتح، فلـما خلصت إذا بيحيى وعيسى وهما ابنا خالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلّم علـيهما فسلّمت فردا، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبـي الـصالح، ثـم صـعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جـاء، ففـتح، فلـما خلصت إذا يوسف قال: هذا أخوك يوسف فسلّم عليه، فسلّمت عليه فـردّ، ثـم

قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد [بي](١) حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به ونعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إلى إدريس قال: هذا إدريس فسلّم عليه، فسلّمت عليه فردّ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد [بي](٢) حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا هارون قال: هذا هارون فسلّم عليه، فسلمت عليه فردّ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا موسى قال: هذا موسى فسلّم عليه، فسلّمت عليه فرد عليّ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي؛ لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد بعث إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به ونعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك إبراهيم فسلّم عليه، فسلّمت عليه فردّ السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رفعت لي سدرة المنتهى وإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها

---

(١) زيادة من الصحيحين.

(٢) مثل السابق.

مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا بأربعة أنهار، نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لي البيت المعمور [يدخله كل يوم سبعون ألف ملك](١)، ثم أُتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة أنت عليها وأمّتك، ثم فرضت عليّ الصلاة خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال: بم أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، [فرجعت](٢) فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، [فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم](٣)، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضيت

---

(١) زيادة من الصحيحين.

(٢) مثل السابق.

(٣) مثل السابق.

فريضتي وخففت عن عبادي»[1]. هذا حديث متفق على صحته، أخرجه مسلم، عن محمد بن المثنى، عن محمد بن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة.

الحطيم: الحِجْر، وسُمي حطيماً؛ لما حُطم من جداره فلم يسوّ ببناء البيت، والشعْرة: العانة، والقَصُّ: الصَّدْر.

وقيل في قول خُزَّان السماء: «أرسل إليه»، أي: هل أرسل إليه للعروج إلى السماء. وأما بعثه إلى الناس رسولاً؛ فقد كان شائعاً مستفيضاً بينهم قبل العروج.

قال الخطابي: لا يجوز أن يؤول بكاء موسى على الحسد؛ لأن ذلك لا يليق بصفات الأنبياء، وإنما بكى من ناحية الشفقة على أمته، إذ قصر عددهم عن مبلغ عدد أمة محمد ﷺ.

وقوله: « إن غلاماً بُعث بعدي » ليس على سبيل الازدراء به، لكنه على معنى تعظيم المنة لله عليه إذ قد أحقّه لذلك من غير غمز في عبادته.

والقِلال: الجِرار، وهي معروفة عند أهل هَجَر.

وبالإسناد قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك قال: «كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطشت من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم،

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٤١٠-١٤١١ ح٣٦٧٤)، ومسلم (١/ ١٤٩-١٥٠ ح١٦٤).

معي محمد ﷺ فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فتح علونا السماء الدنيا وإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى، حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها مثل ما قال الأول [ففتح][1].

قال أنس: فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم [صلوات الله عليهم][2] ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة.

قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان قال النبي ﷺ: ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام.

قال ابن حزم وأنس بن مالك قال النبي ﷺ: فرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعني فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى قلت: وضع عني شطرها، قال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق، فرجعت فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته فقال: هي خمس وهي خمسون، لا يبدل

---

(١) زيادة من الصحيح (١/ ١٣٥).

(٢) مثل السابق.

القول لدي، وإن لك بهذه الخمس خمسين»[1]. هذا حديث صحيح.

وفي صحيح مسلم من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مررتُ على موسى ليلة أُسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره»[2].

وسيأتي إن شاء الله تعالى في إشارة هذه السورة في سورة النجم جملة من أحاديث المعراج أيضاً، وحديث ابن مسعود في ذلك سبق في كتابنا هذا.

قوله تعالى: ﴿الذي باركنا حوله﴾ يريد بركات الدين والدنيا؛ لأنه مهبط الوحي والملائكة من السماء، ومتعبّد الأنبياء، وهو محفوف بالأشجار المثمرة، والأنهار الجارية.

﴿لنريه من آياتنا﴾ أي: من عجائب ملكنا وعلامات قُدرتنا.

﴿إنه هو السميع﴾ لما قال محمد ﷺ وما قيل له، ﴿البصير﴾ بما فَعَلَ وفُعل به، وسيكرمه بإعلائه على أعدائه، وبتعذيبه لأهل تكذيبه.

وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿آتينا موسى الكتاب﴾ وهو التوراة، يشير تعالى إلى [ما][3] أكرمه به من إنزال التوراة عليه، كما أكرم محمداً بالإسراء وإنزال القرآن إليه.

﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ أي: دَلَلْناهم به على الهدى.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٣٥-١٣٦ ح٣٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٤٥ ح٢٣٧٥).

(٣) زيادة على الأصل.

﴿أن لا يتخذوا﴾ قرأ أبو عمرو: «يتخذوا» بالياء، على معنى: لئلا يتخذوا، وهكذا قرأها ابن عباس ومجاهد بزيادة اللام[١]. وقرأ الباقون: «تتخذوا» بالتاء[٢]، على طريقة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

وقال الزمخشري[٣] وغيره: «أن» بمعنى: أي، أي: جعلناه هدى لبني إسرائيل أي لا يتخذوا، كما تقول: كتبتُ إليه أن افعل كذا. وقيل: هو على إضمار القول، أي: قلنا لهم لا تتخذوا.

فعلى هذا؛ «أن» زائدة؛ لأنها مع الفعل بتأويل المصدر، فلا تصلح أن تكون مفعولاً لـ«قلنا»، ويجوز أن يكون التقدير: جعلناه هدى بأن لا تتخذوا.

قال الزجاج[٤]: المعنى: لا تتوكلوا على غيري، ولا تتخذوا من دوني رَباً.

قوله تعالى: ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ قال مجاهد: هذا نداء، والناس كلهم ذرية نوح[٥].

وهذا معنى ظاهر على قراءة الأكثرين. وعلى قراءة أبي عمرو لا بد فيه من إضمار، تقديره: يا ذرية من حملنا مع نوح لا تتخذوا من دوني وكيلاً، فحذف اعتماداً على دلالة ما سبق. أو يكون المقصود بندائهم: إعلامهم مكانة نوح والثناء عليه، تقديره: يا ذرية من حملنا مع نوح اعلموا أنه كان عبداً شكوراً، فاشكروني

(١) البحر المحيط (٦/ ٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٦)، والكشف (٢/ ٤٢)، والنشر (٢/ ٣٠٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٨).

(٣) الكشاف (٢/ ٦٠٦).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٢٦).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٩٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٦).

كشكره. ويجوز أن يكون «وكيلاً» و«ذرية» مفعولي «تتخذوا»، تلخيصه: لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكيلاً.

﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ قال سلمان: كان إذا أكل قال: الحمد لله، فإذا شرب قال: الحمد لله، فسماه الله عبداً شكوراً(١).

وروي: أنه كان إذا أراد الإفطار عرض طعامه على من آمن به، فإن وجده محتاجاً آثره به.

وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ أي: أوحينا إليهم

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٠)، والحاكم (٢/ ٣٩٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٩)، والبيهقي في الشعب (٤/ ١١٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٢٦-٢٢٧) وعزاه للفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب.

وأعلمناهم في التوراة ﴿لتفسدن في الأرض﴾ يعني: أرض مصر ﴿مرتين﴾ بالمعاصي وقتل الأنبياء ومخالفة أحكام التوراة، ﴿ولتعلن﴾ أي: لتعظمن عن الطاعة ولتبغن ﴿علواً كبيراً﴾ عظيماً.

قال مقاتل(١): كان بين الفسادين مائتا سنة وعشر سنين.

قال بعضهم: وكان ممن قتلوا في الإفساد الأول زكريا وابنه يحيى.

فصل يتضمن الإشارة إلى سبب قتلهما

أما زكريا عليه السلام السلام فإنهم اتهموه بمريم، وقالوا: منه حملت، فطلبوه، فذهب منهم، فانفتحت له شجرة فدخل فيها وبقي من ردائه هُدْب(٢)، فدلّهم الشيطان عليه، فنشروا الشجرة بالميشار(٣) وهو فيها. وقيل: إنه مات حتف أنفه.

وأما يحيى بن زكريا؛ فقال ابن عباس: أراد ملكهم نكاح ابنة أخيه، فنهاه عنها، فقتله(٤).

وروى السدي عن أشياخه: أن ملك بني إسرائيل [هوي](٥) بنت امرأته، فسأل يحيى بن زكريا عن نكاحها فنهاه، فحنقت أمها عليه حين منعه من التزويج بها، وعمدت [إلى](٦) بنتها فزينتها وأرسلتها إلى الملك حين جلس على شرابه،

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٩).

(٢) أي: طرفه (اللسان، مادة: هدب).

(٣) الميشار أو المنشار: هو الذي يقطع به الخشب (اللسان، مادة: أشر).

(٤) زاد المسير (٥/ ٨).

(٥) في الأصل: هو. والتصويب من زاد المسير (٥/ ٨).

(٦) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

وأمرتها أن تسقيه وأن تتعرض له، فإن أرادها على نفسها أبت حتى [يؤتى][(١)] برأس يحيى بن زكريا في طَسْت، ففعلت ذلك، فقال: ويحك سليني غير هذا، فقالت: ما أريد غير هذا، فأمر فأتي برأسه، والرأس يتكلم ويقول: لا تحلّ لك[(٢)].

قال العلماء بالتفسير والسير: لم يزل دم يحيى يغلي حتى قتل عليه من بني إسرائيل سبعون ألفاً[(٣)].

وقيل: لم يسكن حتى جاء قاتله فقال: أنا قتلته، فقُتِل فسَكَن.

وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال فيما أوحى الله تعالى إليه: «إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإني قاتل بابن ابنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً»[(٤)].

قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد﴾ قال ابن عباس: هم جالوت وجنوده[(٥)].

وقال سعيد بن المسيب: بختنصر[(٦)].

---

(١) في الأصل: تؤتي. والتصويب من زاد المسير (٥/ ٨).

(٢) زاد المسير (٥/ ٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٣٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٩)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٤٢).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٣١٩ ح٣١٤٧).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٩)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٣٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٣٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٩)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٤٢) وعزاه لابن جرير.

وقال سعيد بن جبير: سنحاريب وجنوده[١].

﴿فجاسوا خلال الديار﴾ الجَوْس: طلب الشيء باستقصاء[٢]. والخِلال: جمع خَلل، وهو الفُرْجة بين الشيئين[٣].

قال ابن عباس: مشوا بين منازلهم وقتلوا علماءهم، وأحرقوا التوراة، وخربوا المسجد الأقصى، وسَبُوا منهم سبعين ألفاً[٤].

﴿وكان﴾ يعني عذابهم ﴿وعداً مفعولاً﴾ كائناً لا محالة.

﴿ثم رددنا لكم الكرّة عليهم﴾ أي: أظفرناكم بهم وجعلنا الدولة والغلبة لكم عليهم.

قال ابن عباس: قتل داودُ جالوت، وعاد ملكهم كما كان[٥].

وقيل: غزوا ملك بابل فاستنقذوا ما في يده من الأسرى والأموال.

﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾ أي: كثرنا أموالكم وأبناءكم ﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ النفير: مَنْ ينفر مع الرجل مِنْ قومه.

والمعنى: جعلناكم أكثر عدة وأنصاراً من أعدائكم.

﴿إن أحسنتم﴾ فيه إضمار، تقديره: معناه وقلنا لكم إن أحسنتم بطاعة الله ﴿أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم﴾ بمعصية الله ﴿فلها﴾ لا يحمله أحد عنها.

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٩).

(٢) انظر: اللسان (مادة: جوس).

(٣) انظر: اللسان (مادة: خلل).

(٤) زاد المسير (٥/ ٩).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٩٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٠).

وقيل: «لها» بمعنى: عليها.

﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي: عقاب المرة الآخرة من إفسادكم ﴿ليسوءوا﴾ فيه إضمار، تقديره: بعثناهم ليسوءوا، وجاز الحذف لدلالة ذكره أولاً عليه.

وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر: «ليسوء» بالياء وفتح الواو[١]، على معنى: ليسوء الله، أو الوعد، أو البعث.

وقرأ الكسائي: «لنسوء» بالنون وفتح الواو[٢]، على إخبار الله تعالى عن نفسه بصيغة الجمع على طريقة التعظيم. والمعنى: ليجعل وجوهكم بادية المَسَاءة، ظاهرة الكآبة.

قال مجاهد وقتادة: بعث الله تعالى عليهم في المرة الأخيرة بختنصر[٣]، وأبى أكثر الرواة ذلك.

قال الثعلبي[٤]: من روى أن بختنصر غزى بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا، غلط عند أهل السير والأخبار والعلم بأمور الماضين، وذلك أنهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزى بني إسرائيل عند قتلهم شعيا، وفي عهد [أرميا][٥] عليه السلام وهي الوقعة الأولى التي قال الله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد﴾ يعني: بختنصر وجنوده، قالوا: ومن عهد أرميا

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٧-٣٩٨)، والكشف (٢/ ٤٢-٤٣)، والنشر (٢/ ٣٠٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٨).

(٢) مثل السابق.

(٣) تفسير مجاهد (ص:٣٥٨)، وزاد المسير (٥/ ١١).

(٤) تفسير الثعلبي (٦/ ٨٠-٨٢).

(٥) في الأصل: الرميا. والتصويب من تفسير الثعلبي (٦/ ٨١).

وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا أربعمائة سنة وأحد وستون سنة.

قال ابن إسحاق: فلما رفع الله تعالى عيسى وقتلوا يحيى بن زكريا -وبعض الناس يقول: لما قتلوا زكريا- ابتعث الله تعالى عليهم ملكاً من ملوك بابل، يقال له: خردوش، فسار إليهم بأهل بابل، ثم ساق الحديث إلى أن قال: ثم انصرف عنهم إلى بابل وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد، وهي الوقعة الأخيرة في قوله: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين﴾[1].

فصل يتضمن الإشارة إلى حديث أرميا عليه السلام

قال وهب بن منبه: لما عظمت الأحداث في بني إسرائيل وعملوا بالمعاصي وقتلوا الأنبياء، أوحى الله تعالى إلى أرميا عليه السلام أني مُهلك بني إسرائيل ومنقم منهم، فَقُمْ على صخرة بيت المقدس يأتك أمري، فقام وجعل الرماد على رأسه وخَرَّ ساجداً، وقال: يا رب! وددتُ أن أمي لم تلدني حين جعلتني آخر أنبياء بني إسرائيل، فيكون خراب بيت المقدس وبوار بني إسرائيل من أجلي، فقيل له: ارفع رأسك، فرفع رأسه وبكى وقال: يا رب! من تُسلِّط عليهم؟ قال: عبدة النيران، لا يخافون عذابي، ولا يرجون ثوابي، قم يا أرميا فاسمع خبرك وخبر بني إسرائيل، من قبل أن أصورك قَدَّسْتُكَ، ومن قبل أن تخرج من بطن أمك طهَّرْتُك، ومن قبل أن تبلغ الأشُدَّ اخترتك، ولأمر عظيم اجتبيتُك، قُمْ فقُصَّ عليهم ما آمرك به، وذكّرهم نعمتي عليهم، وعرّفهم أحداثهم، وقل لهم: يا معشر أبناء الأنبياء

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٤١-٤٢).

ونسلهم، كيف وجد آباؤهم مغبة طاعتي، وكيف وجدوا هم مغبة معصيتي، وهل وجدوا أحداً عصاني فسعد بمعصيتي، وهل علموا أحداً أطاعني فشَقِي في طاعتي، إن الدواب إذا ذكرت أوطانها الصالحة نزعت إليها، وإن هؤلاء القوم رتعوا في مروج الهلكة، وتركوا الأمر الذي به أكرمت آباءهم، وابتغوا الكرامة من غير وجهها.

وأما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادتي خولاً، ويحكمون فيهم بغير كتابي حتى أنسوهم ذكري وسنّتي، فدان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي، فهم يطيعونهم في معصيتي.

وأما ملوكهم فبطروا نعمتي وأمنوا مكري. وأما فقراؤهم [وفقهاؤهم](١) فيدرسون ما يتخيرون، فينقادون للملوك فيبايعونهم على البدع التي يبتدعون في ديني، ويطيعونهم في معصيتي، ويوفون لهم بالعهود الناقضة لعهدي فسبحان جلالي وعلو مكانتي وعظمة سلطاني وشأني، هل ينبغي أن يكون لي شريك في ملكي؟ وهل ينبغي لبشر أن يُطاع في معصيتي؟ وهل ينبغي لي أن أَخْلُقَ عباداً أجعلهم أرباباً من دوني.

وأما أولاد الأنبياء فمفتونون، يخوضون مع الخائضين، يتمنون [عَلَيَّ](٢) مثل نصري آباءهم والكرامة التي أكرمتهم بها، [ويزعمون](٣) أنه لا أحد أولى بذلك منهم، بغير صدق منهم ولا تفكر، ولا يذكرون كيف كان نصر آبائهم في أمري

---

(١) في الأصل: ووفقهاؤهم.

(٢) زيادة من الطبري (١٥/ ٣٧).

(٣) في الأصل: وزعمون. والتصويب من الطبري، الموضع السابق.

حين اغترّ المغترُّون فتأنَّيت بهؤلاء القوم لعلهم يستحيون مني ويرجعون، أُمطرُ عليهم السماء، وأُنبتُ لهم الأرض، وأُلبسهم العافية، وأُظهرهم على العدو، فلا يزدادون إلا طغياناً وبُعداً مني، فحتّى متى [هذا][١]، أَبِي يتمرّسون أم إياي يخادعون؟ فإني أُقسم بعزّتي لأتيحنّ[٢] لهم فتنة يتحيّر فيها الحليم، وتَضِلُّ فيها حكمة [الحكيم][٣]، لأُسلطنّ عليهم جباراً قاسياً عاتياً، أُلبسه الهيبة، وأنزعُ من صدره الرحمة، يتبعه عدد سواد مثل الليل المظلم، يعيدون العِرَان[٤] خراباً، والقرى وحشاً، ويتبّرون ما علو تتبيراً، قاسية قلوبهم، لا يرقّون ولا يرحمون، يجولون في الأسواق بأصوات مرتفعة مثل زئير الأسْد، فوعزتي لأعطِّلنّ بيوتهم من كتبي وقدسي، ولأخلينَّ مجالسهم من حديثها ودرسها، ولأوحشنّ مساجدهم من عمارتها، ولأبدلنَّ ملوكها بالعزّ الذل، وبالأمن الخوف، وبالغنى الفقر، وبالأرواح الطيبة جيف القتلى، وبلباس التيجان أطواق الحديد والسلاسل والأغلال، ثم لأرسنّهم بأنواع العذاب، حتى لو كان الكائن منهم في حالِقٍ لوَصَلَ ذلك إليه، إني إنما أكرم من أكرمني، وإنما أُهين من أهان عليه أمري، ثم لآمرنَّ السماء خلال ذلك فلتكونن طريقاً من حديد، ولآمرنَّ الأرض فلتكونن سبيكة من نحاس، فإن أمطرت خلال ذلك شيئاً سلطتُ عليه الآفة، فإن خلص منه شيء نزعت منه البركة، وإن دعوني لم أجبهم، وإن سألوني لم أعطهم، وإن بكوا لم أرحمهم، وإن

---

(١) زيادة من الطبري (١٥/ ٣٨).

(٢) في الطبري: لأقيضن.

(٣) في الأصل: الحليم. والتصويب من الطبري (١٥/ ٣٨).

(٤) العِرَان: الفناء (اللسان، مادة: عرن).

تضرعوا إليّ صرفت وجهي عنهم.

قال كعب: فقال أرميا: برحمتك أصبحت أتكلم بين يديك، وهل ينبغي لي ذلك يا رب سبحانك وبحمدك، تباركت ربنا وتعاليت، إنك المهلك لهذه القرية وما حولها، وهي مساكن أنبيائك، ومنزل وحيك، يا رب سبحانك وبحمدك إنك أنت المخرب لهذا المسجد وما حوله من المساجد التي رُفِعَتْ لذكرك، يا رب وإنك لتعذب هذه الأمة وهم ولد إبراهيم خليلك، وأمة موسى نجيك، وقوم داود صفيك، يا رب أي القرى تأمن عقوبتك بعد أري شليم، وأي العباد يأمنون سطوتك بعد ولد خليلك إبراهيم وأمَّة نجيك موسى، تُسلّط عليهم عَبَدة النيران، فقال الله تعالى: يا أرميا، من عصاني لا يستنكر نقمتي، فإني إنما أكرمتُ هؤلاء على طاعتي، ولو أنهم عصوني لأنزلتهم دار العاصين، إلا أن تدركهم رحمتي.

فلما بلّغهم أرميا رسالة ربهم وسمعوا ما فيها من الوعيد عَصوه وكذبوه، وقالوا له: تزعم أن الله مُعطِّل أرضه ومساجده من كتابه وعبّاده وتوحيده، لقد أعظمتَ على الله الفرية، واعتراك الجنون، فأخذوه وقيدوه وسجنوه، فعند ذلك بعث الله تعالى عليهم بختنصّر [(١)].

قوله تعالى: ﴿وليدخلوا المسجد﴾ يعني: المسجد الأقصى بالبيت المقدس ﴿كما دخلوه أول مرة وليتبروا﴾ أي: ليهلكوا ويدمروا ﴿ما علوا﴾ عليه ﴿تتبيراً﴾ وقيل: المعنى: ليتبروا مدة علوهم، فـ«ما» مع الفعل بتأويل المصدر.

قوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ يعني: بعد المرة الأخيرة، فرحمهم بعد

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٣٦ وما بعدها).

سبعين سنة حين تابوا وأنابوا، وعمَّر بلادهم وكثر عددهم وأعلا كلمتهم، وأسبغ عليهم نعمته.

﴿وإن عدتم﴾ إلى معصيتنا مرة ثالثة ﴿عدنا﴾ إلى عقوبتكم.

قال المفسرون: ثم إنهم عادوا إلى المعصية، فعاد الله إلى الانتقام منهم، فسلَّط عليهم الأكاسرة والأقاصرة، فضربوا عليهم الجزية، وألبسوهم سيما الذل والصَّغار، ولم يزل ذلك ممتداً بهم إلى أن أرسل الله تعالى نبينا محمداً ﷺ فعاندوه وعادوه، فسلَّطَه الله عز وجل عليهم قتلاً وسبياً ونفياً، وضرب الجزية والصَّغار على من أبقته سيوفهم منهم(١).

﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ قال ابن عباس وغيره: سجناً ومحبساً(٢).

قال مجاهد: يحصرون فيها(٣).

وقال الحسن: حصيراً: مهاداً وفراشاً، ذهب إلى الحصير الذي يفرش ويبسط(٤).

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٤)، وعبدالرزاق في مصنفه (٦/ ٢٢) عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٤٥) وعزاه لعبدالرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣١٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٤٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٥)، ومجاهد (ص:٣٥٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣١٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٤٥) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ أي: للحالة التي هي أقوم الحالات، أو إلى الملة، أو للطريقة التي هي أقوم وأمثل، من توحيد الله تعالى وطاعته، وتصديق رسله، والعمل بالمعروف، ومكارم الأخلاق.

﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم﴾ أي: بأن لهم، فلما حذف الباء انتصب موضع «أن» عند سيبويه، وبقي على الجرّ عند الخليل.

﴿أجراً كبيراً﴾ وهو نعيم الجنة.

﴿وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ معطوف على «أن لهم أجراً كبيراً». المعنى: يبشر المؤمنين ببشارتين، بحسن جزائهم، وعقاب أعدائهم.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾ الإنسان هاهنا: اسم جنس. والمعنى: أنه يدعو عند غضبه على نفسه وأولاده وماله [وأهله](1) بالشر كما يدعو بالخير(2).

﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ يتسرع إلى ما لم تحمله نفسه عليه وطمعه إليه، من

(١) في الأصل: وآلة. والتصويب من زاد المسير (٥/ ١٣).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ١٣).

غير نظر في العواقب.

والمعنى: أن الله تعالى يرحمهم فلا يستجيب لهم ما يدعونه في حالة الغضب، كما في قوله: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر ... الآية﴾ [يونس:١١] وقد سبق تفسيرها.

وقيل: المراد بالإنسان: الكافر.

قال ابن عباس: هو النضر بن الحارث، قال: ﴿اللهم إن كان هو الحق من عندك ... الآية﴾(١) [الأنفال:٣٢].

وروي عن سلمان الفارسي قال: أول ما خلق من آدم رأسه، فجعل ينظر إلى جسده كيف يخلق، قال: فبقيت رجلاه، فقال: يا رب عَجِّل، فذلك قوله: ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾(٢).

وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٦٣)، والطبري (١٥/ ٤٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٤٦) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر.

﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ أي: جعلناهما آيتين في أنفسهما يدلان على قدرة خالقهما وحكمته وعظمته، فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار [للتبيين][(١)]، كإضافة العدد إلى المعدود، تقديره: فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة. ويجوز أن يراد: وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين، أي: الشمس والقمر.

﴿فمحونا آية الليل﴾ التي هي القمر. قال علي عليه السلام: السواد الذي في القمر أثر المحْو[(٢)].

ويروى: أن الشمس والقمر كانا في الضوء سواء، فأرسل الله تعالى جبريل فأمرَّ جناحه على وجه القمر فطمس ضوءه[(٣)].

قال قتادة: ﴿مبصرة﴾: منيرة[(٤)].

وقال ابن قتيبة[(٥)]: مبصرة: مُبصَر بها.

قال الكسائي: هو من قول العرب: أبصر النهار؛ إذا أضاء وصار بحالة يُبْصَرُ بها[(٦)].

---

(١) في الأصل: لتبيين.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٤٧) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٩٨-٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٥٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٤).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٢٥٢).

(٦) القرطبي (١٠/ ٢٢٨)، والبغوي (٣/ ١٠٧-١٠٨).

وقال ابن الأنباري[(١)]: المعنى: مُبصرة، فجرى مفعِل مجرى مفعل، والمعنى: يبصر الناس، أي: يريهم الأشياء.

﴿لتبتغوا فضلاً من ربكم﴾ وهو طلب الرزق، فإن [النهار مظنة][(٢)] الاقتدار على الانتشار والتعاطي لأسباب الاكتساب، ﴿ولتعلموا﴾ بتغاير الآيتين ﴿عدد السنين والحساب﴾ لأن ذلك لا يعلم إلا باختلاف الجديدين، وكل شيء مما تحتاجون إليه من مصالح دينكم ودنياكم.

﴿فصلناه تفصيلاً﴾ بيناه تبييناً.

قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ أي: ما طار له عند القسمة الأزلية وصار له في علم الله من الخير والشر، وإلى هذا تؤول أقوال المفسرين.

قال ابن عباس: ألزمناه طائره: شقاوته وسعادته[(٣)].

وقال الحسن: عمله[(٤)].

وفي ذكر العُنُق إشعار بعدم الانفكاك. ومنه المَثَل: تقلدها طَوْق الحمامة، وقولهم: الموتُ في رقاب العباد. واستعير العُنُق لإلزام الخير والشر؛ لأنه محل

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ١٤).

(٢) في الأصل: النها مضنة.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٥١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٥)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٤٩-٢٥٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٥١) عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن مجاهد، ومن طريق آخر عن قتادة، وأخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٣٩٢) عن مجاهد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٥)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٥٠) وعزاه للبيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد، ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

الطوق الزاين، والغِلّ الشاين.

قال الحسن: يا ابن آدم! بُسِطَتْ لك صحيفتك وجُعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة[١].

قوله تعالى: ﴿ونخرج له يوم القيامة﴾ وقرأت لأبي جعفر: «ويُخْرَج لـه» بيـاء مضمومة مع فتح الراء[٢]. وقرأت ليعقوب وعبد الوارث عن أبي عمرو بفتح الياء وضم الراء[٣].

والطائر مضمر على هذين القراءتين، و﴿كتاباً﴾ منصوب على الحال فيهما.

وقرأت لرويس عن يعقوب: «كتابٌ» بالرفع[٤]، وهي قراءة ابن عباس.

﴿يَلْقَاه﴾ وقرأ ابن عامر: «يُلَقَّاه» بضم الياء وفتح الـلام وتـشديد القـاف[٥]، وهو صفة «لكتاباً»[٦].

و﴿منشوراً﴾ صفة، أو حال من «يلقاه»[٧].

﴿اقرأ كتابك﴾ على إرادة القول، أي: يقال له: إقرأ كتابك.

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٥١) وعزاه لابن جرير.

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٢)، والنشر (٢/ ٣٠٦).

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٢).

(٤) زاد المسير (٥/ ١٦).

(٥) الحجة للفـارسي (٣/ ٥٠)، والحجـة لابـن زنجلـة (ص:٣٩٨)، والكـشف (٢/ ٤٣)، والنـشر (٢/ ٣٠٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٨).

(٦) التبيان (٢/ ٨٩)، والدر المصون (٤/ ٣٧٦).

(٧) مثل السابق.

قال الحسن: يقرؤه أمِّياً كان أو غير أمِّي[١].

﴿كفى بنفسك﴾ فعل وفاعل، ﴿حسيباً﴾ تمييز، أي: حاسِباً[٢].

قال سيبويه[٣]: هو كضريب القِداح، بمعنى: ضاربها، وصريمٌ بمعنى: صارمٌ. وقيل: محاسباً، كالشريك والجليس.

وقيل: هو بمعنى: الكافي، وضع موضع الشهيد، فعُدِّي بـ«على»؛ لأن الشاهدَ يكفي المدعي ما أهمَّه.

قال الحسن رحمه الله: عدل الله عليك من جعلك حسيب نفسك[٤].

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي: كل حاملة وزراً فإنما تحمل وزر نفسها لا وِزْرَ نفس أخرى.

قال المفسرون: نزلت في قول الوليد بن المغيرة: اتبعوني وأنا أحمل أوزاركم[٥].

قوله: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ قال القاضي أبو يعلى: في هذه الآية دليل على أن معرفة الله لا تجب عقلاً، وإنما تجب بالشرع وهو بعثة الرسل،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٦).

(٢) الدر المصون (٤/ ٣٧٧).

(٣) انظر: الكتاب (٤/ ٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٦).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٧).

وأنه لو مات الإنسان قبل ذلك لم يقطع عليه بالنار[(١)].

وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾ قال سعيد بن جبير: أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها[(٢)].

قال الزجاج[(٣)]: ومثله في الكلام: أمرتُكَ فعصَيتني، فقد علم أن المعصية مخالفة للأمر.

وقال مجاهد: «أمرنا مترفيها»: أكثرنا فُسّاقها[(٤)]، وجعله من باب فعلة ففعل، مثل: تبّرته فتبر، ومنه الحديث: «خير المال سكة مأبورة، ومهرة مأمورة»[(٥)] أي: كثيرة النتاج.

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٥٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٩). وهذا القول هو اختيار ابن جرير، قال: أولى التأويلات به تأويل من تأوله: أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها فحق عليهم القول؛ لأن الأغلب من معنى «أمرنا» الأمر الذي هو خلاف النهي دون غيره.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٥٦) عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن عكرمة، ومن طريق آخر عن الحسن، ومن طريق آخر عن قتادة، ومجاهد (ص:٣٥٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٢) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٥٥) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن عكرمة، وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر.

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٨). وسكة مأبورة: السِّكَّة: الطريقة المصطفَّة من النخل، والمأبورة الملقَّحة (اللسان، مادة: أبر).

في قراءة ابن عباس وأبي الدرداء والحسن ويعقوب وحماد بن سلمة عن ابن كثير وأوقية عن العباس عن أبي عمرو: «آمَرْنا» بالمد[١].

قال ابن قتيبة[٢]: هي اللغة العالية، ومعناها: كَثَّرْنا[٣].

وقرأت لأبان عن عاصم ولعبد الوارث من طريق أبي معمر عن أبي عمرو: «أمَّرْنا» بتشديد الميم[٤].

قال ابن قتيبة[٥]: المعنى: جعلناهم أُمراء[٦].

وقال غيره: «أمّرنا» بالتشديد، بمعنى: كثَّرنا أيضاً.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٥٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٨)، والنشر (٢/ ٣٠٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٩).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٢٥٣).

(٣) قال الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٧): وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب: قراءة من قرأه: «أمرنا مترفيها» بقصر الألف من «أمرنا» وتخفيف الميم منها؛ لإجماع الحجة من القُرّاء على تصويبها دون غيرها.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٥٣).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٢٥٣).

(٦) قال أبو علي الفارسي: لا يُحمل «أمّرنا» على المعنى: جعلناهم أمراء؛ لأنه لا يكاد يكون في قرية واحدة عدة أمراء، لأن رئاستهم لا تكون إلا لواحد بعد واحد، والإهلاك إنما يكون في مدة واحدة (الحجة ٣/ ٥٤).

قال السمين الحلبي في الدر المصون (٤/ ٣٧٩-٣٨٠): وقد رُدَّ على الفارسي بأنا لا نسلم أن الأمير هو المَلِك، حتى يلزم ما قُلْتَ، بل الأمير عند العرب من يأمر ويُؤتمر به، ولئن سُلم ذلك، لا يلزم ما قال، لأن المترف إذا ملك ففسق، ثم آخر بعده ففسق، ثم كذلك كثر الفساد، ونزل بهم على الآخر من ملوكهم.

والمراد بالمترفين: المتنعمون الذين قد أبطرتهم النعمة وأطغتهم السعة.

قال المفسرون: هم الجبارون والمسلطون والملوك[١].

﴿ففسقوا فيها﴾ أي: تمردوا وخرجوا عن طاعة الله، ﴿فحق عليها القول﴾ أي: على أهلها.

قال ابن عباس: استوجبت العذاب[٢].

﴿فدمرناها تدميراً﴾ أي: أهلكناها إهلاكاً.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

وفي قوله: ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح ... الآية﴾ تحذير لأهل مكة من ارتكاب أسباب العقاب.

قوله تعالى: ﴿من كان يريد العاجلة﴾ وهي الدنيا، لا همة له سوى التشاغل بلذَّاته، والإقبال على حظوظ نفسه؛ كالكَفَرَة والفَسَقَة.

وقيل: المراد بذلك: من كان يريد الدنيا بعمل الآخرة؛ كالمنافق والمرائي.

﴿عجلنا له فيها ما نشاء﴾ مما جرتْ به أقدارنا ﴿لمن نريد﴾ بدل من له وهو بدل

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٩) من قول مقاتل.

البعض من الكل[(١)].

والمعنى: عجلنا لمن يريد أن نعجل له.

وهذه الآية تنعي على المرائيين سوء حالهم؛ لأنهم فاتهم بسوء قصدهم الثواب، ولم يحصل لهم به في الدنيا سوى ما سبق به الكتاب.

﴿ثم جعلنا له جهنم يصلاها﴾ يُقاسي حَرَّها ﴿مذموماً مدحوراً﴾ مُبْعَداً عن رحمة الله.

﴿ومن أراد الآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿وسعى لها سعيها﴾ بامتثال ما أُمر به واجتناب ما نُهِيَ عنه، وهو مع الإرادة والسعي مؤمن مصدق بما جاءت به الرسل. ﴿فأولئك﴾ الذين استكملت فيهم هذه الشرائط الثلاثة ﴿كان سعيهم مشكوراً﴾ مُثنى عليه مُتقبلاً مُضاعفاً.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾

﴿كلاً﴾ منصوب بـ: ﴿نُمِدُّ﴾، والتنوين عوض من المضاف إليه، و﴿هؤلاء﴾ بدل من «كلاً»، والتقدير: كل واحد من الفريقين البر والفاجر نمده ونرزقه من عطائنا.

﴿وما كان عطاء ربك﴾ فضله ورزقه في الدنيا ﴿محظوراً﴾ ممنوعاً بكفر ولا معصية، كما قال إبراهيم: ﴿وارزق أهله من الثمرات من آمن﴾ [البقرة:١٢٦] قال

(١) التبيان (٢/ ٨٩)، والدر المصون (٤/ ٣٨٠).

الله: ﴿ومن كفر﴾.

وهذا الموضع -وهو قوله: «محظوراً»- من المواضع التي تشتبه فيها الضاد بالظاء في الكتاب، فإن الحظر بالظاء: من المنع، ومنه قولهم: هذا محظورٌ، أي: محرمٌ ممنوعٌ منه، وليس في القرآن لهذا مثل إلا قوله: ﴿كهشيم المحتظر﴾ [القمر: ٣١] أي: الممتنع بالحظيرة التي أدارها على غنمه، خوفاً عليها من السباع، وهشيمها: ما اندقَّ بالوطء من جوانبها.

وقد نظمت هذا في قصيدتي فقلت:

والحضر بالضاد إلا موضعين ففي سُبحان محظوراً انظر ثم قِسْ وزن

في سورة اقتربت بعد الهشيم لها مثل وهذان في المعنى على سنن

قوله تعالى: ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ هذا مقتَّرٌ عليه في الدنيا، وهذا موسَّع عليه، ﴿وللآخرة﴾ التي ينبغي أن يقع فيها التنافس ويحذر فيها من التغابن ﴿أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ من أمر الدنيا.

قال ابن عباس: إذا دخلوا الجنات اقتسموا المنازل والدرجات على قدر أعمالهم(١).

قال الحسن: حضر الناس باب عمر بن الخطاب وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب وأولئك الأشياخ من قريش، فخرج آذنُه، فجعل يأذن لصهيب وبلال وأهل بدر، وكان يحبُّهم وكان قد أوصى بهم. فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط، إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يُلتفت إلينا. فقال سهيل بن

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٢).

عمرو -قال الحسن: ويا له من رجل ما كان أعقله-: أيها القوم! إني والله قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم، دُعي القوم ودُعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشدُّ عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تتنافسون عليه. ثم قال: أيها القوم! إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون، ولا سبيل لكم إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى الله أن يرزقكم شهادة، ثم نفض ثوبه فقام ولحق بالشام. قال الحسن: صدق والله! لا يجعلُ الله عبداً أسرعَ إليه كعبدٍ أبطأَ عنه[١].

ولقد صدق الحسن رضي الله عنه فيما وصف به سهيلاً من العقل، ولقد قام في الإسلام مقاماً عظيماً يوم توفي رسول الله ﷺ وماج أهل مكة، وارتد من ارتد من العرب، فقام خطيباً فقال: والله! إني لأعلم أن هذا الدين ممتد امتداد الشمس في طلوعها إلى غروبها، فلا يغرنكم هذا من أنفسكم، يعني: أبا سفيان، فإنه يعلم من هذا الأمر ما أعلم، ولكنه قد جَثَمَ[٢] على صدره حسدُ بني هاشم. فكان مقامه بمكة كمقام أبي بكر الصديق بالمدينة رضي الله عنهما.

قال الزبير بن بكار عن عمه مصعب عن نوفل بن عمارة: كان سهيل بن عمرو بعد أن أسلم كثير الصلاة والصوم والصدقة، وخرج بجماعة أهله إلا بنته هنداً إلى الشام، فجاهدوا حتى ماتوا كلهم[٣].

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٣١٨ ح٥٢٢٧)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢١١ ح٦٠٣٨).

(٢) جثم: الجاثمُ: اللازمُ مكانه لا يبرح (اللسان، مادة: جثم).

(٣) الاستيعاب (٢/ ٦٧٢).

قال المدائني[١]: قتل سهيل باليرموك[٢].

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد﴾ قال الزمخشري[٣]: هو من قولهم: شَحَذَ الشفْرة حتى قعدت كأنها حربة، أي: صارت، يعني: فتصير ﴿مذموماً مخذولاً﴾ لا ناصر لك.

قال المفسرون: نزلت هذه الآية حين دُعي رسول الله ﷺ إلى دين آبائه[٤].

قوله تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ قال ابن الأنباري[٥]: القضاء في اللغة: قطعُ الشيء بإحكام وإتقان. قال الشاعر يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

---

(١) في الاستيعاب: المديني.

(٢) الاستيعاب (٢/ ٦٧٢).

(٣) الكشاف (٢/ ٦١٤).

(٤) زاد المسير (٥/ ٢١).

(٥) زاد المسير (٥/ ٢٢).

قضيتُ أموراً ثم غادرتُ بعدها بوائِقَ في إحكامها[١] لم تُفَتَّقِ[٢]

أراد: قطعتها محكماً لها.

قال ابن عباس: «وقضى ربك» وأمر ربك[٣].

والمعنى: أمر أمراً حتماً جزماً مقطوعاً به.

«أن لا تعبدوا» أنْ مُفَسِّرَة، و«لا تعبدوا» نهي، أو يكون التقدير: بأن لا تعبدوا إلا إياه.

﴿وبالوالدين إحساناً﴾ مفسر في البقرة[٤].

و﴿إما يبلغن﴾ سبق الكلام على «إما» في البقرة أيضاً عند قوله: ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾. قرأ حمزة والكسائي: «يَبْلُغَانِّ»[٥] على تثنية الفعل، لتقدم ذكر الوالدين، «أحدهما» فاعل يَبْلُغَنَّ وبدل من ألف الضمير الراجع إلى «الوالدين»[٦] على قراءة حمزة والكسائي.

﴿أو كلاهما﴾ عطف على «أحدهما» بدلاً أو فاعلاً[٧]، وخَصَّ سبحانه حالة

---

(١) في مصادر البيت: أكمامها.

(٢) البيت للشماخ يرثي سيدنا عمر بن الخطاب. انظر: اللسان (مادة: بوج، كمم) وفيه: «بوائج» بدل «بوائق»، والقرطبي (٢/ ٨٧)، والطبري (١/ ٥٠٩)، وزاد المسير (٥/ ٢٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٦٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٥٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٤) الآية رقم: ٨٣.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٥٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٩)، والكشف (٢/ ٤٣)، والنشر (٢/ ٣٠٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٩)

(٦) التبيان (٢/ ٩٠)، والدر المصون (٤/ ٣٨٢، ٣٨٣).

(٧) مثل السابق.

=

الكِبَر؛ لأنها زمان ضعفهما وعجزهما ومظنة التضجر بهما.

﴿فلا تقل لهما أُفٍّ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر: «أفَّ» بالفتح من غير تنوين. وقرأ نافع وحفص بالكسر والتنوين، وقرأ الباقون بالكسر من غير تنوين(١).

وكذلك خلفُهم في التي في الأنبياء والأحقاف.

وفي «أفّ» لغات: التنوين وعدمه مع الحركات الثلاث فيهما، و«أُفْ» بضم الهمزة وسكون الفاء وتخفيفها، و«أُفِّي» بضم الهمزة والتشديد مع زيادة ياء الإضافة.

قال الزجاج(٢): هي لغة، وقرئ جميع ذلك.

و«إفٍّ» بكسر الهمزة وتشديد الفاء وكسرها، ولم يقرأ بها. ويجوز أيضاً في اللغة: أُفَّةً وأُفَّةٍ وأفتا.

قال مكي(٣): أصل «أُف» المصدر، من قولهم: أُفّه وتُفَّه، أي: نتناً ودَفراً، وهو

=

قال أبو علي الفارسي: ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدُهما﴾ مرتفع بالفعل، وقوله: ﴿أو كلاهما﴾ معطوف عليه. والذكر الذي عاد من قوله: ﴿أحدهما﴾ يغني عن إثبات علامة الضمير في ﴿يبلغانِّ﴾. فلا وجه لمن قال: إن الوجه ثبات الألف لتقدم ذكر الوالدين.

ووجه ذلك: أنه على الشيء الذي يذكر على وجه التوكيد، ولو لم يذكر لم يقع بترك ذكره إخلال (الحجة ٣/ ٥٦-٥٧).

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٩)، والكشف (٢/ ٤٤)، والنشر (٢/ ٣٠٦-٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٤).

(٣) الكشف (٢/ ٤٤).

اسم [سمي][١] به الفعل، [فبني على فتح أو على كسر أو على ضم][٢] منوّن وغير منوّن، فمن نوّنه قدَّر فيه التنكير، ومن لم ينوّنه قدَّر فيه التعريف، وموضعه النصب بالقول، كما تقول: لا تقل لهما شتماً.

وقال غيره: «أُفٍّ» مبني على الكسر، فمن نوّن نكّره، كما ينكر «صَهٍ»، ومن فتح فلالتقاء الساكنين لخفة الفتحة، ومن ضمَّ أتبع الضم الضم، كما قالوا: منتن.

وقال ابن الأنباري[٣]: أصله من الأَفَف، وهو القلة.

وقال أبو عبيد[٤]: أصلَ الأُفّ والتُّفّ: الوسخُ على الأصابع إذا فتلته.

وقال الخليل[٥]: وَسَخُ الظفر.

وقال الأصمعي[٦]: وَسَخُ الأذن.

وقال ثعلب[٧]: قلامة الظفر. وكل ذلك يرجع إلى معنى القلة والاحتقار.

وقال بعض اللغويين: معنى الأفّ: النتن والتضجر.

قال ابن عباس: لا تقلّهما ما يكرهانه.

قال مجاهد: لا تتعذرهما ولا تقلّهما أفٍّ حين ترى الأذى وتميط عنهما الخلاء

---

(١) في الأصل: مسمى. والمثبت من الكشف (٢/ ٤٤).

(٢) في الأصل: مبني. والتصويب والزيادة من الكشف، الموضع السابق.

(٣) زاد المسير (٥/ ٢٤).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٤).

(٥) انظر: الطبري (١٥/ ٦٤)، وزاد المسير (٥/ ٢٤).

(٦) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٤).

(٧) مثل السابق.

والبول كما كانا يميطانه عنك صغيراً[١].

﴿ولا تنهرهما﴾ لا تزجرهما رافعاً صوتك عليهما.

وروي: أن ابن عون دعته أمه فأجابها، فعلا صوته عليها، فأعتق رقبتين.

﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ ليناً لطيفاً.

قال سعيد بن المسيب: كما يقول العبد المذنب للسيد الفَظِّ[٢].

﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ خفضُ الجناح مجازٌ عن غاية السكون واللين، وإضافته إلى الذل كإضافة حاتم إلى الجود، على معنى: واخفض لهما جناحك الذليل خاشعاً خاضعاً لهما من رحمتك إياهما وعطفك عليهما.

أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده عن حفصة[٣] قالت: كان محمد - يعني ابن سيرين - إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه كله تخشعاً[٤] لها[٥].

وأخرج أيضاً بإسناده عن ابن عون قال: دخل رجل على محمد وهو عند أمه، فقال: ما شأن محمد أيشتكي [شيئاً][٦]؟ قالوا: لا، ولكنه هكذا يكون إذا كان عند

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٥٨) وعزاه لابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٦٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٥٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) حفصة بنت سيرين، أخت محمد بن سيرين، أم الهذيل، الفقيهة الأنصارية. توفيت بعد المائة (سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٧).

(٤) في الزهد: تحشماً.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٧٢).

(٦) زيادة من الزهد (ص:٣٧٢).

أمه[١].

فانظر أيها المكلف إلى عظيم حق الوالدين، كيف لم يرض منك الله العظيم بما أمرك به من الإحسان إليهما واللطف بهما قولاً وفعلاً؟ ونهاك عنه من التأفف والنَّهْر لهما، حتى أمرك بالدعاء لهما بما يفضي بهما إلى السعادة الأبدية، فقال مُعلِّماً لك ما تقول: ﴿وقل رب ارحمهما﴾ أي: قل مجازياً لرحمتهما عليك وتربيتهما إياك في صغرك: ﴿رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾. وقيل: المعنى: ارحمهما مثل رحمتهما إياي في صغري حتى ربياني.

قال قتادة: هكذا علمتم وبهذا أمرتم، فخذوا بتعليم الله[٢].

فصل

ذهب ابن عباس والحسن في جماعة من المفسرين إلى نَسْخ ما تناولته الآية من الدعاء للوالدين المشركين بقوله: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾[٣] [التوبة:١١٣]، ومنع من النسخ قوم، وسلكوا في توجيه الآية طرقاً:

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٧٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٦٧). وانظر: الوسيط (٣/ ١٠٤).

(٣) أخرج البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف﴾ إلى قوله: ﴿كما ربياني صغيرا﴾ فنسختها الآية في براءة: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين... إلخ الآية﴾ (ص:٢٢).

وأخرجه الطبري (١٥/ ٦٧-٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٦٠-٢٦١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن ابن عباس وعزاه للبخاري في الأدب المفرد وأبو داود وابن جرير وابن المنذر. ومن طريق آخر عن قتادة وعزاه لابن المنذر والنحاس وابن الأنباري في المصاحف.

أحدها: له أن يترحَّم عليهما بشرط إيمانهما، أو يدعو لهما برحمة الهداية والإرشاد، أو يكون المعنى: ارحمهما بتخفيف العذاب عنهما لا برفعه.

والذي عليه الفقهاء: أنه عام دخله التخصيص، وليس من النَّسْخ في شيء[١].

فصل يتضمن نبذة من الأحاديث الحاضّة على بر الوالدين

قرأت على أبي المجد القزويني، أخبركم أبو منصور محمد بن أسعد فأقر به، حدثنا الحسين بن مسعود الفراء، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، حدثنا محمد بن أبي عبد الرحمن المقرئ، حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا بهز.

وأنبأنا به عالياً حنبل بن عبدالله بن الفرج، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحصين، أخبرنا أبو علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر القطيعي، حدثنا عبدالله بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا يزيد، حدثنا بهز بن حكيم بن معاوية[٢]، عن أبيه[٣]، عن جدّه[٤] قال: «قلت: يا رسول الله! من أبر؟ قال: أمك، قلت: ثم من؟

---

(١) وهو ما ذهب إليه الطبري. وانظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٥٤٥-٥٥٠)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٤٤)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٩٠-٣٩١).

(٢) بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، أبو عبد الملك القشيري، ثقة صدوق، مات قبل الستين ومائة (تهذيب التهذيب ١/ ٤٣٧، والتقريب ص:١٢٨).

(٣) حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري، تابعي، صدوق ثقة (تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨٧، والتقريب ص:١٧٧).

(٤) معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القشيري، صحابي نزل البصرة، ومات بخراسان (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٨٥، والتقريب ص:٥٣٧).

قال: ثم أمك. قال: قلت: [ثم][(١)] من؟ قال: ثم أمك. قلت: ثم من؟ قال: أباك، ثم الأقرب فالأقرب»[(٢)].

وفي مسند الإمام أحمد والصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رجل: «يا رسول الله! أي الناس أحق مني بحسن الصحبة؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك»[(٣)].

وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «الوالد أوسطُ أبواب الجنة، فإن شئت فحافظ على الباب أو ضَيِّع»[(٤)] معناه: خير أبواب الجنة. يقال: فلان مِنْ أوسَطِ قومه، أي: من خيارهم[(٥)].

وروى عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «رضى الله في رضى الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين»[(٦)].

وفي مسند الإمام أحمد من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «نمت فرأيتني في الجنة، فسمعت صوت قارئ يقرأ، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا حارثة

---

(١) زيادة من مسند أحمد (٥/ ٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٢٧ ح٥٦٢٦)، ومسلم (٤/ ١٩٧٤ ح٢٥٤٨)، وأحمد (٢/ ٣٢٧ ح٨٣٢٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٣١١ ح١٩٠٠)، وابن ماجه (١/ ٦٧٥ ح٢٠٨٩)، وأحمد (٦/ ٤٤٥ ح٢٧٥٥١).

(٥) انظر: اللسان (مادة: وسط).

(٦) أخرجه الترمذي (٤/ ٣١٠ ح١٨٩٩).

بن النعمان، فقال رسول الله ﷺ: كذاك البر، وكان مِنْ أبرِّ الناس بأمه»[١].

قالت عائشة: «كان رجلان من أصحاب النبي ﷺ أبر من كان في هذه الأمة بأمها؛ عثمان بن عفان، وحارثة بن النعمان، فأما عثمان فإنه قال: ما قدرتُ أن أتأمل أمي منذ أسلمت، وأما حارثة فإنه كان يفلّي رأس أمه ويطعمها بيده، ولم يستفهمها قط كلاماً تأمره به حتى يسأل مَنْ عندها بعد أن تخرج، ماذا قالت أمي؟»[٢].

وقال مكحول: بِرُّ الوالدين كفارةٌ للكبائر[٣].

وقال ابن عباس: لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة[٤].

وكان حِجْر بن عدي يلمس فراش أمه بيده، فيتهم غلظ يده، فيتقلب عليه على ظهره، فإذا أمن أن يكون عليه شيء أضجعها[٥].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما بَرَّ والده من شَدَّدَ النظر إليه[٦].

وقال ابن عباس: لا تنفض ثوبك فيصيبهما الغبار[٧].

وقال عروة: لا تمتنع من شيء أحباه[٨].

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٥١ ح٢٥٢٢٣).

(٢) ذكره القرشي في مكارم الأخلاق (ص:٧٥ ح٢٢٣).

(٣) أخرجه الحارث في مسنده (٢/ ٨٤٧ ح٨٩٨)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٨٣).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص:١٥ ح٤).

(٥) ذكره القرشي في مكارم الأخلاق (ص:٧٦ ح٢٢٦).

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ١٩٧ ح٧٨٩١) ولفظه: «ما بر أباه من شد إليه الطرف». وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٠٨).

(٧) زاد المسير (١/ ١٠٨).

(٨) أخرجه الطبري (١٥/ ٦٦)، والبخاري في الأدب المفرد (ص:١٧ ح٩)، وابن أبي حاتم

ورأى ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً في الطواف يحمل أمه، ويقول:

إني لهـا مطيـةٌ لا تـذْعَرُ   إذا الركـاب نفـرتْ لا تنفـر

ما حملـتْ وأرضـعتني أكثـرُ   الله ربي ذو الجـلال الأكـبر

تظنني جزيتها يا ابن عمر؟ قال: لا ولا زفرةً واحدة[١].

فإن قيل: هل من سبيل إلى تحصيل فضيلة بر الوالدين وتدارك ما فات من ذلك بعد موتهما؟

قلت: نعم، وهو ما أخرجه الإمام أحمد ومسلم من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن أبر البر صلة [المرء][٢] أهل ودّ أبيه بعد أن يولي))[٣].

وفي حديث أبي أسيد: ((أن رجلاً قال: يا رسول الله! هل بقي من بر أبويّ شيء بعد موتهما؟ قال: نعم، خصال أربع: الدعاء لهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما))[٤].

وقال مكحول: لا يزال الرجل قادراً على البرّ ما دام في فصيلته من هو أكبر

= (٧/ ٢٣٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٥٩) وعزاه للبخاري في الأدب المفرد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (١/ ٣١٢ ح٦٤٢). وذكره القرشي في مكارم الأخلاق (ص:٧٨ ح٢٣٥). وانظر: الكشاف (٢/ ٦١٧).

(٢) في الأصل: المراء. والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٧٩ ح٢٥٥٢)، وأحمد (٢/ ٨٨ ح٥٦١٢).

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٣٦ ح٥١٤٢)، وأحمد (٣/ ٤٩٧).

منه[١].

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ أي: بما تضمرون من البِرّ والعقوق ﴿إن تكونوا صالحين﴾ طائعين لله بارّين، ثم بدَرَت منكم بادرة عند الغضب ثم تُبْتُم وأنبْتُم، ﴿فإنه كان للأوابين غفوراً﴾ أي: للأوابين منكم، فحذف. ويجوز أن يكون التقدير: إنه كان لكم، فوضع الظاهر موضع المضمر؛ لأن الأوابين الصالحون.

قال ابن قتيبة[٢]: الأوَّاب: التائب مرة بعد مرة.

وقال الزجاج[٣]: الأوَّاب: المقْلِعُ عن جميع ما نُهي عنه[٤]. يقال: قد آبَ يؤُوبُ [أوْباً][٥]؛ إذا رجَع[٦].

قال عبيد بن عمير: الأواب: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها[٧].

---

(١) أخرجه الحارث في مسنده (٢/ ٨٤٧ ح٨٩٨)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٨٣).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٢٥٣).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٥).

(٤) وهو نحو قول ابن جرير، قال: أولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الأواب هو التائب من الذنب الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه (الطبري ١٥/ ٧١).

(٥) زيادة من معاني الزجاج (٣/ ٢٣٥).

(٦) انظر: اللسان (مادة: أوب).

(٧) أخرجه الطبري (١٥/ ٧٠)، وهناد في الزهد (٢/ ٤٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٧١) =

وقال الحسن: هو المقبل على الله بقلبه وعمله[(١)].

وقال ابن المنكدر: هو الذي يتوب بين المغرب والعشاء[(٢)].

وقال السدي: هو الذي يذنب سراً ويتوب سراً[(٣)].

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وآت ذا القربى حقه﴾ حسن معاشرته وما فرض الله تعالى له من النفقة إن كان معسراً عاجزاً عن الكسب على ذي القرابة الموسر.

والنفقة واجبة عندنا على كل شخصين جرى التوارث بينهما بفرض أو تعصيب. فأما إن جرى التوارث من أحد الطرفين؛ كالعمة مع ابن أخيها، والجدة مع ابن بنتها، فعلى الوارث منهما النفقة في إحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

وقال مالك: يلزم كل واحد من الأب وابنه نفقة الآخر فقط.

وقال الشافعي: يلزم الوالدين وإن علوا، والولد وإن نزل، وإن كان القريب موسراً أو ممن لا تجب نفقتُه، فحقُّه الإحسان إليه والعطف عليه، ومعاضدتُه ومعاشرتُه بالمعروف وزيارته وموانتُه.

قال سراقة بن مالك بن جعشم: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: خيركم المدافع

= وعزاه لهناد.

(١) زاد المسير (٥/ ٢٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٦٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦).

(٣) زاد المسير (٥/ ٢٧).

عن عشيرته[١].

وقال علي بن الحسين عليهما السلام: يعني به قرابة رسول الله ﷺ[٢]. فيكون المعنى: آتهم حقهم من الإكرام والاحترام.

أو يكون خطاباً للولاة، ويكون المعنى: آتوهم حقوقهم من الخمس.

قوله تعالى: ﴿وابن السبيل﴾ المعنى: آتهم حقهم من الزكاة.

﴿ولا تبذر﴾ بالنفقة في غير طاعة الله ﴿تبذيراً﴾ قال مجاهد: لو أنفق الرجل ماله كله في حق ما كان مبذراً، ولو أنفق مُدّاً في غير حق كان مبذراً[٣].

﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ أي: إخوانهم في الشر؛ لأنهم يوافقونهم ويجيبونهم إلى ما يزينونه لهم ويدعونهم إليه، ﴿وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ جحوداً للنعمة.

وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وإما تعرضن عنهم﴾ أي: وإن تعرض عن الذين تقدم ذكرهم من الأقارب والمساكين وأبناء السبيل حياءً من ردهم لإعسارك ﴿فقل لهم﴾ مُطيِّباً لقلوبهم وجابراً لكسرهم وذُلّ سؤالهم ﴿قولاً ميسوراً﴾ ليناً سهلاً. قال ابن عباس: هو العِدَة الحسنة[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٣١ ح٥١٢٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٧٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٧)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٧١) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٧٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٧٥) عن عكرمة، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٧). وذكره ابن الجوزي في زاد =

وقوله: ﴿ابتغاء رحمة من ربك﴾ مصدر في موضع الحال[١]، و«ترجوها» حال أيضاً[٢]. والتقدير: وإما تعرضن عنهم مبتغياً رحمة من ربك راجياً لها فقل لهم.

قوله: «فقل لهم» جواب «إما»، وهذا المصدر جائز أن يتعلق بالشرط، على معنى: إن تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك، وهي: طلب الرزق جائز أن يتعلق بجواب الشرط مقدماً عليه، على معنى: فقل لهم قولاً ميسوراً مبتغياً رحمة ربك برحمتك إياهم.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ قال ابن مسعود: «جاء غلام إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا. فقال: ما عندنا اليوم شيء، قال: فتقول لك: اكسني قميصك، قال: فخلعه فدفعه إليه وجلس في بيته، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[٣].

= المسير (٥/ ٢٩)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٧٥-٢٧٦) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(١) التبيان (٢/ ٩٠)، والدر المصون (٤/ ٣٨٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٥)، وأسباب النزول (ص:٢٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٧٦) وعزاه لابن جرير. ولم أقف عليه في المطبوع من تفسير ابن جرير.

قال جابر بن عبد الله: «أذّن بلال للصلاة فلم يخرج رسول الله ﷺ، فشغل قلوب أصحابه، فدخل بعضهم فرآه عرياناً، فنزلت هذه الآية»[١].

والمعنى: اقتصد في النفقة والعطية، ولا تُمْسِك يدك عن البذل حتى كأنها مغلولة إلى عنقك.

﴿ولا تبسطها﴾ في البذل ﴿كل البسط فتقعد ملوماً﴾ عند الله؛ لأنها حالة غير مرضية عند الله وعند الناس. أما غنيّهم فينسبه إلى سوء التدبير في المعيشة. وأما فقيرهم فيقول: أعطى فلاناً وحَرَمني، وملوماً عند نفسه إذا أصبح محتاجاً إلى درهم غيره وفِلْسه.

﴿محسوراً﴾ منقطعاً بك.

قال الزجاج[٢]: المحسُور: الذي قد بلغ الغاية في التعب والإعياء. فالمعنى: فتقعد وقد بالغت في الحمل على نفسك وحالك حتى صرت بمنزلة من قد حَسِر.

قال القاضي أبو يعلى: هذا الخطاب أريد به غير رسول الله ﷺ، لأنه لم يكن يدَّخِر شيئاً لغد، وكان يجوعُ حتى يشدّ الحَجَر على بطنه، وقد كان كثيرٌ من فضلاء الصحابة يُنفقون جميعَ ما يملكون فلم ينههم الله؛ لصحة يقينهم، وإنما نهى من خِيفَ عليه التحسُّر على ما خرج من يده، فأما من وثق بوعد الله فهو غير مراد بالآية.

وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٩٤-٢٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٦).

﴿خِطْـًٔا كَبِيرًا ۝٣١ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٣٢﴾

وما بعده مفسر إلى قوله تعالى: ﴿إن قتلهم كان خِطْئاً كبيراً﴾ قرأ ابن كثير: «خِطاء» بكسر الخاء والمد.

وقرأ ابن ذكوان: بفتح الخاء والطاء من غير مد. وقرأ الباقون بكسر الخاء وسكون الطاء[1]. وكلهم نوّن وهمز، فالأول مصدر، مثل: قاتل قتالاً.

قال الواحدي[2]: هو بعيد لا وجه له.

قال أبو علي الفارسي[3]: قراءة ابن كثير «خِطَاء»، والثانية: مصدر خَطِئَ؛ إذا تعمد، والمشهور في مصدر خَطِئَ: خِطْأً، كما قرأه الأكثرون.

والمعنى: كان إثماً عظيماً.

قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ وقرأ الحسن: «الزناء» بالمد[4].

قال أبو عبيدة[5]: قد يُمد «الزناء» في كلام أهل نجد.

قال الفرزدق:

أبا حَاضِرٍ من يَزنِ يظهرْ زناؤُه ... ومن يشربِ الخُرْطُومَ[6] يُصبحْ مُسَكَّرَا[7]

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٥٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٠-٤٠١)، والكشف (٢/ ٤٥)، والنشر (٢/ ٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٩-٣٨٠).

(٢) الوسيط (٣/ ١٠٦).

(٣) الحجة (٣/ ٥٨).

(٤) الدر المصون (٤/ ٣٨٨).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٧٧).

(٦) الخُرطوم: من أسماء الخمر. وقيل: هي الخمر السريعة الإسْكار (اللسان، مادة: خرطم).

(٧) البيت للفرزدق. انظر: اللسان (مادة: سكر، زنا)، والدر المصون (٤/ ٣٨٨)، والصحاح =

﴿إنه كان فاحشة﴾ قبيحة ظاهرة القبح.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما أحد أغير من الله أن يزني عبده أو أمته تزني»(١).

وقد روى الهيثم بن مالك الطائي عن النبي ﷺ قال: «ما من ذنب بعد الشرك بالله العظيم أعظم عند الله من نطفة وضعها رجلٌ في رحم لا يحل له»(٢).

وقال ابن مسعود: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن بهلاكها»(٣).

﴿وساء سبيلاً﴾ مُفسّر في النساء(٤).

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ مُفسّر في الأنعام(٥).

﴿ومن قتل مظلوماً﴾ بغير خصلة من الخصال المبيحة لإراقة الدم، ﴿فقد

(٦/ ٢٣٦٨)، والجمهرة (٣/ ٢٥٥)، وزاد المسير (٥/ ٣١)، وروح المعاني (١٨/ ٧٨). وفي جميع المصادر ورد «يعرف» بدل «يظهر».

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٥٤ ح٩٩٧)، ومسلم (٢/ ٦١٨ ح٩٠١).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٩، ٣٢٧)، والمناوي في فيض القدير (٥/ ٤٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٨١) وعزاه لأحمد وابن أبي الدنيا.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠٧) من طريق سماك بن حرب عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٦) وعزاه لابن جرير من طريق سماك بن حرب عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود.

(٤) آية رقم: ٢٢.

(٥) آية رقم: ١٥١.

جعلنا لوليه سلطاناً﴾ أي: لوارثه الذي يستحق المطالبة بدمه، «سلطاناً»، ولاية يتسلط بها على القاتل.

قال ابن عباس: حُجّة[١].

وقال الضحاك: إن شاء قتل، وإن شاء عفى، وإن شاء أخذ الدية[٢].

وقال ابن زيد: المعنى: فقد جعلنا لوليه سلطاناً ينصره وينصفه في حقه[٣]. وفيه بُعْد.

﴿فلا يسرف﴾ نهى ولي المقتول عن الإسراف والمجاوزة إلى ما لا يستحق، على ما عليه عادة الجاهلية من قتل غير القاتل.

وقال مجاهد: الضمير للقاتل الأول[٤]. المعنى: فلا يُسرف في القتل ظلماً.

وقرأ حمزة والكسائي: «فلا تسرف» بالتاء على الخطاب[٥]، إما لقاتل المظلوم أو للولي.

﴿إنه﴾ يعني ولي الدم ﴿كان منصوراً﴾ معاناً بتمكينه وإيصاله إلى ما يستحقه من القَوَد.

---

(١) أخرجه الطبري بنحوه (١٥/ ٨١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢). وبنحوه السيوطي في الدر (٥/ ٢٨٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٨١). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٦-١٠٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢). وهذا القول هو اختيار ابن جرير.

(٣) زاد المسير (٥/ ٣٢).

(٤) زاد المسير (٥/ ٣٣).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٢)، والكشف (٢/ ٤٦)، والنشر (٢/ ٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٠).

وقيل: إنه يعني المقتول ظلماً، كان منصوراً في الآخرة على ظالمه، ومطلوباً في الدنيا بدمه.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾

وما بعده سبق تفسيره في الأنعام إلى قوله تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد﴾ قال الزجاج[1]: كل ما أمر الله تعالى به ونهى عنه، فهو من العهد.

﴿إن العهد كان مسؤلاً﴾ أي: مطلوباً، أي: يطلبُ من العاهد أن يفي به.

قوله تعالى: ﴿وزنوا بالقسطاس﴾ قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: بكسر القاف، وقرأ الباقون: بضمها، هنا وفي الشعراء[2].

قال ابن دريد[3]: القِسْطاس: الميزان، رومي مُعرّب.

قال الزجاج[4]: القسطاس المستقيم: ميزان العدل.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره، ﴿خير﴾ قال عطاء: أقرب إلى الله[5].

﴿وأحسن تأويلاً﴾ أي: عاقبة.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٨).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٥٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٢)، والكشف (٢/ ٤٦)، والنشر (٢/ ٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٠).

(٣) جمهرة اللغة (٣/ ٢٧).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٨).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤).

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ يقال: قَفَاهُ يقْفُوه قفْواً قافةً يقوفُه؛ إذا اتّبَعَ أثره(١).

قال الزجاج(٢): وتقرأ: «ولا تقُفْ» بضم القاف وسكون الفاء، من قولك: قاف يقوفُ وكأنه مقلوب من قَفَا يقْفُو؛ لأن المعنى واحد(٣).

قال ابن عباس: المعنى: لا ترْمِ أحداً بما ليس لك به علم(٤).

وقال محمد بن الحنفية: هو شهادة الزور(٥).

ويدخل في عمومه النهي عن التقليد وعن الكذب.

قال ابن عباس: لا تَقُلْ: رأيتُ ولم ترَ، وسمعتُ ولم تسمع(٦).

﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك﴾ إشارة إلى الجوارح المذكورة ﴿كان

---

(١) انظر: اللسان (مادة: قوف).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٩).

(٣) ذكر السمين الحلبي في ذلك قولين: أحدهما: ما قاله الزجاج من أنه مقلوب من قَفَا يقْفُو. والثاني - وهو الأظهر -: أنه لغة مستقلة كـ «جَبَذَ» و «جَذَبَ» لكثرة الاستعمالين. ومثله: قاعَ الفحْلُ الناقةَ وقَعَاهَا (الدر المصون ٤/ ٣٩٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٨٦) وعزاه لابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٨٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٨٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٨٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٨٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

عنه مسؤولاً﴾ فيقال للإنسان: لِمَ سمعتَ ما لا يحلُّ لك، ولِمَ نظرتَ إلى ما لا يحلُّ لك النظر إليه، ولِمَ عزمتَ على ما يحرُم عليك العزم عليه.

قال الزجاج[١]: إنما قال: «كل»، ثم قال: «كان»؛ لأن كلاً في لفظ الواحد.

قال الزجاج وغيره من أهل العربية[٢]: «أولئك» كما تكون إشارة إلى العقلاء، تكون إشارة إلى غيرهم، وأنشدوا لجرير:

ذَمُّ المنازل بعد منزلةِ اللوَى والعيشَ بعدَ أولئكَ الأيام[٣]

والهاء في «عنه» تعود إلى «كل»، وقدَّره أبو علي: أن أفعال السمع والبصر والفؤاد كل أفعال أولئك كان عنه مسؤولاً.

وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مَرَحاً﴾ وقرأ الضحاك: «مَرِحاً» بكسر [الراء][٤].

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٩-٢٤٠).

(٣) البيت لجرير من قصيدة يهجو فيها الفرزدق. انظر: ديوانه (ص:٩٩٠) وروايته فيه: «الأقوام» بدل «الأيام». وانظر: المقتضب (١/ ١٨٥)، وشرح المفصل لابن يعيش (٣/ ١٢٦)، وأوضح المسالك (١/ ٦٦)، والأشموني (١/ ١٣٩)، والتصريح (١/ ١٢٨)، والدر المصون (٤/ ٣٩٠)، ومعاني الأخفش (ص:٧٤، ٢٤٠)، وخزانة الأدب (٥/ ٤٣٠).

(٤) في الأصل: الحاء. والتصويب من زاد المسير (٥/ ٣٦).

وجوّدها الأخفش[(١)]؛ لأن «مَرِحاً» اسمُ الفاعل، وهذا هو المصدر، وهو جيد بالغ[(٢)].

وقال الزجاج[(٣)]: وكلاهما في الجودة سواء، غير أن المصدر أوكد في الاستعمال، تقول: جاء زيدٌ رَكْضاً وجاء زيدٌ رَاكِضاً[(٤)]، فـ«ركضاً» أوْكَد في الاستعمال؛ لأنه يدل على توكيد الفعل.

وتأويل الآية: ولا تمش في الأرض مختالاً فخوراً.

قال ابن فارس[(٥)]: المرح: شدة الفَرَح. والنصب فيه على الحال[(٦)].

قرأتُ على أبي الحسن علي بن أبي بكر البغدادي برأس عين، أخبركم عبد الأول فأقرّ به.

أخبرنا الشيخ أبو القاسم بن عبدالله بن عبد الصمد البغدادي بدمشق سنة ست وستمائة قال: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا محمد بن زياد، عن أبي

---

(١) معاني الأخفش (ص: ٢٤٠).

(٢) زاد المسير (٥/ ٣٦)، والدر المصون (٤/ ٣٩١).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٤٠).

(٤) هذه العبارة ذكرت على الهامش وأشار لها بعد قوله: وهو جيد بالغ. ومكانها الصحيح هنا. وانظر: الزجاج وزاد المسير، الموضعان السابقان.

(٥) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٣١٦).

(٦) التبيان (٢/ ٩١)، والدر المصون (٤/ ٣٩١).

هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((بينما رجل يمشي في حُلّة تُعجبه نفسه، مُرَجَّلٌ جُمَّتُه[(١)]، خسفَ الله به، فهو يتجَلْجَلُ[(٢)] في الأرض إلى يوم القيامة))[(٣)].

وفي حديث سلمة بن الأكوع قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يُكتب في الجبارين، فيصيبُه ما أصابهم))[(٤)].

وقال أبو بكر الهذلي: بينما نحن مع الحسن إذ مَرَّ عليه ابن [الأهتم][(٥)] يريد المقصورة وعليه جِبَابٌ[(٦)] خزّ قد نُضِّدَ[(٧)] بعضها على بعض على ساقه، [وانفرج عنها قباه][(٨)]، وهو يمشي يتبَخْتَرَ[(٩)]، فنظر إليه الحسن رحمه الله، فقال: أُفّ أُفّ [لك][(١٠)] شامخٌ بأنفه، ثانٍ عِطْفَه، مصعِّرٌ خدّه، ينظر في عطفيه، أيّ حميق [أنت][(١١)] تنظر في عطفيك! في نعم غير مشكورة ولا مذكورة، غير مأخوذ بأمر الله فيها، ولا مُؤدّ حق الله منها، والله أن يمشي أحدهم طبيعته [يتخلج تخلج][(١٢)]

---

(١) الجُمَّة: مُجْتَمَعُ شعر الرأس وما سقط على المنكبين (اللسان، مادة: جمم).

(٢) الجَلْجَلَة: الحركة مع الصوت، أي: يَسُوخ فيها حين يُخسف به (اللسان، مادة: جلل).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٨٢ ح٥٤٥٢).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٦٢ ح٢٠٠٠).

(٥) في الأصل: الأهثم بن. والتصويب من التواضع (١/ ٢٨٣).

(٦) جِباب: جمع: واحدها: جُبَّة. وهي ضَرْبٌ من مُقطَّعات الثياب تُلْبَس (اللسان، مادة: جبب).

(٧) نَضَدْتُ المتاع أَنْضِدُه نَضْداً نَضَّدْتُه: جعلتُ بعضه على بعض (اللسان، مادة: نضد).

(٨) زيادة من التواضع (١/ ٢٨٣).

(٩) المتبختر في مشيه: المتكبّر المعجب بنفسه (اللسان، مادة: بختر).

(١٠) زيادة من التواضع (١/ ٢٨٣).

(١١) في الأصل: أين. والتصويب من التواضع، الموضع السابق.

(١٢) في الأصل: أن يتجلج الأتجلج. والتصويب من التواضع، الموضع السابق.

المجنون، [في كل عضو من أعضائه لله نعمة، وللشيطان به لعنة][1] فسمع ابن الأهتم، فرجع يعتذر إليه، فقال: لا تعتذر إليّ، وتُبْ إلى ربك، أما سمعت قول الله: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾[2].

أخبرنا عبدالعزيز ابن منينا[3] قراءة عليه وأنا أسمع بباب البصرة، أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبدالباقي الأنصاري رحمه الله، حدثنا الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا علي بن المظفر الأصبهاني المقرئ، حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا أحمد بن محمد الشطوي، حدثنا حسين بن جعفر الضبعي قال: سمعت[4] جعفر بن سليمان يقول: مَرَّ والي البصرة[5] بمالك بن دينار يَرْفُل[6]، فصاح به مالك: أقل من مشيتك هذه، فهمَّ خدمُه به، فقال: دعوه، ما أراك تعرفني، فقال له مالك: ومن أعرف بك مني؟! أما أوّلكَ فنطفةٌ مَذِرَة، وأما آخرك فجيفةٌ قَذِرَة، ثم أنت بين ذلك تحمل العَذِرَة، فنكس الوالي رأسه ومشى[7].

---

(١) زيادة من التواضع (١/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (١/ ٢٨٣ ح٢٣٧).

(٣) عبد العزيز بن معالي بن غنيمة، يعرف بابن منينا، أبو محمد، شيخ صالح صحيح السماع، ثقة، توفي في ذي الحجة من سنة اثنتي عشرة وستمائة (تكملة الإكمال ٤/ ١٢٦).

(٤) في الأصل زيادة قوله: أبي. وانظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٢/ ٨١)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٩٧-٢٠٠).

(٥) سماه أبو نعيم: المهلب بن أبي صفرة.

(٦) يرْفُل: الرَّفَلُ: جَرُّ الذيل وركْضُه بالرِّجْل، ورَفَلَ في ثيابه يرفُلُ: إذا أطالها وجرّها متبختراً (اللسان، مادة: رفل).

(٧) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٨٤).

قوله تعالى: ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي: لن تشقها بشدة وطأتك.

قال ابن عباس: لن تخرق الأرض بكبرك ومشيك عليها(١).

﴿ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ بعظمتك، وإنما أنت عبد مخلوق ذليل.

وقوله: «طولاً» مصدر في موضع الحال، إما من الفاعل أو من «الجبال»(٢).

﴿كل ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره مما نهي عنه ﴿كان سَيِّئَةً﴾ قال صاحب الكشاف(٣): إن قلت: كيف قال: "سَيِّئَةً" مع قوله: «مكروهاً»؟

قلتُ: السيئة في حكم الأسماء، بمنزلة الذنب، والاسم زال عنه حكم الصفات، فلا اعتبار بتأنيثه.

وقرأ أهل الكوفة وابن عامر: «سيِّئُهُ» مضافاً غير منون(٤).

واختاره الزجاج فقال(٥): كان أبو عمرو لا يقرأ «سَيِّئُهُ»، وهذا غلط؛ لأن في هذه الأقاصيص سَيِّئاً وغير سيء، وذلك أن فيها: ﴿وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾، وفيها: ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾، وفيها: ﴿وأوفوا بالعهد﴾، وفيها: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦).

(٢) التبيان (٢/ ٩٢)، والدر المصون (٤/ ٣٩١).

(٣) الكشاف (٢/ ٦٢٤).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٦٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٣)، والكشف (٢/ ٤٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٠).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٢٤٠).

أحسن﴾. قال: ففيما جرى في هذه الآيات والأخبار [سيء][١] وحسن، فسيئُهُ أحسن من سيئة.

قلتُ: ومن العجب قول الزجاج: هذا غلط، وهي قراءة أهل الحجاز وأهل البصرة بناء على ما ذكره من التعليل، مع أنه يعلم وجه القراءة وصحة تعليلها، وأن الإشارة بقوله: كل ذلك كان سيئة إلى ما تقدم ذكره مما نهى الله عنه.

قال بعض نحاة أهل البصرة على القراءة الراجحة عند الزجاج: «كل ذلك» مبتدأ، أي: كل هذه الأشياء سيئُه مكروه، فـ«سيئه» ترتفع بـ«كان»، و«عند ربك» خبر، على تقدير: سيئه ثابتاً عند ربك مكروهاً، فيكون «مكروهاً» على هذا حالاً من الضمير في الظرف. وإن شئت كان [الظرف][٢] حشواً، و«مكروهاً» هو الخبر، وهذا أحسن من الأول[٣].

ومن قرأ «سيئةً» بالتنوين ففي «كان» ضمير يعود إلى «كل»، «سيئة» خبره، و«مكروهاً» صفة لـ«سيئة»، ولم يقل مكروهة؛ لأن التأنيث غير حقيقي، وإن شئت كان على هذا «مكروهاً» خبراً آخر لـ«كان»، وذكَّره لأن ضمير «كُلّ» مذكر، ويكون «عند ربك» من صلة «مكروهاً»، وإن شئت كان حشواً[٤].

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ

(١) في الأصل: شيء. والتصويب من الزجاج (٣/ ٢٤٠).

(٢) في الأصل: الظف.

(٣) الدر المصون (٤/ ٣٩١-٣٩٢).

(٤) انظر: المصدر السابق.

ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره من قوله: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ إلى هاهنا ﴿مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾ أي: من الآداب المحكمة الجامعة لكل خير.

قال ابن عباس: هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى[(١)].

قال بعضهم: افتتحها سبحانه بالنهي عن الشرك، وختمها بالنهي عن الشرك، فقال: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ إلى قوله: ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾؛ لأن التوحيد هو رأس كل حكمة ومِلاكها، ومن عَدِمَه لم تنفعه حكمة، وعلومه وإن بَذَّ[(٢)] فيها العلماء، وحَكَّ بيافوخِه[(٣)] السماء، وما أغنت [عن][(٤)] الفلاسفة أسفار الحِكم، وهم عن دين الله أضلّ من النَّعَم.

وقد سبق معنى الملوم والمدحور.

قوله تعالى: ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ قال مقاتل[(٥)]: نزلت في مشركي العرب، قالوا: الملائكة بنات الله.

---

(١) تفسير أبي السعود (٥/ ١٧٣).

(٢) بَذَّ القومَ يبُذُّهم بَذّاً: سبقهم وغلبهم (اللسان، مادة: بذذ).

(٣) اليافوخ: ملتقى عظم مقدّم الرأس ومؤخّره (اللسان، مادة: يفخ).

(٤) في الأصل: من. والتصويب من الكشاف (٢/ ٦٢٥).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٥٨).

والاستفهام في معنى الإنكار والتوبيخ. والمعنى: أفخصّكم واختار لكم صفوة الأولاد وهم البنون، ﴿واتخذ من الملائكة إناثاً﴾ أولاداً، فرَضِيَ لنفسه بالأدْوَن، وهو على خلاف عادات السادات.

﴿إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾ قُبْحه وفساده وإثمه.

قوله تعالى: ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ أي: بَيَّنَّا ضروب القول فيه من الأمثال وغيرها مما يوجب الاعتبار.

﴿ليذكروا﴾ أي: ليعتبروا ويتدبروا. وقرأ حمزة والكسائي: «لِيَذْكُرُوا» بالتخفيف[١]، من الذِّكْر.

﴿وما يزيدهم﴾ تصريف الآيات وتبيينها ﴿إلا نفوراً﴾ عن الحق وغلواً في الباطل.

كان سفيان الثوري رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول: زادني لك خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً[٢].

قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾

﴿قل لو كان معه آلهة كما تقولون﴾ وقرأ ابن كثير: «يقولون» بالياء[٣]، رداً على

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٦١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٣)، والكشف (٢/ ٤٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨١).

(٢) القرطبي (١٣/ ٦٤).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٤)، والكشف (٢/ ٤٧)، والنشر في

لفظ الغيبة في قوله: ﴿ليذكروا وما يزيدهم﴾.

﴿إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً﴾ بالممانعة والمدافعة، ولوقع الفساد واختلّ النظام، كما قال تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء:٢٢]. وهذا معنى قول الحسن(١).

وقال قتادة: المعنى: لابتغوا سبيلاً إلى رضاه لأنهم دونه(٢).

ثم نزّه نفسه فقال: ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «عما تقولون» بالتاء على المخاطبة(٣).

تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

ثم دلّهم على عظمته فقال: ﴿تسبح له السموات السبع﴾ وقرأ الحرميان وابن عامر وأبو بكر: «يسبح» بالياء(٤)؛ لأن التأنيث غير حقيقي.

= القراءات العشر (٢/ ٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨١).

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨).

(٣) الحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٥)، والكشف (٢/ ٤٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٤) السبعة في القراءات (ص:٣٨١).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٥)، والكشف (٢/ ٤٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨١).

والمراد بتسبيحها: دلالتها على الصانع الحكيم وتنزيهها بظهور أثر صنعته فيها، حتى كأنها تنطق بذلك.

وعلى هذا المعنى أيضاً [حملوا][١] قوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾، وهذا قول جمهور العلماء.

وغير ممتنع أن لها تسبيح ولا يتعقل معناه. ويحقق ذلك: أنه عَطَفَ عليها تسبيح مَنْ في السماء -وهم الملائكة- ومن في الأرض -وهم الثقلان-، فلو وقع التغاير لكان جامعاً بين النوعين بلفظ واحد، وذلك لا يجوز. وهذا هو الصحيح عندي.

قال إبراهيم النخعي: كُلُّ شيء يسبّح بحمده، حتى الثوب والطعام وصرير الباب[٢].

وقال عكرمة: الشجرة تُسَبِّح، والأسطوانة تُسَبِّح[٣].

وقال الحسن -وقُدِّمَ إليه خِوَان-: أيسبِّحُ هذا الخوان؟ فقال: قد كان مرة يسبح[٤]. وقال: [لا][٥] يُسبِّح.

وقال المقدام بن معدي كرب: إن الترابَ يُسبِّح ما لم يبتلّ، وإن الورقة لتسبح

---

(١) في الأصل: حملوه.

(٢) زاد المسير (٥/ ٣٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٩٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩) وفيه: والأسطوانة لا تسبح. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٩١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٩٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩).

(٥) زيادة على الأصل. قال القرطبي تعليقاً على كلام الحسن هذا: يريد أن الشجرة في زمن ثمرها واعتدالها كانت تسبح، وأما الآن فقد صار خواناً مدهوناً (تفسير القرطبي ١٠/ ٢٦٦).

ما دامت على الشجرة[١].

يشيران إلى أن كل شيء يُسبِّح ما لم يتغير عن حاله، يؤيد ذلك قوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ أي: لا تفهمونه يا بني آدم.

وعلى القول الأول: الخطاب بقوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ للكفار؛ لأنهم لا يستدلون على الخالق بآثار صنعته في خلقه.

﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم، بل أمهلكم وما أهملكم.

وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾.

قال قتادة: يريد بالحجاب: الأَكِنَّة على قلوبهم[٢].

وقال الزجاج[٣]: هو منعُ الله إياهم عن أذى رسوله ﷺ.

وقال الكلبي: نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن، وهم:

---

(١) زاد المسير (٥/ ٣٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٩٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٠)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٩٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٤٣).

أبو سفيان، والنضر بن الحارث، وأبو جهل، وأم جميل امرأة أبي لهب، فحَجَبَ الله تعالى رسوله ﷺ عن أبصارهم عند قراءة القرآن، فكانوا يمرُّون به فلا يرونه[١].

وقد أخرج الحاكم في صحيحه بإسناده عن أسماء قالت: « لما نزلت: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ جاءت العوراء أم جميل ولها ولْولة، وفي يدها فِهْرٌ[٢]، وهي تقول: مُذَمّماً أَبَيْنا، ودينه قَلَيْنا، وأمره عَصَيْنا، ورسول الله ﷺ جالس وأبو بكر إلى جنبه، فقال أبو بكر: لقد أقبلتْ هذه، وأنا أخاف أن تَراك، فقال: إنها لن تراني، وقرأ قرآناً اعتصم به: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ قال: فجاءت حتى قامت على أبي بكر ولم تر النبي ﷺ فقالت: يا أبا بكر! بلغني أن صاحبك هجاني، قال: لا ورب هذه البُنية ما هجاك، فانصرفتْ وهي تقول: قد علمتْ قريش أني بنتُ سيدها »[٣].

قلت: وأم جميل هي بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أخت أبي سفيان، وزوجة أبي لهب، عم النبي ﷺ.

وقوله: ﴿مستوراً﴾ محجوباً عن العيون بالقدرة الإلهية فلا تراه.

وقال الأخفش[٤]: أراد ساتراً، وقد يكون الفاعل في لفظ المفعول، كما تقول: إنك لمشؤُوم وميمُون، وإنما هو شائِمٌ ويامِنٌ.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١).

(٢) الفِهْر: الحَجَر مِلْء الكَفّ (اللسان، مادة: فهر).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٩٣ ح٣٣٧٦).

(٤) معاني الأخفش (ص: ٢٤٠).

قال الزجاج[(١)]: هذا قول أهل اللغة.

وقال بعضهم: مستوراً: إذا استتر، كقوله: ﴿عيشة راضية﴾ [القارعة:٧] أي: ذات رضى.

وقولهم: سَيْل مُفْعَم: أي: ذا فعام.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله: ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ يعني: قلت: لا إله إلا الله وأنت تتلو القرآن.

قال الزمخشري[(٢)]: يقال: وَحَدَ يَحِدُ وَحْداً وَوَحِدَةً، نحو: وَعَدَ يَعِدُ وَعْداً ووعِدَةً، و«وَحْدَهُ» من باب: رجعَ عودَهُ على [بَدْئِهِ][(٣)]، وافْعَلْهُ جُهْدَكَ وطاقتَكَ، في أنه مصدر سَدَّ مسدَّ الحال.

﴿ولّوا﴾ يعني: الشياطين[(٤)]، في قول ابن عباس[(٥)]، والمشركين[(٦)]، في قول غيره.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٤٢).

(٢) الكشاف (٢/ ٦٢٧).

(٣) في الأصل: بدله. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٤): وهذا غريب جداً في تفسيرها، وإلا فالشياطين إذا قرئ القرآن أو نودي بالأذان أو ذكر الله انصرفوا.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٩٥)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٧٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٩٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

(٦) قال ابن جرير (١٥/ ٩٥): هو أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى أتبع ذلك قوله: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ فأن يكون ذلك خبراً عنهم أولى إذ كان بخبرهم متصلاً من أن يكون خبراً عمن لم يَجْرِ له ذِكْر.

﴿على أدبارهم نفوراً﴾ قال أبو عبيدة[١]: على أعقابهم. «نفوراً»: جمع نافر، كقَاعِدٍ وقُعُوداً، وهو مصدر بمعنى: التَّوْلية.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ قال المفسرون: أَمَرَ رسول الله ﷺ علياً عليه السلام أن يتخذ طعاماً ويدعو إليه أشراف قريش من المشركين، ففعل، ودخل عليهم رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى التوحيد، فكانوا يستمعون ويقولون فيما بينهم متناجين: هو ساحر، هو مسحور، فنزلت هذه الآية[٢].

وقوله: «به» في موضع الحال، كما تقول: [يستمعون][٣] بالهزء، أي: هازئين[٤].

﴿إذ يستمعون﴾ منصوب بـ«أعلم»، أي: أعلم وقت استماعهم بما يستمعون به، ﴿وإذ هم نجوى﴾ أي: وبما يتناجون به، إذ هم [ذوو][٥] نجوى، ﴿إذ يقول

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٨١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١١١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١).

(٣) في الأصل: يسمعون. والمثبت من الدر المصون (٤/ ٣٩٦).

(٤) انظر: الدر المصون (٤/ ٣٩٦).

(٥) في الأصل: ذو. والتصويب من الكشاف (٢/ ٦٢٧).

الظالمون﴾ بدل مِنْ «إذ هـم»[١]، ﴿إن تتبعـون إلا رجـلاً مـسحوراً﴾ أي: سُـحِرَ فذَهَبَ عقلُه. هذا قول ابن عباس[٢]. وقال مجاهد: مغروراً مخدوعاً[٣].

وقال أبو عبيدة[٤]: المسحور: الذي له سَحْر، أي: رِئَة. قال[٥]: وكل دابـة أو طائر أو بشر يأكل فهو مَسْحُورٌ ومُسْتَحَرٌ؛ لأن له سَحْراً[٦]. قال لبيد:

فإنْ تَسألينا فيم نحن؟ فإننا ... عصافيرٌ من هذا الأنامِ المُسَحَّرِ[٧]

وقال امرؤ القيس:

أرانَا مُرصِدين[٨] لأمْرِ غيبٍ ... ونُسْحَرُ بالطعامِ وبالشراب[٩]

---

(١) التبيان (٢/ ٩٢)، والدر المصون (٤/ ٣٩٦).

(٢) زاد المسير (٥/ ٤٢).

(٣) زاد المسير (٥/ ٤٢).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٨١-٣٨٢).

(٥) أي: أبي عبيدة في المجاز (١/ ٣٨١).

(٦) قال ابن جرير (١٥/ ٩٦): وهو غير بعيد من الصواب.

وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٤/ ٣٩٧): وردّ الناس على أبي عبيـدة قولـه؛ لبُعـده لفظاً ومعنى. وقال ابن قتيبة في غريب القرآن (ص:٢٥٦): ولست أدري ما اضطر أبا عبيـدة إلى هـذا التفسير المستكره؟ وقد سبق التفسير من السلف بما لا استكراه فيه.

(٧) البيت للبيد. انظر: ديوانـه (ص:٧١)، واللـسان (مـادة: سـحر)، والـدر المـصون (٤/ ٣٩٧)، والطـبري (١٥/ ٩٦، ١٩/ ١٠٣)، وزاد المـسير (٥/ ٤٢)، وروح المعـاني (١٥/ ٩٠)، وغريـب القرآن (ص:٢٥٦).

(٨) كذلك هي أيضاً في زاد المسير. وفي بقية المصادر: مُوضِعِين، أي: مسرعين. وقولـه: لأمـر غيـب، يريد الموت وأنه قد غيب عنا وقته ونحن نلهى بالطعام وبالشراب. والسحر: الخديعة.

(٩) البيت مطلع قصيدة لامرئ القيس. انظر: ديوانـه (ص:٩٧)، واللـسان (مـادة: سـحر)، والـدر المصون (١/ ٣٢٠، ٤/ ٣٩٦)، وزاد المسير (٥/ ٤٢)، وروح المعاني (١٥/ ٩٠)، وغريب القـرآن =

فالمعنى على قول أبي عبيدة: إن تتبعون إلا رجلاً محتاجاً إلى الطعام والشراب ضرورة أن كل حيوان له سَحْر يحتاج إليهما، ويكون هذا منهم تنبيهاً بقولهم: ﴿مال هذا الرسول يأكل الطعام﴾ [الفرقان:٧] وأمثال ذلك.

﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ تارة بالشاعر، وتارة بالكاهن، وتارة بالمجنون، ﴿فضلوا﴾ في جميع ذلك ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ مَخْرجاً وطريقاً من نية الضلال.

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

ثم ذكر إنكارهم البعث واستبعادهم إياه فقال: ﴿وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً ... الآية﴾ قال الفراء(١): الرُّفات: [التراب](٢) لا واحد له، وهو مثل الدُّقَاق والحُطَام.

وقال الزجاج(٣): الرُّفَات: التراب، والرُّفاتُ كلُّ شيء حُطِمَ وكُسِرَ.

= (ص:٢٥٦).

(١) معاني الفراء (٢/ ١٢٥).

(٢) زيادة من معاني الفراء، الموضع السابق.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٤٤).

قال ابن عباس: قالوا: إذا ذهبَ اللحم والعروق [وبقيت][(١)] عظام قد بليت، فإذا مَسَسْتَهُ بين أصبعيك انْسَحَق[(٢)].

﴿أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ أنكروا وتعجبوا من الإعادة بعد الإبادة، فقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿كونوا حجارة﴾ أي: تصوَّرُوا أنفسكم حجارة ﴿أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾ مما طبعه الجساوة[(٣)] والصلابة [كالأرض][(٤)] والجبال، ونحوها مما يكبر في صدوركم وينبو طبعه عن قبول الحياة.

﴿فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة﴾ فإنه يعيدكم بالقدرة التي أنشأكم أولاً بها، فإذا قدر على ذلك؛ فما ظنُّكم بالعظام التي هي بعض أجزائكم، وأركان خلقكم، وأصل تركيبكم، وقد كانت لها حالة رطوبة وحياة.

وقال ابن عمر وابن عباس والحسن وأكثر المفسرين في قوله: ﴿أو خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾: أنه الموت[(٥)]. وقالوا: ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من

---

(١) في الأصل: وتفتت. والتصويب من الوسيط (٣/ ١١١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١١١).

(٣) جَسَا الرَّجلُ جَسْواً وجُسُوّاً: صَلُبَ (اللسان مادة: جسا).

(٤) في الأصل: كأرض.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٩٨) عن ابن عمر. ومن طريق آخر عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الحسن. وأخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١١٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٣) كلاهما عن ابن عمر، والحاكم (٢/ ٣٩٤) عن ابن عباس، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩٢٥) عن الحسن.
وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٠) وعزاه لابن أبي شيبة وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عمر. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لعبدالله بن =

الموت، أي: لو كنتم الموت لأميتنكم ولأبعثنكم.

قوله تعالى: ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم﴾ أي: يحركونها تعجباً واستهزاء.

قال الشاعر:

لما رأتني أنغَضَتْ ليَ الرأسا[1]

وقال آخر:

ونغَضَت مِنْ هرمٍ أسنانُها[2]

﴿ويقولون﴾ على وجه السخرية والاستهزاء: ﴿متى هو قل عسى أن يكون قريباً﴾ أي: هو قريب؛ لأن «عسى» من الله واجب.

ثم بَيَّنَ متى يكون فقال: ﴿يوم يدعوكم﴾ وذلك بالنداء والنفخ في الصور للبعث، كما قال: ﴿يوم يناد المناد من مكان قريب﴾ [ق:٤١].

و«يدعوكم» في محل الجر بإضافة «يوم» إليه، وقوله: ﴿فتستجيبون﴾ عطف عليه، وقوله: ﴿وتظنون﴾ وما في خبره في محل الحال، تقديره: وحالكم إذ ذاك إن تظنون إن لبثتم إلا قليلاً و«قليلاً» نصب على الظرف، أي: إلا زماناً قليلاً، فحذف الموصوف وأقيم الصفة مقامه.

قوله تعالى: ﴿فتستجيبون﴾ أي: تستجيبون طائعين منقادين ﴿بحمده﴾ في محل

= أحمد في زوائد الزهد وابن جرير والحاكم، ومن طريق آخر عن الحسن وعزاه لأبي الشيخ في العظمة.

(١) الرجز في: الطبري (١٥/ ١٠٠)، والقرطبي (١٠/ ٢٧٥)، والدر المصون (٤/ ٣٩٨).

(٢) الرجز في: مجاز القرآن (١/ ٣٨٢)، والمصادر السابقة.

الحال[١]، أي: حامدين، وهو تقرير لمعنى [انقيادهم][٢]، كأنهم ألجأهم القهرُ والقسرُ إلى الحمد والثناء على الله، إظهاراً للرغبة في إجابته حيث لا ينفعهم ذلك.

قال سعيد بن جبير: يخرجون من قبورهم وهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك[٣].

وقال ابن عباس: «بحمده»: بأمره[٤].

وقال قتادة: بمعرفته وطاعته[٥].

وقيل: يستجيبون بحمده لا بحمد أنفسكم.

﴿وتظنون﴾ لفظاعة منظر القيامة وشدة أهوالها وطول عذابكم فيها ﴿إن لبثتم إلا قليلاً﴾ أي: إن لبثتم في الدنيا.

وقيل: في القبور.

ومن المفسرين من يقول: إن الخطاب بقوله: «يوم يدعوكم» للمؤمنين،

---

(١) التبيان (٢/ ٩٣)، والدر المصون (٤/ ٣٩٩).

(٢) في الأصل: انقادهم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وهذا المعنى قريب من اختيار ابن جرير، قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال معناه: فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته ودعاءه إياكم، ولله الحمد في كل حال (الطبري ١٥/ ١٠١).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

استدلالاً بقوله: ﴿فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم﴾ في البرزخ إلا قليلاً؛ لأنهم منعمون في قبورهم، وأيام [السرور][1] قصار.

وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا منشرهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن»[2].

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿وقل لعبادي﴾ قال ابن عباس: شكا أصحاب رسول الله ﷺ إليه ما يلقون من أذى المشركين قولاً وفعلاً، فنزلت هذه الآية[3].

وقال مقاتل[4]: شَتَمَ رجل من الكفار عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فَهَمَّ به عمر، فنزلت هذه الآية.

والمعنى: وقل لعبادي يقولون الكلمة التي هي أحسن وألين.

قال الحسن: يقول له: يهديك الله، يرحمك الله[5].

قال بعض العلماء: أُمروا بمجاملة الكفار وتحسين خطابهم، ثم نُسخ ذلك بآية

---

(١) في الأصل: السور.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ١١١)، والطبراني في الأوسط (٩/ ١٨١ ح٩٤٧٨).

(٣) زاد المسير (٥/ ٤٦)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٢٩٥) من قول الكلبي.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٦١). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٩٥)، وزاد المسير (٥/ ٤٦).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠١) وعزاه لابن جرير.

السيف[١].

قال الأخفش: وقوله: ﴿يقولوا﴾ مثل قوله: ﴿يقيموا الصلاة﴾[٢]. وقد سبق القول على إعرابه في إبراهيم[٣].

﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ يُحرّش بينهم ويُفسد ويُغري بعضهم ببعض.

﴿إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً﴾ سبق تفسيره[٤].

﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ٥٤ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿ربكم أعلم بكم﴾ جائز أن يكون خطاباً للمؤمنين، وجائز أن يكون خطاباً للكافرين، وجائز أن يكون عاماً.

فإن كان الأول؛ فالمعنى: ربكم أعلم بمصالحكم.

﴿إن يشأ يرحمكم﴾ بالنجاة من أهل مكة، ﴿وإن يشأ يعذبكم﴾ بتسليطهم عليكم. وهذا معنى قول ابن عباس[٥].

وقال الحسن: إن يشأ يرحمكم بالتوبة، وإن يشأ يعذبكم بالإقامة على

---

(١) زاد المسير (٥/ ٤٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) آية رقم: ٣١.

(٤) في سورة النساء عند الآية رقم: ١٠١.

(٥) الوسيط (٣/ ١١٢)، وزاد المسير (٥/ ٤٧).

الذنوب[(١)].

وإن كان الثاني؛ فالمعنى: إن يشأ يرحمكم بالهداية إلى الإيمان، أو إن يشأ يعذبكم بالإقامة على الكفر[(٢)]، وهو قول مقاتل[(٣)].

وقيل: فَسَّر «التي هي أحسن» بقوله: «ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم»، أي: قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها، ولا تقولوا لهم: إنكم من أهل النار وأنكم معذبون، وما أشبه ذلك، مما يغيظهم ويُهيجهم على الشر.

وقوله: ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ اعتراض.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً﴾ أي: حافظاً ورباً موكلاً إليك أمرهم، تقهرهم على الإيمان وتضطرهم إليه، إنما أنت بشير ونذير، فمر أصحابك بالمجاملة واحتمال الأذى وترك المشاقة، وذلك قبل نزول آية السيف.

وقيل: المعنى: وكيلاً بهدايتهم، كفيلاً بها، وقادراً على إصلاح قلوبهم، فلا نسخ[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾ أي: أعلم بمقاديرهم وأحوالهم وأهل الهداية والضلالة، ومن ينهض بأعباء الرسالة.

وفي هذا رد على استبعادهم وإنكارهم اختصاص يتيم أبي طالب بالنبوة

---

(١) زاد المسير (٥/ ٤٧).

(٢) بمعناه عند الطبري (١٥/ ١٠٢) عن ابن جريج، والسيوطي في الدر (٥/ ٣٠٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٦١).

(٤) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١١٦)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٤٤)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٩٢).

والصفاء، والموالي؛ كصهيب، وخباب، وعمار، وبلال بالهدى، دون صناديدهم وقادتهم.

﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ فخلق آدم بيده، ورفع إدريس مكاناً علياً، وجعل الذرية لنوح، ورفع محمداً ﷺ فوق السماوات السبع.

قال قتادة: اتَّخَذَ الله إبراهيم خليلاً، وكَلَّمَ موسى تكليماً، وجعل عيسى كلمته وروحه، وآتى سليمان مُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبوراً. فكنا نحدث أنه تحميد وتمجيد الله، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود[١].

وفي قوله: ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ تنبيه على تفضيل أصحاب الكتب.

قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ أي: قل يا محمد لكفار قريش: ادعوا الذين زعمتم من دونه أنها آلهة قد تكشف عنكم العذاب، وذلك أنهم شكوا إلى رسول الله ﷺ جهد القحط الذي أصابهم سبع سنين.

﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾ أي: لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر الذي أصابكم، ولا يُحَوِّلُوهُ إلى غيركم.

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون﴾ قال ابن مسعود: كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجن ولم يعلم الذين كانوا يعبدونهم بإسلامهم، فتمسكوا بعبادتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ يعني: الجن الذين يعبدونهم[١].

فعلى هذا القول: يكون المشار إليهم بقوله: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ هم الجن.

وقال ابن عباس في رواية مجاهد: «أولئك» إشارة إلى عيسى وأمه وعزير والملائكة[٢].

وقال في رواية أخرى: ثم ذكر الله أولياءه فقال: «أولئك الذين يدعون»، جعله مستقطعاً مما قبله.

وقوله: «أولئك» مبتدأ، «الذين يدعون» صفته، «يبتغون» خبره[٣].

والمعنى: يبتغون إلى ربهم الوسيلة، أي: القربة.

﴿أيهم﴾ بدل من واو «يبتغون»[٤]، أي: يبتغي من هو أقرب منهم وأزلف

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٤٧)، والنسائي في سننه (٦/ ٣٧٩)، والحاكم (٢/ ٣٩٤)، والطبري (١٥/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٥) وعزاه لعبدالرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة والبخاري والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠٥)، ومجاهد (ص:٣٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٥-٣٠٦) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) انظر: الدر المصون (٤/ ٤٠٠).

(٤) مثل السابق.

الوسيلة إلى الله، فكيف بغير الأقرب؟.

وقيل: «أيهم» رفع بالابتداء، و«أقرب» خبره[(١)]. ويكون المعنى: ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به.

﴿ويرجون رحمته﴾ أي: جنته ﴿ويخافون عذابه﴾ فكيف يكونُ وهُم بهذه المثابة آلهة؟.

﴿إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ حقيقاً بأن تحذره الملائكة المقربون والأنبياء والمرسلون، فكيف بغيرهم؟.

وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿وإن من قرية﴾ أي: وما من قرية ﴿إلا نحن مهلكوها﴾ مستأصلوها بالفناء ﴿أو معذبوها﴾ بالقتل وأنواع البلاء.

وقيل: الهلاك للصالحة، والعذاب للطالحة.

﴿كان ذلك في الكتاب﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿مسطوراً﴾ مكتوباً.

قال الضحاك: أما مكة فتخربها الحبشة، وتهلك المدينة بالجوع، والبصرة بالغرق، والكوفة بالترك، والجبال بالصواعق [والرواجف][(٢)].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٩٣)، والدر المصون (٤/ ٤٠٠).

(٢) تفسير أبي السعود (٥/ ١٨٠). وما بين المعكوفين في الأصل: والراجف، والتصويب منه.

قوله تعالى :﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ سبب نزولها: أن أهل مكة قالوا: يا محمد اجعل لنا الصفا ذهباً، وسيِّر الجبال عنا، ونحن نؤمن بك، فأتاه جبريل فقال: إن شئتَ كان ما سأل قومك، ولكنهم إن لم يؤمنوا لم يُمْهَلُوا، وإن شئت استأنيت بهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ التي اقترحوها[1]، ﴿إلا أن كذب بها الأولون﴾ فاستأصلناهم بالعذاب، وهذه سُنّتنا في مقترحي الآيات على رسلنا إذا قابلوها بالجحد والعناد.

قال الزجاج[2]: «أن» الأولى نصب، و«أن» الثانية رفع. المعنى: ما منعنا الإرسال إلا تكذيب الأولين.

﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ آية بينة واضحة [تبصرهم وتبين][3] لهم، ﴿فظلموا بها﴾ أي: فكفروا بها.

وقيل: ظَلَمُوا أنفسهم بتكذيبها.

وقال الأخفش[4]: بها كان ظلمهم.

﴿وما نرسل بالآيات﴾ الموجبة للعِبَر والعِظات.

قال الحسن: هو الموت الذريع[5].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠٨). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٩٥-٢٩٦)، والحاكم (٢/ ٣٩٤)، وأحمد في المسند (١/ ٢٥٨)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٨٠)، والضياء في الأحاديث المختارة (١٠/ ٧٨-٧٩) كلهم عن ابن عباس.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٤٧).

(٣) في الأصل: نبصرهم ونبين.

(٤) معاني الأخفش (ص:٢٤١).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠٩)، وأحمد في الزهد (ص:٣٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٨) =

وقال الإمام أحمد: هي تَقَلُّب أحوال الإنسان من صغر إلى شباب، ثم إلى كهولة، ثم إلى مشيب؛ ليعتبر بتقلب أحواله فيخاف عاقبة أمره[١].

﴿إلا تخويفاً﴾ للعباد.

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ أي: واذكر إذ قلنا لك وأنت بمكة مبشرين بوقعة بدر وبفتح مكة، وغير ذلك من أسباب نصرك وأمارات ظهورك، أن ربك أحاط بالناس أهل مكة، فهم في قبضتك وتظهر عليهم.

وقال ابن عباس: أحاط علمه بالناس[٢].

وقال مجاهد: أحاطت قدرته بالناس[٣].

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ يعني: ليلة الإسراء.

قال ابن عباس: هي رؤيا عينٍ رآها ليلة أُسري به[٤]، وهذا قول الحسن

= وعزاه لسعيد بن منصور وأحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت وابن جرير وابن المنذر.

(١) الماوردي (٣/ ٢٥٢)، وزاد المسير (٥/ ٥٢).

(٢) الماوردي (٣/ ٢٥٣) من قول الكلبي، وزاد المسير (٥/ ٥٢).

(٣) الماوردي (٣/ ٢٥٣)، وزاد المسير (٥/ ٥٣).

(٤) وهذا القول هو الراجح، رجحه ابن جرير (١٥/ ١١٣) وغيره.

وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة ومسروق والنخعي وقتادة والأكثرين[(١)].

قال ابن الأنباري[(٢)]: المختار في هذه الرؤيا أن تكون يقظة، ولا فرق بين أن يقول القائل: رأيت فلاناً رؤية، ورأيته رؤيا.

وروي عن ابن عباس: أنها رؤياه التي رأى في منامه أنه يدخل مكة هو وأصحابه وهو يومئذ بالمدينة، فعجل قبل الأجل، فردَّهُ المشركون عام الحديبية، فاشرأبّ النفاق وقام على ساق، قالوا: أين رؤياه التي رأى[(٣)]؟.

قال أبو سليمان الدمشقي[(٤)]: إنما ذكر هذا ابن عباس على وجه الزيادة في الإخبار لنا أن المشركين بمكة افتتنوا برؤيا عينه، والمنافقين برؤيا نومه.

﴿إلا فتنة للناس﴾ بلاء واختباراً، وكانت تلك الرؤيا مزلَّةً للأقدام، [ومدحضة][(٥)] للأفهام، فارتدَّ ناس ممن أسلم، وتزلزل آخرون. وأما ذووا البصائر وأرباب الألباب، وأصحاب الأقدام الراسخة في الإيمان؛ -كأبي بكر الصديق رضي الله عنه- فلم يزدهم ذلك إلا ثباتاً في دينهم وتحقيقاً في يقينهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٤١٢)، والترمذي (٥/ ٣٠٢)، والنسائي (٦/ ٣٨١)، وأحمد (١/ ٢٢١)، والحاكم (٢/ ٣٩٤)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٥٠)، والطبري (١٥/ ١١٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٨) وعزاه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وأحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٥٣).

(٣) تفسير الماوردي (٣/ ٢٥٣)، وزاد المسير (٥/ ٥٣-٥٤).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٥٤).

(٥) في الأصل: ومدحظة.

﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: هي شجرة الزقوم[١].

وفي الآية تقديم وتأخير، تقديره: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس.

وكان افتتانهم بالشجرة حين سمعوا قوله: ﴿إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم﴾ [الدخان:٤٣-٤٤]، وقوله: ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ [الصافات:٦٤] إذ قالوا: يزعم محمد أن الجحيم يحرق الحجارة، ثم يقول: تَنْبُتُ فيها شجرة.

وقال ابن الزِّبعرى[٢]: ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد بلسان بَرْبَرْ، فقال أبو جهل: يا جارية، أبغينا تمراً وزبداً، فجاءته به، فقال لمن حوله: تزقّموا من هذا الذي يُخوِّفُكُم به محمد[٣].

وقد روى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن المأمون، عن الرشيد، عن سفيان بن

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١١٣-١١٤)، ومجاهد (ص:٣٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس. وقد نقل الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٢٤٠) عن ابن كثير إجماع أهل التأويل على ذلك، فلا اعتبار بغيرهم معهم. قلت: وساق ابن جرير الإجماع فيه (١٥/ ١١٥).

(٢) عبدالله بن الزِّبَعْرى بن قيس السهمي القرشي، أبو سعد، شاعر قريش في الجاهلية، كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة فهرب إلى نجران، فقال فيه حسان أبياتاً، فلما بلغته عاد إلى مكة، فأسلم واعتذر، ومدح النبي ﷺ، فأمر له بحُلّة (انظر: الأعلام ٤/ ٨٧).

(٣) الوسيط (٣/ ١١٤)، وزاد المسير (٥/ ٥٥).

عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان[١]، عن سعيد بن المسيب في قول الله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ قال: أريَ بني أمية على المنابر، فساءه ذلك، فقيل له: إنها الدنيا يعطونها، فسري عنه[٢].

«إلا فتنة للناس»: قال: بلاء للناس.

وروى عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد[٣]، عن أبيه[٤]، عن جده[٥] قال: «رأى رسول الله ﷺ بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكاً حتى مات، فأنزل الله: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾»[٦].

---

(١) علي بن زيد بن جدعان، أبو الحسن التيمي القرشي البصري الأعمى، عالم البصرة، مات سنة تسع وعشرين ومائة (تذكرة الحفاظ ١/ ١٤٠-١٤١، وطبقات الحفاظ ص:٦٥).

(٢) أخرجه الثعلبي (٦/ ١١١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٥٤) ثم قال: مثل هذا لا يصح، لكن ذكره عامة المفسرين.

(٣) عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي الأنصاري المدني. ضعيف، قال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة، مات بعد السبعين ومائة (تهذيب التهذيب ٦/ ٣٨٣، والتقريب ص:٣٦٦).

(٤) عباس بن سهل بن سعد بن مالك الساعدي. أدرك زمن عثمان، كان ثقة قليل الحديث، توفي بالمدينة في حدود العشرين ومائة (تهذيب التهذيب ٥/ ١٠٤، والتقريب ص:٢٩٣).

(٥) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي، أبو العباس، ويقال: أبو يحيى، مات سنة ثمان وثمانين، وقد جاز المائة (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٢١، والتقريب ص:٢٥٧).

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ١١٢-١١٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٩) وعزاه لابن جرير. ولم يصح هذا الأثر، وسنده ضعيف جداً، ففي سنده محمد بن الحسن بن زياد، وهو متروك، وكذا =

وروى حديث سعيد بن المسيب؛ ابن الجوزي في زاد المسير[١].

وقال أيضاً[٢]: روى ابن الأنباري: أن سعيد بن المسيب قال: «رأى رسول الله ﷺ قوماً على منابر، فَشَقَّ عليه ذلك، وفيه نزل: ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾»[٣].

والأول هو القول الصحيح.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا السرخسي، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس «في قوله: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس. قال: والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم»[٤]. هذا حديث صحيح.

وقال صاحب الكشاف[٥]: قيل: رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان بالكرة. وذكر نحو ذلك الماوردي[٦] وغيره.

= شيخه عبدالمهيمن بن عباس بن سهل ضعيف جداً، وضعّف الأثر الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٢٤٠).

(١) زاد المسير (٥/ ٥٤).

(٢) زاد المسير (٥/ ٥٤).

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٣/ ٢٥٤). والشجرة هنا كناية عن المرأة، والجماعة أولاد المرأة كالأغصان للشجر.

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٣٩ ح٦٢٣٩).

(٥) الكشاف (٢/ ٦٣٢).

(٦) تفسير الماوردي (٣/ ٢٥٣).

قال ابن عباس: الملعونة: المذمومة(١)، وهو معنى قول الزجاج(٢): العرب تقول لكل طعام مكروه وضارٍ: ملْعُون.

وقيل: الملعونة لِمُوكِلها أو أهلها.

وقيل: الملعونة: المبعودة، وهي في أبعد مكان؛ لأنها تخرج في أصل الجحيم.

وقال ابن الأنباري(٣): الملعونة: المبعدة عن منازل أهل الفضل.

ومعنى قوله: ﴿في القرآن﴾ أنها ذكرت في القرآن.

﴿ونخوفهم﴾ مخاوف الدنيا والآخرة، ﴿ فما يزيدهم﴾ التخويف ﴿إلا طغياناً كبيراً﴾ فأنى ينفعهم ما يسألون ويقترحون من الآيات.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أأسجد﴾ استفهام في معنى الاستبعاد، ﴿لمن خلقت طيناً﴾ قال الزجاج(٤): «طيناً» منصوب على وجهين:

أحدهما: التمييز، والمعنى: لمن خلقته من طين.

---

(١) الوسيط (٣/ ١١٥)، وزاد المسير (٥/ ٥٥).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٤٨).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٥٥).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٤٩).

والثاني: على الحال، المعنى: أنشأته في حال كونه من طين[١].

وقال الزمخشري[٢]: «طيناً» حال إما من الموصول، فالعامل فيه «أسجد»، على معنى أأسجد له وهو طين، أي: أصله طين، أو من الراجع إليه من الصلة على: أأسجد لمن كان في وقت خلقه طيناً.

﴿قال أرأيتك﴾ الكاف للخطاب، و ﴿هذا﴾ مفعول به، والمعنى: قال أخبرني عن هذا ﴿الذي كرمتـ﴾ـه ﴿عَلَيَّ﴾ لم فعلت به هذا وأنا خير منه؟ فحذف اختصاراً لدلالة الكلام عليه.

ثم ابتدأ فقال: ﴿لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن﴾ أي: لأستأصلنّ ﴿ذريته﴾ بالإغواء، مِنْ قولهم: احتنكَ الجرادُ ما على الأرض؛ إذا جَرَدَهُ أكلاً، واحتنكَ فلان ما عند فلان من العلم؛ إذا استقصاه[٣].

﴿إلا قليلاً﴾ قال ابن عباس: هم أولياء الله الذين عَصَمَهُم[٤].

فإن قيل: من أين عَلِمَ إبليس أن ذلك [يتسهّل][٥] له؟

قلتُ: إما أن يكون سمعه من الملائكة، أو أخذه من قولهم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ [البقرة:٣٠]، أو لكونه رأى الأب أجوف، فعرف أنه خلقٌ لا يتمالك، أو ظَنَّ ظناً فتحقق. قال الله: ﴿ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه﴾ [سبأ:٢٠].

---

(١) التبيان (٢/ ٩٣)، والدر المصون (٤/ ٤٠٣) وزاد فيه وجهاً ثالثاً: أنه منصوب على إسقاط الخافض، أي: من طين، كما صرح به في الآية الأخرى ﴿وخلقته من طين﴾.

(٢) الكشاف (٢/ ٦٣٢-٦٣٣).

(٣) انظر: اللسان (مادة: حنك).

(٤) الوسيط (٣/ ١١٥)، وزاد المسير (٥/ ٥٧).

(٥) في الأصل: ينفَعِل. والتصويب من الكشاف (٢/ ٦٣٣).

﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿قال اذهب﴾ أي: امْضِ لشأنك وما جرّه سوء اختيارك عليك ﴿فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً﴾ أي: موفراً.

﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ قال ابن عباس: صوته: دعاء كل دَعِيٍّ إلى معصية الله تعالى[1].

وقال مجاهد: الغناء والمزامير[2].

﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ أي: صِحْ عليهم، من الجَلَبَة؛ وهي الصِّياح بالخيالة والرجالة.

قال قتادة: إن له خيلاً ورجالاً من الجن والإنس[3].

والرَّجْل: جمع راجل؛ كَراكِبٍ ورَكْب، وتاجِرٍ وتَجْر، وصاحِبٍ وصَحْب.

وقرأ حفص عن عاصم: «ورجِلِكَ» بكسر الجيم[4]، على أن فَعِلاً بمعنى

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١١٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١١٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٢) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١١٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٥٨).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٦٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٥)، والكشف (٢/ ٤٨)، والنشر =

فاعل، كتَعِبَ وتاعِبٍ.

وقرأ ابن السميفع: «وَرُجَّالَكَ» بتشديد الجيم وألف بعدها(١).

وقرأ أبو المتوكل: «ورِجَالِكَ» بكسر الراء وتخفيف الجيم وألف بعدها أيضاً(٢).

قال الزجاج(٣): المعنى: اجمع عليهم كل ما تقدر من مكايدك.

﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ أي: شاركهم في كل معصية تتعلق بالأموال من المكاسب المحرمة، والإنفاق في المعاصي، ومنع الزكاة والحقوق الواجبة في الأموال.

وقال ابن عباس: هو ما كانوا يحرمونه من أنعامهم(٤).

وأما المشاركة في الأولاد: فكل ولد يتوصل إليه بسبب حرام؛ كالزنا، ودعوى الولد بغير [نسب](٥) شرعي، والتسمية بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس، وما عساه يتسامح به غلاة الرافضة؛ كعبد علي، وأمثال ذلك.

وقال ابن عباس في رواية عنه: هو ما قتلوا من أولادهم(٦).

= (٢/ ٣٠٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٢).

(١) زاد المسير (٥/ ٥٨).

(٢) مثل السابق.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٥٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٢) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

(٥) في الأصل: سبب.

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٢) =

وقال الحسن: قد شاركهم والله في أولادهم، فمَجَّسُوا وهوَّدُوا ونصَّرُوا وصبغوا غير صبغة الإسلام(١).

﴿وعِدْهم﴾ يعني: المواعد الكاذبة، مثل: لا يبعث ولا ينشر، ولا جنة ولا نار، ومثل شفاعة الآلهة، والكرامة على الله بالأنساب الشريفة.

﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ سبق تفسيره في النساء(٢).

وقوله: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ مُفَسّر في الحِجْر(٣).

﴿وكفى بربك وكيلاً﴾ حافظاً لأوليائه وعاصماً لهم من الشيطان وأعوانه.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر﴾ مبتدأ وخبر(٤).

وقيل: إنه متعلق بجواب قولهم: «من يُعيدنا»، فيكون صفة لقوله: «الذي فطركم» أي: يسيرها ويسوقها فيه.

﴿لتبتغوا من فضله﴾ «من» للتبعيض. وقيل: زائدة.

وقيل: التقدير: لتبتغوا مِنْ فضله الخير والرزق.

﴿إنه كان بكم﴾ أيها المؤمنون ﴿رحيماً﴾.

= وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٥٩).

(٢) آية رقم: ١٢٠.

(٣) آية رقم: ٤٢.

(٤) التبيان (٢/ ٩٤).

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾

ثم خاطب المشركين ثم قال: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر﴾ وهو خوف الغرق ﴿ضل﴾ أي: غاب عن أوهامكم وخواطركم ﴿مَنْ تدعون﴾ من الآلهة[1] ﴿إلا إياه﴾ علماً منكم أنه لا مُغيث غيره ولا مُنْجِي سواه.

﴿فلما نجاكم إلى البر﴾ ورأيتم مخايل[2] الخلاص ﴿أعرضتم﴾ عن التوحيد والإخلاص ﴿وكان الإنسان كفوراً﴾ لأنْعُمِ ربه بعد أن أنْعَمَ عليه [بالخروج][3] من كربه.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أفأمنتم﴾ الاستفهام للإنكار، والفاء للعطف على محذوف،

---

(١) من اللطائف: أن بعض الناس قال لبعض الأئمة: أثبت لي وجود الله، ولا تذكر لي الجوهر والعرض. فقال له: هل ركبت البحر؟ قال: نعم، قال: فهل عصفت الريح؟ قال: نعم، قال: فهل أشرفت بك السفينة على الغرق؟ قال: نعم، قال: فهل يئست مِن نفع مَن في السفينة ونحوهم من المخلوقين لك وإنجائهم مما أنت فيه إياك؟ قال: نعم. قال: فهل بقي قلبك متعلقاً بشيء غير أولئك؟ قال: نعم، قال: ذلك هو الله عز وجل. فاستحسن ذلك (انظر: روح المعاني ١٥/ ١١٥).

(٢) أي: علامات.

(٣) في الأصل: بالروح.

تقديره: أنجوْتُم فأمنتم فحملكُم ذلك على الإعراض ﴿أن يخسف بكم جانب البر﴾ سمّاهُ جانباً؛ لأنه يصير بعد الخسف جانباً، أو لكونهم كانوا على ساحل البحر، فساحله جانب البر.

والمعنى: أفأمنتم بعد النجاة من البحر أن يخسف بكم جانب البر وأنتم عليه، فنغيّبكم في التراب، كما لو كنتم في البحر وأردنا [أن][1] نغيبكم في الماء، فإنهما في القدرة سواء.

وفيه تنبيه على أنه يجب على العاقل أن لا يزال خائفاً من الله تعالى حيث كان.

﴿أو يرسل عليكم حاصباً﴾ وهي الريح التي تحصبُ، أي: ترمى بالحصباء، وهي الحصا الصِّغار. قال الفرزدق:

مُستقبلينَ شَمالَ الريحِ تَضْرِبُهُم بحاصِبٍ كَنَديفِ القطنِ منثور[2]

وقال قتادة: الحاصِب: حجارة من السماء[3].

﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلاً﴾ مانعاً ولا صارفاً يصرفه عنكم.

﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه﴾ أي: في قلوبكم ونهيج به دواعيكم ﴿تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح﴾ وهي الريح الشديدة التي لا تمُرُّ على شيء إلا قصَفَتْه.

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) البيت للفرزدق. وهو في: الدر المصون (٤/ ٤٠٧)، واللسان (مادة: زحف)، والطبري (١٥/ ١٢٤، ٢٠/ ١٥١)، والقرطبي (١٠/ ٢٩٢)، وزاد المسير (٥/ ٦١)، وروح المعاني (١٥/ ١١٦، ٢٧/ ٩٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

وقيل: هي التي لها قصف، أي: صوت شديد كأنها تقصف، [أي][(١)]: تتكسّر.

قال عبدالله بن عمرو: ريح العذاب أربع؛ اثنتان في البر واثنتان في البحر، فاللتان في البر: الصَّرْصَر، والعَقِيم، واللتان في البحر: العَاصِف، والقَاصِف[(٢)].

﴿فيغرقكم﴾ وقرأ أبو جعفر بالتاء[(٣)] يعني: الريح، ومثله أبو الجوزاء إلا أنه شدّد[(٤)].

وقد اختلف القُرّاء في هذه الآية، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «أن نخسف»، «أو نرسل»، «أن نعيدكم»، «فنرسل»، «فنغرقكم» بالنون في الخمسة. وقرأهن باقي القراء السبعة بالياء[(٥)]، ووجههما ظاهر.

والمعنى: فيغرقكم بكفركم المُنْعِم عليكم والمُحْسِن إليكم.

﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾ أي: تابعاً بإنكار ولا طالباً لثأر.

---

(١) زيادة من الكشاف (٢/ ٦٣٥).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٣٢٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٦٢)، والسيوطي في الدر (١/ ٣٩٧) وعزاه لأبي عبيد وابن أبي الدنيا في كتاب المطر وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٥).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٦٢).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٦٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٦)، والكشف (٢/ ٤٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٥).

۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ فضّلناهم على سائر الخلق بالعقل، والنطق، والتمييز، وحُسن الصورة، وامتداد القامة وتعديلها، وتسليطهم على سائر المخلوقات وتسخيرها لهم. هذا خلاصة ما ذكره المفسرون[(١)].

وروي عن ابن عباس أنه قال: فُضِّلوا على سائر الخلائق غير طائفة من الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وأشباههم[(٢)].

يريد: تفضيل المؤمنين من بني آدم.

وروي عنه قال: ليس من دابة إلا وهي تأكل بفيها، إلا ابن آدم فإنه يأكل بيده[(٣)].

وروي نحو ذلك عن النبي ﷺ[(٤)].

﴿وحملناهم في البر﴾ على الأكباد الرطبة ﴿والبحر﴾ على الأعواد اليابسة، ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ المآكل المستلذة، والمشارب الهنية، من الثمار والحبوب

---

(١) الوسيط (٣/ ١١٧)، وزاد المسير (٥/ ٦٣).

(٢) زاد المسير (٥/ ٦٢).

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٥/ ١٢٦) عن ابن جريج، والبيهقي في الشعب (٥/ ٧٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٩). وانظر: الوسيط (٣/ ١١٧)، وزاد المسير (٥/ ٦٣). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٥/ ٣١٦) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) ذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٦) وعزاه للحاكم في التاريخ والديلمي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

واللحم والعسل والماء العَذْب.

﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ قال زيد بن أسلم في هذه الآية: قالت الملائكة: ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويتنعمون ولم تعطنا ذلك، فأعطنا في الآخرة، قال: وعزتي وجلالي، لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كُنْ فكان[(١)].

وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده»[(٢)].

يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿يوم ندعوا﴾ أي: اذكر يوم ندعوا، وقيل: انتصب «يوم» بمدلول الفاء من قوله: ﴿فمن أوتي كتابه بيمينه﴾ أي: يعطى كل إنسان كتابه يوم ندعوا.

فإن قيل: هل يجوز أن يعمل فيه «كرّمنا» أو «فضّلناهم»؟

قلت: لا يجوز؛ لأنه فعل ماض، فلا يعمل في المستقبل، والباء في قوله: ﴿بإمامهم﴾ باء الحال[(٣)]، تقديره: ندعوا كل أناس مختلطين بإمامهم أو فيهم

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٥) وعزاه لعبدالرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٠١ ح٣٩٤٧).

(٣) التبيان (٢/ ٩٤)، والدر المصون (٤/ ٤٠٩).

إمامهم. وإن شئت كان متعلقاً بـ«ندعوا»؛ لأن كل إنسان يدعى بإمامه يوم القيامة، فيقال: يا آل فلان.

قال أنس بن مالك وقتادة: بـ«إمامهم» أي: بنَبِيّهم[١]، فيقال: يا أُمّة موسى، يا أُمّة عيسى، يا أُمّة محمد.

وقال الضحاك وابن زيد: بكتابهم الذي أُنزل عليهم[٢].

وقال قتادة: بكتاب عَمَلِهم[٣].

وذهب جماعة إلى أن المعنى: يدعون بما كانوا يأتمون به في الخير والشر[٤].

قال ابن عباس: يدعى كل أناس برئيسهم[٥].

وقال سعيد بن جبير: إمام هدى وإمام ضلالة[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢٦) عن قتادة، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٩) عن أنس، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٣١٧) عن أنس. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٦) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه والخطيب في تاريخه عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢٧). وانظر: الوسيط (٣/ ١١٨)، والماوردي في تفسيره (٣/ ٢٥٨)، وزاد المسير (٥/ ٦٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢٦-١٢٧). وانظر: الماوردي في تفسيره (٣/ ٢٥٨)، وزاد المسير (٥/ ٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٧) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. وهذا القول الراجح عند ابن كثير (٣/ ٥٣) لقوله تعالى: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾.

(٤) وهذا القول هو الذي رجحه الطبري (١٥/ ١٢٧).

(٥) زاد المسير (٥/ ٦٤).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٩). وانظر: الوسيط (٣/ ١١٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٦) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿فمن أوتي كتابه بيمينه﴾ وهم أهل السعادة، يأخذون كتب أعمالهم بأيمانهم، ﴿فأولئك يقرؤون كتابهم﴾.

قال صاحب الكشاف[(١)]: إن قلت: لم خَصَّ أصحاب اليمين بقراءة كتابهم؟ كأن أصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم؟

قلت: بلى، ولكن إذا اطَّلعوا على ما في كتابهم، أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساوئه [أمام][(٢)] التنكيل والانتقام منه، من الحياء والخجل والانخزال، وحبسة اللسان، والتتعتع، والعجز عن إقامة حروف الكلام، والذهاب عن تسوية القول، فكأنّ قراءتهم كَلاَ قراءة.

وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك، لا جرم أنهم يقرؤون كتابهم أحسن قراءة [وأبينها][(٣)]، ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم، حتى يقول القارئ لأهل المحشر: ﴿هاؤم اقرؤوا كتابيه﴾ [الحاقة:١٩].

﴿ولا يظلمون فتيلاً﴾ أي: لا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء.

وقد سبق تفسير الفتيل والنقير والقطمير في سورة النساء[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى﴾ أي: من كان في هذه الدنيا أعمى البصيرة عن النظر في عجائب مخلوقات الله ودلائل قدرته وبراهين وحدانيته ومعجزات رسله، ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ عن طريق الثواب والنجاة من

---

(١) الكشاف (٢/ ٦٣٧-٦٣٨).

(٢) في الأصل: أيام. والتصويب من الكشاف (٢/ ٦٣٧).

(٣) في الأصل: وأثبتها. والتصويب من الكشاف (٢/ ٦٣٨).

(٤) آية رقم: ٤٩.

العذاب؛ لأنه كان في الدنيا بسبيل من النظر والاستدلال وقبول التوبة من الضلال.

قال الزمخشري في هذا المعنى(١): وقد جوّزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل، ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول ممالاً، والثاني [مفخماً](٢)؛ لأن أفعل التفضيل تمامُه بـ«من»، فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام، كقولك: أعمالكم. وأما الأول فلم يتعلق به شيء، فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة.

وقرأ أهل الكوفة بالإمالة فيهما. وقرأ الباقون بالتفخيم(٣) فيهما(٤)، وكلتاهما حسنة.

وقد قيل: المعنى من كان في هذه أعمى عن أنعم الله التي يراها ويشاهدها فهو في الآخرة التي لم يرها عياناً ولم يشاهدها أعمى(٥).

وروي عن ابن عباس أنه قال: فهو في الآخرة أعمى، أي: عما وصف له في

---

(١) الكشاف (٢/ ٦٣٨).

(٢) في الأصل: مقحماً. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) أي: بالفتح.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٦٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٧)، والكشف (١/ ١٨٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٣).

(٥) فائدة: قال ابن الجوزي رحمه الله (٥/ ٦٦): فإن قيل: لِمَ قال: ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ ولم يقل: أشد عمى؛ لأن العمى خلقة بمنزلة الحمرة والزرقة، والعرب تقول: ما أشد سواد زيد، وما أبين زرقة عمرو، وقلّما يقولون: ما أسود زيداً، وما أزرق عمْراً.

الآخرة[١].

وقال أبو بكر الوراق: فهو في الآخرة أعمى عن الجنة[٢].

﴿وأضل سبيلاً﴾ لأنه في الآخرة، وضلال الآخرة لا سبيل إلى المخلص منه.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ «إنْ» مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة، والمعنى: همُّوا وقاربوا أن يصرفوك ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ يعني: القرآن، فإن إعطائهم ما سألوا مخالفة حكم القرآن.

قال ابن عباس: إن وفد ثقيف أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أمْتِعْنا باللات سنةً، وحَرِّم وادينا كما حرّمت مكة، فإنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فأبى ذلك، فأقبلوا يُكثرون المسألة ويقولون: إن خشيتَ أن تقول العرب: أعطيتهم ما لم تُعطِنا، فقل: الله أمرني بذلك، فأمسك رسول الله ﷺ عنهم، وداخلهم الطمع، فنزلت هذه الآية[٣].

﴿لتفتري علينا غيره﴾ أي: لتختلق علينا غير القرآن، وهو قولهم: قل لهم: الله

---

(١) زاد المسير (٥/ ٦٦).

(٢) تفسير الماوردي (٣/ ٢٥٩)، وزاد المسير (٥/ ٦٦).

(٣) الوسيط (٣/ ١١٩-١٢٠)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٢٩٧)، وزاد المسير (٥/ ٦٧).

أمرني بذلك.

﴿وإذاً لاتخذوك خليلاً﴾ أي: لو أجبتهم إلى ما سألوا لاتخذوك ولياً ولأخرجت من ولايتي.

﴿ولولا أن ثبتناك﴾ على الحق بعصمتنا إياك.

«أن» في موضع رفع بالابتداء. أي: لولا تثبيتنا إياك.

وكان أبو سعيد السيرافي يُجوّز دخول «لولا» على الفعل، محتجاً بقول الشاعر:

.... لولا حُدِدْتُ ولا عُذْرِي لمحدُود[١]

قال بعضهم: خفي عليه إضمار «أن» في البيت، وأبطل مذهبه بهذه الآية.

والمعنى: ﴿لقد كدت تركن إليهم﴾ أي: قاربت أن تميل إليهم ﴿شيئاً قليلاً﴾ وهذا من باب التهييج والإلهاب؛ ليزداد ﷺ ثباتاً ورسوخاً في الحق، ويتضمن أيضاً تحذير الأمة من الركون إلى الكفرة، لما نيط به من الوعيد الشديد لمن هو أقرب إلى الله وسيلة على تقدير وجود ذلك منه.

ويروى: أن النبي ﷺ [قال][٢] بعد نزولها: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[٣].

﴿إذاً لأذقناك﴾ لو ركنت إليهم أدنى ركون ﴿ضعف الحياة﴾ على حذف المضاف، تقديره: ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، فحذف المضاف

---

(١) عجز بيت للجموح الظفري، وصدره: (دَرُّكِ إني قد رميتُهُمُ لولا) انظر: اللسان (مادة: عذر).

(٢) في الأصل: كان.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٣١). وانظر: تفسير الماوردي (٣/ ٢٦٠). وهذا الأثر مرسل من مرسلات قتادة.

كقول الشاعر:

.... واستبَّ بعدكَ يا كُليبُ المجلس[١]

والمعنى: ضِعْف ما يعذب به غيرك.

قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ معصوماً، ولكن هذا التخويف لأمته؛ لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه[٢].

وهذه الآية من أعظم الزواجر عن المداهنة في دين الله.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإن كادوا﴾ يعني: أهل مكة، في قول الحسن ومجاهد[٣]، ﴿ليستفزونك﴾ ليزعجونك بعدوانهم ومكرهم من أرض مكة.

قال قتادة: لو فعلوا ذلك ما نوظروا، ولكن الله كَفَّهم عن إخراجه حتى أمره بالخروج[٤].

وقيل: المعنى: ليعدمونك ﴿من الأرض﴾ كلها، فإنهم هَمُّوا بقتله.

---

(١) عجز بيت للمهلهل في رثاء أخيه كليب، وصدره: (ذهب الخيار من المعاشر كلهم).
ويروى صدر البيت: (نبئت أن النار بعدك أوقدت). انظر: زاد المسير (٥/ ٦٩).

(٢) الوسيط (٣/ ١٢٠)، وزاد المسير (٥/ ٦٩).

(٣) زاد المسير (٥/ ٧٠).

(٤) الوسيط (٣/ ١٢٠)، وزاد المسير (٥/ ٧٠).

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: وإن كادوا يهود المدينة ليستفزونك من أرض المدينة حسداً لك وكراهية لما جئت به.

قال ابن عباس: قالوا له: لقد علمتَ ما هذه أرض الأنبياء، وإن أرض الأنبياء الشام، فإن كنت نبياً فائت الشام، فنزلت هذه الآية[١].

﴿وإذاً لا يلبثون خَلْفَكَ﴾ وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة إلا أبا بكر: «خلافك»[٢]، وهما بمعنى واحد، وأنشدوا:

تمنّى رجالٌ أن أموتَ وإن أمُتْ ....

وقد سبق إنشاد البيتين.

والمعنى: لو أخرجوك لاستأصلناهم وأهلكناهم.

قال المفسرون: وقد فعل الله بهم ذلك فأهلك أهل مكة ببدر بعد إخراجه بزمان قليل[٣].

وقال ابن الأنباري[٤]: معنى: «لا يلبثون خلافك» على خلافك ومخالفتك، فسقط حرف الخفض.

---

(١) زاد المسير (٥/ ٦٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٦٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٨)، والكشف (٢/ ٥٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٣-٣٨٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٣٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤١) كلاهما عن قتادة. وانظر: الماوردي في تفسيره (٣/ ٢٦١)، وزاد المسير (٥/ ٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٢٠) وعزاه لعبدالرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٧٠-٧١).

وقرأ أبو رزين: «خُلاّفُك» بضم الخاء وتشديد اللام ورفع الفاء[١].

قوله تعالى: ﴿سنّة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ قال الزمخشري[٢]: أي: نَعِدُهُم سُنَّة من قد أرسلنا، إشارة إلى أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم، فسنَّة الله أن يهلكهم، ونصبت نصب المصدر المؤكد، أي: سَنَّ اللهُ ذلك سُنَّة، ﴿ولا تجد لسنّتنا تحويلاً﴾.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ قال الزجاج[٣]: ميلها وقت الظهيرة دلوك.

فإن أريد بالدلوك الأول، -وهو قول ابن عمر وأبي برزة وأبي هريرة والحسن ومجاهد وقتادة وجعفر بن محمد والأكثرين-، فتكون الآية جامعة للصلوات الخمس؛ لأن قوله: ﴿لدلوك الشمس إلى غسق الليل﴾ يشمل الظهر والعصر والمغرب والعشاء[٤].

﴿وقرآن الفجر﴾ صلاة الفجر، على معنى: وأقم صلاة الفجر، وإن أريد الثاني

---

(١) زاد المسير (٥/ ٧١).

(٢) الكشاف (٢/ ٦٤١).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٥٥).

(٤) زاد المسير (٥/ ٧٢).

-وهو قول ابن مسعود والنخعي واختيار ابن قتيبة، وعن ابن عباس كالقولين- فيكون المراد بذلك صلاة المغرب إلى غسق الليل، وهو ظلمته(١).

قال القاضي أبو يعلى: يحتمل أن يكون المراد: بيان وقت المغرب أنه من غروب الشمس إلى غسق الليل(٢).

وقال الحسن: يريد المغرب والعشاء(٣).

وقال الزجاج(٤) في قوله: ﴿وقرآن الفجر﴾ فائدة عظيمة، وهي: أن الصلاة لا تكون إلا [بقراءة](٥) حين سميت الصلاة قرآناً.

﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « فضل الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر. يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ »(٦).

قوله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ قال مجاهد: التَّهَجُّدُ: القيام بعد النوم(٧).

---

(١) زاد المسير (٥/ ٧٢-٧٣).

(٢) زاد المسير (٥/ ٧٣).

(٣) مثل السابق.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٥٥-٢٥٦).

(٥) في الأصل: بقرآن. والتصويب من معاني الزجاج (٣/ ٢٥٥).

(٦) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٤٨ ح٤٤٤٠)، ومسلم (١/ ٤٥٠ ح٦٤٩).

(٧) الوسيط (٣/ ١٢١)، وزاد المسير (٥/ ٧٤).

قال الأزهري[١]: قيل له: مُتَهَجِّد؛ لإلقائه [الهجود][٢] عن نفسه، كما يقال: تَحَرَّجَ، وتَأَثَّمَ، وتَحَوَّبَ.

وقال ابن الأنباري[٣]: المتهجد هاهنا بمعنى: التيقظ والسهر، واللغويون يقولون: هو من حروف الأضداد، يقال للنائم: هاجِدٌ ومُتَهَجِّدٌ. قال النابغة:

[لو][٤] أنها عَرَضَتْ لأشْمَطَ راهبٍ عَبَدَ الإلهَ صَرُورةٍ متهجِّدِ

لَرَنَا لبهْجَتِها وحُسْنِ حديثها ولخالَهُ رُشْداً وإن لم يَرْشدِ[٥]

والمعنى: ومن الليل فَصَلِّ بالقرآن نافلة لك.

قال ابن عباس: فريضة [عليك][٦]، وقال: أُمِرَ النبي ﷺ بقيام الليل خاصة وكتب عليه[٧]، فيكون المعنى: عبادة مفترضة زائدة على الصلوات الخمس.

قال مجاهد: النافلة للنبي ﷺ خاصة من أجل أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما

---

(١) تهذيب اللغة (٦/ ٣٧).

(٢) في الأصل: المهجود. والتصويب من تهذيب اللغة، الموضع السابق.

(٣) انظر: الطبري (١٥/ ١٤١)، وزاد المسير (٥/ ٧٤).

(٤) في الأصل: ولولا. والتصويب من مصادر تخريج البيت.

(٥) البيتان للنابغة. انظر: ديوانه (ص:٤١). وانظر البيت الأول في: اللسان، مادة: (صرر، بتل)، ونسبه في الموضع الثاني لربيعة بن مقروم الضبي.

وانظر البيت الثاني في: اللسان (مادة: تمر)، وهو فيه:

لدنا لبهجتها وحسن حديثها ولهَمَّ من تامُوره يتنزَّل

وانظر البيتان في: القرطبي (٦/ ٢٥٨)، وزاد المسير (٥/ ٧٤).

(٦) في الأصل: ذلك. والتصويب من زاد المسير (٥/ ٧٥).

(٧) زاد المسير (٥/ ٧٥).

تأخر، فما عمل من عمل سوى المكتوبة فهو نافلة له[(١)].

وقيل: يشير بذلك إلى أنها شُرعت في حقه لرفع الدرجات لا [للكفارات][(٢)]، وفي حق غيره للكفارات ومحو السيئات.

و«نافلة» نصب على المصدر بتقدير وضعه موضع «تهجد»، أو بتقدير وضع «تَهجَّد به» موضع تنفّل.

و«نافلة» بمعنى: تنفل.

﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال الزمخشري[(٣)]: «مقاماً محموداً» نصب على الظرف، أي: عسى أن يبعثك فيقيمك مقاماً محموداً، أو ضمّن «يبعثك» معنى: يقيمك، ويجوز أن يكون حالاً بمعنى: أن يبعثك ذا مقام محمود.

والمعنى: مقاماً يحمده عليه جميع أهل الموقف، بما يظهر من علو منزلته وكرامته على ربه عز وجل.

وقد روى ابن عمر عن النبي ﷺ في قوله عز وجل: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال: ((يجلسه معه على العرش))[(٤)].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ((سألت رسول الله ﷺ عن المقام المحمود فقال: وعدني القعود على العرش)).

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٢٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر ومحمد بن نصر والبيهقي في الدلائل.

(٢) في الأصل: لكفارات.

(٣) الكشاف (٢/ ٦٤٢).

(٤) ذكره الطبري في تفسيره (١٥/ ١٤٥). والديلمي في الفردوس (٣/ ٥٨) من حديث ابن عمر مرفوعاً.

وروى مثله أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وقال عبدالله بن سلام: إذا كان يوم القيامة يؤتى بنبيكم ﷺ فيقعد بين يدي ربه عز وجل على الكرسي[١].

وقال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد في تفسير هذه الآية: يقعده على العرش[٢].

قال ابن عمير: سمعت أحمد بن حنبل سُئِلَ عن حديث مجاهد: « يقعد محمداً على العرش » فقال: قد تلقّته العلماء بالقبول، نسلّم الخبر كما جاء.

وذكر أبو عبدالله ابن بطة في كتاب الإبانة: قال أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد: لو أن حالفاً حلف بالطلاق ثلاثاً أن الله تعالى يقعد محمداً معه على العرش واستفتاني في يمينه لقلت له: صدقتَ في قولك وبررتَ في يمينك، وامرأتك على حالها.

[قال][٣] الأستاذ أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره[٤]: هذا تأويل غير مستحيل؛ لأن الله تعالى كان قبل خلقه الأشياء قائماً بذاته، ثم خلق الأشياء من غير حاجة له إليها، بل إظهاراً لقدرته وحكمته، وخلق لنفسه عرشاً استوى عليه كما شاء بلا كيف، وليس إقعاده محمداً على العرش موجباً له صفة الربوبية، ولا مُخرجاً له عن

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٤٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٢٨) وعزاه لابن جرير. وقد نقل الشوكاني في الفتح (٣/ ٢٥٢) عن النقاش قوله عن أبي داود السجستاني أنه قال: من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم، ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا الحديث.

(٣) في الأصل: قا.

(٤) تفسير الثعلبي (٦/ ١٢٦). وانظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٣١١-٣١٢).

صفة العبودية، بل هو لرفع محله وإظهار شرفه.

وقد روى القاضي أبو يعلى بإسناده عن ابن العلاف الضرير أنه أنشد لنفسه في وقت رد الترمذي الجلوس وقعود النبي ﷺ معه على العرش:

حديث الشفاعة في أحمد إلى أحمد المصطفى نسنده

فأما حديث إقعاده على العرش يرى فلا ننكره

وقد قصد الناس في ذا الحديث إلى كل ما نحن لا نقصده

أمِرُّوا الحديثَ على ما أتى ولا تدخلوا فيه ما يفسده

فإن قيل: فقد روي عن ابن مسعود أيضاً وحذيفة وابن عمر وسلمان الفارسي وجابر بن عبدالله والحسن ومجاهد في رواية عنه: أن المقام المحمود: الشفاعة[(١)].

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قوله عز وجل: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال: «سُئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود، فقال: هو الشفاعة»[(٢)].

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الشفاعة: «فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من وجب عليه الخلود أو حبسه القرآن، وهو المقام المحمود الذي وعده الله عز وجل. [ثم تلا هذه الآية][(٣)] : ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾»[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٤٤)، ومجاهد (ص:٣٦٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٣ ح٣١٣٧).

(٣) زيادة من صحيح البخاري (٦/ ٢٧٠٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٠٨ ح٧٠٠٢)، ومسلم (١/ ١٨٠ ح١٩٣).

قلت: المقام المحمود مطلقٌ في كل ما يجب الحمد للنبي ﷺ من أنواع الكرامات والشفاعة، والقعود على العرش نوعان مما يتناوله الإطلاق، فحينئذ لا منافاة بين القولين، ولا مناقضة بين الروايتين.

وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق﴾ قال ابن عباس: أدخلني القبر مدخل صدق، وأخرجني منه مخرج صدق[1].

كأنه يريد: أدخلني القبر إدخالاً مَرْضِيّاً مُطَهَّراً من السيئات، وأخرجني منه إخراجاً مرضياً، ويؤيد ذلك أنه ذكره على إثر البعث.

وروى ابن عباس أن المعنى: أدخلني المدينة مدخل صدق، وأخرجني من مكة مخرج صدق[2].

وقال الضحاك: أدخلني مكة مدخل صدق وأخرجني منها مخرج صدق،

---

(١) الماوردي في تفسيره (٣/ ٢٦٧)، وزاد المسير (٥/ ٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٤)، وأحمد (١/ ٢٢٣)، والحاكم (٣/ ٤)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٠٩)، والبيهقي في سننه (٩/ ٩)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٩/ ٥٣٥)، والطبري (١٥/ ١٤٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٧٧)، والسيوطي في الدر (٥/ ٣٢٨) وعزاه لأحمد والترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في الدلائل والضياء في المختارة. وهذا القول هو الذي اختاره ابن جرير.

فخرج منها آمناً من المشركين، ودخلها ظاهراً عليهم يوم الفتح[(١)].

وقيل: هو عام في كل ما يلابسه ويدخل فيه.

قال الواحدي[(٢)]: المدخل والمخرج بمعنى المصدر، وإضافتهما إلى الصدق مدح لهما، وكل شيء أضفته إلى الصدق فهو مدح، نحو قوله: ﴿قدم صدق﴾ [يونس:٢] و ﴿مقعد صدق﴾ [القمر:٥٥].

﴿واجعل لي من لدنك﴾ أي: من عندك ﴿سلطاناً﴾ قال الحسن: مُلْكاً قوياً تنصرني به على من ناوأني، وعِزّاً ظاهراً أقيمُ به دينك، قال: [فوعده][(٣)] الله عز وجل لينزعن مُلك فارس والروم وغيرهما فيجعله له[(٤)].

وقال مجاهد وغيره: حُجَّة ظاهرة بيِّنة تنصرني بها على من خالفني[(٥)].

قال ابن الأنباري[(٦)]: ﴿نصيراً﴾ يجوز أن يكون بمعنى: منصوراً، ويصلح أن يكون تأويله: ناصراً.

قال العلماء بالتفسير: فأجيبت دعوته بقوله: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة:٦٧]، وبقوله: ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة:٥٦]، ﴿ليظهره على

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٥٠). وذكره الماوردي (٣/ ٢٦٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٧٧).

(٢) الوسيط (٣/ ١٢٢).

(٣) في الأصل: فعده. وانظر: الطبري (١٥/ ١٥٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ١٥٠).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ١٥١)، ومجاهد (ص:٣٦٨) باختصار. وانظر: الوسيط (٣/ ١٢٢)، والماوردي (٣/ ٢٦٧)، وزاد المسير (٥/ ٧٨).

(٦) زاد المسير (٥/ ٧٨).

الدين كله﴾ [التوبة:٣٣]، ﴿ليستخلفنهم في الأرض﴾[1] [النور:٥٥].

قوله تعالى: ﴿وقل جاء الحق﴾ وهو الإسلام، ﴿وزهق الباطل﴾ اضمحل الشرك وبطل وهلك.

وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود قال: « دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ »[2]. والمعنى: أن الباطل كان مضمحلاً غير ثابت.

وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء﴾ «من» لبيان الجنس، كقوله: ﴿من الأوثان﴾، والمراد: ما هو شفاء للمؤمنين من مرض الشرك والشك، فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى.

﴿ورحمة للمؤمنين﴾ نعمة لهم يفضي بهم إلى السعادة الأبدية، وهي الجنة، ﴿ولا يزيد الظالمين﴾ يعني: المشركين ﴿إلا خساراً﴾ نقصاناً لتكذيبهم وكفرهم.

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ يريد: الكفار.

---

(١) تفسير أبي السعود (٥/ ١٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٨٧٦ ح٢٣٤٦)، ومسلم (٣/ ١٤٠٨ ح١٧٨١).

قال المفسرون: هو الوليد بن المغيرة[1] أنعمنا عليه بسعة الرزق وصحة البدن وكثرة البنين ﴿أعرض﴾ عن ذكر الله كأنه مُستغنٍ عنه، ﴿ونأى بجانبه﴾ تأكيد لمعنى الإعراض، أو يكون مجازاً عن الاستكبار.

وقرأ ابن ذكوان: «وَنَاءَ»[2] على وزن باع.

قال الثعلبي[3]: لها وجهان؛ أحدهما: أنها منقلبة عن ياء، كما يقال: رَأَى ورَاءٍ. والثاني: أنها من النَّوْء، وهو النهوض[4].

وقرأ الكسائي وحمزة في رواية العبسي والعجلي: «ونِإي» بإمالة النون والهمزة، وأمال الهمزة وحدها حمزة في رواية خلاد[5]، وكذلك خلفُهم في التي في السجدة.

﴿وإذا مسه الشر﴾ قال ابن عباس: أصابه مرض أو فقر[6].

﴿كان يؤوساً﴾ آيساً من رحمة الله وروحه. وعدل به إلى بناء فعول للمبالغة.

قوله تعالى: ﴿قل كُلٌّ يعمل على شاكلته﴾ أي: مذهبه وطريقته التي تشاكل

---

(١) الوسيط (٣/ ١٢٤)، وزاد المسير (٥/ ٨٠).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٦٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٨)، والكشف (٢/ ٥٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٤).

(٣) تفسير الثعلبي (٦/ ١٢٩).

(٤) انظر: اللسان (مادة: نوأ).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٩)، والكشف (١/ ١٨٨-١٨٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٤).

(٦) الوسيط (٣/ ١٢٤)، وزاد المسير (٥/ ٨٠).

أخلاقه من الهدى أو الضلال، والصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والإعراض عند النعمة، واليأس عند الشدة.

﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ أمثلُ طريقة وأسدُّ مذهباً.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا حدثنا عمر بن حفص بن غياث[1]، حدثنا أبي[2]، حدثنا الأعمش، حدثني إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: « بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عَسيب[3] إذ مرَّ اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح؟ فقال: ما رابكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم

---

(١) عمر بن حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي، أبو حفص الكوفي، ثقة صدوق وربما وهم، مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٧/ ٣٨١، والتقريب ص:٤١١).

(٢) حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك بن الحارث بن ثعلبة النخعي، أبو عمر الكوفي، ثقة فقيه، تغير حفظه قليل في الآخر، ولاّه الرشيد قضاء الشرقية ببغداد، ثم عزله وولاه قضاء الكوفة، مات في عشر ذي الحجة سنة أربع أو خمس أو ست وتسعين، وقد قارب الثمانين (تهذيب التهذيب ٢/ ٣٥٨-٣٥٩، والتقريب ص:١٧٣).

(٣) العَسِيب: جريد النخل إذا نُحِّيَ عنه خُوصه (اللسان، مادة: عسب).

يردّ عليهم شيئاً، فعلمتُ أنه يوحى إليه، فقمتُ مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾»[1].

وأخرجه أيضاً مسلم عن عمر بن حفص.

قال ابن عباس: قالت اليهود لقريش: سلوا محمداً عن ثلاث، فإن أخبركم باثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي، سَلُوهُ عن فتية فُقِدُوا، وسَلُوهُ عن ذي القرنين، وسَلُوهُ عن الرُّوح، فسألوه عنها، ففسَّر لهم أمر الفتية في الكهف، وفسَّر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح، وذلك أنه ليس في التوراة قصته، ونزلت هذه الآية[2].

فعلى هذا؛ المراد بالروح: ما تقوم به حياة الحيوان.

وروي عن علي ...[3].

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٤٩ ح٤٤٤٤)، ومسلم (٤/ ٢١٥٢ ح٢٧٩٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٥٥) عن قتادة. وانظر: الوسيط (٣/ ١٢٥)، وزاد المسير (٥/ ٨١)، وأسباب النزول للواحدي (ص: ٣٠٠).

(٣) سقط من مصورة الأصل قدر لوحة.

وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

... [١] ابن عباس: السنون ونقص من الثمرات[٢].

وقال في رواية أخرى: البحر والجبل الذي نُتِقَ فوقهم[٣].

وقال سعيد بن جبير: الحجر والبحر[٤].

وقال محمد بن كعب: فلق البحر والطمسة[٥].

وقد أخرج أبو داود من حديث صفوان بن عسال: «أن يهودياً قال لصاحبه: تعال حتى نسأل هذا النبي، فقال الآخر: لا تقل إنه نبي، فإنه لو سمع ذلك صارت له أربعة أعين، فأتياه فسألاه عن تسع آيات بينات، فقال: لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تأكلوا الربا، ولا تمشوا بالبريء إلى السلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تَفِرُّوا من الزحف، وعليكم خاصة [يا معشر][٦] اليهود أن لا تعدوا في السبت، قال:

---

(١) الكلام هنا على آيات موسى التسع عند قوله: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات﴾، وقد اتفق المفسرون على سبع منها، والآيتان الباقيتان اختلفوا فيها على أقوال.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٧٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٤٣) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) زاد المسير (٥/ ٩٢).

(٤) مثل السابق.

(٥) مثل السابق.

(٦) زيادة من الترمذي (٥/ ٣٠٥).

فقبّلا يده وقالا: نشهد أنك نبي»[(١)].

وأخرج الإمام أحمد في المسند وزاد فيه: «فقبّلا يده ورجليه، وقالا: نشهد أنك نبي، قال: فما يمنعكما أن تتبعاني؟ قالا: إن داود دعا أن لا يزال من ذريته نبي، وإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود»[(٢)].

﴿فاسأل بني إسرائيل﴾ قال ابن عباس: يريد المؤمنين من قريظة والنضير[(٣)].

المعنى: اسألهم عن الآيات ليزدادوا طُمأنينة ويقيناً، وليظهر لعامة اليهود بقول علمائهم صدق ما أتيت به، فيكون حُجّة عليهم.

وقوله: ﴿إذ جاءهم﴾ متعلق بـ«آتينا»، أو بإضمار اذكُر، على معنى: «إذ جاءهم».

وقيل: المعنى: ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقلنا له: اسأل بني إسرائيل، أي: سلْهم من فرعون ليرسلهم معك، [واسألهم][(٤)] عن إيمانهم وحال دينهم، وهل هم على ما كان عليه آباؤهم الكرام من دين التوحيد، أو غيَّرهم الأمة الباغية والدولة الطاغية. أو يكون المعنى: سَلْ بني إسرائيل المعاضدة والمناصرة.

فعلى هذا يكون قوله: «إذ جاءهم» متعلقاً بالقول المحذوف.

وقرأ ابن عباس: «فَسَالَ» على صيغة الماضي من غير همز، وهي قراءة مروية

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٥ ح٣١٤٤).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٣٩).

(٣) الوسيط (٣/ ١٣١).

(٤) في الأصل: وسألهم.

عن النبي ﷺ[١]، على معنى: فسأل موسى بني إسرائيل إذ جاءهم أن يكونوا معه يداً واحدة على إظهار أمر الله تعالى. أو يكون المعنى: فسأل موسى فرعون بني إسرائيل أن يرسلهم معه، فيكون «إذ جاءهم» متعلقاً بـ«سأل».

﴿فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً﴾ سُحرت فخولط عقلك حتى تهجمت عليّ، مع عزّ سلطاني وكثرة أعواني، وأنت وحيدٌ ضعيفٌ مَهين، تسألني سؤال متسلط قاهر ظاهر.

وقال أبو عبيدة والفراء[٢]: المسحور بمعنى الساحر؛ كالمشؤوم والميمون.

ثم قال يعني موسى لفرعون: ﴿لقد عَلِمْتَ﴾ وقرأ الكسائي: «علمتُ» بضم التاء[٣]، وهي قراءة علي رضي الله عنه، واختيار ثعلب[٤].

قال علي عليه السلام: والله ما علم عدو الله، ولكن موسى هو الذي علم، فبلغ ذلك ابن عباس فاحتج بقوله: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾[٥] [النحل:١٤].

---

(١) انظر: الطبري (١٥/ ١٧٣)، وزاد المسير (٥/ ٩٤) ولم يجز الطبري هذه القراءة؛ لإجماع الحجة من القراء على القراءة بلفظ الأمر في هذه الكلمة.

(٢) لم أقف عليه في مجاز القرآن ومعاني الفراء. وانظر: الوسيط (٣/ ١٣١).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٧٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١١)، والكشف (٢/ ٥٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٥).

(٤) ولم يجز ابن جرير خلاف القراءة التي عليها قرّاء الأمصار؛ لأن القراءة بها مجمع عليها (تفسير الطبري ١٥/ ١٧٤).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ١٧٤). وانظر: الوسيط (٣/ ١٣١)، وزاد المسير (٥/ ٩٤).

واحتجوا لقراءة علي عليه السلام أنه لما نسبه فرعون إلى فساد العقل بقوله: ﴿وإني لأظنك يا موسى مسحوراً﴾ أعلمه موسى بصحة عقله فقال: ﴿لقد عَلِمْتُ﴾.

قال الزجاج[١]: الأجود في القراءة فتح التاء؛ لأن عِلْم فرعون بأنها أنزلت من عند الله أوكد في الحجة، فموسى عليه السلام يحتج بما علم هُوَ، لا بما علم [فرعون][٢].

والمعنى: ﴿لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء... [الآيات﴾][٣].

﴿إلا رب السموات والأرض بصائر﴾ عبراً ودلالات، ولكنك معاند مكابر.

﴿وإني لأظنك يا فرعون﴾ لفرط عُتُوّك وتمردك واغترارك ﴿مثبوراً﴾ هالكاً.

وقال ابن عباس: ملعوناً[٤].

وفي رواية عنه: ناقص العقل[٥].

قال الفراء[٦]: المثبور: الملعون والمحبوس عن الخير. تقول العرب: ما ثَبَرَك عن هذا؟ أي: ما منعك فيه وما صَرَفَك.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٦٣).

(٢) في الأصل: موسى. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل: الآت. والمثبت من زاد المسير (٥/ ٩٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ١٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٤٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) زاد المسير (٥/ ٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٤٥) وعزاه للشيرازي في الألقاب وابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عباس.

(٦) معاني الفراء (٢/ ١٣٢).

وقال أبو عبيدة[١]: المعروف في الثبور: الهلاك. والملعون: الهالك.

قال أكثر المفسرين: الظن هاهنا بمعنى: العلم، على خلاف ظن فرعون في موسى، وسوّى بعضهم بين الظنين فقال: هما بمعنى العلم[٢].

والذي يظهر لي: أنهما سواء في المعنى: إني لأحسبك. أما الأول فظاهر. وأما الثاني فإن موسى عليه السلام حال تلبسه بمخاطبة فرعون ودعائه إلى عبادة الله وتوحيده لم يكن متيقناً عالماً بهلاك فرعون، وإنما كان ظاناً هلاكه، بسبب إصراره وجحوده، مع تجويزه رجوعه إلى الحق.

قوله تعالى: ﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض﴾ أي: أراد فرعون أن يزعج موسى وبني إسرائيل من أرض مصر.

قال الزجاج[٣]: جائز أن يكون استفزازهم؛ إخراجهم منها بالقتل أو بالتنحية.

وقال ابن قتيبة[٤]: أراد أن يستخِفَّهُم حتى يخرجوا.

والأظهر عندي: أنه أراد استفزازهم باستئصال شأفتهم وقتلهم لا بإخراجهم؛ لأن مضمون رسالة موسى إليه أن يرسل بني إسرائيل معه.

ولأنه لو كان مقصود فرعون إخراج موسى وبني إسرائيل من مصر لم يتبعهم

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٩٢).

(٢) زاد المسير (٥/ ٩٤).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٦٣).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٢٦٢).

حين خرج بهم موسى عليه السلام[١].

﴿فأغرقناه ومن معه﴾ من القِبْط ﴿جميعاً﴾، وقد ذكرنا قصة إغراقهم في سورة البقرة.

﴿وقلنا من بعده﴾ أي: من بعد إهلاكه ﴿لبني إسرائيل اسكنوا الأرض﴾ التي أراد فرعون أن يستفزكم منها.

وقال ابن عباس: أرض فلسطين والأردن[٢].

وقال غيره: أرض مصر والشام.

﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعني: القيامة ﴿جئنا بكم﴾ من القبور إلى المحشر ﴿لفيفاً﴾ جميعاً مختلطين أنتم وهم، ثم يحكم بينكم فيميّز بين السعداء والأشقياء.

وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾

قوله تعالى: ﴿وبالحق أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿وبالحق نزل﴾ المعنى: وما أنزلناه إلا مُلتَبِساً بالحق مشتملاً عليه نازلاً به.

وقيل: المعنى وما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظاً بالرصد من الملائكة، وما نزل على الرسول ﷺ إلا محفوظاً بهم من تخليط الشياطين.

---

(١) فائدة: قال ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٩٥): قال العلماء: وفي هذه الآية تنبيه على نصرة رسول الله ﷺ؛ لأنه لما خرج موسى فطلبه فرعون هلك فرعون، وكذلك أظهر الله نبيه بعد خروجه من مكة حتى رجع إليها ظاهراً عليها.

(٢) زاد المسير (٥/ ٩٥).

وقيل: الإشارة بقوله: «وبالحق أنزلناه» إلى ما تضمن من الأمر والنواهي، والوعد والوعيد، و«بالحق نزل» أي: وعلى الحق، يعني: الرسول ﷺ نزل.

وقيل: المعنى: وبوحينا نزل.

﴿وما أرسلناك إلا مبشراً﴾ بالجنة لمن أطاع ﴿ونذيراً﴾ بالنار لمن عصى.

قوله تعالى: ﴿وقرآناً فرقناه﴾ انتصب «قرآناً» بفعل مضمر يفسره ما بعده.

قال ابن عباس: بينّا حلاله وحرامه(١).

وقال الحسن: فرقنا فيه بين الحق والباطل(٢).

وقال الفراء(٣): أحكمناه وفصَّلناه.

وقرأ جماعة منهم علي وسعد بن أبي وقاص وأبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس في آخرين: «فرَّقناه» بالتشديد(٤)، وبها قرأتُ لأبان عن عاصم، أي: أنزلناه متفرقاً مُنَجَّماً.

﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ وقرأ أنس بن مالك وقتادة: «على مَكث» بفتح الميم(٥). وبها قرأت لأبان عن عاصم على الشيخين أبي البقاء وأبي عمرو الياسري.

أي: على تُؤدة ومهل، ليتدبروه ويفهموه.

---

(١) زاد المسير (٥/ ٩٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٧٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٩٦).

(٣) معاني الفراء (٢/ ١٣٣).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٧) ولم يجز هذه القراءة ابن جرير الطبري (١٥/ ١٧٨)؛ لأن القراءة بتخفيف الراء هي القراءة التي عليها الحجة مجمعة.

(٥) زاد المسير (٥/ ٩٧).

والجارّ في موضع الحال، أي: مترفقاً متمهلاً غير مستعجل ولا مسرع.

﴿ونزلناه تنزيلاً﴾ على حسب الوقائع.

قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾

﴿قل﴾ لهم يا محمد مُعرضاً عنهم، مُزدرياً بشأنهم، مُظهراً لاحتقارهم، غيرُ مكترث بهم، استغناء بالله واكتفاء بأصحابك المؤمنين: ﴿آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾ صَدِّقوا بالقرآن أو لا تُصَدِّقوا، ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ أي: من قبل إنزال القرآن، وقيل: من قبل إرسال محمد ﷺ، فعلموا الشرائع، وكانوا يوقنون بالنبي العربي الذي نطقت بنبوته ﷺ الكتب السالفة، وشهدت برسالته معجزاته المستأنفة؛ مثل أبي ذر، وسلمان، وورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو.

وقيل: هم أمة محمد ﷺ.

وقيل: ناس من اليهود.

﴿إذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿يخرّون للأذقان سجداً﴾ قال الزجاج[1]: الذَّقَنُ: مجتمع اللَّحْيَيْن، وهو عضو من أعضاء الوجه، فإذا ابتدأ يخرُّ فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض الذَّقَن.

قال ابن عباس: «يخرّون للأذقان»: للوجوه[2]. واللام بمعنى على، كقول

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٦٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٤٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

الشاعر:

ضَمَمْتُ إليه بالقَنَاةِ ثيابَه فخرَّ صريعاً لليدين وللفَم[١]

﴿ويقولون﴾ في سجودهم ﴿سبحان ربنا إن كان وعد ربنا﴾ بإنزال القرآن وإرسال محمد ﷺ ﴿لمفعولاً﴾ و«إن» بمعنى: إنه، وجاءت مؤكدة للفعل، كما أن «إن» تؤكد الاسم، وكما أكدت «إن» باللام في نحو قوله تعالى: ﴿إنهم لمحضرون﴾ [الصافات:١٥٨] أكدت «إن» الخفيفة باللام في قوله: ﴿لمفعولاً﴾.

﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾ كرر سبحانه الإخبار عنهم بالخرور؛ لتكرير الفعل منهم، وأنهم خَرُّوا ساجدين وخَرُّوا باكين.

﴿ويزيدهم﴾ يعني: البكاء والخُرور على الذَّقَن، ففاعل «يزيدهم» ضمير المصدر الذي دل عليه الفعل.

وقيل: يزيد بهم القرآن خضوعاً وتواضعاً.

قال عبد الأعلى التيمي: إن من [أوتيَ][٢] من العلم ما لا يبكيه، لخليق أن لا يكون أوتي علماً ينفعه؛ لأن الله تعالى نعت العلماء فقال: ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يبكون﴾[٣].

---

(١) انظر البيت في: الاستيعاب (٣/ ١٣٧٢)، ويروى البيت: هتكت له بالرمح جيب قميصه... وانظر هذا البيت بهذا اللفظ في: الطبقات الكبرى (٥/ ٥٤)، وتاريخ الطبري (٣/ ٥١).

(٢) في الأصل: أتي. وكذا وردت في الموضع التالي. وانظر: المصادر التالية.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٨١-١٨٢)، وابن المبارك في الزهد (١/ ٤١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٤٧) وعزاه لابن المبارك وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١١٠ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝١١١﴾

قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ أي: سَمُّوا الله بأيِّ الاسمين شئتم، فإنهما اسمان لمسمى واحد.

و﴿أياً﴾ منصوب بـ﴿تدعوا﴾، والتنوين فيها عوض من المضاف إليه، و ﴿ما﴾ صلة. والمعنى: أيّ هذين الاسمين سميتم فهو حسن، وناب عن هذا المحذوف قوله: ﴿فله الأسماء الحسنى﴾ والضمير في «فله» لا يعود إلى أحد الاسمين، وإنما يعود إلى المسمى، وهو ذات الله عز وجل.

قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ ليلة وهو ساجد: ((يا الله يا رحمن! فسمعه أبو جهل، وهم لا يعرفون الرحمن، فقال: إن محمداً ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر مع الله، وما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة، فأنزل الله تعالى هذه الآية))[1].

وقال الضحاك: قال أهل الكتاب لرسول الله ﷺ: إنك لتقل ذكر الرحمن في القرآن وقد أكثر الله تعالى في التوراة هذا الاسم، فنزلت هذه الآية[2].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٨٢). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٠٢)، وزاد المسير (٥/ ٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٤٨) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

(٢) زاد المسير (٥/ ٩٩).

قوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ أخرجا في الصحيحين من حديث ابن عباس قال: «أنزلت ورسول الله ﷺ مُتوارٍ بمكة، فكان إذا رفع صوته سمعه المشركون فسبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله عز وجل: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي: بقراءتك حتى يسمعها المشركون ﴿ولا تخافت بها﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم»(١).

﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ طريقاً عدلاً بين الجهر والإخفات.

وفي الصحيحين أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «أنزل الله هذا في الدعاء: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾»(٢).

التقدير: لا تجهر بقراءة صلاتك، على حذف المضاف، ولا تخافت بها، والمخافَتَة: الإخْفَاء، يقال: خَفَتَ صوته يخفِتُ خُفُوتاً؛ إذا ضعف، وصَوْتٌ خَفِيتٌ(٣).

وروى علي عليه السلام قال: «كان أبو بكر رضي الله عنه يُخافِتُ إذا قرأ، وكان عمر رضي الله عنه يجهر بقراءته، وكان عماراً يأخذ من هذه السورة ومن هذه، فذُكر ذلك للنبي ﷺ فقال لأبي بكر: لم تُخافت؟ قال: أسمع من أناجي، وقال لعمر: لم تَجْهَر؟ فقال: أُفْزِعُ ...(٤) [الشيطان وأُوقِظُ الوَسْنان(٥). وقال لعمار: لم

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٤٩ ح٤٤٤٥)، ومسلم (١/ ٣٢٩ ح٤٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٥٠ ح٤٤٤٦)، ومسلم (١/ ٣٢٩ ح٤٤٧).

(٣) انظر: اللسان (مادة: خفت).

(٤) بياض في مصورة الأصل قدر نصف لوحة، وهي تكملة تفسير سورة الإسراء. وقد أكملت الحديث من المسند.

(٥) الوَسْنان: النائم الذي ليس بمستَغْرِقٍ في نومه (اللسان، مادة: وسن).

تأخذ من هذه السورة وهذه؟ قال: أتسمعني أخلط به ما ليس منه؟ قال: لا، قال: فكله طيب][(١)]»[(٢)].

---

(١) زيادة من المسند (١/ ١٠٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٠٩ ح٨٦٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن بمنّك وكرمك[1].

سورة الكهف

وهي مائة آية وإحدى عشرة آية مكية، واستثنى ابن عباس: ﴿واصبر نفسك﴾[2].

وقال مقاتل[3]: من أولها إلى ﴿صعيداً جرزاً﴾، ومن: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ إلى آخر الآيتين مدني[4].

قرأتُ على أبي المجد القزويني، أخبركم أبو منصور المعروف بحفدة فأقرَّ به، قال: حدثنا الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا همام، عن قتادة، حدثنا سالم بن أبي

---

(١) من هنا يبدأ الموجود من نسخة مكتبة جامعة توبنجن بألمانيا الغربية، وقد رمزنا لهذه النسخة (ب)، وقد أثبتنا الفروق بين هذه النسخة ونسخة الأصل.

وقوله: «بمنك وكرمك» ليست في ب.

(٢) انظر: الإتقان (١/ ٥٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٨).

(٤) انظر: الإتقان (١/ ٥٠).

الجعد الغطفاني[١]، عن معدان بن أبي طلحة[٢]، عن أبي الدرداء يرويه عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أوائل[٣] سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»[٤]. هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم، عن محمد بن المثنى، عن معاذ بن هشام[٥]، عن أبيه[٦]، عن قتادة.

وبهذا الإسناد قال: حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أبو الأسود، حدثنا ابن لهيعة، عن [زبان][٧]، عن سهل هو ابن معاذ[٨]، عن أبيه[٩]، عن النبي ﷺ

---

(١) سالم بن أبي الجعد رافع الغطفاني الأشجعي مولاهم الكوفي، ثقة، وكان يرسل كثيراً، مات سنة سبع أو ثمان وتسعين، وقيل: مائة، وقيل: بعد ذلك، ولم يثبت أنه جاوز المائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٣٧٣، والتقريب ص:٢٢٦).

(٢) معدان بن أبي طلحة، ويقال: بن طلحة الكناني اليعمري الشامي، ثقة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٠٥، والتقريب ص:٥٣٩).

(٣) في ب: أول.

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٥ ح٨٠٩)، والبغوي في التفسير (٣/ ١٨٧).

(٥) معاذ بن هشام بن أبي عبد الله واسمه سنبر الدستوائي البصري، صدوق ربما وهم، سكن اليمن ثم البصرة، مات في ربيع الآخر سنة مائتين (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٧٧، والتقريب ص:٥٣٦).

(٦) هشام بن أبي عبد الله الدستوائي، أبو بكر البصري، واسم أبيه: سنبر الربعي، ثقة ثبت، وقد رمي بالقدر، كان يبيع الثياب التي تجلب من دستواء فنسب إليها، وربما قيل له: الدستوائي، مات سنة أربع وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٤١، والتقريب ص:٥٣٦).

(٧) في الأصل: أبان. والتصويب من مسند أحمد (٣/ ٤٣٩)، والمعجم الكبير (٢٠/ ١٩٧). وانظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٣/ ٢٦٥)، والتقريب (ص:٢١٣).

(٨) سهل بن معاذ بن أنس الجهني، شامي نزل مصر، لا بأس به إلا في روايات زبان عنه (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٢٧، والتقريب ص:٢٥٨).

(٩) معاذ بن أنس الجهني الأنصاري، صحابي نزل مصر، وبقي إلى خلافة عبد الملك (تهذيب التهذيب =

قال[١]: «من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء»[٢].

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ هذا تعليمٌ للعباد كيف يثنون على المنعم عليهم بالإسلام، وإرسال محمد عليه الصلاة والسلام، وإنزال القرآن الذي هو سبب الفوز والسعادة الأبدية.

﴿ولم يجعل له عِوَجاً﴾ حال[٣]، على معنى: غير مجعول له عوجاً، وقد ذكرنا الفرق بين العِوج والعَوج في آل عمران[٤].

والعِوج في المعاني كالعوج في الأعيان.

المعنى: لم يجعل له ميلاً وزيغاً عن الإصابة. والحكمة تشير إلى سلامته عن

=١٠/ ١٨٦، والتقريب ص: ٥٣٥).

(١) بياض في ب قدر ربع صفحة.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٩)، والمعجم الكبير للطبراني (٢٠/ ١٩٧)، والبغوي في التفسير (٣/ ١٨٧).

(٣) الدر المصون (٤/ ٤٣٠).

(٤) آية رقم: ٩٩.

المناقضة والاختلال، وكونه في أعلا مراتب البلاغة.

﴿قيّماً﴾ مستقيماً عدلاً[١].

وقيل: قيماً على سائر الكتب، مصدّقاً لها، شاهداً بصحتها.

وقيل: قيماً بمصالح العباد.

وقيل: قيماً في نفسه بالحجة والإعجاز.

قال أكثر العلماء باللغة والتفسير: في هذه الآية تقديم وتأخير، التقدير أنزل على عبده الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً[٢].

فعلى هذا، هو نصب على الحال من «الكتاب»[٣].

قال صاحب الكشاف[٤]: الأحسن أن ينتصب [بمضمر][٥] ولا يجعل حالاً من «الكتاب»؛ لأن قوله: ﴿ولم يجعل﴾ معطوف على «أنزل»، فهو داخل في حيز الصلة، فجاعلُه حالاً من «الكتاب» فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة، وتقديره: ولم يجعل له عوجاً جعله قيماً؛ لأنه إذا نفى عنه العِوَج فقد أثبت له

---

(١) نقل الرازي (٢١/ ٦٤) تفسير ﴿قيماً﴾ بـ«مستقيماً» عن ابن عباس وقال: وهذا عندي مشكل؛ لأنه لا معنى لنفي الاعوجاج إلا حصول الاستقامة، فتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار وأنه باطل، وأن المراد من كونه (قيماً) أنه سبب لهداية الخلق، وأنه يجري مجرى من يكون قيماً للأطفال، فالأرواح البشرية كالأطفال، والقرآن كالقيم الشفيق القائم بمصالحهم.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٠٣)، والسيوطي في الدر (٥/ ٣٥٩) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) التبيان (٢/ ٩٨)، والدر المصون (٤/ ٤٣٠).

(٤) الكشاف (٢/ ٦٥٧).

(٥) في الأصل: بمظمر. والتصويب من ب.

الاستقامة.

فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر؟

قلت: فائدته التأكيد، فرب مستقيم مشهود [له][(١)] بالاستقامة لا يخلو من أدنى عوج عند السَّبْر[(٢)] والتصفُّح.

قوله تعالى: ﴿لينذر﴾ أي: لينذركم، فحذف المفعول الأول واقتصر على الثاني، واللام متعلقة «بالله» أو «بعبده» أو «بالكتاب».

ويؤيد القول الأول قوله: ﴿بأساً شديداً من لدنه﴾ أي: عذاباً من عنده.

﴿ويبشر المؤمنين الذين يعلمون الصالحات أن لهم أجراً حسناً﴾ وهو الجنة.

﴿ماكثين﴾ أي: مقيمين في الأجر الحسن ﴿أبداً﴾.

﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾ وهم الذين قالوا: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله، والملائكة بنات الله.

﴿ما لهم به﴾ أي بالولد، أو باتخاذه أو بقولهم ﴿من علم﴾ يشير إلى إفراط جهلهم وجهل آبائهم؛ حيث أثبتوا لله ما تقطع العقول السليمة باستحالته في نفسه.

﴿كبرت كلمةً﴾ نصب على التمييز، وفيه معنى التعجب، كأنه قيل: ما أكْبرها كلمة[(٣)].

---

(١) زيادة من الكشاف (٢/ ٦٥٧).

(٢) السَّبْرُ: التجربة (اللسان، مادة: سبر).

(٣) التبيان (٢/ ٩٨)، والدر المصون (٤/ ٤٣٣).

وقرأ ابن مسعود والحسن ومجاهد: «كلمةٌ» بالرفع على الفاعلية[١]، والضمير في «كَبُرَت» راجع إلى قولهم: «اتخذ الله ولداً». وسُمي «كلمةً» على مذهب العرب في تسميتهم القصيدة كَلِمَة.

وفي قولهم: ﴿تخرج من أفواههم﴾ إشارة إلى تعظيم ما اجترؤوا عليه من المنكر الذي من شأن مثله أن لا يذكر، وأنه مجرد قول لا دليل على صحته، وهو في موضع نصب صفة لـ«كلمةً»[٢].

﴿إن يقولون﴾ أي: ما يقولون ﴿إلا كذباً﴾.

فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم﴾ أي: قاتلها ومهلكها أسفاً وحسرة عليهم. و«لعل» للإشفاق.

والبَخْعُ: أن يبلغ بالذبح البخَاعُ، وهو عِرْقٌ مستبْطنُ الفقَار، وذلك أقْصَى حدّ [الذّبح][٣].

وقوله: ﴿على آثارهم﴾ أي: من بعدهم.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٨).

(٢) التبيان (٢/ ٩٨)، والدر المصون (٤/ ٤٣٣).

(٣) الكشاف (٣/ ٣٠٥). وما بين المعكوفين في الأصل: الذابح. والتصويب من الكشاف.

﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ يعني: القرآن ﴿أسفاً﴾ قال ابن عباس: حزناً(١).

وقال قتادة: غضباً(٢).

وقال السدي: ندماً(٣).

وهو مفعول له(٤)، أي: لفرط الحزن. ويجوز أن يكون حالاً(٥).

قوله [تعالى](٦): ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ أي: ما عليها من كل ما يستحسن من زخارف الدنيا.

وقال ابن عباس: هم العلماء(٧). فرضي الله عن ابن عباس، فلقد كان والله زينة هذه الزينة، ولقد صدق في تأويله.

وبلغني أن نظام الملك كان شديد الاحترام كثير الإكرام لأهل العلم، فَلِيمَ في ذلك حتى قال له حاجبه: لقد أطمعتَ هذه الطائفة فيك [وبسطتهم](٨) عليك، حتى بلغ من أمرهم أنهم يَدخلون عليك بغير إذن، فقال له: ويحك هذه الطائفة

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤٤) كلاهما عن قتادة. وانظر: الوسيط (٣/ ١٣٦)، وزاد المسير (٥/ ١٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٦٠) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٥). وانظر: الماوردي في تفسيره (٣/ ٢٨٥)، وزاد المسير (٥/ ١٠٥).

(٣) زاد المسير (٥/ ١٠٥).

(٤) التبيان (٢/ ٩٨)، والدر المصون (٤/ ٤٣٤).

(٥) مثل السابق.

(٦) ساقط من ب.

(٧) زاد المسير (٥/ ١٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٦١) وعزاه لأبي نصر السجزي في الإبانة.

(٨) في الأصل: وبسطهم. والمثبت من ب.

[هم][1] جمال الدنيا والآخرة، والله لو رفعتُ الواحدَ منهم على رأسي ما أديتُ حقَّه.

﴿لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ قال الحسن: أيهم أزهد في الدنيا وأترك لها[2].

﴿وإنا لجاعلون ما عليها﴾ أي: ما على الأرض من الزينة وغيرها ﴿صعيداً جرزاً﴾ فتصبح عامرة بعد أن كانت غامرة.

قال الزجاج[3]: الصعيد: الطريق الذي لا نبات فيه. والجُرُز: الأرض التي لا ينبت فيها شيء، كأنها تأكل النبت.

قال المفسرون: وهذا يكون يوم القيامة، يجعل الله الأرض مستويةً لا نبات فيها ولا ماء[4].

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم﴾ قد ذكرنا سبب نزولها عند قوله: ﴿ويسألونك عن الروح﴾ [الإسراء:٨٥].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) الوسيط (٣/ ١٣٦)، وزاد المسير (٥/ ١٠٦).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٦٩).

(٤) الوسيط (٣/ ١٣٧)، وزاد المسير (٥/ ١٠٧).

والكهْف: الغار الواسع في الجبل[1].

وأما الرقيم؛ فقال الحسن: هو اسم الجبل[2].

وقال قتادة: اسم القرية التي خرجوا منها[3].

وجائز عندي: أن يكون اسم الرقيم شاملاً للجميع، فتتَّحِدَ الأقوال الثلاثة.

وقال سعيد بن جبير: هو اسم كلبهم[4]، وأنشدوا لأمية بن أبي الصلت:

وليسَ لها إلا الرقيمُ مُجاوراً وصيدَهُمُ والقَومُ في الكهْفِ هُمَّدُ[5]

وقال أبو عبيدة وابن قتيبة[6]: الرقيم: الكتاب، وهو فَعِيل بمعنى مَفْعول، ومنه: ﴿كتابٌ مرقوم﴾ [المطففين:٩] أي: مكتوب[7].

قال مقاتل[8]: الرَّقِيم: كتابٌ كتبه رجلان صالحان يكتمان إيمانهما من المَلِك الذي فَرَّ منه الفتية، [وكتبا أمر الفتية][9] في لوح من رصاص، ثم جَعَلاه في تابوت من نحاس، ثم جَعَلاه في البناء الذي سَدُّوا به باب الكهف، فقالا: لعلَّ الله أن

(١) انظر: اللسان (مادة: كهف).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٩) عن ابن عباس. وانظر: الماوردي في التفسير (٣/ ٢٨٦)، وزاد المسير (٥/١٠٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٨) عن ابن عباس. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٠٨)، كلاهما من قول كعب.

(٤) ذكره الماوردي (٣/ ٢٨٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٠٨).

(٥) انظر البيت في: الدر المصون (٤/ ٤٣٥).

(٦) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٨٩)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٢٦٣).

(٧) وهذا القول هو الذي اختاره ابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٩٩).

(٨) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٠).

(٩) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

يُطْلِعَ على هؤلاء الفتية أحداً فيعلموا أمرهم إذا قرؤوا الكتاب. هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين.

ومعنى الآية: بل أحسبتَ أنهم كانوا أعجب آياتنا؟ قد كان في آياتنا من خلق السموات والأرض وما فيهما(١) من العجائب ما هو أعجب من ذلك.

وقال ابن عباس: الذي آتيتك من الكتاب والسنة والعلم أفضل من شأنهم(٢).

قوله تعالى: ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ أي: صاروا إليه وجعلوه مأواهم ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ أي: مغفرة ورزقاً وأمناً من الأعداء، ﴿وهيء لنا من أمرنا﴾ أي: أصلح لنا من أمرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار وغيره ﴿رشداً﴾.

فصل

اختلف العلماء في سبب مصيرهم إلى الكهف؛ قال ابن عباس وغيره: كان لهم مَلِكٌ فدعاهم إلى عبادة الأصنام، وامتحنهم على ذلك، فَفَرُّوا بدينهم، فمَرُّوا بِرَاعٍ له كلب، فتبعهم، فأووا إلى الكهف يتعبَّدُون، ورجلٌ منهم يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرّاً، إلى أن جاءهم يوماً فأخبرهم أنهم قد ذُكِروا، فبكوا وتعوَّذوا بالله من الفتنة، فَضَرَبَ الله على آذانهم، وأمَرَ المَلِك فَسَدَّ عليهم الكهف وهو يظنُّهم أيقاظاً، وقد توفَّى الله تعالى أرواحهم وفاة النوم، وكلبُهم قد غشيه ما غشيهم. ثم إن رجلين

---

(١) في ب: فيها.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٦٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

مؤمنين يكتمان إيمانهما كتبا أسماءهم وأنسابهم وخبرهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس في البنيان وقالا: لعلَّ الله يُطْلِعَ عليهم قوماً مؤمنين فيتعلمون خبرهم[١].

وقال وهب بن منبه: جاء أحد الحواريين إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها، فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحدٌ إلا سجد له، فكَرِهَ أن يدخلها، فأتى حمّاماً قريباً من المدينة كان يعمل فيه بالأجر، فعَلِقَه فتية من أهل المدينة، فجعل يُخبرهم عن خبر السماء والأرض وخبر الآخرة، فآمنوا به وصدَّقوه، حتى جاء ابن الملك يوماً بامرأة فدخل معها الحمّام، فأنكر عليه الحواري ذلك، فسبّه ودخل، فمات وماتت المرأة في الحمّام، فأتى الملك فقيل له[٢]: إنّ صاحب الحمام قَتَلَ ابنك، فالتُمس فهرب، فقال: من كان يصحبه؟ فسُمِّيَ له الفتية، فالتُمسوا، فخرجوا من المدينة، فمرُّوا على صاحب لهم في زرع وهو على مثل أمرهم، فانطلق معهم ومعه كلب، حتى آواهم الليل إلى الكهف، فدخلوه، فقالوا: نبيت هاهنا ثم نصبح إن شاء الله تعالى فترون رأيكم، فضرب الله تعالى على آذانهم فناموا، وخرج المَلِك وأصحابه يتبعونهم، فوجدوهم[٣] قد دخلوا الكهف، فكلما أراد رجل أن يدخل أُرعب، فقال قائلٌ للملك: أليس قُلْتَ إن قدرتَ عليهم قتلتهم؟ قال: بلى، قال: فابْنِ عليهم باب الكهف حتى يموتوا جوعاً وعطشاً، ففعلوا ذلك[٤].

---

(١) ذكره الطبري (١٥/ ٢٠٢-٢٠٤) مطولاً. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٠٩).

(٢) في الأصل زيادة قوله: ذلك.

(٣) في ب: فوجدهم.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٠٥)، وعبدالرزاق في مصنفه (٥/ ٤٢٣ ح٩٧٥٢). وذكره السيوطي في

قوله تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف﴾ أي: أنمناهم فيه إنامة ثقيلةً سدَّت منافذ أسماعهم. والتقدير: ضربنا على آذانهم حجاباً، فحذف المفعول، كما يقال: بنى على امرأته، يريدون: بنى عليها قُبة، ومنه قوله تعالى: ﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾ [القصص:٢٣]، يريد: غنمهما ﴿قالتا لا نسقي﴾ [القصص:٢٣] تريدان: الغنم.

﴿سنين عدداً﴾ قال الزجاج[١]: «عدداً» منصوب على ضربين:

أحدهما: على المصدر، المعنى: تُعَدُّ عدداً.

ويجوز أن يكون نعتاً للسنين، المعنى: سنين ذات عَدَد.

والفائدة في قولك عددٌ في الأشياء المعدودة: أنك تريد توكيد كثرة الشيء؛ لأنه إذا قلَّ فُهِمَ مقدار عدده، فلم يحتج إلى أن يُعَدَّ، وإذا كَثُرَ احتاج إلى أن يُعَدَّ.

قوله تعالى: ﴿ثم بعثناهم﴾ أي: أيقظناهم من نومهم ﴿لنعلم﴾ أي: لنرى.

وقال الزمخشري[٢]: الله عز وجل لم يزل عالماً بذلك، وإنما أراد ما تعلَّق به العلم من ظهور الأمر لهم، ليزدادوا إيماناً واعتباراً، ويكون لُطفاً لمؤمني زمانهم، وآيةً بيّنةً لكُفَّاره.

وقرأ أبو الجوزاء والنخعي: «ليُعلم» بياء مضمومة[٣].

= الدر (٥/ ٣٦٩) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر.

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٧١).

(٢) الكشاف (٢/ ٦٦٠).

(٣) زاد المسير (٥/ ١١٤).

﴿أيُّ الحزبين﴾ «أيُّ» مبتدأ، و«الحزبين» خبر بالإضافة[١].

و﴿أحصى﴾ فعل ماض، و﴿أمداً﴾ ظرف «لأحصى»، وإن شئت كان ظرفاً لـ«لبثوا»، والفعل الماضي خبر المبتدأ، والمبتدأ مع خبره سَدَّ مَسَدَّ مفعولي «نعلم».

و«ما» في «لما» مصدرية[٢]، يعني[٣]: المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف، كأنهم اختلفوا في مُدّة لبثهم فيه بعد خروجهم من بينهم، فبعثهم الله ليتبيَّن ذلك ويظهر.

وقال الزمخشري[٤]: المعنى: أيّ الحزبين المختلفين فيهم في مدّة لبثهم؛ لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك، فذلك قوله: ﴿قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾.

قال[٥]: و«أحصى» فعل ماض، أي: أيهم ضبط «أمداً» لأوقات لبثهم.

فإن قلت: ما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل؟

قلتُ: ليس بالوجه السّديد، وذلك أنّ بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس، ونحو: «أعْدَى من الجَرَب»، و«أفلسَ من ابن المذلَّق» شاذ، والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع، فكيف به؟

ولأن «أمداً» لا يخلو إما أن ينتصب بأفعل، فأفعل لا تعمل. وإما أن ينصب

---

(١) التبيان (٢/ ٩٩)، والدر المصون (٤/ ٤٣٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) في ب: ويعني.

(٤) الكشاف (٢/ ٦٦٠).

(٥) أي: الزمخشري في الكشاف.

بـ«لبثوا» فلا يساعد عليه المعنى، فإن زعمتَ أنها نصبه بإضمار فعل يدل عليه «أحصى»، كما أضمروا في قوله:

.... وأضْربَ منا بالسيوفِ القوانِسَا[1]

على: نضرب القوانس، فقد أبعدتَ المتناول، وهو قريب، حيث أبيتَ أن يكون «أحصى» فعلاً، ثم رجعتَ مضطراً إلى تقديره وإضماره.

قلتُ: وابن المذلَّق -بالذال[2] وتشديد اللام وفتحها-: رجل من بني عبد شمس بن سعد بن زيد مناة، وهم أهل بيت يعرفون بالإفلاس. قال الشاعر في بعض آبائهم[3]:

وإني إذا[4] أرجو تميماً ونفعها كراجي الندى والعرف عند المذلق

والقَوْنَس: أعلى البيْضَة[5].

---

(١) عجز بيت للعباس بن مرداس. وصدره:

أكرَّ وأحمى للحقيقة منهم ....

انظر: ديوانه (ص:٦٩)، والأصمعيات (ص:٢٠٥)، وخزانة الأدب (٨/ ٣١٩، ٣٢١)، ونوادر أبي زيد (ص:٥٩)، والأشباه والنظائر (١/ ٣٤٤، ٤/ ٧٩)، وأمالي ابن الحاجب (١/ ٤٦٠)، وشرح الأشموني (١/ ٢٩١)، ومغني اللبيب (٢/ ٦١٨)، والحجة للفارسي (١/ ٤١، ١١٤)، والدر المصون (٤/ ٤٣٧)، واللسان (مادة: قنس).

(٢) في ب: بالذال والذال.

(٣) في ب: آبائه.

(٤) في ب: إذ.

(٥) البيضة المقصود بها: الخوذة التي تلبس أيام الحرب وتوضع على الرأس، وتكون من الحديد.

فصل: يتضمن الإشارة إلى سبب بعثهم

قال ابن إسحاق: ألقى الله في نفس رجل من أهل المدينة اسمه إلياس، أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف، فيبني به حظيراً[١] لغنمه، فاستأجر رجلين فنزعا تلك الحجارة، فلما فتحا باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة للفتية أن يجلسوا، فجلسوا فرحين مستبشرين كهيئتهم حين رقدوا، فَسَلَّمَ بعضهم على بعض وهم يرون أن مِلِكَهم في طلبهم، فصَلُّوا، وقالوا ليمليخا صاحب نفقتهم: انطلق فاسمع ما نُذْكَر به، وابتغ لنا طعاماً، وتلطّف ولا تشعرنّ بنا أحداً، فوضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها، وخرج فرأى الحجارة قد نُزعت عن باب الكهف، فعجب، ثم مرّ متخوفاً من أن يراه أحد فيذهب به إلى الملك الذي فرُّوا منه، فلما رأى باب المدينة [رأى][٢] [عليه][٣] علامة أهل الإيمان فعَجِبَ، وخُيِّلَ إليه أنها ليست بالمدينة التي يَعرف، ورأى ناساً لا يعرفهم، ورأى قوماً يحلفون بعيسى، فقام مُسنداً ظهره إلى جدار، وقال في نفسه: والله ما أدري ما هذا، عشيةَ أمس لم يكن على الأرض من يذكر عيسى إلا قُتل، واليوم أسمعهم يذكرونه، لعلِّي حالم، لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف، فقام كالحيران، وأخرج وَرِقاً فأعطاه رجلاً وقال: بعني طعاماً، فنظر الرجل إلى نقشه فعجِب، ثم ألقاه إلى آخر، فجعلوا يتطارحونه بينهم[٤] من رجل إلى رجل يتعجبون منه، ثم جعلوا يتشاورون

---

(١) في ب: حظيرة.

(٢) زيادة من ب.

(٣) زيادة من زاد المسير (٥/ ١١١).

(٤) ساقط من ب.

ويقولون: إن هذا قد أصاب كنزاً، فَفَرِقَ[1] منهم فَرَقاً شديداً، وظنَّ أنهم قد فَطِنُوا به، وأنهم يريدون أن يذهبوا به إلى الملك دقيانوس. فقالوا له: يا فتى من أنت؟ وما شأنك؟ والله لقد وجدتَ كنزاً وأنت تريد أن تخفيه، فشاركنا فيه وإلا أتينا بك إلى السلطان فنسلمك إليه، فلم يدر ما يقول. فطرحوا كساءه في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مُلبَّباً[2] والناس يقولون: رجلٌ عنده كنز، واجتمع أهل المدينة عليه ينظرون إليه وهو يبكي ويقول: فُرِّق بيني وبين إخوتي، يا ليتهم يعلمون ما لقيت، فانطلقوا به حتى أتوا رجلين صالحين كانا يدبّران أمر المدينة، فنظرا إلى الوَرِق ثم قالا: أين الكنز الذي وجدتَ يا فتى؟ فقال: والله ما وجدتُ كنزاً، ولكن هذا الوَرِق وَرِق آبائي ونقش هذه المدينة وضَرْبها، ولكني والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم. فقال أحدهما: من أنت؟ وما اسمك واسم أبيك؟ فأخبرهم، فلم يجدوا من يعرفه. فقال بعضهم: هذا مجنون. وقال بعضهم: ليس بمجنون، ولكنه يحمّق نفسه عمداً حتى ينفلت منكم، فقال أحدهما -ونظر إليه نظراً شديداً-: تظن أنك تسخر منا وخزائن هذه البلدة بأيدينا وأمر تدبيرها إلينا، وإني سآمر بك فتُعذبَ عذاباً شديداً حتى تعترف بهذا الكنز، فقال يمليخا: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه، فإن فعلتُم صدقتُكم؟ قالوا: سَلْ؟ قال: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا: لا يعرف اليوم على وجه الأرض ملك يسمى دقيانوس، ولم يكن إلا مَلِكٌ هلك منذ زمان ودهر طويل، وقد هلكتْ بعده قرون كثيرة. فقال يمليخا: والله ما صَدَقني أحد فيما أقوله، لقد كنا فتية وأكرهنا الملك دقيانوس

---

(١) الفَرَقُ: الخوف (اللسان، مادة: فرق).

(٢) لَبَّبَ الرَّجُلَ: جعل ثيابه في عُنُقِه وصدره في الخصومة، ثم قَبَضَه وجَرَّه (اللسان، مادة: لبب).

على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فهربنا منه عشية أمس فنمنا، فلما انتبهنا خرجتُ أشتري لأصحابي طعاماً فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهف أريكم أصحابي، فانطلقوا معه وسائر أهل المدينة، وكان أصحابه قد ظنوا أنه أُخِذَ [وذُهِبَ](١) به إلى الملك دقيانوس، فلم يَرُعْهُم إلا الأصوات وجلبة الخيل نحوهم، وظنوا أنهم رُسُل دقيانوس، فقاموا إلى الصلاة وودّع بعضهم بعضاً وتواصوا، فسبق يمليخا إليهم وهو يبكي، فبكوا معه وسألوه عن شأنه، فأخبرهم خبره كله، فعرفوا أنهم كانوا نياماً بإذن الله تعالى ذلك الزمان كله، وإنما أُوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث، ونظر الملك والناس إلى المسطور الذي فيه أسماؤهم وقصتهم فعجبوا، ورفعوا أصواتهم بالتحميد والتسبيح والتهليل، وأقبل الملك عليهم واعتنقهم وبكى، فقالوا له: نستودعك الله، ونقرأ عليك السلام، حفظك الله وحفظ مُلْكَك، فبينا الملك قائم رجعوا إلى أماكنهم ومضاجعهم(٢) وتوفى الله أنفسهم، فأمَرَ الملك أن يجعل لكل واحد منهم تابوت من ذهب، فلما أمسوا رآهم في المنام فقالوا: إنا لم نخلق من ذهب وفضة، ولكنا خُلقنا من تراب، فاتركنا كما كُنّا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه، وحجبهم الله عز وجل بالرعب، فلم يقدر أحد بعد ذلك أن يدخل عليهم، وأمر الملك فجُعل على باب الكهف مسجد يصلى فيه، وجعل لهم عيداً عظيماً يُؤتى كل سنة(٣).

وقال عكرمة: جاءت أمّة مسلمة وكان ملكهم مُسْلماً فاختلفوا؛ فقائل يقول:

---

(١) في الأصل: ذهب.

(٢) في ب: رجعوا إلى مضاجعهم.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢١٧-٢٢٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١١١-١١٣).

يبعث الروح والجسد، وقائل يقول: يبعث الروح وحده والجسد تأكله الأرض، فشقَّ اختلافهم على الملك، فانطلق فلبس المسوح وقعد على الرماد ودعا الله أن يبعث لهم آية، فبعث أصحاب الكهف[1].

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾

﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ أي: خبر الفتية بالأمر الثابت الذي لا ريب له.

﴿إنهم فتية﴾ أحداث وشباب، ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ بصيرة في دينهم وطمأنينة لقلوبهم.

﴿وربطنا على قلوبهم﴾ ألهمناها الصبر عن أوطانهم وأهلهم وما كانوا فيه من النعيم وجسّرناهم على القيام بكلمة الحق بين [يدي][2] الجبار دقيانوس.

﴿فقالوا ربنا رب السموات والأرض﴾ لا الأصنام التي تقهرنا على عبادتها

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢١٦-٢١٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٦٧) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي حاتم.

(٢) زيادة من ب.

والذبح لها، ثم آيسوه من العود[١] إلى دينه فقالوا: ﴿لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً﴾ أي: قولاً ذا شطط، وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه، من قولهم: شَطَّ إذا بَعُدَ[٢].

ثم أنكروا على قومهم اتخاذهم الأصنام آلهة فقالوا: ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة﴾، فقوله: «هؤلاء» مبتدأ، «قومنا» عطف بيان، «اتخذوا» خبره[٣].

﴿لولا﴾ أي: هلاّ ﴿يأتون عليهم﴾ أي: على عبادتهم، أو على دعواهم أنها آلهة، فحذف المضاف.

﴿بسلطان بيّن﴾ بحجةٍ ظاهرة، وهذا تبكيتٌ لهم؛ لأن الإتيان بسُلطان بَيِّن على عبادة الأوثان ليس داخلاً في الإمكان.

﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ فزعم أن له شريكاً.

وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ هذا خطاب بعضهم لبعض، ثقةً بموعد الله وفضله، وقوةً في يقينهم، وصدقاً في تَوَكُّلهم.

قال ابن عباس: هو من قول يمليخا، وهو رئيس أصحاب الكهف، قال

---

(١) في ب: عودهم.

(٢) انظر: اللسان (مادة: شطط).

(٣) التبيان (٢/ ٩٩)، والدر المصون (٤/ ٤٣٩).

لأصحابه: ﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله﴾[(١)].

«ما» في موضع نصب عطفاً على الهاء والميم.

والمعنى: [وإذ][(٢)] اعتزلتم الكفار واعتزلتم ما يعبدون من الآلهة إلا الله، فإن القوم كانوا على نحو ما كان عليه أهل مكة من عبادة الله وعبادة الأصنام، وكان الفتية قد جانبوا الأصنام وعبدوا الله وحده.

وقيل: هو كلام معترض، إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله تعالى.

﴿فأووا إلى الكهف﴾ صيروا إلى الكهف ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ يبسطها لكم ﴿ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً﴾ وقرأ نافع وابن عامر: «مَرْفِقاً» بفتح الميم[(٣)]، وهما لغتان بمعنى واحد، وكذلك مِرْفَق اليد. والمعنى: ويهيئ لكم [من أمركم][(٤)] ما تَرْتَفِقُون به.

۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾

(١) الوسيط (٣/ ١٣٨)، وزاد المسير (٥/ ١١٦).

(٢) في الأصل: وإذا. والمثبت من ب.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٧٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٢)، والكشف (٢/ ٥٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٨).

(٤) زيادة من ب.

قوله تعالى: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تَزَّاوَرُ﴾ أصلها: تَتَزَاور؛ فأدغموا التاء الثانية في الزاي.

وقرأ أهل الكوفة: «تَزَاوَرُ»[1] بالتخفيف على حذف التاء. وقرأ ابن عامر: «تَزْوَرُّ» مثل: تحْمَرُّ[2].

وقرأ أبي بن كعب: «تَزْوَارُّ» مثل: تحْمَارُّ[3].

وقرأ ابن مسعود: «تَزْوَئِرُّ»[4] مثل: [تَزْوعِرُّ][5]، وكلها ترجع إلى أصل واحد، وهو: الميل، ومنه: الأَزْوَر.

﴿ذات اليمين﴾ أي: ناحية اليمين، ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾ أي: تَعْدِلُ عنهم. وأصل القَرْض: القطع[6]، فالشمس تقْطَعُهُم ولا تقرَبُهُم.

قال المفسرون: كان كهفهم بإزاء بَنَات نَعْش[7] في أرض الروم، فكانت

---

(١) في الأصل: تزور. والتصويب من المراجع التالية.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٧٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٣)، والكشف (٢/ ٥٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٨).

(٣) زاد المسير (٥/ ١١٧).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) في الأصل: تزعور. والتصويب من ب.

(٦) انظر: اللسان (مادة: قرض).

(٧) بنات نعش: سبعة كواكب، أربعة منها نعْش، لأنها مربعة وثلاثة بنات نعش، الواحد ابن نعش، لأن الكوكب مذكر فيذكرونه على تذكيره، وإذا قالوا ثلاث أو أربع ذهبوا إلى البنات، وكذلك بنات نعش الصغرى، واتفق سيبويه والفراء على ترك صرْف نعْش للمعرفة والتأنيث، وقيل: شبهت بحَمَلة النَّعْشِ في تَرْبيعها؛ وجاء في الشعر بَنُو نَعْش (اللسان ٦/ ٣٥٥).

الشمس تميل عنهم طالعة وغاربة، لا تدخل عليهم فتؤذيهم بِحرِّها وتغيّر ألوانهم[١].

وقال الزجاج[٢]: صرفُ الشمس عنهم آية من الآيات، ولم يرضَ قول من قال: كان كهفهم بإزاء بَنَاتِ نَعْش.

وقوله: «إذا طلعت» و«إذا غربت» في موضع المفعول الثاني لـ«ترى» أو الحال[٣]. والجملة التي [هي][٤] ﴿وهم في فجوة منه﴾ في محل الحال أيضاً[٥].

ومعناه: وهم في مكان متَّسع من الكهف معرَّض لإصابة الشمس، لولا أن القدرة الإلهية صرفتها عنهم.

وقيل: في منفسح من الكهف ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ازْوِرَارِ الشمس عنهم[٦] طالعة وغاربة، والرُّعب الذي حُجِبُوا به، وما كان من حديثهم ﴿من آيات الله﴾ عجائب قدرته ولطفه.

وفي قوله: ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ إشارة إلى أن الله هو الذي تولى هدايتهم، فهو المستحق للحمد والثناء على الحقيقة.

﴿ومن يضلل﴾ كدقيانوس وأصحابه ﴿فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ بعد إضلال الله إياه، منه دخول الريبة عليهم وتمكُّن الشبهة عندهم في مقدار لبثهم.

---

(١) الوسيط (٣/ ١٣٩)، والماوردي في تفسيره (٣/ ٢٩٠) من قول مقاتل، وزاد المسير (٥/ ١١٧).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٧٣-٢٧٤).

(٣) الدر المصون (٤/ ٤٤١).

(٤) زيادة من ب.

(٥) الدر المصون (٤/ ٤٤٢).

(٦) ساقط من ب.

وقيل: رأوا شُعورهم وأظفارهم قد طالتْ جداً فقالوا ذلك.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

ثم إنهم أضربُوا عن حديث المدة حيث لم يجدوا سبيلاً إلى تحقيقها، وأخذوا فيما يُهمّهم فقالوا: ﴿فابعثوا أحدكم[1] بوَرِقِكُم هذه إلى المدينة﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر: «بِوَرْقِكُم» بسكون الراء[2]، طلباً للتخفيف، كما قالوا: كِبْد في كَبِد، وكِتْف في كَتِف. وبعض العرب يكسرون الواو فيقولون: وِرْق. وبها قرأ ابن

---

(١) فائدة: قال ابن الأنباري: إنما قال: «أحدكم» ولم يقل: واحدكم؛ لئلا يلتبس البعض بالممدوح المعظم، فإن العرب تقول: رأيت أحد القوم، ولا يقولون: رأيت واحد القوم، إلا إذا أرادوا المعظَّم، فأراد بأحدهم بعضهم ولم يرد شريفهم (زاد المسير ٥/ ١٢٠-١٢١).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٨٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٣)، والكشف (٢/ ٥٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٩).

محيصن[١]. وقرأ الباقون: «بِوَرِقِكُم» بكسر الراء على الأصل.

والوَرِقُ: الفضة، مضروبة كانت أو غير مضروبة[٢]. ومنه حديث عرفجة الذي أُصيب أنفه يوم الكُلاب[٣]: «فاتخذ أنفاً من وَرِق فأنتن، فأمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفاً من ذهب»[٤].

قوله تعالى: ﴿إلى المدينة﴾ يعني: التي خرجوا منها، واسمها: دُقْسوس. ويقال: هي اليوم: طَرَسوس[٥]، ﴿فلينظر أيها أزكى طعاماً﴾ «أيها» مبتدأ، «أزكى» خبره، «طعاماً» نعت[٦] على التفسير، والجملة مفعول «فلينظر»[٧].

قال الزجاج[٨]: المعنى: أيّ أهلها أزكى طعاماً أحلّ ذبيحة.

وقيل: أحلّ طعاماً؛ لأن عامة أموالهم كانت غُصُوباً. قاله الضحاك[٩].

﴿وليتلطف﴾ أي: ليُدقّق النظر وليَحْتَل حتى لا يطّلع عليه أحد.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٩).

(٢) انظر: اللسان (مادة: ورق).

(٣) يوم الكلاب: اسم ماء كانت فيه وقعة مشهورة من أيام العرب، وليس من غزواته ﷺ، بل كان في الجاهلية (حاشية السندي ٨/ ١٦٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ٩٢ ح٤٢٣٢)، والترمذي (٤/ ٢٤٠ ح١٧٧٠)، والنسائي (٨/ ١٦٣ ح٥١٦١).

(٥) طرطوس: إحدى المحافظات السورية، وتقع على الساحل الشرقي للبحر المتوسط جنوبي مدينة اللاذقية، وهي ميناء سوري مهم.

(٦) في الأصل: نعت. والتصويب من ب.

(٧) الدر المصون (٤/ ٤٤٤).

(٨) معاني الزجاج (٣/ ٢٧٥-٢٧٦).

(٩) زاد المسير (٥/ ١٢١).

ويجوز عندي: أن يكون ذلك أمراً له بالتلطُّف في تحصيل الأحلّ؛ زيادة في الورع وتحرُّزاً من الشبهة بأبلغ الطرق[١].

وقال الزمخشري[٢]: المعنى: ليتكلَّف اللطف والنِّيقة فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يُغبن. وهذا تعجرف في التأويل وبعيد من تلك الأخلاق الزاكية الجميلة.

قوله تعالى: ﴿ولا يشعرن بكم أحداً﴾ قال ابن عباس: لا يخبرن بكم ولا بمكانكم أحداً من أهل المدينة[٣].

﴿إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم﴾ أي: إن يشرفوا عليكم يقتلوكم بالرجم، ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ بالإكراه ﴿ولن تفلحوا إذاً أبداً﴾ إن دخلتم في دينهم.

وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وكذلك﴾ أي: وكما أنمْناهُم وبعثناهم ﴿أعثرنا عليهم﴾ أطلعنا عليهم الملك الصالح تَنْدوسيس وأهل مدينته دُقْسوس، وكانوا على ملَّته، ﴿ليعلموا﴾ يعني: أهل المدينة ﴿أن وعد الله﴾ تعالى ببعث الأرواح والأجساد وجزاء الصالح والطالح ﴿حق﴾ أمر ثابت، ﴿وأن الساعة﴾ التي هي مجمع ذلك ﴿لا ريب فيها﴾.

---

(١) والقول الأول أولى.

(٢) الكشاف (٢/ ٦٦٤).

(٣) الوسيط (٣/ ١٤١)، وزاد المسير (٥/ ١٢٢).

وقوله: ﴿إذ يتنازعون﴾ متعلق [بـ «أعثرنا»][1]. المعنى: أعثرنا عليهم حين يتنازعون ﴿بينهم أمرهم﴾ ويختلفون في حقيقة البعث، على ما سبق ذكره آنفاً.

وقيل: تنازُعُهُم: اختلافهم في مقدار لبثهم وفي عددهم.

وقال مقاتل[2]: تنازُعُهُم: اختلافهم فيما يصنعون بالفتية بعد أن أطلعهم الله تعالى عليهم.

فيكون «إذ» متعلقاً بمحذوف، تقديره: اذكر إذ يتنازعون بينهم أمرهم.

﴿فقالوا ابنوا عليهم بنياناً﴾ أرادوا سترهم عن أعين الناس؛ حفظاً لهم وزيادة في الإكرام لهم[3] واحترامهم بتغييبهم عن الأبصار.

﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ يعني: الملك وأصحابه الرؤساء المطاعين ﴿لنتخذنّ عليهم مسجداً﴾.

سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمَاۢ بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم﴾ أي: هم ثلاثة، ﴿ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب﴾ أي: قذفاً بالظن من غير علم ولا تثبت. قال زهير:

---

(١) في الأصل: بعثرنا. والتصويب من ب.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٤).

(٣) في ب: في إكرامهم.

فما الحربُ إلا ما عَلِمْتُم وذُقْتُم   وما هُوَ عنها بالحديث المُرَجَّم[١]

قال الواحدي[٢]: أخبر الله أنه سيقع نزاع في عددهم، ثم وقع ذلك لما وفد نصارى نجران إلى النبي ﷺ، فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقالت اليعقوبية[٣] منهم: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم. وقالت النسطورية[٤]: كانوا خمسة سادسهم كلبهم. وقال المسلمون: كانوا سبعة ثامنهم[٥] كلبهم.

وحكى الماوردي[٦]: أن القائلين لذلك أهل مدينتهم.

والأول أكثر.

---

(١) البيت لزهير. انظر: ديوانه (ص:١٨)، والدر المصون (٤/ ٣٩٩، ٤٤٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٩٧)، والقرطبي (١٠/ ٣٨٣)، وزاد المسير (٥/ ١٢٤)، وروح المعاني (١٥/ ٩٣، ٢٤١، ١٨/ ٣١).

(٢) الوسيط (٣/ ١٤٢).

(٣) اليعقوبية: أصحاب يعقوب، قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده بل هو هو. وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾. وانظر تفصيل ذلك في: الملل والنحل (٢/ ٣٠). ويسمون الآن: «الأرثوذكس».

(٤) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، وإضافته إليه إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة، قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو. واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم. انظر تفصيل هذا الضلال المبين في: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٢٩).

(٥) في ب: وثامنهم.

(٦) تفسير الماوردي (٣/ ٢٩٧).

قال بعض النحاة: التقدير: ورابعهم كلبهم، وسادسهم كلبهم، فحذف العاطف. والدليل عليه قوله: ﴿وثامنهم كلبهم﴾، فكما أن الواو ظهرت هاهنا كانت مُقدَّرة في الجملتين.

وقال الزجاج(١): دخول الواو وخروجها واحد.

وقال الثعلبي(٢): هذا واو الحكم. والتحقيق: كأن الله تعالى حكى اختلافهم، فتمّ الكلام عند قوله: ﴿ويقولون سبعة﴾، ثم حكى أن ثامنهم كلبهم.

وقلت: ولهذا قال ابن عباس: حين وقعت الواو انقطعت العدّة، أي: لم يبق بعدها عدَّةُ عادٍ يُلتفت إليها، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم(٣).

وعلى هذا أكثر العلماء أن عِدَّة أصحاب الكهف سبعة، إلا ما يحكى عن ابن جريج وابن إسحاق: أنهم ثمانية(٤).

وقال(٥) ابن الأنباري(٦): المعنى: وثامنهم صاحب كلبهم، كما يقال: السخاء حاتم، والشِّعْر زهير. أي: السخاء سخاء حاتم، والشِّعْر شعر زهير.

والقول الأول أصح.

قال علي رضي الله عنه(٧): هم سبعة نفر.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٧٧).

(٢) تفسير الثعلبي (٦/ ١٦٣).

(٣) روح المعاني (١٥/ ٢٤٢).

(٤) الماوردي في تفسيره (٣/ ٢٩٧)، وزاد المسير (٥/ ١٢٥).

(٥) في ب: قال.

(٦) انظر: زاد المسير (٥/ ١٢٥).

(٧) في ب: عليه السلام.

وقال ابن عباس في قوله: ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾: أنا من ذلك القليل، ثم قال: وهم: مكسلمينا، ويمليخا، ومرطونس، وبينونس، وسارتبونس[١]، وذونونس، وكفيشيطينونس -وهو الراعي-، والكلب: اسمه قطمير[٢].

قال محمد بن المسيب الأرغياني: ما بقي بنيسابور محدّث إلا كَتَبَ عني هذا الحديث إلا من لم يقدّر له[٣] -يعني: قول ابن عباس في أسماء الكهف-.

وقال صاحب الكشاف في تصحيح قول من قال: كانوا سبعة[٤]: أتبع القولين الأولين قوله: ﴿رجماً بالغيب﴾، وأتبع القول الثالث قوله: ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾.

قوله تعالى: ﴿فلا تُمَارِ فيهم﴾ المراء في اللغة: الجدال، واشتقاقه مِنْ قولك: مَرَيْتُ الشاة؛ إذا استخرجت لبنها[٥]، كأن المجادل يستخرج غَضَبَ خصمه أو ما عنده.

والمعنى: لا تجادل فيهم وفي عددهم أحداً إلا بما أوحيتُ إليك وقصصت عليك؛ تحذيراً من التلبس بمثل حالهم في جدالهم بغير علم.

وقيل: المعنى: إلا جدالاً ظاهراً، وهو أن تقصّ عليهم ما أوحى الله إليك فحسب من غير تجهيل لهم ولا تعنيفٍ في الردّ عليهم، كما قال تعالى: ﴿وجادلهم

---

(١) في ب: وسارينونس.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٢٦) مختصراً. وانظر: الوسيط (٣/ ١٤٢)، وزاد المسير (٥/ ١٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٧٦) وعزاه للطبراني في الأوسط بسند صحيح. قال ابن حجر (فتح الباري ٦/ ٥٠٥): وفي النطق بها اختلاف كثير.

(٣) الوسيط (٣/ ١٤٣).

(٤) الكشاف (٢/ ٦٦٧).

(٥) انظر: اللسان (مادة: مرا).

بالتي هي أحسن﴾ [النحل:١٢٥].

﴿ولا تستفت فيهم منهم أحداً﴾ أي: ولا تستفت في أصحاب الكهف من أهل الكتاب أحداً؛ لأن سؤالهم إما تعنت أو استرشاد.

والأول ليس من أخلاقك المرضية، والثاني لا حاجة بك إليه؛ لأنك قد علمته بإيحائنا إليك وقصصنا عليك.

قال الفراء[1]: أتى النبي ﷺ فريقاً من النصارى، [نسطوري][2] ويعقوبي، فسألهم عن عددهم، فنُهي عن ذلك.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: « سألتْ قريش رسول الله ﷺ عن خبر الفتية فقال: غداً أخبركم، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوماً لتركه الاستثناء، فشقّ ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآية »[3].

قال الأخفش[4] والمبرد: المعنى: لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن تقول: إن شاء الله، فأضمر القول، ولما حذف «تقول» نقل «شيئاً» إلى لفظ

---

(١) معاني الفراء (٢/ ١٣٨).

(٢) في الأصل: يسطوري.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٢). وانظر: الوسيط (٣/ ١٤٣)، وزاد المسير (٥/ ١٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٧٧) وعزاه لابن المنذر عن مجاهد.

(٤) معاني الأخفش (ص:٢٤٣).

الاستقبال[١].

قوله تعالى: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ أي: تدارك ذكر ربك بالاستثناء إن فرط منك نسيان فتنبّهت له.

قال ابن الأنباري[٢]: المعنى: اذكر ربك بعد تَقَضِّي النسيان، كما تقول: اذكر لعبد الله إذا صلى حاجتك، أي: بعد انقضاء الصلاة.

وحكى الماوردي[٣]: أن المعنى اذكر ربك إذا نسيت الشيء ليذكرك إياه.

والأول هو التفسير.

فصل

والفائدة في الاستثناء: الخروج من الكذب والتخلُّص من حنث الحالف إذا لم يفعل المحلوف عليه، إلا أن تكون اليمين بالطلاق أو العتاق فإن فيها اختلاف بين العلماء، فذهب الإمامان أحمد ومالك [إلى][٤]: أنه لا يصح الاستثناء فيهما، وذهب الإمامان أبو حنيفة والشافعي إلى صحته، تسوية بينهما وبين اليمين بالله تعالى.

فصل

واختلفت الرواية عن إمامنا أحمد في الوقت الذي يصح فيه الاستثناء، فقال في رواية: لا يصح إلا موصولاً بالكلام، وهو قول الأكثرين.

وقال في رواية: يصح ما دام في المجلس، وهو قول الحسن البصري

---

(١) الوسيط (٣/ ١٤٣).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ١٢٧).

(٣) تفسير الماوردي (٣/ ٢٩٩).

(٤) زيادة من ب.

وطاووس[١].

وقال ابن عباس ومجاهد في آخرين: لو استثنى بعد سنة جاز[٢].

ويروى: أن المنصور حين بلغه أن أبا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل، استحضر أبا حنيفة لينكر عليه، فقال له أبو حنيفة: هذا يرجع عليك، إنك تأخذ البيعة بالأيمان، أفترضى أن يخرجوا من عندك [فيستثنوا][٣] فيخرجوا عليك، فاستحسن كلامه ورضي عنه.

قال ابن جرير الطبري[٤]: الصواب للإنسان أن يستثني ولو بعد حنثه في يمينه فيقول: «إن شاء الله» ليخرج بذلك مما ألزمه الله تعالى في هذه الآية، فيسقط عنه الحرج، فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال، إلا أن يكون الاستثناء موصولاً بيمينه. ومن قال: له ثنياه ولو بعد سنة أراد سقوط الحرج الذي يلزمه بترك الاستثناء دون الكفارة[٥].

قوله تعالى: ﴿وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ قال

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٢٩)، والقرطبي (١٠/ ٣٨٦)، والبغوي (٣/ ١٥٧) كلاهما عن الحسن. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٧٨) عن طاووس.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٢٩)، والطبراني في الأوسط (١/ ٤٤)، والكبير (١١/ ٦٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٧٧) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) في الأصل: فيستثنون. والمثبت من ب.

(٤) الطبري (١٥/ ٢٢٩).

(٥) قال ابن كثير (٣/ ٨٠): وهذا الذي قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح، وهو الأليق، يُحمل كلام ابن عباس عليه.

الزجاج[١]: المعنى: عسى أن يعطيني ربي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرُّشد وأدَلَّ من قصة أصحاب الكهف.

ففعل الله تعالى ذلك حيث آتاه من علم غيوب المرسلين وخبرهم ما كان أوضح في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف.

وقال ابن الأنباري[٢]: المعنى: عسى أن يُعرّفني جواب مسائلكم قبل الوقت الذي حددته لكم.

﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ۝٢٥ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائةٍ سنين﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «ثلاثمائةِ سنين» على الإضافة[٣]، والقراءة الأولى أوجه وأرجح.

قال أبو علي الفارسي[٤]: فمن نوَّن جعل «سنين» بدلاً من «ثلاثمائة». كما تقول: أعطيته ألفاً دراهم ومائةً أثواباً.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٧٨).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ١٢٩).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٨١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٤)، والكشف (٢/ ٥٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٠).

(٤) الحجة (٣/ ٨٣).

وقال الزمخشري[(١)]: «سنين» عطف بيان، ومن أضاف فالقياس أن يقال: ثلاثمائة سنة، لكنه وضع الجمع موضع الواحد في التمييز.

[وقال الضحاك: نزلت: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة﴾ فقالوا: أياماً أو شهوراً أو سنين، فنزلت ﴿سنين﴾[(٢)].

قوله: ﴿وازدادوا تسعاً﴾ يريد تسع سنين، فاستغنى عن ذكر السنين لتقدم ذكرها.

وحكى الماوردي[(٣)]: أن التسع [تَفَاوِتُ][(٤)] ما بين السنين الشمسية والقمرية][(٥)].

وقد اختلف العلماء في توجيه هذه الآية؛ فقال مجاهد والضحاك في آخرين: هذا بيان لمدة لبثهم في كهفهم مضروباً على آذانهم إلى أن بعثهم الله وأطلع خلقه عليهم[(٦)]. فيكون التقدير: قل الله أعلم بما لبثوا من أهل الكتاب المختلفين في مدة

---

(١) الكشاف (٢/ ٦٦٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٣١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٧٩) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير الماوردي (٣/ ٣٠٠).

(٤) في الأصل: تقارب. والتصويب من (ب).

(٥) جاءت العبارة في الأصل و ب هكذا: وقال الضحاك: نزلت: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة﴾ فقالوا: أياماً أو شهوراً أو سنين، فاستغنى عن ذكر السنين لتقدم ذكرها. وحكى الماوردي: أن التسع قوله: ﴿وازدادوا تسعاً﴾ يريد تسع سنين، فنزلت سنين تفَاوِتُ ما بين السنين الشمسية والقمرية.
وقد قدمنا وأخرنا فيها لاستقامة النص والمعنى، انظر: الماوردي (٣/ ٣٠٠)، وزاد المسير (٥/ ١٣٠-١٣١).

(٦) زاد المسير (٥/ ١٣٠).

لبثهم.

وقيل: هذا ردٌّ من الله على القائلين من أهل الكتاب أن مدة لبثهم ثلاثمائة وتسع سنين.

المعنى: الله تعالى أعلم بما لبثوا بعد قبض أرواحهم إلى يومكم هذا لا يعلمه إلا الله تعالى[1] أو من أعلمه إياه.

ويؤيده قراءة ابن مسعود: «وقالوا لبثوا في كهفهم».

وقال ابن السائب: قالت نصارى نجران: أما الثلاثمائة فقد عرفناها، وأما التسع فلا علم لنا بها، فنزلت: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾[2].

﴿له غيب السموات والأرض﴾ سبق تفسيره[3].

﴿أبصر به وأسمع﴾ أي: ما أبصر الله وأسمعه، فهو أعلم بقصة أصحاب الكهف وعددهم ومُدَّة لبثهم، أو ما أبصره وأسمعه لما قالوا [﴿ما لهم﴾][4] أي: ما لأهل السموات والأرض من ولي يتولى أمرهم ونصرهم.

﴿ولا يُشركُ في حكمه أحداً﴾ أي: لا يُشرك في قضائه أحداً من خلقه.

وقرأ ابن عامر: «ولا[5] تُشْرِكْ» بالتاء والجزم[6]، على الخطاب والنهي. أي: لا

(١) في ب: لا يعلمه سواه.

(٢) الوسيط (٣/ ١٤٤)، وزاد المسير (٥/ ١٣١).

(٣) في سورة هود عند الآية رقم: ١٢٣، وسورة النحل عند الآية رقم: ٧٧.

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: لا. والمثبت من ب.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٨٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٥)، والكشف (٢/ ٥٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٩)، والسبعة في القراءات =

تُشرك أيها الإنسان، وهي قراءة الحسن.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿واتل ما أوحي إليك﴾ أي: اقرأ. وقيل: اتبع القرآن.

﴿لا مبدل لكلماته﴾ مفسر في الأنعام[(١)].

﴿ولن تجد من دونه ملتحداً﴾ ملجأً ومعدلاً تميل إليه.

وقد سبق اشتقاق الإلحاد واللحد، وأنه من الميل.

وقال الزجاج[(٢)]: مَعْدِلاً عن أمره ونهيه.

قوله تعالى: ﴿واصبر نفسك﴾ أي: احبسها ﴿مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ مفسر في الأنعام[(٣)].

قال سلمان الفارسي: «جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس وذووهم، فقالوا: يا رسول الله! إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيّت عنّا هؤلاء وأرواح جبابهم -يعنون: سلمان وأبا ذر وفقراء

= (ص: ٣٩٠).

(١) الآية رقم: ١١٥.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٨٠).

(٣) الآية رقم: ٥٢.

المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها- جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله عز وجل: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم -حتى بلغ قوله-: إنا أعتدنا للظالمين ناراً﴾ يتهددهم بالنار، فقام النبي ﷺ يلتمسهم، حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات»[(١)].

﴿ولا تَعْدُ عيناك عنهم﴾ أي: لا تنصرف عيناك عنهم لرثاثة هيئتهم وزيّهم، ﴿تريد زينة الحيوة الدنيا﴾ في محل الحال[(٢)]. أي: مُريداً مُجالسة ذوي الشارة والنباهة من أشراف العرب.

﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ أي: جعلنا قلبه غافلاً عن القرآن والإسلام.

وقرأ أبو مجلز: «أَغْفَلَنا» بفتح اللام «قَلْبُه» بالرفع[(٣)]، على إسناد الفعل إليه. على معنى: لا تُطِعْ من حبسنا قلبه غافلين، حيث أمهلناه ولم يدْر أن ذلك استدراج منا له، وهو مِنْ أغفلته؛ إذا وجدته غافلاً[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٣٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٤٥). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٠١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٨٠) وعزاه لابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢) الدر المصون (٤/ ٤٤٩).

(٣) زاد المسير (٥/ ١٣٣).

(٤) انظر: اللسان (مادة: غفل).

قال ابن عباس: يريد عيينة بن حصن وأشباهه[١].

والمعنى: لا تُطِعْهُم في تنحية الفقراء عنك وتخصيص الكبراء بالدنو منك.

وروى الضحاك عن ابن عباس قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وكان دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه الله منه؛ من طرد الفقراء عنه وتقريب صناديد قريش[٢].

﴿واتبع هواه﴾ نابذاً للحق وراء ظهره.

قرأت على أبي المجد القزويني، أخبركم محمد بن أسعد أبو منصور، قال: سمعت البغوي وهو أبو محمد الحسين بن مسعود يقول: قال علي عليه السلام: «إنما أخشى عليكم اثنين: طول الأمل واتباع الهوى، فإن طول الأمل ينسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصدّ عن الحق»[٣]. وبه قال البغوي.

قال ابن عباس: ليأتين على الناس زمان يكون همة أحدهم فيه بطنه، ودينه هواه[٤].

﴿وكان أمره فُرُطاً﴾ قال مجاهد: ضياعاً[٥].

وقال السدي: هلاكاً[٦].

---

(١) الوسيط (٣/ ١٤٥)، وزاد المسير (٥/ ١٣٣).

(٢) الوسيط (٣/ ١٤٦)، وزاد المسير (٥/ ١٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٨٢) وعزاه لابن مردويه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٠ ح٣٤٤٩٥)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٣٦٩ ح١٠٦١٣).

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص:٢١٧ ح٦١٣).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٣٦)، ومجاهد (ص:٣٧٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٨٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٣٧) من طريق السدي عن أبي سعيد الأزدي عن أبي الكنود عن خباب. =

وأصله من التفريط، وهو تقديم العَجْز، فمن قـدَّم العَجْـز في أمـره أضـاعه وأهلكه.

قرأت على الشيخ الفقيه أبي الحسن علي بن ثابت الطالباني البغدادي[١] بمنزله برأس عين، أخبركم الشيخان عبد المغيث بن زهير[٢] ويعقوب بـن يوسـف بـن عمر[٣] الحربيان قالا: أخبرنا القاضي أبو الحسين محمد بن محمد بن الفراء، أخبرنا الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب، أخبرنا علي بن محمد بن عبدالله المعدل، أخبرنا الحسين بن صفوان البرذعي[٤]، حدثنا عبدالله بن محمد ابن أبي الدنيا[٥]، حـدثني =

وانظر: الوسيط (٣/ ١٤٦).

(١) علي بن ثابت بن طالب، المعروف بابن الطالباني، أبو الحسن الأزجي، الشيخ الفقيه الواعظ، موفق الدين. سمع أبا محمد صالح بن المبارك الرحلة، وشهدة بنت أحمد. روى عنه الحافظ الضياء وابن أخيه الفخر. مات برأس عين في تاسع عشر شعبان سنة ثمان عشرة وستمائة (المقصد الأرشد ٢/ ٢١٧، وتكملة الإكمال ١/ ٥٢٥).

(٢) عبد المغيث بن زهير بن زهير بن علوي الحربي، أبو العز، كان صالحاً متديناً، صدوقاً أميناً، حسن الطريقة، جميل السيرة، حميد الأخلاق، مجتهداً في اتباع السنة والآثار، جمع وصنّف وحدّث، ولم يزل يفيد الناس إلى حين وفاته، له كتاب "الدليل الواضح في النهى عن ارتكاب الهوى الفاضح" يشتمل على تحريم الغناء وآلات اللهو. توفي ليلة الأحد ثالث عشري المحرم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وكانت جنازته مشهورة، ودفن بدكة قبر الإمام أحمد مع الشيوخ الكبار (المقصد الأرشد ٢/ ١٣٦).

(٣) يعقوب بن يوسف بن عمر بن الحسين بن المعمر المقرئ، أبو محمد الحربي، كان من أعيان القرّاء، مات في شوال سنة سبع وثمانين وخمسمائة (لسان الميزان ٦/ ٣١١).

(٤) الحسين بن صفوان بن إسحاق بن إبراهيم، أبو علي البرذعي، صاحب ابن أبي الدنيا وراوي كتبه، كان صدوقاً، توفي في شعبان سنة أربعين وثلاثمائة ببغداد (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٤٢).

(٥) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس، أبو بكر القرشي، مولى بني أمية المعروف بـابن أبي =

محمد بن الحسين، حدثنا إسحاق بن منصور، عن جعفر بن سليمان، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء: ﴿وكان أمره فرطاً﴾ قال: تسويفاً[١].

قال الحسن: إياك والتسويف فإنك بيومك ولست بغدٍ[٢]، فإن يكن غدٌ لك فكن في غدٍ كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لك غدٌ لم تندم على ما فرطت في اليوم[٣].

وقال أبو الجلد: قرأتُ في بعض الكتب: أن «سوف» جُنْدٌ من جُنْد[٤] إبليس[٥].

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم﴾ المعنى: الذي أتيتكم به الحق من ربكم، أو جاء الحق من ربكم.

= الدنيا، صاحب الكتب المصنفة في الزهد والرقائق، صدوق حافظ، ولد سنة ثمان ومائتين، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائتين (تاريخ بغداد ١٠/ ٨٩).

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (ص:١١٣).

(٢) في الزهد لهناد واقتضاء العلم: بغدك.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص:٤ ح٨)، وهناد في الزهد أيضاً (١/ ٢٨٩ ح٥٠٢)، والخطيب في كتاب اقتضاء العلم العمل (ص:١١٣).

(٤) في ب: جنود.

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (ص:١١٤).

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [قال][(١)] ابن عباس: معناه: من[(٢)] شاء الله فليؤمن، ومن شاء الله فليكفر[(٣)].

والأظهر: تعليق المشيئة بالمكلفين.

قال الزجاج[(٤)]: هذا وعيد وإنذار ليس بأمْر.

وقال غيره: هذا إظهار للغنى لا إطلاق في الكفر.

وقال الزمخشري[(٥)]: المعنى: زاحت العلل ولم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك، وجيء بلفظ الأمر والتخيير؛ لأنه لما مُكّن من اختيار أيهما شاء، فكأنه مخيّر مأمور بأن يتخير ما شاء من النَّجْدين.

﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً﴾ أي: أعتدنا وهيّأنا للكافرين ناراً، ﴿أحاط بهم سرادقها﴾.

قال اللغويون: السُّرادق: فارسي معرب، أصله بالفارسية: سرادار، وهو الدهليز.

قال ابن قتيبة[(٦)]: السُّرَادِق: الحُجْرة التي تكون حول الفسطاط.

---

(١) في الأصل: وقال. والمثبت من ب.

(٢) في ب: فمن.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٣٧-٢٣٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٨٤) وعزاه لحنيش في الاستقامة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٨١).

(٥) الكشاف (٢/ ٦٧٢).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٢٦٧).

قال الزجاج[١]: كل ما أحاط بشيء نحو الشقة في المِضْرَب، أو الحائط المشتمل على الشيء؛ سُرَادِق.

قال ابن عباس رضي الله عنه: هو حائط من نار[٢].

وقيل: هو دخانٌ يُحيط بالكفار يوم القيامة، وهو الظل ذو ثلاث شُعَب[٣]، المذكور في المرسلات[٤].

وقرأتُ[٥] على محمد بن بهرام، أخبركم محمد بن أسعد فأقرَّ به، أخبرنا الحسين بن مسعود الفراء، أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أخبرنا محمد بن أحمد الحارثي، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا عبدالله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن رشدين بن سعد، حدثني عمرو بن الحارث، عن دراج أبي [السمح][٦]، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «سُرادق النار أربعة جُدُر، كُثف كل جدارٍ مثل مسيرة أربعين سنة»[٧].

قوله تعالى: ﴿وإن يستغيثوا﴾ يعني: يطلبوا الغوث من شدة العطش والكرب ﴿يغاثوا بماء كالمُهْل﴾.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٨٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٨٤) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٣٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٣٥).

(٤) الآية رقم: ٣٠.

(٥) في ب: قرأت.

(٦) في الأصل: أبي الشيخ. والتصويب من ب. وانظر: ترجمته في: تهذيب التهذيب (٣/ ١٨٠).

(٧) أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٦ ح٢٥٨٤)، وأحمد (٣/ ٢٩ ح١١٢٥٢).

وبهذا الإسناد السالف عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿بماء كالمهل﴾ كعكَر الزيت، فإذا قُرّب إليه سقطت فروة وجهه فيه»[١].

وبهذا الإسناد أيضاً قال رسول الله ﷺ: «لو أن دلواً من غِسْلِين[٢] يُهْراق في الدنيا لأنْتَنَ أهل الدنيا»[٣].

قال أبو عبيدة والزجاج[٤]: كل شيءٍ أذبْته من نحاس أو رصاص أو نحو ذلك فهو مُهْل.

وقال مجاهد: هو القيح والدم[٥].

وقيل: هو الصديد الذي يسيل من جلود أهل النار.

وقال: ﴿يشوي الوجوه﴾ لِفَرْط حرارته.

ثم بالغ في ذمِّه فقال: ﴿بئس الشراب وساءت﴾ يعني: النار ﴿مرتفقاً﴾.

قال الزجاج[٦]: «مُرْتَفَقاً» منصوبٌ على التمييز، ومعناه: مَنْزِلاً.

وقال أهل اللغة: «مرتفقاً»: مُتَّكأً.

وأنشدوا:

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٤ ح٢٥٨١)، والحاكم (٢/ ٥٤٤ ح٣٨٥٠).

(٢) الغِسْلِين: ما يَسيلُ من جلود أهل النار كالقيح وغيره كأنه يُغْسل عنهم (اللسان، مادة: غسل).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٤٤ ح٣٨٥٠).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٤٠٠)، ومعاني الزجاج (٣/ ٢٨٢).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٠)، ومجاهد (ص:٣٧٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٨٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٢٨٢).

إنِّي أَرِقْتُ فبتُّ الليلَ مُرْتَفِقاً كأنَّ عيني فيها الصَّابُ[١] مذْبُوح[٢]

و«مرتفقاً» متكأ على المرفق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ جائز أن يكون الخبر: ﴿إنا لا نضيع﴾، والتقدير: لا نضيع ﴿أجر من أحسن عملاً﴾ منهم[٣]، فحذف العائد كما حذفه من قوله: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ [الشورى:٤٣] أي: منه، وكما في قولهم: السمن مَنَوان بدرهم.

وجائز أن يكون الخبر: ﴿أولئك لهم جنات عدن﴾، وما بينهما اعتراض[٤].

وجائز أن يكونا خبرين.

---

(١) الصاب: شجر لين يؤذي العين إذا أصابها. ومذبوح: أي: مشقوق.

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي يرثي صديقاً له. انظر: ديوان الهذليين (١/ ١١٤)، وشرح أشعار الهذليين (١/ ١٢٠)، ومجاز القرآن (١/ ٤٠٠)، وشرح المفصل لابن يعيش (١٠/ ١٢٤)، وشواهد المغني (ص:٧٢)، والكشاف (٢/ ٦٧٢)، والدر المصون (٤/ ٤٥١)، والطبري (١٥/ ٢٤١)، والقرطبي (١٠/ ٣٩٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٠٤)، وزاد المسير (٥/ ١٣٦)، وروح المعاني (١٥/ ٢٦٩).

(٣) التبيان (٢/ ١٠٢)، والدر المصون (٤/ ٤٥٢).

(٤) مثل السابق.

وقد سبق تفسير «جنات عدن»(١).

قوله تعالى: ﴿من أساور﴾ قال الزجاج(٢): هو جمع: أَسْوِرة، وأَسْوِرَة جمع سِوار، بكسر السين.

وقد حكي: سُوار، بالضم. وحكى قطرب: إِسْوَار.

وقال الفراء(٣): واحد الأساور ثلاث لغات: [إسوار](٤) وسُوار وسِوار. فمن قال: إسوار جَمَعَهُ أَسَاوِر، ومن قال: سُوار أو سِوار جَمَعَهُ أَسْوِرَة.

قال سعيد بن جبير: يحلّى كل واحد منهم ثلاثة من الأساور، واحدٌ من فضة، وواحدٌ من ذهب، وواحدٌ من لؤلؤ ويواقيت(٥).

قال المفسرون: لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور في اليد، والتيجان على الرأس، جعل الله تعالى ذلك لأهل الجنة(٦).

﴿ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق﴾ قال ابن قتيبة(٧): السُّنْدُس: رقيق الديباج، والإستبرق: ثخينه.

﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ الاتّكاء: التَّحَامُلُ على الشيء(٨)، والأرائك:

---

(١) في سورة النحل عند الآية رقم: ٣١.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٨٣).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٣٥). وانظر: زاد المسير (٥/ ١٣٧).

(٤) في الأصل: أساور. وكذا وردت في الموضع التالي. والتصويب من ب، وزاد المسير (٥/ ١٣٧).

(٥) الوسيط (٣/ ١٤٧)، وزاد المسير (٥/ ١٣٧).

(٦) زاد المسير (٥/ ١٣٧).

(٧) تفسير غريب القرآن (ص:٢٦٧).

(٨) انظر: اللسان (مادة: وكأ).

السُّرُر في الحِجَال[١].

قال ثعلب[٢]: لا تكون أريكة إلا سريراً في قبّة عليه شَوارُه ومتاعه.

والشَّوارُ -بفتح الشين-: متاع البيت.

﴿نعم الثواب﴾ قال ابن عباس: طاب ثوابُهم وعظُم[٣]، ﴿وحسنت مرتفقاً﴾.

۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾ قال ابن عباس وعطاء وعامة المفسرين: هما ابنا ملكٍ كان في بني إسرائيل، أحدهما مؤمن والآخر كافر، وَرِثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها، فاشترى الكافر أرضاً بألف دينار، فقال المؤمن: اللهم إن أخي اشترى أرضاً بألف دينار، وإني اشتريت منك أرضاً في الجنة بألف دينار، وتصدَّق[٤] بألف دينار. ثم إن الكافر بنى داراً بألف دينار، فقال المؤمن:

---

(١) انظر: اللسان (مادة: أرك).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ١٣٨).

(٣) الوسيط (٣/ ١٤٧).

(٤) في ب: فتصدق.

اللهم إن أخي بنى داراً بألف دينار، وإني أشتري منك داراً في الجنة بـألف دينـار، وتصدق بألف. ثم إن الكافر تزوج امرأةً فأنفق عليها ألف دينـار، فقـال المـؤمن: اللهم إن أخي تزوج امرأة فأنفق عليها ألف دينار، وإني أخطب إليـك مـن نـساء الجنة بألف دينار، وتصدَّق به. ثم إن الكافر اشترى خَدَماً ومتاعاً بألف دينار، فقال المؤمن: اللهم إن فلاناً اشترى خَدَماً ومتاعاً بألف دينار، وأنا أشتري منك خَـدَماً ومتاعاً بألف دينار[1]، فتصدَّق به. ثم أصابته حاجة شديدة فقال: لو أتيتُ أخـي لعله ينالُني منه بمعروف، فجلس في طريقه حتى مَرَّ بـه في حـشمه، فتعـرّض لـه فعَرَفه، فقال: ما حاجتك؟ فقال: أصابتني حاجةٌ شديدة، فأتيتك لتُصيبني منـك بخير، فقال: وأين ما ورثته من[2] أبيك؟ فقال: تصدقت بـه، فقـال: وإنـك لمـن المُصدِّقين بهذا؟ اذهب فوالله لا أُعطيك شيئاً أبداً حتى تتبع دينـي، ثـم أخـذ بيـد المسلم فأدخله جنانه يطوف به فيها، وإليهما أشار الله تعـالى بقولـه في الـصافات: ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين * يقول أإنـك لمـن المـصدقين ... الآيـات﴾[3] [الصافات:٥١-٥٢].

والمعنى: مثل حال المؤمنين والكافرين بحال هذين الرجلين.

﴿جعلنا لأحدهما﴾ وهو الكافر ﴿جنتـين مـن أعنـاب﴾ بـساتين مـن كـروم ﴿وحففناهما بنخل﴾ جعلنا النخل محيطاً بالجنَّتَيْن [مُطيفاً][4] بهما، ﴿وجعلنا بينهما

(١) ساقط من ب.

(٢) في ب: عن.

(٣) الوسيط (٣/ ١٤٨)، وزاد المسير (٥/ ١٣٨-١٣٩).

(٤) في الأصل: مطبقاً. والمثبت من ب.

زرعاً﴾ قال الزجاج[١]: أعلم الله سبحانه وتعالى أن عمارتها كاملةً متصلةً لا يفصل بينها إلا عمارة.

وقال غيره: جعلها أرضاً جامعةً للأقوات والفواكه، ووصف العمارة بأنها متواصلةً متشابكةً لم يتوسطها ما يقطعها أو يفصل[٢] بينها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق.

﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾ أي: آتت كل واحدة منهما صاحبها أكلها ﴿ولم تظلم منه شيئاً﴾ أي: لم تنقص من أكلها شيئاً ﴿وفجّرنا خلالهما نهراً﴾ أي: وسط الجنتين نهراً، فجعلنا شربهما سَيْحاً[٣]، فإنه من تمام حُسنهما وكمال بهجتهما ونضارتهما.

﴿وكان له﴾ أي: للكافر ﴿ثمر﴾ قرأ أبو عمرو: «ثُمْرٌ» بضم الثاء وسكون الميم. وقرأ عاصم بفتحهما. وقرأ الباقون بضمهما[٤].

فمن ضَمَّهُما جعله جمع ثمارٍ، وثمارٌ جمع ثمرٍ، وثمر جمع ثمرة، فهو جمع جمع الجمع. ويجوز أن يكون جمع ثمرة؛ كبَدَنَة وبُدْن، وخَشَبَة وخُشْب.

ويجوز أن يكون اسماً مفرداً لما يُجتنى؛ كعُنُقٍ وطُنُبٍ.

ومن سكَّن الميم فهو على ما ذكرناه، لكنه آثر التخفيف بإسكان الميم.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٨٤).

(٢) في ب: ويفصل.

(٣) السَّيْحُ: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض (اللسان، مادة: سيح).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٨٤-٨٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٦)، والكشف (٢/ ٥٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٠).

ومن فتحهما جعله جمع ثَمَرَة، كما ذكرناه.

وقال الفراء[(١)]: الثَّمَرُ -بفتح الميم والثاء[(٢)]-: المأكُول، وبضمّهما: المال. وهذا التفصيل هو المشهور عند المفسرين.

قال ابن عباس: «وكان له ثمر» يعني: أنواع المال[(٣)].

وقال مجاهد: ذهب وفضة[(٤)].

وقال قتادة: يعني: من كل المال[(٥)].

وقال الوالبي: الثَّمر: المال[(٦)].

﴿فقال لصاحبه﴾ المؤمن ﴿وهو يحاوره﴾ يراجعه الكلام ويحادثه ﴿أنا أكثر منك مالاً﴾ ونافع في بعض الروايات عنه يقرأ: «أنا أكثر» بإثبات الألف[(٧)]، وعليه أنشدوا:

أنا شيخ العشيرة [فاعرفوني][(٨)] ....[(٩)]

---

(١) معاني الفراء (٢/ ١٤٤).

(٢) في ب: الثاء والميم.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٠) وعزاه لأبي عبيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٥)، ومجاهد (ص:٣٧٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٠) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٥). وانظر: الوسيط (٣/ ١٤٨).

(٦) الوسيط (٣/ ١٤٨).

(٧) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٣١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٠).

(٨) في الأصل: فاعرفيني. والمثبت من ب.

(٩) وتكملة البيت: حَميداً قد تذرَّيْتُ السَّنَاما. انظر: اللسان، مادة: (أنن)، والقرطبي (٣/ ٢٨٧)، =

و«مالاً» و«نفراً» منصوبان على التميز.

قال قتادة: تلك والله أمنية الكافر، كثرة المال وعزَّةُ النَّفَر[(١)].

والمعنى: وأعزُّ أنصاراً وحشماً.

وقيل: أراد الأولاد الذكور؛ لأنهم ينفرون معه.

﴿ودخل جنته﴾ يعني: الكافر أخذ بيد أخيه المسلم فأدخله جنته يطوف [به][(٢)] فيها ويُعجبه منها ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ حال، على معنى: دخل جنته التي لا جنة له غيرها، ظالماً لنفسه بالكُفر والعُجْب، مُغتراً بالغفلة والمهلة، غير معتبر بسُنَّة الله تعالى في أمثاله من ذوي الطغيان الذين استُدرجوا بالنِّعَم حتى أُخذوا من مأمنهم.

﴿قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً﴾ أنكر المخذولُ فناءَ الدنيا وفناء جنته، وكذَّب بالبعث والجزاء فقال: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ وهذا شأن أكثر المترفين المغرورين بانغمارهم في نعم الله، حتى إن المسلمين منهم الموقنين بالبعث والحساب تنادي عليهم أفعالهم بالإنكار ذهاباً مع الغرور وميلاً إلى الآمال الخائبة والأماني الكاذبة.

﴿ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها﴾ أي: من الجنة.

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: «منهما»[(٣)]، رداً إلى ما تقدم من ذكر الجنتين.

= والطبري (١٥/ ٢٤٧)، وزاد المسير (٥/ ١٤٤).

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٦). وانظر: الوسيط (٣/ ١٤٨).

(٢) زيادة من ب.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٨٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٦)، والكشف (٢/ ٦٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٠).

﴿منقلباً﴾ مرجعاً، وانتصابه على التمييز.

أقسم المغرور أنه إن رُد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير ليجدن خيراً من جَنّته، ظناً منه أنه لم يُؤتها في الدنيا إلا لكرامته على الله واستحقاقه، كما قال المخذول الآخر: ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ [فصلت:٥٠]، وقول العاص بن وائل: ﴿لأوتين مالاً وولداً﴾ [مريم:٧٧].

قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾

﴿قال له صاحبه﴾ يعني: المؤمن ﴿وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾ أي: خلق أصلك وهو آدم من تراب ﴿ثم من نطفة ثم سوّاك﴾ عدَّلك وكمَّلك ﴿رجلاً لكن هو الله ربي﴾ قرأ ابن عامر: «لكنا» بالألف في الوصل، وحذفه الباقون[1]، واتفقوا على إثبات الألف في الوقف، وأصلها: لكن أنا، وهي قراءة الحسن، فحُذفت الهمزة وألقيت حركتها على النون قبلها، فاجتمعت النونان

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٨٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٧)، والكشف (٢/ ٦١)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩١).

متحركتين، فكان الإدغام، وحذفت الألف في الوصل، ومثله قول الشاعر:

وترمينَني بالطرْفِ أيْ أنتَ مُذْنِبٌ وتَقْلِينني لكنَّ إياكِ لا أقْلي [١]

قال الزجاج[٢]: ومن أثبت الألف فعلى لغة من يقول: أنا قمت، ومنه: أنا سيف العشيرة.

قال الزمخشري[٣]: وحسَّن ذلك وقوع الألف عوضاً من حذف الهمزة.

قوله تعالى: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت﴾ حين أعجبك حُسنها وسَرَّك منظرُها ﴿ما شاء الله﴾ قال الزجاج[٤]: «ما» في موضع رفع، على معنى: الأمر ما شاء الله، أو ما شاء الله كان.

وقال غيره: «ما» موصولة، و«شاء» صلته، أي: شاءه الله، [والخبر][٥] مضمر، أي: ما شاء الله كائن. وإن شئت جعلت «ما» شرطاً منصوباً بـ«شاء»، وجواب الشرط مضمر، أي ما شاء الله كان، يعني: من عمارة [وخراب][٦].

﴿لا قوة﴾ على عمارتها واستثمار أشجارها وإجراء أنهارها ﴿إلا بالله﴾ بمعونته وتسهيله.

---

(١) انظر البيت في: شرح المفصل لابن يعيش (٨/ ١٤٠)، وشواهد المغني (ص:٨٣)، والهمع (١/ ١٤٨)، ومعاني الفراء (٢/ ١٤٤)، والقرطبي (١٠/ ٤٠٥)، والطبري (١/ ٥٥)، وزاد المسير (٥/ ١٤٤)، وروح المعاني (١٥/ ٢٧٧)، والدر المصون (٤/ ٤٥٧).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٨٦-٢٨٧).

(٣) الكشاف (٢/ ٦٧٥).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٨٨).

(٥) في الأصل: خبر. والتصويب من ب.

(٦) في الأصل: وجواب. والتصويب من ب.

ثم رجع إلى نفسه فقال: ﴿إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً﴾ وقرأ ابن أبي عبلة: «أنا أقلُّ» بالرفع[١]، فمن نصب جعله مفعولاً ثانياً لـ«ترن»، و«أنا» عماد. ومن رفع جعل «أنا» مبتدأ، و«أقل» خبره. والجملة مفعول ثان لـ«ترني».

قوله تعالى: ﴿فعسى﴾ الفاء جواب قوله: «إن ترن»، والمعنى: فعسى ﴿ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك﴾ يريد: في الآخرة ﴿ويرسل عليها﴾[٢] أي: على جنتك ﴿حسباناً من السماء﴾.

قال النضر بن شميل: الحُسْبان: سهام يرمي بها الرجل في جوف قصبة، تنزع في القوس، ثم يرمي بعشرين منها دفعة واحدة[٣].

والمعنى على هذا: يرمي ويرسل عليها مرامي من عذابه، إما حجارة، وإما برداً، وإما ناراً، إلى غير ذلك من أنواع العذاب، وهذا يجمع أقوال المفسرين.

قال ابن عباس: «حسباناً»: ناراً من السماء[٤].

وقال في رواية أخرى: عذاباً[٥].

وقال ابن زيد: قضاء يقضيه الله من السماء[٦].

قال الزجاج[٧]: هذا موضع فيه لُطف يحتاج إلى شرح، وهو أن الحسبان في

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٤٥).

(٢) في الأصل زيادة قوله: ﴿حسباناً﴾ وستأتي بعد.

(٣) الوسيط (٣/ ١٤٩)، وزاد المسير (٥/ ١٤٥).

(٤) زاد المسير (٥/ ١٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٤) وعزاه للطستي.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٤) وعزاه لابن جرير.

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٤٥).

(٧) معاني الزجاج (٣/ ٢٨٩).

اللغة هو الحساب[١]. قال الله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾[الرحمن:٥] يعني: بحساب. فالمعنى في هذه الآية: أو يرسل عليها عذاب حُسْبان، وذلك أن الحُسْبَان حِسَاب ما كسبت يداك[٢].

وقال الزمخشري[٣]: الحسبان مصدر؛ [كالغفران][٤] والبطلان، بمعنى: الحساب، أي: مقداراً قدّره الله تعالى وحسبه، وهو الحكم بتخريبها.

﴿فتصبح صعيداً﴾ لا [نبت][٥] فيها ﴿زلقاً﴾ تزلّ عنها الأقدام لَملاسَتها.

﴿أو يصبح ماؤها غوراً﴾ قال ابن الأنباري[٦]: ذا غور، فسقط المضاف وخلفه المضاف إليه.

وقال الزمخشري[٧]: «زلقاً» و«غوراً» كلاهما وصفٌ بالمصدر.

والمعنى: أو يصبح ماؤها الجاري في خلالها غائراً ذاهباً في الأرض.

﴿فلن تستطيع له طلباً﴾ أي: وُصُولاً.

قال ابن الأنباري[٨]: قام الطلب مقام الوصول لأنه سببه.

وقال غيره: المعنى لا يبقى له أثر تطلبه به.

---

(١) في الأصل: السحاب. وكتب في الهامش لعله: الحساب. والتصويب من ب.

(٢) المراد بالحسبان: الصاعقة، وسميت حساباً؛ لأنها جزاء على ما قدم.

(٣) الكشاف (٢/ ٦٧٦).

(٤) في الأصل: كالغفلان. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: ينبت. والتصويب من ب.

(٦) انظر: زاد المسير (٥/ ١٤٦).

(٧) الكشاف (٢/ ٦٧٦).

(٨) انظر: زاد المسير (٥/ ١٤٦).

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وأحيط بثمره﴾ أي: أُهلك، وأصله مِنْ أحَاطَ به العدو؛ لأنه إذا أحاط به فقد مَلَكَهُ واستولى عليه، ثم استُعمل في كل إهلاك. وقد أشرنا إلى هذا فيما مضى.

﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ قال ابن عباس: يضرب يديه واحدة على أخرى[1].

وقيل: يُقلّبهما ظهراً لبطن، وهو كناية عن الندم والتحسّر؛ لأن هذا شأن النادم.

﴿على ما أنفق فيها﴾ أي على ما أخرج من الأموال في إصلاح الجنة وعمارتها، ﴿وهي خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾ أي: سقوفها، وما عرش لكرومها، [يريد][2] تساقطت العروش إلى الأرض وتساقطت فوقها الكروم.

ويروى: أن الله تعالى أرسل عليها ناراً فأكلتها.

﴿ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً﴾ قال صاحب الكشاف[3]: تذكر موعظة أخيه، فعلم أنه أُتي من جهة شركه وطغيانه، فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يُهلك

---

(١) الوسيط (٣/ ١٤٩)، وزاد المسير (٥/ ١٤٦). وفي ب: واحدة على الأخرى.

(٢) في الأصل: يرد. وفي ب غير ظاهر. ولعل الصواب كما أثبتناه.

(٣) الكشاف (٢/ ٦٧٦).

الله تعالى بستانه. ويجوز أن يكون توبةً من الشرك وندماً على ما كان منه، [ودخولاً][(١)] في الإيمان.

وليس هذا بصحيح؛ فإنه مات على كفره؛ بدليل قوله: ﴿فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾ [الصافات:٥٥].

وقيل: إنما يقول هذا ويتمنى هذا التمني يوم القيامة، بدليل قوله: ﴿ولم تكن له فئة﴾ والتي بعدها.

قرأ حمزة والكسائي: «يكن» بالياء، وقرأ الباقون بالتاء[(٢)]. وقد نبهنا على علّة مثل هذا فيما مضى.

﴿ينصرونه من دون الله﴾ أي: يمنعونه من عذابه.

ومعنى: «من دون الله» تعالى: أنه هو القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره، إلا أنه لم ينصره لكفره وطغيانه.

﴿وما كان منتصراً﴾ ممتنعاً من الله تعالى بماله ونفره.

قال ابن عباس: لم ينصره النَّفر الذين افتخر بهم في قوله: ﴿وأعز نفراً﴾[(٣)].

قوله تعالى: ﴿هنالك الولاية لله الحق﴾ قرأ حمزة والكسائي: «الوِلاية» بكسر الواو[(٤)]، كالخِيانة، والكِناية، والخِلافة، والإمارة، وقرأ الباقون بفتح الواو، وهي

---

(١) في الأصل: ودخلاً. والتصويب من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٨٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٨)، والكشف (٢/ ٦٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٢).

(٣) الوسيط (٣/ ١٤٩).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٨)، والكشف (٢/ ٦٢)، والنشر في =

النصرة والتولي. وبكسر الواو: السلطان، وقد سبق ذكره في آخر الأنفال[١].

والمعنى: هنالك في ذلك المقام، وتلك الحال النصرة لله تعالى لا يملكها غيره ولا يستطيعها سواه. أو: هنالك السلطان والملك لله تعالى، وكنت أبداً أستحسن الوقف على قوله: «هنالك» وأجعله ظرفاً لقوله: «منتصراً»، وأبتدئ: «الولاية لله الحق»، حتى رأيت بعض الحذّاق قد سبق إليه.

قرأ أبو عمرو والكسائي «الحقُّ» بالرفع، وقرأ الباقون بالجر[٢]. فمن رفع جعله صفة للولاية.

قال ابن الأنباري[٣]: تأنيث الولاية غير حقيقي، فحملت على معنى النصر، والتقدير: هنالك النصر لله الحق.

وقيل: الحق مصدر يستوي في لفظه المذكر والمؤنث والاثنان والجمع[٤]، فيقال: قولك حق، وكلمتك حق، وأقوالك[٥] حق[٦].

= القراءات العشر (٢/ ٢٧٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٢).

(١) آية رقم: ٧٢.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٩)، والكشف (٢/ ٦٣)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٠-٢٩١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٢).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ١٤٧).

(٤) في ب: والجميع.

(٥) في ب: وأقوالكم.

(٦) زاد المسير (٥/ ١٤٧).

وقال بعضهم: «الولاية» مبتدأ، خبره الظرف، و«الحق» خبر آخر[١]، قال: وهو أحسن من أن تجعله وصفاً للولاية؛ لأنك حينئذ تفصل بين الصفة والموصوف بالخبر، والصفة جزء من الموصوف، ولهذا يُعتبر تعريفه بتعريف الموصوف وتنكيره بتنكيره.

فأما من قرأ «الحقِّ» بالجر، فإنهم جعلوه صفةً لله تعالى.

﴿هو خير ثواباً﴾ لأهل ولايته وطاعته ﴿وخير عُقُباً﴾.

وقرأ عاصم وحمزة: «عُقْباً» بسكون القاف[٢]، وهما لغتان بمعنى واحد، فالمعنى: خير عاقبة.

قال أبو عبيدة[٣]: العُقُب والعُقْبُ والعُقْبى والعَاقِبَة بمعنى واحد[٤]، وهي: الآخرة.

و«ثواباً» و«عقباً» نصب على التمييز[٥].

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

---

(١) التبيان (٢/ ١٠٣)، والدر المصون (٤/ ٤٦٠).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٩)، والكشف (٢/ ٦٣)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٢).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٤٠٥).

(٤) ساقط من ب.

(٥) الدر المصون (٤/ ٤٦٠).

مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا﴾ أي: مَثِّل لهم الحياة الدنيا في بهجتها ونضرتها وحسن منظرها وسوء عاقبتها، ﴿كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به﴾ أي: التفَّ بسببه ﴿نبات الأرض﴾، وقيل: سرى الماء في النبات فاختلط به.

﴿فأصبح هشيماً﴾ متفتتاً [متحطماً][1]، مِنْ هشمت الشيء؛ إذا كسرته[2].

قال الفراء[3]: الهشيم: كلُّ ما كان رطباً فيبس.

وقال الزجاج[4]: الهشيم: النبات الجاف.

﴿تذروه الرياح﴾ أي: تنسفه وتسفيه.

وقرأ ابن مسعود: «تذريه» بالياء بدل الواو[5]، مِنْ ذَرَى يَذْرِي، وقرأ ابن عباس مثله، إلا أنه ضم التاء[6]، من أذرى [يُذري][7].

﴿وكان الله على كل شيء﴾ من [الإنشاء][8] والإفناء ﴿مقتدراً﴾. وقد ذكرنا في

(١) في الأصل: منحطماً. والتصويب من ب.

(٢) انظر: اللسان (مادة: هشم).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٠٩).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٩١).

(٥) زاد المسير (٥/ ١٤٨).

(٦) مثل السابق.

(٧) زيادة من ب.

(٨) في الأصل: الأشياء. والتصويب من ب.

سورة النساء[١] قول سيبويه في هذا وأمثاله.

وقال الحسن: المعنى: وكان الله على كل شيء مقتدراً قبل كونه.

قوله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ المعنى: هما زينة الدنيا يتفاخرون ويتكاثرون بها، كما عليه عامة الكفار وجمهور مترفي المسلمين، إلا من عصم الله تعالى، وهما إلى فناء وانقضاء.

﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾ أي: أفضل جزاء وخير أملاً من الآمال المتعلقة بالأموال والبنين.

واختلفت الرواية عن ابن عباس في الباقيات الصالحات؛ فروى ابن أبي طلحة عنه: أنها جميع أعمال الحسنات[٢]. وبه قال قتادة وابن زيد[٣].

وروى العوفي عنه: أنها الكلام الطيب[٤].

وروى سعيد بن جبير: أنها الصلوات الخمس[٥].

والمشهور في التفسير: أنها ما[٦] روى علي عليه السلام عن النبي ﷺ: « أنها لا

---

(١) آية رقم: ٨٥.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) وهذا القول هو الذي رجحه ابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٥٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٥٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٥) عن ابن عباس. وانظر: الوسيط (٣/ ١٥١)، وزاد المسير (٥/ ١٤٩).

(٦) في ب: مما.

إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله))[١].

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: ((إن عجزتم عن الليل أن تُكابدوه، وعن العدو أن تُجاهدوه، فلا تعجزوا عن قول: سبحان الله، والحمد الله، ولا إلا الله والله أكبر، فقولوها فإنها الباقيات الصالحات))[٢].

وسُئل عنها عثمان بن عفان فقال هذه الكلمات وزادها: ((ولا حول ولا قوة إلا بالله))[٣].

وقد ذكرتُ فيما مضى أن هذا وأمثاله ليس على سبيل الحصر، وإنما هو لبيان جنس المراد بذكر بعض أنواعه.

ويدل على ذلك قول ابن عباس -وقد سُئل عنها-: هي الأعمال الصالحة، لا إله إلا الله، أستغفر الله، وصلى الله على محمد، والصيام، والصلاة، والحج، والصدقة، والعتق، والجهاد، والصلة، وجميع الحسنات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض[٤].

والصالحات بمعنى: المصلحات، وقيل: النافعات، فعبّر عن النفع بالصلاح. ذكرهما الماوردي[٥].

---

(١) ذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٧) وعزاه لابن مردويه.

(٢) مثل السابق.

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ١٤٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٥) تفسير الماوردي (٣/ ٣١٠).

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم تُسَيَّرُ الجبالُ﴾ وقرأ أهل الكوفة ونافع: «نُسَيِّرُ» بالنون وكسر الياء، «الجبالَ» بالنصب[1].

قال الزجاج[2]: «ويومَ» منصوب على إضمار اذكر، ويجوز أن يكون منصوباً على «والباقيات الصالحات خير» يوم تسير الجبال، أي: خيرٌ في القيامة من الأعمال التي تبقى آثامها.

قال ابن عباس: تُسيّر عن وجه الأرض كما يُسيّر السحاب في الدنيا، ثم تكسر فتكون في الأرض كما خرجت منها[3]. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وبست الجبال بساً * فكانت هباء منبثاً﴾ [الواقعة:٥-٦].

﴿وترى الأرض بارزة﴾ ظاهرة غير محجوبة بشيء، قد سارت جبالها، وغَارَتْ

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٩٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٩)، والكشف (٢/ ٦٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٣).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٩٢).

(٣) الوسيط (٣/ ١٥٢)، وزاد المسير (٥/ ١٥١).

مياهها، واجتُثَّتْ أشجارها، وذهبت أبنيتها.

﴿وحشرناهم﴾ أي: جمعنا الإنس والجن مؤمنهم وكافرهم ﴿فلم نغادر﴾ أي: لم نترك ولم نخلّف ﴿منهم أحداً﴾.

وقرأتُ لأبان عن عاصم: «يُغَادِرْ» بالياء[١].

قال ابن قتيبة[٢]: يقال: غادرت كذا؛ إذا تركته[٣]، ومنه سُمي الغدير؛ لأنه ماءٌ تُخَلِّفُه السيول.

قوله تعالى: ﴿وعرضوا على ربك صفاً﴾ يعني: مُصطفّين ظاهرين لا يَحجب بعضهم بعضاً.

﴿لقد جئتمونا﴾ على إضمار القول، أي: فيقال لهم: قد[٤] جئتمونا، والقول مع ما بعده في موضع النصب صفةً لـ«صفٍ»، أي: عُرِضوا صَفاً مَقُولاً لهم.

قال الزمخشري[٥]: هذا المضمر هو العامل للنصب[٦] في ﴿يوم تُسيّر﴾.

﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ قال ابن عباس: حُفاةً عُراةً[٧].

قوله تعالى: ﴿بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً﴾ خطابٌ لمنكري البعث. والمعنى: زعمتم في الدنيا أن لن نجعل لكم موعداً للبعث والجزاء.

---

(١) الدر المصون (٤/ ٤٦٢).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٢٦٨).

(٣) انظر: اللسان (مادة: غدر).

(٤) في ب: لقد.

(٥) الكشاف (٢/ ٦٧٨).

(٦) في ب: عامل النصب.

(٧) الوسيط (٣/ ١٥٢)، وزاد المسير (٣/ ٨٨) بلا نسبة.

قوله تعالى: ﴿ووضع الكتاب﴾ هو اسم جنس، يريد كُتُبَ الأعمال. المعنى: ووضع كتاب كل امرئ في يمينه أو في[1] شماله.

﴿فترى المجرمين مشفقين﴾ أي: خائفين ﴿مما فيه﴾ من الأعمال القبيحة، ﴿ويقولون يا ويلتنا﴾ سبق تفسيره فيما مضى.

﴿مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ يريد: صغار الذنوب وكبارها.

وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية قال: ضَجُّوا والله من الصغار قبل الكبار[2].

وقيل: المراد: ما صَغُر من الأمور وكَبُر. أي: ما لهذا الكتاب لا يتركُ قليلاً ولا كثيراً.

قال ابن عباس: الصغيرة: التَّبسُّم، والكبيرة: القَهْقَهَة[3].

والمعنى: حَصَرَها وأثْبَتَها.

﴿ووجدوا﴾ جزاء ﴿ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ بالنقص من حسناته، ولا بالزيادة على سيئاته.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ

---

(١) ساقط من ب.

(٢) القرطبي (١٠/ ٤١٩).

(٣) زاد المسير (٥/ ١٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٠١) وعزاه لابن مردويه.

لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلاً ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿كان من الجن﴾ قال ابن عباس: هو من قبيلٍ من الملائكة، يقال لهم: الجن، خُلقوا من نار السَّمُوم[١].

قال الحسن: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس[٢]. وقد ذكرنا قصته وما لم نُفسّره هاهنا في البقرة[٣].

قال صاحب الكشاف[٤]: قوله: ﴿كان من الجن﴾ كلام مستأنف جارٍ مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كأن قائلاً قال: ما له لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ والفاء للتسبيب أيضاً، جَعَلَ كونه من الجن سبباً في فسقه.

والمعنى: خرج عن طاعة ربه.

وقال الزجاج[٥]: أتاه الفِسْق لما أُمِرَ فعصى، فكان [سبَبَ][٦] فِسْقه عن أمر ربه. قال: وهذا مذهب الخليل وسيبويه، وهو الحق عندنا.

﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾ الاستفهام في معنى التقريع والتوبيخ،

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٥٩). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٥٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٦٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٦٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٠٢) وعزاه لابن جرير وابن الأنباري في كتاب الأضداد وأبي الشيخ في العظمة.

(٣) آية رقم: ٣٤.

(٤) الكشاف (٢/ ٦٧٩).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٢٩٤).

(٦) زيادة من ب.

والمراد بذريته: أولاده.

قال الحسن: إنهم ليتوالدون كما يتوالد بنو آدم[١].

والمعنى: أفتُوالونه يا أولاد آدم وتُوالون ذريته الشياطين فتطيعونهم من دوني وقد عرفتم عداوته لأبيكم آدم.

وقوله: ﴿وهم لكم عدو﴾ في محل الحال[٢].

﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ قال الحسن وقتادة: بئس ما استبدلوا بعبادة ربهم إن أطاعوا إبليس، فبئس ذلك لهم بدلاً[٣].

قال بعض النحاة: اسم «بئس» مضمر، فسَّره بقوله: «بدلاً»، تقديره بئس البدل للظالمين بدلاً ذرية إبليس.

وقوله: «للظالمين» فصل بين «بئس» وبين ما انتصب على التمييز.

﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ما أشهدتهم﴾ أي: ما [أحضرت][٤] إبليس وجنوده[٥] ﴿خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ أي: ولا أشهدت بعضهم خلق بعض،

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٢٢٦، ١٥/ ٢٦٢). وانظر: الوسيط (٣/ ١٥٣)، وزاد المسير (٥/ ١٥٤).

(٢) الدر المصون (٤/ ٤٦٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٦٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٠٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) في الأصل: أحضرتهم. والتصويب من ب.

(٥) في ب: وذريته.

استغناءً عنهم وعن مُشاورتهم ومعاونتهم، لأني القادر الذي لا يعجزني شيء.

﴿وما كُنْتُ متخذَ المضلين عضداً﴾ قال قتادة: أعواناً[(١)]، والعضد يُستعمل كثيراً في معنى العون؛ لأنه قوام اليد، وبه قُوّتها وبطشها.

والمعنى: إذا لم أتخذهم أعواناً وشركاء في خلقي، فكيف تجعلونهم أنتم شركائي في الطاعة والعبادة، وكيف تتخذونهم مع عجزهم أولياء من دوني مع كمال قدرتي وعظمتي.

وقرأتُ لأبي جعفر: «وما كنتَ» بفتح التاء[(٢)]، على الخطاب للرسول ﷺ، على معنى: ما ينبغي لك أن تغترّ بهم وتتخذهم أعواناً.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم يقول﴾ وقرأ حمزة: «نقول» بالنون[(٣)]، ووجههما ظاهر، ﴿نادوا شركائي الذين زعمتم﴾ قال ابن عباس: يريد يوم القيامة، يقول الله تعالى:

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٦٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٠٤) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩١).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٩٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٠)، والكشف (٢/ ٦٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٣).

ادعوا الذين أشركتم بي ليمنعوكم من عذابي[(١)]، ﴿فدعوهم﴾ للدفع عنهم وللنفع لهم، ﴿فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم﴾ أي: بين المشركين وآلهتهم.

وقيل: بين المشركين والمؤمنين.

﴿موبقاً﴾ أي: مهلكاً، يقال: وَبِقَ يَوْبَقُ وَبَقاً. وحكى الكسائي: وَبِـقَ يَوْبِـقُ وُبُوقاً[(٢)].

وفي مجمل اللغة[(٣)]: قال ثعلب: كل شيء حَالَ بين شيء فهو مَوْبِق، مِنْ وَبَـقَ يَبِقُ.

قال عبدالله بن عمرو: هو وادٍ في جهنم عميق[(٤)]، يُفرَقُ به يوم القيامة بين أهل لا إله إلا الله وبين من سواهم[(٥)].

وقال مجاهد: هو وادٍ من حميم[(٦)].

وقال عكرمة: هو نهر في النار يسيل ناراً، على حافتيه حيات مثل البغال الدهم[(٧)].

---

(١) الوسيط (٣/ ١٥٣)، وزاد المسير (٥/ ١٥٥).

(٢) انظر: اللسان (مادة: وبق).

(٣) مجمل اللغة (٤/ ٥٠١).

(٤) في ب: عميق في جهنم.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٦٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٠٥) وعزاه لأحمد في الزهد وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي.

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٦٥)، ومجاهد (ص:٣٧٧) ولفظه: الموبق: واد في جهنم. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٥٦)، والسيوطي في الدر (٥/ ٤٠٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٧) البغوي (٣/ ١٦٨)، والقرطبي (١١/ ٣).

فعلى[١] القول الأول؛ يكون المعنى: وجعلنا بين المشركين وشركائهم وادياً مشتركاً يَهلِكُون فيه جميعاً.

وعلى القول الثاني؛ يكون المعنى: وجعلنا بين المشركين وبين المؤمنين [حاجزاً][٢] يحجز بينهم.

وقال الفراء[٣] -على القول الأول-: البين هاهنا: الوصل. والمعنى: وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة.

وقال الحسن: موبقاً: عداوة[٤].

قوله تعالى: ﴿ورأى المجرمون النار﴾ قال ابن عباس: أي عاينوها وهي تتلظّى عليهم[٥] ﴿فظنوا﴾ أيقنوا ﴿أنهم مواقعوها﴾ قال مجاهد: مقتحموها. والمُواقعة: المُلابسة بشدة.

﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ معدلاً وموضعاً ينصرفون إليه.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ أي: أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدال، وهم الملائكة والجن خصومة ومماراة.

---

(١) في الأصل زيادة قوله: هذا.

(٢) في الأصل: حجازاً. والتصويب من ب.

(٣) انظر: معاني الفراء (٢/ ١٤٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٦٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٥٦).

(٥) الوسيط (٣/ ١٥٤)، وزاد المسير (٥/ ١٥٦).

قال ابن عباس: يريد: النضر بن الحارث وجداله في القرآن(١).

وقال ابن السائب: يريد: أُبيّ بن خلف وجداله في البعث، حتى أتى بعظم قد رمَّ فقال: أيقدر الله على إعادة هذا؟(٢).

والظاهر: عمومها في جنس الإنسان، يدل عليه ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم العطار وأبو الحسن الصوفي قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا عبدالرحمن [بن](٣) محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا البخاري، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرني علي بن الحسين، [أن حسين](٤) بن علي أخبره، أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخبره: «أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ فقال: ألا تصليان؟ فقلت: يا رسول الله! أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثها بعثها، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، فسمعته وهو مولّ يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾»(٥). هذا حديث صحيح. وأخرجه مسلم أيضاً.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ

---

(١) الوسيط (٣/ ١٥٤)، وزاد المسير (٥/ ١٥٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) زيادة من ب.

(٤) زيادة من البخاري (١/ ٣٧٩).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٣٧٩ ح١٠٧٥)، ومسلم (١/ ٥٣٧ ح٧٧٥).

وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿وما منع الناس﴾ يعني أهل مكة ﴿أن يؤمنوا﴾ بوحدانية الله ونبوة محمد ﷺ ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ وهو البيان الواضح على ذلك ﴿ويستغفروا ربهم﴾ عطفٌ على «أن يؤمنوا»، ﴿إلا أن تأتيهم سُنّة الأولين﴾ [وهو][1] أنهم إذا لم يؤمنوا عُذّبوا، يقول: فقدّرت[2] على هؤلاء العذاب، فذلك الذي يمنعهم من الإيمان.

و«أنْ» الأولى في موضع نصب، والثانية في موضع رفع. التقدير: وما منع الناس الإيمان، إلا إنتظاراً وطلب، أو تقديري عليهم أن تأتيهم سُنَّة الأولين.

وقال ابن الأنباري[3]: المعنى: وما منع الشيطان الناس رشدهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين لكي يقع العذاب بهم.

﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾ قرأ أهل الكوفة: «قُبُلاً» بضم القاف والباء، وقرأ الباقون بكسر القاف وفتح الباء[4].

قال أبو علي[5]: في القراءة الأولى يحتمل تأويلين: يجوز أن يكون قُبُلاً بمعنى قِبَلاً، كما حكاه أبو زيد؛ لأنه قال: لقيت فلاناً قِبَلاً ومقابلة [وقَبَلاً][6] وقُبُلاً وقَبَلِيّاً

---

(١) في الأصل: وهم. والمثبت من ب.

(٢) في ب: فقد قدرت.

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ١٥٧).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٩١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٠)، والكشف (٢/ ٦٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٣).

(٥) الحجة (٣/ ٩١).

(٦) زيادة من الحجة، الموضع السابق.

وقَبيلاً، كله واحد، فيكون معنى القولين واحد على ما فَسَّره[١]، اختلف اللفظ واتفق المعنى.

ويجوز أن يكون قُبُلاً جمع قبيل، كأنه: يأتيهم العذابُ قبيلاً قبيلاً، أي: صنفاً صنفاً، فجمع قبيلاً الذي هو فعيلاً على فُعُل، كَرغِيف ورُغُف، وقَضِيب وقُضُب.

ومن قرأ: «قِبَلاً» فمعناه: مقابلة، أي: يأتيهم العذاب مُقابلةً من حيث يرونه، وقد تقدم ذكره في الأنعام[٢].

قوله تعالى: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾: سبق تفسيره[٣].

﴿ويجادل الذين كفروا﴾ قال ابن عباس: يريد: المستهزئين والمقتسمين وأتباعهم[٤]، وجدالهم ﴿بالباطل﴾ ألزموه أن يأتيهم بالآيات على ما يقترحونه ويهوونه.

وقيل: جدالهم قولهم: ﴿أإذا كنا عظاماً ورفاتاً﴾ [الإسراء:٤٩]، ﴿أإذا ضللنا في الأرض﴾ [السجدة:١٠] ونحو ذلك.

﴿ليدحضوا به الحق﴾ أي: ليبطلوا ويزيلوا به الأمر الثابت الذي جاء به محمد ﷺ، مِنْ إدْحَاض القَدَم، وهو إزالتها عن موضعها.

﴿واتخذوا آياتي﴾ يعني: القرآن ﴿وما أنذروا هزواً﴾ قال الزمخشري[٥]: ويجوز

---

(١) في ب: فيكون معنى القراءتين على ما فسره واحداً.

(٢) آية رقم: ١١١.

(٣) في سورة الأنعام عند آية رقم: ٤٨.

(٤) الوسيط (٣/ ١٥٤)، وزاد المسير (٥/ ١٥٩).

(٥) الكشاف (٢/ ٦٨١).

أن تكون «ما» [موصولة][١]، ويكون الراجع من الصلة محذوفاً، أي: ما[٢] أنذروه من العقاب. أو مصدرية بمعنى وإنذارهم هزؤاً.

وقرئ: «هُزْءاً» بسكون الزاي، أي: اتخذوها موضع استهزاء.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن ذُكِّرَ بآيات ربه﴾ يعني: القرآن، ﴿فأعرض عنها﴾ متهاوناً بها اشتملت عليه من الوعد والوعيد، ﴿ونسي ما قدمت يداه﴾ من الكفر والمعاصي، ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً﴾ سبق تفسير هذا كله فيما مضى[٣].

﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾ قال الزجاج[٤]: أخبر الله تعالى أن هؤلاء من أهل الطَّبْع.

قوله تعالى: ﴿وربك الغفور﴾ الساتر على عباده ﴿ذو الرحمة﴾ بهم إذ لم

---

(١) في الأصل: موصلة. والتصويب من ب.

(٢) في ب: وما.

(٣) في سورة الأنعام عند الآية رقم: ٢٥، وسورة الإسراء عند الآية رقم: ٤٦.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٩٧).

يُعاجلهم بالعقوبة.

ثم استشهد على ذلك بما يشاهدونه عياناً فقال: ﴿لو يؤاخذهم بما كسبوا﴾ يعني: من الذنوب ﴿لعَجَّلَ لهم العذاب﴾ في الدنيا، ﴿بل لهم موعدٌ﴾ للبعث والحساب والجزاء ﴿لن يجدوا من دونه موئلاً﴾ منجى وملجأً، يقال: وَأَلَ يَئِلُ وَألاً؛ إذا نجا[1]. قال الأعشى:

وَقَدْ أُخالِسُ رَبَّ البيتِ مُقْلَتَهُ   وقد يُحاذِرُ مني ثم ما يَئِلُ[2]

قوله تعالى: ﴿وتلك القرى﴾ يريد قرى ثمود ولوط وغيرهم من المهلكين بشرْكِهم ﴿أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾ وقتاً معلوماً لا يتأخرون عنه.

قرأ حفص: «لِمَهلِكهم» بفتح الميم وكسر اللام. وقرأتُ لعاصم من رواية أبان عنه، ومن طريق الكسائي عن أبي بكر عنه، ومن طريق يحيى والعليمي أيضاً: «لَمهلَكهم» بفتح الميم واللام الثانية، الباقون بضم الميم وفتح اللام[3].

قال الزجاج[4]: تأويل المُهْلَك -يريد ما قرأه الأكثرون- على ضربين؛ على المصدر وعلى الوقت. فمعنى المصدر: لإهلاكهم، ومعنى الوقت: لوَقْت

---

(١) انظر: اللسان (مادة: وأل).

(٢) البيت للأعشى. وهو في: شرح القصائد العشر (ص:٤٩٣)، ومجاز القرآن (١/ ٤٠٨)، والطبري (١٥/ ٢٦٩)، والقرطبي (١١/ ٨)، وروح المعاني (١٥/ ٣٠٦)، والدر المصون (٤/ ٤٦٦).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٩٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢١)، والكشف (٢/ ٦٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٣).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٩٧).

إهلاكهم، وكل فعل ماض على أفْعَل، فالمصدر منه مُفْعَل أو إفْعَال، واسم الزمان منه مُفْعَل، وكذلك اسم المكان.

وقال أبو علي الفارسي[1]: هو مصدر من أهْلَكَ يُهْلِكُ، مضاف إلى المفعول بهم، كأنه لإهلاكهم.

ومن قرأ بفتح الميم واللام فهو مصدر، من هَلَكَ يَهْلِكُ مضافاً إلى الفاعل، كقولك: جعلنا لهلاكهم.

ومن قرأ بفتح الميم وكسر اللام فهو أيضاً مصدر هلك، إلا أن القياس في مصدر فَعَلَ يَفْعِلُ أن يُبنى على مَفْعَل، بفتح العين في الأمر الشائع، وقد جاء المصدر من باب فَعَل يَفْعِل بكسر العين. قال: ﴿إليّ مرجعكم﴾ [العنكبوت:٨]، وقال: ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ [البقرة:٢٢٢].

والأول أكثر وأوسع.

وقال الزمخشري[2]: المُهلَك بضم الميم وفتح اللام: الإهلاك ووقته، وبفتح الميم مع فتح اللام أو كسرها بمعنى: لهلاكهم أو لوقت هلاكهم، والموعد: وقت، أو مصدر.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا

---

(١) الحجة (٣/ ٩٣-٩٤).

(٢) الكشاف (٢/ ٦٨٢).

نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ أخبرنا شيخنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة قراءة عليه وأنا أسمع بدمشق، والشيخ أبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق الخازن النيسابوري بقراءتي عليه ببغداد قالا: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي قال: أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور بن علان الكرجي، أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن [الحسن][1] الحيري، حدثنا محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان بن عيينة.

وأخبرنا المؤيد بن محمد إذناً، أخبرنا الفراوي، أخبرنا عبد [الغافر][2]، أخبرنا الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، أخبرنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان بن عيينة.

وأخبرنا الشيخان أبو القاسم بن عبدالله بن عبد الصمد قراءة عليه وأنا أسمع، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بقراءتي عليه قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا السرخسي، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا الحميدي -واللفظ

---

(١) في الأصل: الحسين. والتصويب من ب. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥٦)، وشذرات الذهب (٣/ ٢١٧).

(٢) في الأصل: عبد الغفار. والمثبت من ب. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٩)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٧٧).

له- قال: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا عمرو بن دينار، أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: «إن نوفاً البِكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل فسُئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله تعالى عليه إذ لم يَردَّ العلم إليه، فأوحى الله تعالى إليه أن لي عَبْداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: وكيف لي به؟ قال: أن تأخذ معك حوتاً فتجعله في مِكْتَل[١] فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق، وانطلق معه فَتَاهُ[٢] يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، [واضطرب][٣] الحوت في المكتل، فخرج [منه][٤] فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقيّة يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله تعالى به. فقال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً. قال: فكان

(١) المِكْتَل: الزَّبيل الذي يُحمل فيه التمر أو العنب (اللسان، مادة: كتل).
(٢) في ب: بفتاه.
(٣) في الأصل: واضطب. والتصويب من ب، وصحيح البخاري (٤/ ١٧٥٢).
(٤) زيادة من ب والبخاري، الموضع السابق.

للحوت سرباً، وكان لموسى وفتاه[١] عجباً. فقال موسى: ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصَصاً. قال: رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجلٌ مُسَجَّى[٢] ثوباً، فسلّم عليه موسى، فقال الخضر: وأنَّى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتُعلِّمني مما عُلِّمتَ رُشداً. قال: إنك لن تستطيع معي صبراً يا موسى، إني على عِلْم من عِلْم الله تعالى عَلَّمنيه لا تعلمه، وأنت على علم من الله علمكه الله لا أعلمه. فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. فقال له الخضر: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أُحدث لك منه ذكراً، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرَّتْ سفينة فكلّموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر، فحُملوا بغير نَوْل[٣]، فلما ركبا السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقَدُوم[٤]، فقال له موسى: قومٌ قد حملونا بغير نَوْلٍ، عمدتَ إلى سفينتهم [فخرقتها][٥] لتغرق أهلها، لقد جئت شيئاً إمراً، قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً، قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً. قال: وقال رسول الله ﷺ: كانت الأولى من موسى نسياناً. قال: وجاء عصفور فوقع على حَرْف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله تعالى إلا مثل ما نَقَصَ هذا العصفور من

---

(١) في ب: ولموسى ولفتاه.

(٢) مُسَجَّى: أي: مُغطّى (اللسان، مادة: سجا).

(٣) بغير نَوْل: أي: بغير أجر ولا جُعْل (اللسان، مادة: نول).

(٤) القَدُوم: آلة للنجر والنحت (المعجم الوسيط ٢/ ٧٢٠).

(٥) في الأصل: خرقتها. والتصويب من ب، والبخاري (٤/ ١٧٥٣).

هذا البحر، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر [رأسه بيده][(١)] فاقتلعه فقتله، فقال له موسى: أقتلت نفساً زاكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً، قال: وهذه أشد من الأولى. قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض، قال: مائلاً، فقال الخضر بيده فأقامه، فقال موسى: قومٌ أتيناهم فلم يُطعمونا ولم يُضيفونا، لو شئت لاتخذت عليه أجراً؟ قال: هذا فراق بيني وبينك إلى قوله: ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾، فقال رسول الله ﷺ: وددنا أن موسى عليه السلام كان صبر حتى يقصّ علينا من خبرهما. فقال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقرأ: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً»، وكان يقرأ: «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين»[(٢)]. هذا حديث متفق على صحته.

قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى﴾ أي: اذكر إذ قال موسى بن عمران.

وقال ابن إسحاق: هو موسى بن ميشا بن يوسف، وكان نبياً في بني إسرائيل قبل موسى بن عمران[(٣)].

وليس بشيء؛ للحديث الصحيح الذي ذكرناه.

﴿لفتاه﴾ يعني: يوشع بن نون، نُسِبَ إليه لملازمته وخدمته وأخذه عنه العلم.

---

(١) في الأصل: رأسه وبيده. وفي ب: برأسه بيده. والتصويب من البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٥٢ ح٤٤٤٨)، ومسلم (٤/ ١٨٤٧-١٨٤٩ ح ٢٣٨٠).

(٣) الماوردي في تفسيره (٣/ ٣٢١)، وزاد المسير (٥/ ١٦٤).

﴿لا أبرح﴾ أي: لا أزال أسير ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ يعني: الموضع الذي يلتقيان فيه.

قال أبي بن كعب: [يلتقيان بإفريقية][(١)].[(٢)]

وقال محمد بن كعب القرظي: بطنجة[(٣)].

قال قتادة: يعني: بحر فارس وبحر الروم نحو المغرب[(٤)].

﴿أو أمضي حقباً﴾ وقرأ الحسن: «حُقْباً» [بسكون][(٥)] القاف[(٦)].

والمعنى: أو أسير زماناً طويلاً.

وحكى الفراء[(٧)]: أن الحُقُب: سَنَة بلغة قيس.

وقال أبو عبيدة: الحقب عند العرب: وقت غير محدود. وهو معنى قول ابن عباس: أو أمضي دهراً[(٨)].

---

(١) في الأصل: يلتقيا بالفريقية. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٢) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) في الأصل: بكسر. والتصويب من ب.

(٦) زاد المسير (٥/ ١٦٤).

(٧) معاني الفراء (٢/ ١٥٤).

(٨) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

وروي عن عبدالله بن عمرو وأبي هريرة: أن الحُقُب ثمانون سنة[١].

وعن مجاهد: أنه سبعون سنة[٢].

﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما﴾ وكانت سمكة مملوحة في زَبيل[٣] معهما، تزوّدُوها[٤] فيما تزوداه، فلما انتهيا إلى الصخرة على ساحل البحر ناما فأصاب الحوت [من][٥] بلل البحر.

وقيل: توضأ يوشع من عين الحياة، فأصاب الحوت من نضح الماء فعاش، فانساب في البحر، وكان موسى إذ ذاك قد ذهب في حاجة، فعزم يوشع أن يخبره إذا رجع فنسي[٦].

وإنما قال: ﴿نسيا حوتهما﴾ توسعاً في الكلام، كما يقال: نسي القوم زادهم، وإن لم ينسه إلا واحد منهم.

وقيل: أضيف النسيان إلى موسى أيضاً؛ لكونه لم يتفقَّد الحوت، ولم يأمر فتاه فيه بشيء.

﴿فاتخذ سبيله﴾ أي: طريقه ﴿في البحر سرباً﴾ السَّرَب: ما حُفر في الأرض ولم ينفذ[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧٢) عن عبدالله بن عمرو. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٦٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧٢)، ومجاهد (ص:٣٧٨).

(٣) الزبيل: وعاءٌ يُحمل فيه (لسان العرب، مادة: زبل).

(٤) في ب: تزوَّداها.

(٥) زيادة من ب.

(٦) زاد المسير (٥/ ١٦٥).

(٧) انظر: اللسان (مادة: سرب).

قال الفراء[١]: لما وقع الحوت في الماء جَمُدَ مذهبُه[٢] في البحر، فكان كالسرب.

قال ابن [عباس][٣]: جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة[٤].

وقال قتادة: جعل لا يسلك طريقاً إلا صار الماء جامداً[٥].

وقال الربيع بن أنس: انْجَابَ الماء[٦] عن مسلك الحوت فصار كوة[٧] لم تلتئم[٨].

وقوله: «سرباً» ثاني مفعولي «اتخذ».

قوله تعالى: ﴿فلما جاوزا﴾ يعني: ذلك الموضع[٩] الذي انساب الحوت عنده، ﴿قال لفتاه آتنا غداءنا﴾ وهو الطعام الذي يؤكل بالغداة، ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا﴾ يشير إلى سفرهما بعد انسياب الحوت ﴿نصباً﴾ تعباً وإعياء.

وهذا دليل على جواز ذكر الإنسان ما يلحقه من المشقة والألم إذا لم يتضمن

---

(١) معاني الفراء (٢/ ١٥٤).

(٢) أي: طريقه.

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧٤).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧٤).

(٦) انجاب الماء: أي: انشق (اللسان، مادة: جوب).

(٧) الكَوَّة: الخرق في الحائط (اللسان، مادة: كوي).

(٨) الوسيط (٣/ ١٥٧).

(٩) في ب: المكان.

معنى التسخط[١] والتكرّه بقضاء الله تعالى وقدره.

﴿قال﴾ يعني: يوشع مخاطباً لموسى عليهما السلام ﴿أرأيت﴾ أي: أخبرني ﴿إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت﴾ قال الزمخشري[٢]: إن قلت: ما وجه التئام هذا الكلام، فإن كل واحد من «أرأيت» و «إذ أوينا» و«فإني نسيت الحوت» لا متعلق لها[٣].

قلت: لما طلب موسى [الحوت][٤] ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية، فدُهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك، كأنه قال: أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة؟ فإني نسيت الحوت، فحذف ذلك.

قال مقاتل[٥]: هي الصخرة التي دون نهر الزيت[٦].

والمعنى: فإني نسيت أن أحدثك حديث الحوت.

وقيل: المعنى: نسيت حمل الحوت.

﴿وما أنسانيه إلا الشيطان﴾ قرأ حفص: «أَنْسَانيهُ» بضم الهاء، وكسرها الباقون، ووصلها ابن كثير بياء في الوصل، وأمال الكسائي السين[٧].

---

(١) في ب: السخط.

(٢) الكشاف (٢/ ٦٨٤).

(٣) في ب: له.

(٤) في الأصل: الجواب. والمثبت من ب، والكشاف (٢/ ٦٨٤).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٥).

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧٥) عن محمد بن معقل عن أبيه. وانظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٢٤).

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٩١-٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٢)، والكشف (٢/ ٦٦)، والنشر في القراءات العشر (١/ ٣٠٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٢)، والسبعة في القراءات =

«أن أذكره» بدل من الهاء في «أنسانيه»[١]، أي: وما أنساني ذكره إلا الشيطان.

﴿واتخذ سبيله﴾ الأظهر أن هذا من تمام كلام يوشع، أي: اتخذ الحوت طريقه ومذهبه في البحر ﴿عجباً﴾ أي: سبيلاً عجباً، فهو ثاني مفعولي «اتخذ»[٢].

ويجوز أن يكون يوشع قال في آخر كلامه: عجباً، أي: أعجب عجباً من تلك الآية العجيبة الخارقة ونسيانيها، مع كونها علامة على أمرٍ قد نهضنا[٣] بسببه، وأنشأ سفراً من أجله، أو أعجب من هاتين المعجزتين؛ وهما: حياة الحوت، وقيام الماء على هيئة الطاق.

ويجوز أن يكون هذا من قول موسى، قال له يوشع: واتخذ سبيله في البحر، فأجابه موسى: عجباً.

قال ابن زيد: أيّ شيء أعجب من حُوت كان دهراً من الدهور يُؤكل منه ثم صار حياً[٤]. وكان شِقَّ حوت.

وقيل: إن كلام يوشع انقطع عند قوله: ﴿أن أذكره﴾، ثم أخبر الله تعالى عن الحوت فقال: ﴿واتخذ سبيله﴾.

وقيل: المعنى: واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً.

قال ابن عباس: دخل موسى في المكان الذي مرَّ فيه الحوت حتى انتهى إلى

= (ص:٣٩٣-٣٩٤).

(١) التبيان (٢/ ١٠٦)، والدر المصون (٤/ ٤٧١).

(٢) مثل السابق.

(٣) في ب: نهضا.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧٥).

جزيرة من جزائر البحر، فلقي الخضر عليه السلام فقال[١]: ﴿ذلك ما كنا نبغ﴾ من العلامة الدالة على الظَّفْر بالمقصود[٢].

﴿فارتدا على آثارهما قصصاً﴾ أي: رجعا من حيث جاءا يتْبَعَان آثارهما. ومنه: ﴿وقالت لأخته قُصّيه﴾ [القصص:١١] أي: اتبعي أثره. والنَّصب على معنى: يَقُصَّان قَصَصاً، أي: يتبعان اتّباعاً، أو على معنى: فارتدا مقتصّين.

فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾

﴿فوجدا عبداً من عبادنا﴾ كلامٌ مُشعر بتعظيمه وتفضيله.

واختلف في اسمه؛ فقال وهب ومقاتل[٣]: اليسع[٤].

وقيل: أُرميا بن حلقيا. ذكره ابن المنادي[٥].

وحكى الثعلبي والواحدي[٦]: أن اسمه بَليا بن ملكان.

وإنما سُمي الخضر؛ لما أخبرنا الشيخ الزاهد أبو محمد عبدالله بن عبد الجبار بن محمد بن غالب الطائي المعروف بالبدوي رحمه الله، قراءة عليه [وأنا][٧] أسمع بالمسجد الأقصى -شرَّفه الله تعالى- في سنة سبع وستمائة، أخبرنا أبو المعالي عبدالله

---

(١) في ب: قال.

(٢) زاد المسير (٥/ ١٦٧).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٦).

(٤) الماوردي (٣/ ٣٢٥)، وزاد المسير (٥/ ١٦٧).

(٥) زاد المسير (٥/ ١٦٧).

(٦) تفسير الثعلبي (٦/ ١٨٢)، والوسيط للواحدي (٣/ ١٥٧).

(٧) زيادة من ب.

بن عبدالرحمن بن صابر السلمي، أخبرنا الشريف أبو القاسم علي بن إبراهيم بن يزداد المقرئ الأهوازي، حدثنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن ابن الخلال[(١)] بمصر، حدثنا علي بن عبد الله بن أبي مطر الإسكندراني[(٢)]، حدثنا الطهراني[(٣)] - وهو محمد بن حمَّاد -، حدثنا عبدالرزاق، عن معمر، أخبرنا همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إنما سُمّي الخَضِرُ خَضِراً؛ لأنه قَعَدَ على فَرْوة بيضاء فاهتزّ ما حوله خضِراً»[(٤)]. هذا حديث صحيح، انفرد بإخراجه البخاري في صحيحه، فرواه عن محمد بن سعيد الأصبهاني، عن عبد الله بن المبارك، عن معمر.

والفَرْوة: الأرض اليابسة[(٥)].

وقال مجاهد: كان إذا صلَّى اخضرّ ما حوله[(٦)].

---

(١) منير بن أحمد بن الحسن بن علي بن منير، أبو العباس المصري الخشاب المعدل. ثقة، حدث عن علي بن عبد الله بن أبي مطر، ومحمد بن أيوب بن الصموت، ومحمد بن أحمد بن أبي الأصبغ، وأحمد بن الضحاك. وعنه الصوري، وخلف الحوفي، وآخرون، مات في حادي عشر ذي القعدة سنة اثنتي عشرة وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٦٧).

(٢) علي بن عبد الله بن أبي مطر الإسكندراني، صدوق مشهور، كان قاضي الإسكندرية، وهو ثقة فقيه، كان أعلم الناس بمذهب مالك، مات في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وهو ابن تسع وتسعين سنة (لسان الميزان ٤/ ٢٣٧).

(٣) محمد بن حماد، أبو عبد الله الرازي الطهراني، صدوق ثقة حافظ، توفي بعسقلان سنة إحدى وسبعين ومائتين في شهر ربيع الآخر، وله نيف وثمانون سنة (سير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٢٨-٦٢٩، وتهذيب التهذيب ٩/ ١٠٩، والتقريب ص:٤٧٥).

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٤٨ ح٣٢٢١).

(٥) انظر: اللسان (مادة: فرا).

(٦) زاد المسير (٥/ ١٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٠) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر =

فصل

اختلف الناس في الخضر هل كان مَلَكاً أو بشراً؟ واختلفوا هل كان نبياً أو لا؟ فقال الأكثرون: نبياً، وفسروا قوله: ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ بالنبوة والوحي.

وقال بعضهم: كان رجلاً صالحاً[١].

واختلفوا هل هو باق إلى اليوم؛ فحكى الماوردي[٢] في ذلك قولين.

وكان الحسن يذهب إلى أنه مات[٣].

قال ابن المنادي: لا يَثبتُ حديثٌ في بقائه[٤].

وسُئل البخاري عن الخضر وإلياس هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون ذلك وقد قال النبي ﷺ: «لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد»[٥]، والله تعالى أعلم.

والخلاف في هذا وأمثاله مما لا يُجدي فائدة ولا يجلُب نفعاً، ولكنا نذكر ما قيل.

قوله تعالى: ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ قال مقاتل[٦]: يعني: النبوة.

= وابن أبي حاتم وابن عساكر.

(١) زاد المسير (٥/ ١٦٨).

(٢) انظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٢٥).

(٣) زاد المسير (٥/ ١٦٨).

(٤) مثل السابق.

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٥٥ ح١١٦)، ومسلم (٤/ ١٩٦٥ ح٢٥٣٧).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٥).

وقيل: الرّقة والحنو على من يستحقه[١].

﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ قال ابن عباس: علماً من علم الغيب[٢].

قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رُشْداً﴾ قرأ أبو عمرو: «رَشَداً» بفتح الراء والشين. وقرأ الباقون بضم الراء وسكون الشين[٣]، وهما لغتان؛ كالبُخْل والبَخَل.

قال مكي[٤]: إن أعملت «هل أتبعك» في «رشداً» كان مفعولاً من أجله، أي: هل أتبعك للرشد على أن تعلمني مما عُلمت، والعلم هاهنا بمعنى التعريف الذي يتعدّى إلى مفعول واحد، وإن نصبت بـ«تُعَلِّمَنِي» كان مفعولاً به[٥].

والمعنى: على أن تعلمني علماً ذا رشد مما عُلمته. وهذه القصة مشعرةٌ بشرعية

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٦٩).

(٢) الوسيط (٣/ ١٥٨)، وزاد المسير (٥/ ١٦٩).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٢)، والكشف (٢/ ٦٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٤).

(٤) الكشف (٢/ ٦٦-٦٧).

(٥) التبيان (٢/ ١٠٦)، والدر المصون (٤/ ٤٧٢).

الرحلة في طلب العلم والازدياد منه، ولزوم قوانين الأدب مع العالم المأخوذ عنه.

قال قتادة: لو كان أحدٌ مكتفياً علماً لاكتفى نبي الله موسى، ولكنه قال: ﴿هل أتبعك ... الآية﴾[١].

﴿قال﴾ يعني الخضر لموسى: ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ نفى استطاعته الصبر معه، علماً منه أنه لا يتمالك إذا رأى ما يوجب الاشمئزاز والنفور مما ظاهره موجبٌ للإنكار، وباعثٌ على السؤال.

قال ابن عباس: لن تصبر على صنيعي؛ لأني عَلمتُ من غيب علم ربي[٢].

ثم أعلمه العلة في ترك الصبر فقال: ﴿وكيف تصبر﴾ «كيف» نصبٌ على الظرف، وهو منصوب بـ«تصبر».

﴿على ما لم تُحِطْ به خُبْراً﴾ أي: عِلْماً، و«خُبْراً» نصَبٌ على المصدر والتمييز[٣]، فالأول على معنى: ما لم تَخْبُرْه خُبْراً؛ لأن «لم تُحِطْ به» في معنى: لم تخبره.

والثاني على معنى: لم يُحط به خُبْرك.

﴿قال﴾ حرصاً على طلب الزيادة في العلم: ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً﴾ عن الإنكار والسؤال، ﴿ولا أعْصِي﴾ في محل النصب عطفاً على «صابراً»[٤]. أي: ستجدني صابراً غير عاصٍ، وعلَّقه على المشيئة حين رأى ذلك العالم الكامل قد نفى عنه وصف الاستطاعة بقوله: ﴿لن تستطيع﴾.

---

(١) الوسيط (٣/ ١٥٨).

(٢) الوسيط (٣/ ١٥٨)، وزاد المسير (٥/ ١٦٩).

(٣) التبيان (٢/ ١٠٦)، والدر المصون (٤/ ٤٧٢).

(٤) الدر المصون (٤/ ٤٧٢).

﴿قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء﴾ مما تراني أصنعه مما ظاهره الإنكار ﴿حتى أُحدث لك منه ذكراً﴾ فأكون أنا الذي أفتح لك باب تأويله، وأوضح لك ما أشكل عليك منه.

قرأ نافع وابن عامر: «فلا تسألَنِّي» بفتح اللام وتشديد النون وإثبات الياء[1].

قال أبو علي الفارسي[2]: من أسْكَنَ اللام فلأن الفعل مجزوم بلا التي هي للنهي، فأسْكَنَ اللام للجزم. ومن فَتَحَ اللام فإنه ألحق الفعل النون الثقيلة، وبنى الفعل معها على الفتح. ومن أثبت الياء فهو الأصل، ومن حذفها فلأنّ الكسرة تدل عليها.

فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾

وقوله: ﴿فانطلقا﴾ أي: سارا يمشيان على ساحل البحر، فمرَّتْ بهم سفينة فكلّموهم أن يحملوهم معهم، فحملوهم بغير أجر، ﴿حتى إذا ركبا﴾ ولججا في البحر، أخذ الخضر فأساً فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء، فجعل موسى يسدّ الخرق بثيابه ويقول منكراً عليه: ﴿أخرقتها لتُغرق أهلها﴾ وقرأ

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٩٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٣)، والكشف (٢/ ٦٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٢-٢٩٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٤).

(٢) الحجة (٣/ ٩٤).

حمزة والكسائي: «لِيَغْرَقَ» بالياء مفتوحة مع فتح الراء، «أهلُها» بالرفع[١].

وقراءة الأكثرين أوجه؛ لكون المعطوف مثل المعطوف عليه في إسناد الفعل إلى المخاطب.

﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾ أي: عظيماً، من قولك: أَمِرَ الأمْر؛ إذا عَظُمَ[٢].

قال مجاهد: منكراً[٣].

وقال ابن قتيبة[٤]: عجباً.

﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ قال الزجاج[٥]: فلما رأى موسى عليه السلام أن الخَرْق لم يدخل منه الماء، وأنه لم يضرر من في السفينة، ﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت﴾.

قال أبي بن كعب: لم ينس، ولكنه من معاريض الكلام[٦].

فعلى هذا يكون النسيان بمعنى: الترك، وأراد موسى عليه السلام إيهامه أنه قد

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٩٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٣)، والكشف (٢/ ٦٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٥).

(٢) انظر: اللسان (مادة: أمر).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٨٤)، ومجاهد (ص:٣٧٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٥) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٢٦٩).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٢).

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٥) وعزاه لابن جرير.

غَفَلَ ليبسط له في العذر، غير أن الحديث الصحيح الذي أسلفنا[١] يدفع هذا التأويل ويبطله من أصله، وهو قوله عليه السلام: «كانت الأولى من موسى نسياناً»[٢]، فلو لم يرد به النسيان الذي [هو][٣] بمعنى: الغفلة، لاتّحد المعنى في الجميع، ولما صَحَّ عنه الاعتذار بالنسيان في [المرة][٤] الأولى.

﴿ولا ترهقني﴾ يقال: رَهِقَهُ الأمر؛ إذا غَشِيَه، وأرْهَقْتُه أمراً صعباً؛ كَلَّفْته إياه[٥]. فالمعنى: لا تُكلّفني ولا تغشيني ﴿من أمري عسراً﴾ عسرة ومشقة، سأله عليهما السلام المسامحة والإغضاء والتثبت عليه.

فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله﴾ قال الزمخشري[٦]: إن قلت: لم قيل: ﴿حتى إذا ركبا في السفينة خرقها﴾ بغير فاء، و﴿حتى إذا لقيا غلاماً فقتله﴾ بالفاء؟

قلت: جعل ﴿خَرَقَها﴾ جزاءً للشرط، وجعل قتله من جملة الشرط معطوفاً

---

(١) في ب: أسلفناه.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٥٢ ح٤٤٤٨)، ومسلم (٤/ ١٨٤٧-١٨٤٩ ح٢٣٨٠).

(٣) زيادة من ب.

(٤) في الأصل: مرة. والتصويب من ب.

(٥) انظر: اللسان (مادة: رهق).

(٦) الكشاف (٢/ ٦٨٧).

عليه، والجزاء ﴿قال أقتلت﴾.

وإن قلت: فلم خُولف بينهما؟

قلت: لأن خرق السفينة لم يتعقَّب الركوب، وقد تعقَّب القتل لقاء الغلام.

والمعنى: خرجا من السفينة يمشيان على ساحل البحر فلقيا غلاماً يلعب مع الغلمان.

قال ابن عباس والأكثرون: [لم][1] يكن بالغاً بَعْدُ فقتله[2].

واختلفوا في صفة قتله؛ فقال أبي بن كعب: اقتلع رأسه[3].

وقال ابن عباس: كَسَرَ عنقه[4].

وقال سعيد بن جبير: أضجعه وذبحه بالسكين[5].

وقال مقاتل[6]: أخذ حجراً فقتله به.

فاستعظم موسى ذلك فقال: ﴿أقتلت نفساً زاكيةً﴾ وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة: «زَكِيَّةً» بتشديد الياء من غير ألف[7].

قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) الوسيط (٣/ ١٥٩)، والماوردي في تفسيره (٣/ ٣٢٨)، وزاد المسير (٥/ ١٧٢).

(٣) سبق تخريجه من حديث أبي الطويل الذي سبق قريباً.

(٤) زاد المسير (٥/ ١٧٢).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٨٦). وانظر: الماوردي في تفسيره (٣/ ٣٢٩)، وزاد المسير (٥/ ١٧٢).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٧). وانظر: الطبري (١٥/ ٢٨٠)، والماوردي (٣/ ٣٢٩).

(٧) الحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٤)، والكشف (٢/ ٦٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٥).

والمعنى: أقتلت نفساً مسلمةً طاهرةً من الذنوب ﴿بغير نفس﴾ أي: بغير قتل نفسٍ توجب القود، ﴿لقد جئت شيئاً نُكْراً﴾ أي: فظيعاً منكراً لا يُعرف في شريعة.

وقيل: معناه جئت شيئاً أَنْكَرَ من الأول؛ لأن خرق السفينة كان بسبيل من تداركه بالسَّدِّ والإصلاح.

وقيل: النُّكر أقل من الإمْر؛ لأن قتل نفسٍ واحدة أهون من إغراق أهل السفينة.

﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ قال الزمخشري[1]: [إن قلت][2]: ما معنى زيادة: «لك»؟

قلت: زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصيّة، والوَسْم بقِلَّة الصبر عند الكَرَّة الثانية.

وقرأ نافع: «نُكُراً» بضم الكاف في الموضعين، وفي الطلاق. وعن ابن عامر وعاصم كالقراءتين[3].

فقال له موسى: ﴿إن سألتك عن شيء بعدها﴾ قيل معناه: إن سألتك سؤال توبيخ وإنكار بعد هذه المرة[4] أو هذه المسألة، أو بعد هذه النفس المقتولة، ﴿فلا تصاحبني﴾ أي: لا تُقَارِنّي.

---

(١) الكشاف (٢/ ٦٨٧).

(٢) زيادة من ب.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٩٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٤)، والكشف (٢/ ٦٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٥-٣٩٦).

(٤) في ب: الكَرَّة.

وقرأ أبو المتوكل مثل قراءة الأكثرين، إلا أنه شَدَّدَ النون. وقرأ أبي بن كعب: «تَصْحَبَني» بفتح التاء بغير ألف[١]، [وبها][٢] قرأتُ ليعقوب من بعض طرقه[٣]، ومثله ابن مسعود إلا أنه شَدَّدَ النون. وقرئ: «فلا تُصحبني» بضم التاء.

قال الزجاج[٤]: أي: لا تتابعني في شيء ألتمسه منك. ويجوز أن يكون معناه: فلا تُصحبني علماً من علمك.

﴿قد بلغت من لدني عذراً﴾ قرأ نافع: «لَدُنِي» بضم الدال وتخفيف النون، ومثله أبو بكر عن عاصم. وروي أيضاً عن أبي بكر اختلاس ضمة الدال، وقرأ الباقون بتشديد النون[٥].

قال الزجاج[٦]: أجودها تشديد النون؛ لأن أصله: «لَدُنْ»، فإذا أضفته إلى نفسك زدت نوناً ليسلَم سكون النون الأولى، ثم تُضيف إلى نفسك فتقول: لَدُنّي، مثل: مِنّي وعَنّي.

وقال مكي[٧]: من خَفَّفَ النون لم يأت بنون مع الياء؛ لأنه ضمير مخفوض؛

---

(١) في ب: من غير ألف.

(٢) في الأصل: وبهد. والتصويب من ب.

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٣).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٣).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٩٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٤)، والكشف (٢/ ٦٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٣-٣١٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٦).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٣).

(٧) الكشف (٢/ ٦٩).

كغلامي وداري، فاتَّصلت الياء بنون «لَدُن» فكَسَرَتْها.

قال ابن عباس: يريد أنك قد أعذرت فيما بيني وبينك، وقد أخبرتني أني لا أستطيع معك صبراً[1].

فإن قيل: كيف أنكر موسى على الخضر، مع علمه أن مثله لا يأتي منكراً من الفعل والقول، ويحققه أنه معصوم من ذلك، ومعرفته أن الله تعالى أرسله إليه ليُعلّمه مما علّمه، ولذلك قال له موسى: ﴿هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً﴾؟

قلت: لم يكن موسى عليه السلام في مِرْيَةٍ من أمر الخضر عليه السلام وأنه معصومٌ مُعلّم من جهة الله تعالى، مخصوصٌ بنوعٍ من العلم أوجب رحلته إليه، لكنه رأى أمراً منكراً في ظاهر الشرع، وفعلاً يوجب نفور الطبع، فانتهض باعث الشرع وداعي الطبع حاملَيْن لموسى على إنكار ما شاهده، عملاً بظاهر الشرع الذي بعثه الله تعالى به، مستفهماً عن وجه الحكمة والعلم المغيب المودع في غضون هذا الفعل، الصادر من[2] هذا المؤيد بالعلم اللّدُنّي، فجمع بين المصلحتين وعَمِل بكلا الدليلين.

فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

(١) الوسيط (٣/ ١٥٩)، وزاد المسير (٥/ ١٧٥).
(٢) في ب: عن.

قوله تعالى: ﴿فانطلقا﴾ فإن[١] قيل: ما بال يوشع لم يُذكر معهما؟

قلت: إن كان معهما فإنما اقتصر عن[٢] الإخبار عن الاثنين؛ لكونه تبعاً لموسى عليه السلام، فاقتصر على حكم المتبوع.

﴿حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ قال ابن عباس: هي أنطاكية[٣].

وقال قتادة: [هي][٤] الأُبُلَّة[٥].

﴿استطعما أهلها﴾ طلبا منهم الضيافة ﴿فأبوا أن يضيفوهما﴾ جاء في الحديث: عن النبي ﷺ قال: «كانوا أهل قرية لئاماً»[٦].

قال ابن قتيبة: يقال: ضيَّفتُ الرجل؛ إذا أنزلته منزل الأضياف[٧]، ومنه هذه الآية.

وقال الزجاج[٨]: يقال: ضِفْتُ الرجلَ؛ إذا نزلت عليه، وأضفْتُه: إذا أنزلته

---

(١) في ب: إن.

(٢) في ب: على.

(٣) الوسيط (٣/ ١٦٠)، وزاد المسير (٥/ ١٧٥).

وأنطاكية: مدينة تقع غربي مدينة حلب على نهر العاصي قريباً من مصبه في البحر المتوسط، كانت تابعة للأراضي السورية ثم سلخت عنها عام ١٩٣٨م وضمت إلى تركيا مع لواء اسكندرونة.

(٤) زيادة من ب.

(٥) انظر: الطبري (١٥/ ٢٨٨).

والأُبُلَّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة (معجم البلدان ١/ ٧٦-٧٧).

(٦) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٥١ ح٢٣٨٠).

(٧) انظر: اللسان (مادة: ضيف).

(٨) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٦).

وقَرَيْتَه[١].

وقال الزمخشري[٢]: يقال: ضَافَه إذا كان له ضيفاً، وحقيقته: مَالَ إليه، من ضَافَ السهم عن الغرض.

وقرأتُ لعاصم من رواية المفضل عنه: «يُضِيفُوهما» بالتخفيف[٣].

﴿فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ﴾ أي: يسقط بسرعة.

وقرأ ابن مسعود: «يَنْقَاصَ»[٤] بزيادة ألف وصاد مهملة[٥]، أي: ينشق طولاً، ونسبة الإرادة إلى الجدار مجاز واستعارة للمُداناة والمشارفة.

قال الشاعر:

يريدُ الرمحُ صدرَ أبي براء ويعدل عن دماء بني عقيل[٦]

وهذا الضرب من المجاز كثير الاستعمال. قال الله تعالى: ﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ [الأعراف:١٥٤] وقال: ﴿فإذا عزم الأمر﴾ [محمد:٢١]. وقال الشاعر:

---

(١) انظر: اللسان، (مادة: ضيف).

(٢) الكشاف (٢/ ٦٨٨).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٣).

(٤) في الأصل: يتقاص.

(٥) زاد المسير (٥/ ١٧٦).

(٦) البيت للحارثي. وانظر: لسان العرب (مادة: رود)، والطبري (١٥/ ٢٨٩)، والقرطبي (١١/ ٢٦)، وزاد المسير (٥/ ١٧٧)، وروح المعاني (١٦/ ٦)، والتمهيد (٥/ ١٣، ٢٠/ ١٧٨)، ومجاز القرآن (١/ ٤١٠)، والماوردي في تفسيره (٣/ ٣٣١).

وإن[1] دهراً يلف شملي بسلمى لزمانٌ يَهِمُّ بالإحسان[2]

وقال آخر:

ضحكوا والدهر عنهم ساكت ثم أبكاهم دماً لما نطق[3]

وقال آخر:

شَكَا إليّ جَمَلي طُولَ السُّرى ....[4]

وقال آخر:

إذا قالتِ الأنْسَاعُ للبَطْنِ الحَقِ ....[5]

وقال آخر:

.... لا ينطق اللهو حتى ينطق العود[6]

وقوله: ﴿فأقامه﴾ أي: فَسَوَّاه[7] وعدَّله.

---

(١) في ب: إن.

(٢) البيت في: لسان العرب (مادة: دهر)، والطبري (١٥/ ٢٨٩)، والقرطبي (١١/ ٢٦)، وزاد المسير (٥/ ١٧٦)، وروح المعاني (١٦/ ٦).

(٣) انظر البيت في: زاد المسير (٥/ ١٧٧).

(٤) صدر بيت، وعجزه: (صبراً جُمَيْلي فكلانا مبتلى). انظر: اللسان (مادة: شكا)، والقرطبي (٩/ ١٥٢)، والطبري (١٥/ ٢٨٩)، وزاد المسير (٥/ ١٧٧).

(٥) صدر بيت، وعجزه: (قِدْماً فآضَتْ كالفَنِيق المُحْنِق). انظر: اللسان (مادة: حنق)، والطبري (١/ ٥١٠).

(٦) عجز بيت لأبي نواس، وصدره: (فاستنطق العود قد طال السكوت به). انظر: روح المعاني (١٦/ ٦).

(٧) في ب: سوّاه.

قال ابن عباس: دفعه بيده فقام[1].

وفي رواية عنه: نقضه وبناه[2].

وقيل: دعمه بعمود.

قال وهب: كان جداراً طوله في السماء مائة ذراع[3].

فقال له موسى حين وجد مِسَاس الحاجة: ﴿لو شئت لَتَخِذْتَ﴾ قرأ ابن كثير بإظهار الذال، ومثله أبو عمرو لكنه أدغم. وقرأ الباقون: «لاتَّخَذْتَ»[4]، مثل: لافْتَعَلْتَ، وهما لغتان بمعنى، يقال: تَخِذَ يَتْخَذُ تَخذاً، واتَّخَذَ يَتَّخِذُ اتِّخَاذاً، ومن أدغم فلتقارب مخرجي الذال والتاء، ومن لم يدغم فلاختلاف الحيزين؛ لأن الذال من حيز الظاء [والثاء][5]، والتاء من حيز الطاء والدال، وهذا[6] مع اختلاف الحرفين أيضاً في الجهر والهمس؛ لأن الذال مجهورة والتاء مهموسة.

فصل

الحروف كلها قسمان: مجهورة ومهموسة. فالمجهور: ما قوي فيه الصوت في الاعتماد عليه. والمهموس: ما خفي فيه الصوت في الاعتماد عليه. ويجمع الحروف

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٧٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٩٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٧٧).

(٣) القرطبي (١١/ ٣٣).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٩٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٥-٤٢٦)، والكشف (٢/ ٧٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٦).

(٥) زيادة من ب.

(٦) في ب: هذا.

المهموسة: سَتَشْحَثُكَ خَصَفَة، وما عدا هذه الحروف مجهورة، فإذا أردت أن تعرف المجهور من المهموس فأسكن الحرف الذي تريد أن تعرف جهْره من همْسه، وصِلْه بهمزة مكسورة ليتبين فيه ذلك، فقل في الزاي: «إز» ليخرج الصوت منه جهاراً، وقل في السين: «إس» ليبين الصوت فيه خفياً.

والمعنى: لو شئت لتخذت [على إقامته أجراً جزاءً][1] على عملك.

﴿قال﴾ يعني الخضر: ﴿هذا﴾ يعني: الإنكار أو هذا الإعراض ﴿فراق بيني وبينك﴾ قال الزجاج[2]: ذكر سيبويه أن معنى مثل هذا التوكيد[3]، ومثله قولهم: أخزى الله الكاذب مني ومنك. فذكر بيني وبينك توكيداً. والمعنى: هذا فراق بيننا، أي: هذا فراق اتصالنا.

وقرأ أبو رزين وابن السميفع: «فراقٌ» بالتنوين، «بيني وبينَك» بنصب النون على الظرف[4].

قال ابن عباس: كان قول موسى في السفينة والغلام لربه عز وجل، وكان قوله في الجدار لنفسه[5].

قال أهل التفسير[6]: لما قال الخضر هذا، أخذ موسى بطرف ثوبه فقال: حدثني تأويل ما صنعت؟ فقال: ﴿سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ أي: لم

(١) زيادة من ب.
(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٤).
(٣) يريد تكرار كلمة «بين».
(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ١٧٨).
(٥) زاد المسير (٥/ ١٧٨).
(٦) الوسيط (٣/ ١٦٠).

تستطع الصبر على مشاهدته وعلى السكوت عنه.

أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾ قال كعب: كانت لعشرة إخوة، خمسة زمنى، وخمسة يعملون في البحر[1].

﴿فأردت أن أعيبها﴾ أجعلها ذات عيب، ﴿وكان وراءهم ملك﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: المعنى: وكان أمامهم[2]. وهو اختيار أبي عبيدة وابن قتيبة[3]، وأنشدوا:

أترجُو بنو مروان سمْعِي وطاعَتي ... وقومي تميمٌ والفَلاةُ وَرَائِيا[4]

أي: أمامي.

وقيل: وراءهم بمعنى خلفهم.

قال الزجاج[5]: هو أجود الوجهين. فيجوز أن يكون رجوعهم في

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٧٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ١). وانظر: الدر المنثور (٥/ ٤١٢)، والماوردي في تفسيره (٣/ ٣٣٢).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٤١٢)، وتأويل مشكل القرآن (ص:١٨٩).

(٤) البيت لسوَّار بن المضرِّب السعدي. انظر البيت في: اللسان (مادة: وري)، والدر المصون (٤/ ٤٧٧)، والبحر (٦/ ١٤٥)، والجمهرة (١/ ١٧٧)، ومجاز القرآن (١/ ٣٣٧)، والطبري (١٦/ ١)، والقرطبي (٨/ ٣١١، ٩/ ٣٥٠، ١١/ ٣٥)، وزاد المسير (٤/ ٣٥٢)، وروح المعاني (١٦/ ٩).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٥).

[طريقهم][١] كان عليه ولم يعلموا خبره، فأعلم الله تعالى الخضر الخبر.

وقد ذكرت في سورة إبراهيم عند قوله تعالى: ﴿من ورائه جهنم﴾ [إبراهيم:١٦] ما لا يستغنى عن معاودته والنظر فيه.

واسم الملك: هُدَد بن بُدَد.

وقال مقاتل[٢]: ابن جلندي بن سعيد الأزدي.

﴿يأخذ كل سفينة غصباً﴾ أي: كل سفينةٍ صحيحة.

وفي قراءة أبي بن كعب وابن مسعود: «كل سفينة صالحة صحيحة غصباً»[٣]، وقد سبق في الحديث قراءة ابن عباس.

وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين﴾ وقرأ عاصم الجحدري: «مؤمنان»[٤] على أن في «كان» ضمير الشأن.

وفي قراءة أبي وابن عباس: «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين»[٥].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «إن الغلام

---

(١) في الأصل: طرقهم. والتصويب من ب.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٨).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ١٧٩).

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٤٦).

(٥) انظر: زاد المسير (٥/ ١٧٩).

الذي قتله الخضر طُبع كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً))[١].

﴿فخشينا﴾ اختلفوا في القائل «فخشينا» فقال قوم: هو الخضر عليه السلام، ودلُّوا عليه بقوله: ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما﴾.

وقال قوم: القائل لذلك: الله تعالى، ويدل عليه قراءة أُبيّ بن كعب: «فخاف ربك»[٢].

قال ابن عقيل: [فعملنا][٣] فعل الخاشي[٤].

وقال الأخفش والزجاج[٥]: «فخشينا»: فكرهنا.

﴿أن يرهقهما طغياناً وكفراً﴾ سبق تفسيره آنفاً.

قال الربيع بن أنس: كان الغلام على الطريق لا يمر به أحدٌ إلا قتله أو غصبه، فيدعو ذلك عليه وعلى أبويه[٦].

وقال ابن السائب: كان لصاً، فإذا جاء من يطلبه حلف أبواه أنه لم يفعل[٧].

قال قتادة: فرحا به حين وُلد، وحزنا عليه حين قُتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فرضي امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله [للمؤمن][٨] فيما يكره خير له من

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٠ ح٢٦٦١).

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٤٦).

(٣) في الأصل و ب: فعلمنا. والصواب ما أثبتناه.

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ١٧٩).

(٥) معاني الأخفش (ص:٢٤٤)، ومعاني الزجاج (٣/ ٣٠٥).

(٦) زاد المسير (٥/ ١٧٩).

(٧) الماوردي في تفسيره (٣/ ٣٣٣)، وزاد المسير (٥/ ١٧٩).

(٨) في الأصل: للمؤمنين. والتصويب من ب، والمراجع الآتية.

قضائه فيما يحب[١].

﴿فأردنا أن يُبْدِلَهُما ربهما﴾ قرأ نافع وأبو عمرو: «يبدّلهما» بالتشديد، ومثله في التحريم، ونون والقلم، وخفَّفَ ذلك كله الباقون[٢]. وهما لغتان بمعنى واحد، بدّل وأبدل. وأكثر ما جاء في القرآن مشدداً، نحو قوله: ﴿فبدّل الذين ظلموا﴾ [البقرة:٥٩]، ﴿بدّلوا نعمت الله كفراً﴾ [إبراهيم:٢٨]، ﴿وبدّلناهم بجنتيهم﴾ [سبأ:١٦]، ﴿ومن يبدّل نعمة الله﴾ [البقرة:٢١١]، ﴿لا مبدّل لكلماته﴾ [الأنعام:١١٥]، ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ [يونس:٦٤].

قوله تعالى: ﴿خيراً منه زكاة﴾ قال ابن عباس: خيراً منه ديناً[٣].

والمعنى: خيراً منه صلاحاً وطهارةً من الذنوب والرذائل.

قال ابن عباس: أبدلهما الله به جارية ولدت سبعين نبياً[٤].

وقال ابن جريج: ولدت غلاماً مسلماً[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٠). وانظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٣٣)، وزاد المسير (٥/ ١٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٩) وعزاه لابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٩٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٧)، والكشف (٢/ ٧٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٧).

(٣) الوسيط (٣/ ١٦١)، وزاد المسير (٥/ ١٨٠) عن سعيد بن جبير وقتادة.

(٤) زاد المسير (٥/ ١٨١).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ٤) عن الحجاج. وانظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٣٤)، وزاد المسير (٥/ ١٨١).

﴿وأقرب رُحْماً﴾ وقرأ ابن عامر: «رُحُماً» بضم الحاء[١].

وفي قراءة ابن عباس: «رَحِماً» [بفتح][٢] الراء وكسر الحاء[٣].

وكلٌّ ذلك بمعنى الرحمة والعطف.

قال الزجاج[٤]: المعنى: أقرب عطفاً وأمسُّ بالقرابة.

وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة﴾ قال مقاتل[٥]: اسمهما: أصرم وصريم.

والمدينة هي المذكورة في قوله: ﴿أتيا أهل قرية﴾.

﴿وكان تحته كنز لهما﴾ روى الحاكم في صحيحه، والترمذي في جامعه، من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ قال: «كان

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٩٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٧)، والكشف (٢/ ٧٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٧).

(٢) في الأصل: وفتح. والتصويب من ب، وزاد المسير (٥/ ١٨٠).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ١٨٠).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٥).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٩).

ذهباً وفضة ››[١].

وروى عطاء عن ابن عباس: ‹‹ كان لوحاً من ذهب فيه مكتوب: عجباً لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجباً لمن أيقن بالنار ثم يضحك، عجباً لمن يوقن بالموت كيف يفرح؟ عجباً لمن يوقن بالرزق كيف يتعب؟ عجباً لمن يوقن بالحساب كيف يغفل؟ عجباً لمن رأى الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئن إليها؟ أنا الله لا إله إلا أنا، محمد عبدي ورسولي. وفي الشق الآخر: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، خلقتُ الجن والإنس، فطوبى لمن خلقتُه للخير وأجريتُه على يديه، والويل لمن خلقتُه للشر وأجريتُه على يديه ››[٢].

وقد روي هذا مرفوعاً إلى النبي ﷺ من حديث أنس[٣].

وروى العوفي عن ابن عباس: أنه كنز علم[٤]. وهذا هو القول الذي قبله.

قال الزجاج[٥]: المعروف في اللغة: أن الكنز إذا أُفْرِدَ فمعناه: المال المدفون

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣١٣ ح٣١٥٢)، والحاكم (٢/ ٤٠١ ح٣٣٩٧).

(٢) روى نحوه ابن مردويه من حديث علي مرفوعاً كما في الدر (٥/ ٤٢١)، ونحوه من حديث أبي ذر مرفوعاً رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبزار كما في الدر (٥/ ٤٢١)، كما ورد نحوه موقوفاً من قول ابن عباس، أخرجه الخرائطي في قمع الحرص، وابن عساكر كما في الدر (٥/ ٤٢١). وأخرج نحوه البيهقي في الشعب (١/ ٢٢٣) من حديث علي بن أبي طالب. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢١) وعزاه للشيرازي في الألقاب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٦٢)، والماوردي في تفسيره (٣/ ٣٣٦).

قال الحافظ في الكاف الشاف: رواه الواحدي من رواية محمد بن مروان السدي الصغير عن أبان عن أنس مرفوعاً، وأبان والسدي الصغير متروكان.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٨١).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٧).

المدَّخر، فإذا لم يكن المال، قيل: عنده كنزُ عِلْم، وله كنز فَهْم، والكنز هاهنا بالمال أشبه. قال: وجائز أن يكون الكنز كان مالاً، مكتوب فيه علم، [على ما روي][(١)]، فهو مالٌ وعلمٌ عظيم.

قوله تعالى: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ قال ابن عباس: حُفِظَا بصلاح أبيهما، ولم يُذكر منهما صلاحاً[(٢)].

قال جعفر بن محمد عليهما السلام: كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء[(٣)].

وقال محمد بن المنكدر: إن الله عز وجل ليُصلح بصلاح العبد ولده، وولد ولده، وأهل دويرته، وأهل دويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم[(٤)].

وكان سعيد بن المسيب إذا رأى ابنه قال: أيْ بنيّ! لأزيدنَّ صلاتي من أجلك؛ رجاء أن أُحفظ فيك، ويتلو هذه الآية[(٥)].

وروى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن يحيى بن إسماعيل بن سلمة بن كهيل[(٦)]

---

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٠)، وابن المبارك في الزهد (١/ ١١٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٢) وعزاه لابن المبارك وسعيد بن منصور وأحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٥-٦). وانظر: الوسيط (٣/ ١٦٣)، وزاد المسير (٥/ ١٨٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢١٠)، وابن المبارك في الزهد (١/ ١١١-١١٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٢) وعزاه لابن المبارك وابن أبي شيبة.

(٥) ذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم (ص:١٨٧).

(٦) في الأصل: إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن سلمة بن كهيل. ولم أجد أحداً بهذا الاسم، والذي =

قال: «كانت لي أخت أسنّ مني، فاختلطتْ وذهب عقلها وتوحشتْ، فكانت في غرفة في أقصى سُطوحنا، فلبثت بذلك بضع عشرة سنة، وكانت[١] مع ذهاب عقلها تحرصُ على الصلوات والطهور. فبينا [أنا نائم][٢] ذات ليلة وإذا[٣] بابُ بيتي يُدَقُّ نصف الليل، فقلت: من هذا؟ فقال: بَخَّة، فقلت: أختي، قالت: أختك. فقلت: لبيك، وقمت ففتحت الباب، فدخلت ولا عهد لها بالبيت منذ أكثر من عشرين سنة. فقلت لها: يا أخيّة! خير؟ قالت: خيرٌ، أُتيتُ الليلة في منامي فقيل لي: السلام عليك يا بَخَّة، فقلت: وعليكم السلام، فقيل: إن الله قد حفظ أباك إسماعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدّك، وحفظك لأبيك إسماعيل، وإن شئتِ دعوتُ [الله][٤] فأذهبَ ما بك، وإن شئت صبرتِ ولك الجنة، فإن أبا بكر وعمر عليهما السلام قد شفعا لك لحُبِّ أبيك وجدك إياهما. فقلت: إن [الله][٥] لا يتعاظمه شيء، إن يشأ أن يجمعهما لي فعل، [قالت][٦]: فقيل: قد جمعهما الله لك [ورضي][٧] عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر، قومي فانزلي، فأذهب الله ما

= وجدته: إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل، أخرج حديثه الترمذي، قال الدارقطني: متروك، كما في تهذيب الكمال (٣/ ٢١٢).

(١) في ب: فكانت.

(٢) في الأصل: أنائم. والمثبت من ب، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٨٩)، وصفة الصفوة (٣/ ١٩٧).

(٣) في ب: إذا.

(٤) زيادة من ب، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٨٩)، وصفة الصفوة (٣/ ١٩٧).

(٥) زيادة من ب، والثعلبي، الموضع السابق.

(٦) زيادة من ب، ومصادر التخريج.

(٧) في الأصل: رضي الله. والمثبت من ب، ومصادر التخريج.

كان بها»[١].

قوله تعالى: ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ قال ابن الأنباري[٢]: إنما قال: «فأردت، فأردنا، فأراد ربك» ؛ لأن العرب تؤثر اختلاف الكلام على اتفاقه مع تساوي المعاني ؛ لأنه أعذبُ على الألسن وأحسنُ موقعاً في الأسماع، فتقول للرجل: قال لي فلان كذا، وأنبأني فلان كذا، وأنبأني بما كان، وخبرني بما قال.

«أن يبلغا أشدهما» قال ابن عباس: يكبرا ويعقلا[٣].

﴿ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾ قال الزمخشري[٤]: «رحمة» مفعول له، أو مصدر منصوب بـ«أراد ربك»؛ لأنه في معنى رحمهما.

﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي: ما فعلتُ ما رأيتَ عن أمري، أي: عن اجتهادي ورأيي، إنما فعلته بأمر الله.

﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾ يقال: استطاع واسطاع[٥] بمعنى واحد.

فصل

في[٦] هذه القصة مستدل على ما إذا قال: والله لا أسكن هذه الدار، ثم أخذ في النُّقْلة لم يكن ليحنث؛ لأنه لما عزم على فراقه أخذ يقص عليه جميع ما سأل عنه، وما

---

(١) أخرجه الثعلبي (٦/ ١٨٩). وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ١٩٦-١٩٧).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ١٨٢).

(٣) الوسيط (٣/ ١٦٣).

(٤) الكشاف (٢/ ٦٩٣).

(٥) في ب: اسطاع واستطاع.

(٦) في ب: وفي.

عنه، وما عدّ ذلك القدر من الاجتماع في ذلك الزمان وصلاً[١]، وقريبٌ منه قول الأحوص:

وإني أخوكَ الدائمُ العهدِ لم أَحُلْ إنْ أنْزاكَ[٢] خَصْمٌ أو نَبا بكَ منزِلُ
وكنتُ إذا ما صاحبٌ رام ظَنَّتي وبدَّلَ سُوءاً بالذي كنتُ أفْعَلُ
قلبتُ له ظهرَ المجنِّ فلمْ أدُمْ على ذاكَ إلا ريْثَما أتحوَّلُ

فاستثنى قدر النقلة عن الزمان الداخل تحت قوله: لم أدُمْ على ذاك.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾ سبق ذكر سبب نزولها عند قوله: ﴿ويسألونك عن الروح﴾ [الإسراء:٨٥].

واختلف في اسمه؛ فقال علي عليه السلام: عبدالله[٣].

وقال ابن عباس: عبدالله بن الضحاك[٤].

وقال وهب: الاسكندر[٥].

واختلفوا في علة تسميته بذي القرنين؛ فقال علي عليه السلام: سُمّي لأنه دعا

---

(١) في ب: وصالاً.
(٢) في هامش ب: أنزاك ونزّاك: أي: أعابك.
(٣) زاد المسير (٥/ ١٨٣).
(٤) تفسير الماوردي (٣/ ٣٣٧)، وزاد المسير (٥/ ١٨٣).
(٥) زاد المسير (٥/ ١٨٣).

قومه إلى الله فضربوه على قرنه فهلك، ثم بعثه الله فدعاهم إليه فضربوه على قرنه الآخر فهلك، ثم بعثه الله[١].

وقال ابن عباس: سُمّي ذا القرنين؛ لأنه بلغ مطلع الشمس ومغربها[٢].

قال وهب بن منبه: رأى في المنام كأنه امتد إلى السماء حتى أخذ بقرني الشمس، فقصّ رؤياه على قومه، فسَمُّوه ذا القرنين[٣].

وكان تأويل رؤياه أنه طاف المشرق والمغرب.

وروي عن وهب أيضاً: أنه سُمّي بذلك؛ لأنه مَلَكَ فارس والروم[٤].

وروي عنه أيضاً: أنه سُمّي بذلك؛ لأنه كان في رأسه شبه القرنين[٥]. وقال: كانت صفحتا رأسه من نحاس[٦].

وقال الحسن البصري: سُمّي بذلك؛ لغديرتين[٧] كانتا له[٨].

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٤٧) وعزاه لابن إسحاق والفريابي وابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) زاد المسير (٥/ ١٨٣).

(٣) تفسير الماوردي (٣/ ٣٣٧)، وزاد المسير (٥/ ١٨٣).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٣٨-٤٣٩) وعزاه لأحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٣٨-٤٣٩) وعزاه لأحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٥١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٣٩) وعزاه لابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم والشيرازي في الألقاب وأبي الشيخ.

(٧) الغديرتان: الذؤابتان اللتان تسقطان على الصدر، وجمعها: غدائر (اللسان، مادة: غدر).

(٨) تفسير الماوردي (٣/ ٣٣٧)، وزاد المسير (٥/ ١٨٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٣٩) وعزاه =

قال ابن الأنباري[(١)]: والعرب تسمي الضفيرتين من الشعر غديرتين وقرنين.

وقيل: لسلوكه الظلمة والنور.

وقيل: لأنه كان كريم الطرفين، من بيتٍ ذوي شرف من قبل أبيه وأمه.

وقيل: لأنه انقرض في زمنه قرنان من الناس.

واختلفوا: هل كان نبياً أو عبداً صالحاً؛ فقال علي عليه السلام: كان عبداً صالحاً، أَحَبَّ الله تعالى فأحبَّه، وناصَحَ الله تعالى فناصحه، ولم يكن نبياً ولا ملكاً[(٢)].

وقال عبدالله بن عمرو: كان نبياً[(٣)].

واختلف في زمانه؛ فقال الحسن: كان بعد ثمود[(٤)].

قال علي عليه السلام: كان من القرون الأُوَل من ولد يافث بن نوح[(٥)].

وقيل[(٦)]: عَمّر ألفاً وستمائة سنة.

قال محمد بن إسحاق: هو رجل من أهل مصر، اسمه: مرزبان[(٧)] بن مرزبة

= لابن عبد الحكم عن يونس بن عبيد.

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ١٨٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٤٧) وعزاه لابن إسحاق والفريابي وابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) زاد المسير (٥/ ١٨٤).

(٤) مثل السابق.

(٥) مثل السابق.

(٦) في ب: ويقال.

(٧) في (ب) والطبري: مرزبا بن مردبة. وفي الدر المنثور: مرزيا بن مرزبة.

اليوناني، من ولد يونان بن يافث بن نوح[١].

وقال وهب: كان في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما[٢].

﴿قل سأتلو عليكم منه﴾ أي: من حديثه ﴿ذِكْراً﴾ خبراً يتضمن ذكره.

﴿إنا مكنا له في الأرض﴾ سهلنا عليه كل ما يحتاج إليه. قال علي عليه السلام: سخّر الله تعالى له السحاب فحمله عليها، ومدّ له في الأسباب، وبسط لـه النـور، فكان الليل والنهار عليه سواء[٣].

﴿وآتيناه من كل شيء﴾ يحتاج إليه ﴿سبباً﴾ طريقاً موصلاً من علم أو قدرة أو آلة، فأراد بلوغ المغرب.

فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾

﴿فاتَّبع سبباً﴾ وقرأ أهل الكوفة وابن عامر: «فأتْبع» بقطع الهمزة وسكون التاء

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٧) وانظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٣٧) وذكره السيوطي في الـدر المنثـور (٥/ ٤٣٩) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) زاد المسير (٥/ ١٨٤).

(٣) الوسيط (٣/ ١٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٤٧) وعزاه لابن إسحاق والفريابي وابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق.

وتخفيفها[١].

ومثله: ﴿ثم اتَّبَع﴾ ثم أَتْبع، فمن وصل فهو على معنى: سلك سبباً، فهو يتعدى إلى مفعول واحد، ومن قطع الهمزة تعدى إلى مفعولين، فهو على معنى: أَتْبع أمره وما هو عليه سبباً، فحذف أحد المفعولين.

قال قتادة: مضى يفتح المدائن ويجمع الكنوز ويقتل الرجال إلا من آمن[٢].

﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾ قرأ ابن عامر وأهل الكوفة إلا حفصاً: «حامية»[٣].

قال الزجاج[٤]: من قرأ: «حمئة» أراد في عين ذات حمأة، يقال: حَمِأَت البئر إذا أخرجتُ حَمْأَتَها، وأَحْمأْتُها إذا ألقيت فيها الحَمْأَة، وحمِئَتْ فهي حَمِئَة[٥]. ومن قرأ: «حامِيَة» من غير[٦] همز أراد: حارَّة، وقد تكون حارَّةً ذات حَمْأة.

قال الحسن: وجدها تغرب في ماء يغلي كغليان القدور[٧].

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٨)، والكشف (٢/ ٧٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٨).

(٢) زاد المسير (٥/ ١٨٧).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٠١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٨)، والكشف (٢/ ٧٣)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٨).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٨).

(٥) انظر: اللسان (مادة: حمأ).

(٦) في ب: بغير.

(٧) زاد المسير (٥/ ١٨٥-١٨٦).

﴿ووجد عندها قوماً﴾ لباسهم جلود السباع، وليس لهم طعام [إلا][1] ما أحرقت الشمس من الدواب إذا غربت في بحرها، وما لفظتِ العين من الحيتان إذا وقعت فيها الشمس.

أخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه، أخبرنا عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا إسماعيل بن أبي القاسم النصرباذي[2]، أخبرنا محمد بن أحمد بن حامد العطار، أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبدالجبار، حدثنا محمد بن عباد، حدثنا سفيان، عن زياد بن سعد[3]، سمع ابن حاضر[4] يقول: اختلف ابن عباس وعمرو بن العاص عند معاوية، فقال ابن عباس: «في عين حمئة»، وقال عمرو: «في عين حامئة»، فسألوا كعباً فقال: إني أجدها في كتاب الله تغرب في طينة سوداء. فقال رجل لابن عباس: ألا أعينك؟ قال: بلى، قال: قال تُبَّع:

قَدْ كَانَ ذو القرنين عُمِّرَ مُسْلِماً ... مَلِكاً تَدِينُ له الملوكُ وتسجدُ

بَلَغَ المشارقَ والمغاربَ يبتغي ... أسبابَ أمرٍ مِنْ حكيم مُرْشِدِ

---

(١) زيادة من ب، وزاد المسير (٥/ ١٨٦).

(٢) في ب: النصراباذي.

(٣) زياد بن سعد بن عبد الرحمن الخراساني، أبو عبد الرحمن، ثقة ثبت، من أهل خراسان، سكن مكة، ثم تحول إلى اليمن، وله هيئة وصلاح، وكان من الحفاظ المتقنين (تهذيب التهذيب ٣/ ٣١٨، والتقريب ص:٢١٩).

(٤) عثمان بن حاضر الحميري، ويقال: الأزدي، أبو حاضر القاص، صدوق (تهذيب التهذيب ٧/ ١٠١، والتقريب ص:٣٨٢).

فـرأى مـآبَ الـشمسِ عنـدَ مغيبهـا   من عينِ ذي خُلُـبٍ وَثَـاطٍ حَرْمَـد[١]

قيل: الخُلُب: الطين، والثَّاطُ: الحمأة، والحَرْمَد: الأسود.

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله في كتاب زاد المسير في علم التفسير[٢]: ربما توهم متوهم أن هذه الشمس على عظم قدرها تغوص بذاتها في عين ماء، وليس كذلك، فإنها أكبر من الدنيا مراراً فكيف تسعها عين [ماء][٣]؟ وإنما وجدها تغرب في العين كما يرى [راكب البحر][٤] الذي يرى طرفه أن الشمس تغرب[٥] في الماء، وذلك لأن ذا القرنين انتهى إلى آخر البنيان فوجد عيناً حمئة ليس بعدها أحد.

واختلف العلماء في مقدار الشمس؛ فقال بعضهم: هي كقدر[٦] الدنيا مائة وخمسون مرة.

وقال بعضهم: مائة وعشرون مرة، والقمر بمقدار الدنيا ثمانون مرة[٧].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٦٤)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ١٠٣). وانظر الأبيات في: القرطبي (١١/ ٤٩)، والتهذيب (٥/ ٢٣٠، ١٤/ ٥، ٧/ ٤١٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٣٩)، واللسان (مادة: أوب، خلب، حرمد، ثأط) ونسبه إلى أمية بن أبي الصلت، والدر المصون (٤/ ٤٨٠)، والكشاف (٢/ ٦٩٤)، وروح المعاني (١٦/ ٢٧، ٣٢).

(٢) زاد المسير (٥/ ١٨٦).

(٣) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: الراكب في البحر. والمثبت من ب، وزاد المسير، الموضع السابق.

(٥) في (ب) وزاد المسير: تغيب.

(٦) في ب: بقدر.

(٧) الشمس: تبعد في المتوسط حوالي ٤٣٠٠٤٠٠٠ ميل عن الأرض، وهي المسافة المسماة بالوحدة الفلكية، ويبلغ قطر الشمس ٨٦٥٤٠٠ ميل تقريباً، وحجمها حوالي ١٣٠٠٠٠٠ ضعف حجم =

﴿قلنا يا ذا القرنين﴾ من قال: إنه نبي؛ فالمعنى: قلنا له بطريق الوحي أو التكليم، ومن قال: عبد صالح؛ فالمعنى: قلنا له بطريق الإلهام، أو بطريق الإرسال إليه.

﴿إما أن تُعَذِّبَ﴾ أي[١]: تَقْتُلَ من لم يجب دعوتك ويتبع دينك، ﴿وإما أن تتخذ فيهم حسناً﴾ أي: أمراً ذا حُسن، على حذف الموصوف والمضاف، كما في قوله: ﴿ومن قتل مؤمناً خطأً﴾ [النساء:٩٢]، أي: قتلاً ذا خطأ.

والمعنى: وإما أن تتخذ فيهم حُسْناً بأن [تأسرهم][٢] فتبصّرهم وتوضح لهم منار الهدى.

واعلم أنّ «أنْ» مع الفعل بتأويل المصدر في موضع النصب بفعل مضمر، كما في قوله: ﴿فإما مناً بعد وإما فداءً﴾ [محمد:٤].

ويجوز أن تكون «أنْ» مع الفعل في موضع المبتدأ، والخبر مضمر. أي: إما العذاب واقع منك فيهم، وإما اتخاذ أمر ذي حسن واقع فيهم، فحذف الخبر لطول الكلام بالصلة.

قال قتادة: فقضى فيهم بقضاء الله، وكان عالماً بالسياسة[٣]، فقال: ﴿أما من

= الأرض (الموسوعة العربية الميسرة ص:١٠٩٤).

أما القمر فيبعد حوالي ٣٨٦٩٥٢ كم عن الأرض، ويبلغ قطره ٣٤٠٠ كم -أكبر قليلاً من ربع قطر الأرض- والقمر جسم مظلم كروي، ولكن تضيء أشعة الشمس نصفه المقابل لها (الموسوعة العربية الميسرة ص:١٣٩٤).

(١) في ب: يعني.

(٢) في الأصل: تستأسرهم. والتصويب من ب.

(٣) الوسيط (٣/ ١٦٥).

ظلم﴾ بالإقامة على الشرك ﴿فسوف نعذبه﴾ قال الحسن: كان يطبخهم في القدور[١].

﴿ثم يردّ إلى ربه﴾ يوم القيامة ﴿فيعذبه﴾ في النار ﴿عذاباً نكراً﴾ فظيعاً منكراً.

﴿وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى﴾ قال الفراء[٢]: الحسنى: الجنة، وأضيف الجزاء إليها، وهي الجزاء؛ كقوله: ﴿لَحَقُّ اليقين﴾ [الحاقة:٥١]، و ﴿دين القيمة﴾ [البينة:٥]، ﴿ولدار الآخرة﴾ [النحل:٣٠].

وقال أبو علي[٣]: المعنى: فله جزاءُ الخِلال الحسنى؛ لأن الإيمان والعمل الصالح خِلالٌ.

وقال غيره في معناه: الجزاء مضاف إلى الحسنى، و«الحسنى» صفة موصوف محذوف، والتقدير: فله جزاء الحالة الحسنى؛ كقوله:

فصِرْنا إلى الحسنى وَرَقَّ كَلامُنا ورُضْتُ فذلّتْ صَعْبَةً أيَّ إذلال[٤]

وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: «فله جزاءً» بالنصب والتنوين[٥].

قال الزجاج[٦]: هو مصدر منصوب على الحال، التقدير: فله الحسنى مجزياً بها

(١) زاد المسير (٥/ ١٨٦).

(٢) معاني الفراء (٢/ ١٥٩).

(٣) الحجة (٣/ ١٠٢).

(٤) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:٣٢)، وزاد المسير (١/ ٣٧٨، ٤/ ٢٣).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٠)، والكشف (٢/ ٧٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٨-٣٩٩).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٩).

جزاءً.

وقال غيره: «الحسنى» مبتدأ، و«له» خبره[١]، والتقدير: فله الحسنى، «جزاءً» أي: مجزياً، مصدر في موضع الحال[٢]، والعامل فيه: له جازية[٣]، أي: ثبتت الحسنى له جزاء.

﴿وسنقول له من أمرنا يسراً﴾ أي: أمراً ذا يسر، كالذي قبله. والمعنى: وسنقول له من أمرنا قولاً جميلاً ونُولِيه معروفاً.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٩ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝٩٠ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝٩١﴾

قوله تعالى: ﴿ثم أتبع سبباً﴾ أي: طريقاً يوصله إلى الشرق.

﴿حتى إذا بلغ مَطْلِعَ الشمس﴾ وقرأ الحسن: «مطْلَع» بفتح اللام[٤]، وكلاهما بمعنى واحد.

قال ابن الأنباري[٥]: لا خلاف بين أهل العربية في أن المطلِع والمطلَع كلاهما يعني بهما المكان الذي تطلع منه الشمس، ويقولون: [ما][٦] كان على فَعَل يَفْعُلُ، فالمصدر واسم الموضع يأتيان على المَفْعَل، كقولهم المَدْخَل للدخول، وللموضع

---

(١) التبيان (٢/ ١٠٨)، والدر المصون (٤/ ٤٨٠).

(٢) مثل السابق.

(٣) ساقط من ب.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤).

(٥) انظر: زاد المسير (٥/ ١٨٧-١٨٨).

(٦) زيادة من زاد المسير (٥/ ١٨٧).

الذي يُدخل منه، إلا أحد عشر حرفاً جاءت مكسورة إذا أريد بها المواضع، وهي: المطلِع، والمسكِن، والمنسِك، والمشرِق، والمغرِب، والمسجِد، والمنبِت، والمجزِر، والمفرِق، والمسقِط، والمهبِل؛ الموضعِ الذي تضع فيه الناقة، وخمسة من هؤلاء الأحد عشر [حرفاً][١] سُمع فيهن الكسر والفتح: المطلِع والمطلَع، والمنسِك والمنسَك، والمجزِر والمجزَر، والمسكِن والمسكَن، والمنبِت والمنبَت.

وقال أبو عمرو[٢]: المطلِع -بالكسر-: الموضع الذي تطلع فيه، والمطلَع -بالفتح-: الطلوع.

﴿وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾ قال الحسن: لم يكن بينهم وبين الشمس ستراً[٣]؛ لأنهم [كانوا][٤] في مكان لا يثبت عليه البناء[٥].

وقال الكلبي: كانوا حفاة عراة، يفرش أحدهم أذنه ويلبس الأخرى[٦].

وقيل: المعنى: لم نجعل لهم من دونها ستراً كما جعلنا لكم من الجبال والحصون والأكنان من كل جنس، والثياب من كل صنف.

قال قتادة: أصاب قوماً في أسرابٍ عُراةً، ليس لهم طعام إلا ما أحرقت

(١) زيادة من ب، وزاد المسير (٥/ ١٨٨).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ١٨٨).

(٣) في ب: ستر.

(٤) زيادة من ب.

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٧١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٥٤) وعزاه للطيالسي والبزار في أماليه وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٦) الوسيط (٣/ ١٦٥).

الشمس إذا طلعت، فإذا توسطت السماء خرجوا من أسرابهم في طلب معايشهم مما أحرقته الشمس(١).

وبلغنا: أنهم كانوا في مكان لا يثبت عليه بنيان، فيقال: إنهم الزنج(٢).

وقال الحسن: كانوا إذا غربت الشمس خرجوا يتراعون كما يتراعى الوحش، وإذا طلعت عليهم الشمس تهوّروا في الماء(٣).

وقال ابن جريج: جاءهم جيش مرة، فقال لهم أهلها: لا تطلع عليكم الشمس وأنتم بها، فقالوا: لا نبرح حتى تطلع علينا الشمس، قالوا: ما هذه العظام؟ قالوا: جيف جيش طلعت عليهم الشمس هاهنا فماتوا، فذهبوا هاربين في الأرض(٤).

قال ابن السائب: وحدثني عمرو بن مالك بن أمية قال: وجدتُ رجلاً بسمرقند يُحَدِّثُ الناس وهم مجتمعون حوله، فسألتُ بعض من حدثه، فأخبرني أنه حدَّثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس، قال: خرجتُ حتى جاوزت الصين، ثم سألت عنهم فقالوا(٥): إن بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة، فاستأجرتُ رجلاً فسرتُ بقية عشيتي وليلتي حتى صَبَّحْتُهم، فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى، وكان صاحبي يُحسن لسانهم، فسألهم فقال: جئنا لننظر كيف تطلع الشمس، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة، فغُشي عليَّ، فأفقتُ وهم

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٥٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) الطبري (١٦/ ١٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٧)، وزاد المسير (٥/ ١٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٧١-١٤٧٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٥٤) وعزاه للطيالسي والبزار في أماليه وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤).

(٥) في ب: فقيل لي.

يمسحونني بالدهن، فلما طلعت الشمس على الماء فإذا[١] هي كهيئة الزيت، وإذا طرف الماء كهيئة الفسطاط، فلما ارتفعت أدخلوني سرباً لهم أنا وصاحبي، فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك فيطرحونه في الشمس فينضج[٢].

قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي: كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها.

وقيل: المعنى اتَّبَع سبباً كما اتَّبع سبباً.

وقيل: المعنى: كما حَكَمَ في أولئك الذين وجدهم عند مغرب الشمس كذلك حكم في الذين وجدهم عند مطلعها[٣].

وقيل: المعنى: أمر ذي القرنين كذلك، أي: كما قصصناه عليك، وكما وصفناه، على مذهب التعظيم لأمره والتفخيم لشأنه.

قوله تعالى: ﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ يعني: من الأموال والآلات والأسباب والجيوش والعَدد والعُدد ﴿خُبْراً﴾.

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

---

(١) في ب: إذا.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١١/ ٥٤).

(٣) وهذا أولى الأقوال.

رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾

﴿ثم اتّبَعَ سبباً﴾ طريقاً ثالثاً بين المشرق والمغرب.

﴿حتى إذا بلغ بين السدَّين﴾ قال الزمخشري[(١)]: انتصب «بين» على أنه مفعول مبلوغ، كما انجرّ على الإضافة في قوله: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾، وكما ارتفع في قوله: ﴿لقد تقطع بينكم﴾ [الأنعام:٩٤] لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفاً.

وفتح السين ابن كثير وأبو عمرو وحفص، وضَمَّها الباقون[(٢)].

قال الكسائي وثعلب والزجاج[(٣)]: هما لغتان بمعنى واحد.

قال ابن الأعرابي[(٤)]: كل ما قابلك فسدَّ ما وراءه فهو سَدٌّ وسُدٌّ، نحو الضَّعف والضُّعف، والفَقر والفُقر.

وقال ابن عباس وعكرمة وأبو عبيدة: ما كان من صنعة بني آدم فهو السَّد -بفتح السين-، وما كان من صُنع الله فهو السُّد -بضم السين-[(٥)].

---

(١) الكشاف (٢/ ٦٩٦).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٠-٤٣١)، والكشف (٢/ ٧٥)، والنشر (٢/ ٣١٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٩).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣١٠).

(٤) انظر: الوسيط (٣/ ١٦٦)، وزاد المسير (٥/ ١٨٩)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٢٧٦).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٨) كلاهما عن عكرمة. وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٤١٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٥٩) وعزاه لابن أبي حاتم.

قال الفراء[١]: وعلى هذا رأيت المشيخة وأهل العلم من النحويين.

وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق.

قال ابن عباس: هما جبلان سَدَّ ذو القرنين ما بينهما[٢].

قال وهب بن منبه: هما جبلان مُنيفان في السماء من ورائهما البحر[٣].

﴿وجد من دونهما﴾ يعني: أمام [السدين][٤] ﴿قوماً لا يكادون يفقهون قولاً﴾ أي: لا يفقهونه إلا بعد جُهد؛ لأنهم لم يكونوا يعرفون غير لغتهم.

وقرأ حمزة والكسائي: «يُفْقِهون» بضم الياء وكسر القاف[٥]، أي: لا يكادون يُفقهون السامع؛ لغرابة لغتهم.

﴿قالوا يا ذا القرنين إن ياجوج وماجوج﴾ وقرأ عاصم بالهمز فيهما[٦]، والأول أوجه؛ لأنهما اسمان أعجميان، كجالوت وطالوت.

قال الليث[٧]: الهمز لغة رديئة.

---

(١) لم أقف عليه في معاني الفراء. وانظر: زاد المسير (٥/ ١٩٠).

(٢) انظر: الطبري (١٦/ ١٥-١٦)، والوسيط (٣/ ١٦٦).

(٣) زاد المسير (٥/ ١٨٩).

(٤) في الأصل و ب: السد. والمثبت من زاد المسير (٥/ ١٩٠).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٢)، والكشف (٢/ ٧٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٩).

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٢)، والكشف (٢/ ٧٦-٧٧)، والنشر في القراءات العشر (١/ ٣٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٩).

(٧) انظر: زاد المسير (٥/ ١٩٠).

قال ابن الأنباري(١): وجه هَمْزِه: أن العرب [قد](٢) همزت حروفاً لا يُعرف للهمز فيها أصل، كقولهم: استنشأتُ الريح(٣)، فإذا كان هذا معروفاً في أبنية العرب، كان مقبولاً في الألفاظ التي أصلها للعجم.

ومعنى قول ابن الأنباري: «استنشأتُ الريح»: تشمّمْتُها.

قال أبو علي(٤): من همزهما جعلهما عربيين، فإن «يأجُوج» يفعُول من أَجَّ، و«مأجوج» مفعُول من أَجَّ أيضاً، والكلمتان على هذا من أصل واحد في الاشتقاق، وامتناع صرفهما على هذا للتأنيث والتعريف؛ لأن كل واحد منهما كأنه اسم للقبيلة؛ كَمَجُوس.

ومن قرأهما بغير همز أمكن أن يكون على قول من همز، لكنه خفف الهمزة فقلبها ألفاً، مثل: راسٍ(٥)، فهو على قوله أيضاً: يَفْعُول، منْ أَجَّ، وإن كان الألف في «يأجوج» فيمن لم يهمز ليس على التخفيف، فإنه فاعُول من: (ي ج ج)، فإن جعلتَ الكلمة من هذا الأصل كانت الهمزة فيها كالتي في: «سَأْقَ»، ونحو ذلك مما جاء مهموزاً ولم ينبغ أن يُهمز.

وأما «مأْجوج» فيمن لم يهمز فهو فاعول مِنْ مَجَّ، كما كان «ياجوج» يفعول مِنْ يَجَّ، فالكلمتان على هذا من أصلين، وليستا من أصل واحد، ويكون امتناعهما من

---

(١) انظر: الوسيط (٣/ ١٦٦).

(٢) زيادة من ب.

(٣) استنشأت لغة في استنشيت الريح، أي وجدت طيبها عند شمها (اللسان، مادة: نشأ).

(٤) الحجة (٣/ ١٠٣-١٠٤).

(٥) من هنا يوجد سقط لباقي سورة الكهف وأول سورة مريم في مصورة الأصل. وقد اعتمدنا فيها نسخة ب.

الصرف أيضاً للتأنيث والتعريف.

ويجوز أن يكون «ماجوج» مفعول من أَجَّ، كما كان في قول من همز، إلا أنه خفف همزه. وإن جعل «ياجوج وماجوج» من العجمي، فهذه التمثيلات لا تصح فيهما، ويكون امتناعهما من الصرف للعجمة والتعريف.

وإنما تُمثّل هذه التمثيلات في العجمية؛ ليعلم أنها لو كانت عربية لكانت على ما يذكر.

قال ابن عباس: يأجوج رجل ومأجوج رجل، وهما ابنا يافث بن نوح. فيأجوج ومأجوج عشرة أجزاء، وولَدُ آدم كلهم جزء، وهم شبر وشبران وثلاثة أشبار[1].

وقال علي عليه السلام: منهم من طوله شبر، ومنهم من هو مفرطٌ في الطول، ولهم من الشَّعَر ما يُواريهم من الحرّ والبرد[2].

وقال السدي: الترك سرية من يأجوج ومأجوج، خرجت تُغير، فجاء ذو القرنين فضرب السدّ فبقيت خارجه[3].

---

(١) أخرج الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٢ ح٨٦٠٧) عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يأجوج ومأجوج شبر وشبرين وثلاثة وهم من ولد آدم.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن يأجوج ومأجوج شبر وشبران وأطوالهم ثلاثة أشبار وهم من ولد آدم (الدر المنثور ٥/ ٤٥٧).

وانظر: زاد المسير (٥/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٨).

(٢) الوسيط (٣/ ١٦٦)، وزاد المسير (٥/ ١٩٠).

(٣) الوسيط (٣/ ١٦٧)، وزاد المسير (٥/ ١٩٠).

وروى شقيق عن حذيفة قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج فقال: «يأجوج أمّة، ومأجوج أمّة، كل أمة أربعمائة [ألف][1] أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذَكَرٍ بين يديه من صلبه، كلٌّ قد حمل السلاح. قلت: يا رسول الله، صفْهم لنا؟ قال: هم ثلاثة أصناف، صنفٌ منهم أمثال الأرز. قلت: يا رسول الله، وما الأرز؟ قال: شجر بالشام طوال، الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف طوله وعرضه سواء، مائة وعشرون ذراعاً، وهذا الصنف لا يثبت لجبل ولا حديد. وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى، ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مُقدَّمتُهم بالشام وساقَتُهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية»[2].

قوله: ﴿مفسدون في الأرض﴾ قال ابن السائب: كانوا يخرجون إلى أرض هؤلاء الذين شكوهم إلى ذي القرنين أيام الربيع، فلا يَدَعُون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه إلى أرضهم[3].

---

(١) زيادة من المعجم الأوسط (٤/ ١٥٥).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ١٥٥ ح٣٨٥٥).

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٦) وعزاه للطبراني في الأوسط وقال: فيه يحيى بن سعيد العطار وهو ضعيف. والسيوطي في الدر (٥/ ٤٥٧) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عدي وابن عساكر وابن النجار.

قال الحافظ في الكاف الشاف: قال ابن عدي: هذا موضوع. وفي إسناده محمد بن إسحاق، وليس هو صاحب المغازي، وإنما هو العكاشي.

(٣) الوسيط (٣/ ١٦٧)، وزاد المسير (٥/ ١٩١).

قال وهب بن منبه: كانوا يفعلون فعل قوم لوط[١].

وقيل: كانوا يأكلون الناس[٢].

﴿فهل نجعل لك خرجاً﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «خَرَاجاً»[٣].

قال أبو عبيد: هما لغتان بمعنى واحد.

وقال أبو عمرو ابن العلاء[٤]: الخَرْجُ: ما تبرعتَ به، والخَرَاجُ: ما لزمك أداؤه[٥].

قال المفسرون: المعنى: هل نُخرج إليك من أموالنا شيئاً كالجُعْل لك؟[٦].

﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سَدّاً﴾ وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر: «سُدّاً» بضم السين[٧]، وقد سبق ذكره.

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٩١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٨) عن حبيب الأرجاني. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٩١) عن سعيد بن عبد العزيز، والسيوطي في الدر (٥/ ٤٥٩) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن حبيب الأرجاني.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٣)، والكشف (٢/ ٧٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٠).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ١٩١).

(٥) انظر: اللسان (مادة: خرج).

(٦) الوسيط (٣/ ١٦٧)، وزاد المسير (٥/ ١٩١).

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣١)، والكشف (٢/ ٧٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٩).

﴿قال ما مَكَّنِّي﴾ قرأ ابن كثير: «مكنني» بنونين ظاهرتين، وقرأ الباقون بالإدغام[١]، على أصلهم في التقاء المثلين.

والمعنى: ما مكني ﴿فيه ربي﴾ من كثرة المال والآلات وسائر ما يتوقَّف ما ندبتموني إليه عليه ﴿خير﴾ مما تجعلونه لي من أموالكم.

﴿فأعينوني بقوة﴾ أي: بعمل تعملونه معي بأبدانكم وفَعَلَةٍ[٢] وصُنَّاع يُحسنون البناء، ﴿أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾ حاجزاً حصيناً متراكماً، والرَّدْم [أكبر][٣] من السَّدّ؛ لأن الردم ما جُعِلَ بعضه فوق بعض.

﴿آتوني زُبَرَ الحديد﴾ أي: أعطوني قطع الحديد.

قال ابن عباس: احملوها إليّ[٤].

وروى أبو بكر عن عاصم: «ردماً إيتوني» بكسر التنوين[٥]، والابتداء على هذه القراءة بكسر الهمزة، بمعنى: جيئوني بزبر الحديد، فلما حذف الحرف الجار تعدى الفعل فنصب، كما قال:

---

(١) الحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٣)، والكشف (٢/ ٧٨)، والنشر في القراءات العشر (١/ ٣٠٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٠).

(٢) الفَعَلَة: صفة غالبة على عَمَلَةِ الطين والحفر ونحوهما؛ لأنهم يَفْعَلُون (اللسان، مادة: فعل).

(٣) في ب: أكثر. والمثبت من زاد المسير (٥/ ١٩٢).

(٤) الوسيط (٣/ ١٦٧)، وزاد المسير (٥/ ١٩٢).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٤)، والكشف (٢/ ٧٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٠).

أمرتُكَ الخير فافعل ما أُمرت به ....[1]

﴿حتى إذا ساوى﴾ وقرأتُ لأبان عن عاصم: «سَوَّى» بتشديد الواو من غير ألف[2].

﴿بين الصَّدَفَيْن﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بضم الصاد والدال، وهي لغة حميَر. وقرأ أبو بكر عن عاصم بضم الصاد وإسكان الدال. وقرأ الباقون بفتحهما، وهي لغة بني تميم[3].

وقرأ أبو مجلز وأبو رجاء بفتح الصاد وضم الدال[4].

وقرأ أبو الجوزاء وأبو عمران والزهري والجحدري بالعكس من ذلك[5].

وكلها لغات متَّفِقَة في المعنى.

قال الأزهري[6]: يقال لجانبي الجبل صَدَفان؛ إذا تحاذيا، لتصادفهما وتلاقيهما[7].

---

(١) سبق تخريجه في سورة الأعراف (٢/ ٢٩٣).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ١٩٢).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٤)، والكشف (٢/ ٧٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠١).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ١٩٣).

(٥) مثل السابق.

(٦) تهذيب اللغة (١٢/ ١٤٦).

(٧) في ب: وتلافيهما.

وقال ابن عباس والضحاك ومجاهد: الصَّدَفان: جبلان[(١)].

وقال ابن عيسى: هما جبلان كل واحد منهما منعزل عن الآخر، كأنه قد صدف عنه[(٢)].

وقد قيل: أنَّ بُعْدَ ما بين السَّدَّيْن مائة فرسخ.

قال المفسرون: حشا ما بين الجبلين بالحديد، ونسج بين طبقات الحديد الحطب والفحم ووضع عليها المنافيخ، ثم قال: ﴿انفخوا﴾ فنفخوا[(٣)].

﴿حتى إذا جعله ناراً﴾ أي: جعل الحديد حين ذاب كالنار.

﴿قال آتوني﴾ أي: ناولوني. وقرأ حمزة وأبو بكر: «قال أتوني» بقصر الهمزة[(٤)]، بمعنى: جيئوني.

﴿أُفرغ عليه قطراً﴾ وهو النحاس المذاب، سُمِّيَ بذلك؛ لأنه يَقْطُر.

قال المفسرون: أذاب النحاس ثم أفرغه على زُبر الحديد، فاختلط والتصق بعضه ببعض، حتى صار جبلاً صلداً من حديد وقطر[(٥)].

قال قتادة: فهو كالبَرَدِ المُحَبَّر؛ طريقة سوداء وطريقة حمراء[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٥)، ومجاهد (ص:٣٨١). وانظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٤٣).

(٢) تفسير الماوردي (٣/ ٣٤٣).

(٣) زاد المسير (٥/ ١٩٣).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٤)، والكشف (٢/ ٧٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠١).

(٥) الوسيط (٣/ ١٦٨)، وزاد المسير (٥/ ١٩٣).

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٥٨) وعزاه لابن جرير وابن مردويه =

فإن قيل: بماذا انتصب «قِطْراً»؟

قلت: بأقرب الفعلين إليه وهو «أُفْرِغْ».

فإن قيل: ما منعك أن تقول العامل فيه «آتوني»؟

قلت: ما يفتقر إليه من إضمار مفعول آخر، تقديره: أُفرغه عليه.

فإن قيل: فقد أُلزمتَ مثل هذا الإضمار لأنك إذا نصبته بـ«أُفْرِغْ» أضمرت «قِطْراً»، تقديره: آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً، فأي فرق بين الإضمارين؟

قلت: الفرق بينهما أنك التزمت مع الإضمار الفصل بين العامل والمعمول فيه وأنا سَالِمٌ من ذلك.

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾

قوله: ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾ أصلها: استطاعوا، فلما اجتمع الحرفان المتقاربان حذف الأكثرون التاء؛ طلباً للخِفَّة.

وقرأ حمزة بتشديد الطاء على إدغام التاء فيها(1)، وفيه بُعْدٌ؛ لما يستلزم من

= عن أبي بكر النسفي. وسنده ضعيف، فإنه مرسل، بل معضل، حيث قال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله رأيت سد يأجوج ومأجوج. وانظر: الوسيط (٣/ ١٦٨)، وزاد المسير (٥/ ١٩٣).

(1) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٥)، والكشف (٢/ ٨٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠١).

اجتماع الساكنين.

والمعنى: فما قدروا أن يعلوا عليه لملاسته وارتفاعه.

﴿وما استطاعوا له نقباً﴾ لشدته وصلابته وتماسكه.

أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحصين، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، حدثنا عبد الله بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا روح، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، حدثنا أبو رافع، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السدَّ كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعودون إليه فيرونه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مُدَّتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، ويستثني، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشّفون المياه، ويتحصّن الناس منهم في حصونهم، ويرمون سهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نَغَفاً[1] في أقفائهم فيقتلهم بها. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده إن دوابّ الأرض لتسمن، وتشكر من لحومهم ودمائهم»[2].

وبالإسناد قال الإمام أحمد رضي الله عنه: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن محمد

---

(١) النَّغَف: الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم، واحدته: نَغَفة (اللسان، مادة: نغف).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣١٣ ح٣١٥٣)، وابن ماجه (٢/ ١٣٦٤ ح٤٠٨٠)، وأحمد (٢/ ٥١٠ ح١٠٦٤٠).

بن إسحاق، حدثني عاصم بن عمر، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله: ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ [الأنبياء:٩٦]، فيغشون الأرض، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحُصُونهم، ويضُمُّون إليهم مواشيهم، فيشربون مياه الأرض، حتى إن بعضهم ليَمُرّ بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبساً، حتى إن من بعدهم ليمرّ بذلك النهر فيقول: قد كان هاهنا ماء مرة، حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا من في حصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء. ثم يهزّ أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء فترجع إليهم مختضبة دماً للبلاء والفتنة، فبينا هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل دُوداً في أعناقهم [كنَغَف الجراد الذي يخرج في أعناقهم][(١)] فيصبحون موتى لا يُسمع لهم حِسّ، فيقول المسلمون: ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو؟ فيتجرّد رجلٌ منهم محتسباً بنفسه قد وَطَّنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى بعضُهُم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين أبشروا! فإن الله قد كفاكم عدوَّكم، فيخرجون من مدائنهم وحُصونهم ويسرحون مواشيهم، فما يكون لها رعي إلا لحومهم، فتَشْكَر عنه كأحسن ما شَكَرت عن شيء من النبات أصابته قط))[(٢)].

«النَّغَف» في الحديث الأول: هو الدود، كما فُسِّر في الحديث الثاني.

وقوله: «تَشْكَر»: بفتح الكاف، تقول: شَكِرت الدابة -بكسر الكاف- تَشْكَرُ، فهي شَكُور، والشَّكُورُ من الدواب: ما كفاها العلف القليل. والشكرة: الناقة

(١) زيادة من مسند أحمد (٣/ ٧٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٧٧ ح١١٧٤٩).

تُصيب حَظّاً من بَقْلٍ أو مَرْعَى فتَغْزُر، ويقال: شَكر القوم، وهم يحلبون شَكِرَة. كل ذلك يرجع إلى أصل واحد(١).

وقال وهب بن منبه: يأكلون الحشيش والشجر والخشب وما ظفروا بـه مـن الناس، ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة ولا بيت المقدس(٢).

وفي أفراد البخاري من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «لَيُحَجَّنَ هذا البيتُ وليُعْتَمَرَنَّ بعد خروج يأجوج ومأجوج»(٣).

قوله تعالى: ﴿قال هذا رحمة من ربي﴾ يشير إلى الردم أو التمكين مـن تـسويته وعمله.

قال ابن عباس: المعنى: هذا معونة من ربي حيث ألهمني وقوّاني(٤).

﴿فإذا جاء وعد ربي﴾ أي: دنـا مجـيء القيامـة، وقيـل: هـو خـروج يـأجوج ومأجوج. والمعنى متقارب.

﴿جعله دكاً﴾ وقرأ أهل الكوفة: «دَكَّاء» بالمد والهمز من غير تنـوين(٥). وقـد سبق ذكره في الأعراف(٦).

---

(١) انظر: اللسان (مادة: شكر).

(٢) البغوي (٣/ ١٨٤)، وأبو السعود (٥/ ٢٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٥٧٨ ح١٥١٦).

(٤) الوسيط (٣/ ١٦٩).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٩)، والحجـة لابـن زنجلـة (ص:٤٣٥-٤٣٦)، والكـشف (٢/ ٨١)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٧١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٦)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٢).

(٦) آية رقم: ١٤٣.

﴿وكان وعد ربي حقاً﴾ كائناً لا محالة.

﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ يعني: يوم القيامة، أو يوم خروجهم من السد على اختلاف القولين.

قوله تعالى: ﴿ونُفِخَ في الصور﴾ يريد نفخة البعث، ﴿فجمعناهم جمعاً﴾. وقد سبق الكلام على الصُّور في الأنعام(١).

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَـٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾

﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾ أي: أظهرناها لهم حتى شاهدوها.

ثم وصفهم فقال: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾ وهذا مثل قوله: ﴿صم بكم عمي﴾ [البقرة:١٨] والمعنى: كانت في غشاوة وغفلة عن تدبر آيات القرآن. وكانوا لفرط عنادهم وعداوتهم للحق الذي بُعث به محمد ﷺ ﴿لا يستطيعون﴾ لا يُطيقون له سَمْعاً.

قوله تعالى: ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ قال ابن عباس: هم الشياطين(٢).

وقال مقاتل(٣): الأصنام.

(١) آية رقم: ٧٣.

(٢) الوسيط (٣/ ١٦٩)، وزاد المسير (٥/ ١٩٦).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠٢).

وقال أبو سليمان الدمشقي: الملائكة والمسيح وعزير، وكل ما عُبد من دون الله[١].

وفيه إضمار تقديره: أفحسبوا أنهم يتخذوهم أولياء من دوني ولا أعاقبهم ولا أغضب عليهم[٢].

وقيل: التقدير: أفحسبوا أن يتخذوهم أولياء، كَلاَّ بل هم أعداء لهم، يتبرؤون منهم يوم القيامة عند الحاجة[٣].

وقوله: «أن يتخذوا» مع ما في حيزه سَدَّ مَسَدَّ مفعولي «حسب»، و«عبادي» المفعول الأول لـ«يتخذوا»، و«أولياء» هو المفعول الثاني.

وقرأتُ لعاصم من رواية أبان عنه وليعقوب من رواية زيد عنه: «أَفَحَسْبُ» بإسكان السين وضم الباء[٤]، وهي قراءة علي وابن عباس عليهم السلام في آخرين، على معنى: أَفَكَافيهم أن يتخذوهم أولياء من دوني.

﴿إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً﴾ سبق تفسيره فيما مضى، وهذا شبيه بقوله: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ [الإنشقاق:٢٤].

وقول الشاعر:

.... تحيَّةُ بينهمْ ضَرْبٌ وَجِيع[٥]

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٩٦).

(٢) مثل السابق.

(٣) مثل السابق.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٦).

(٥) انظر البيت في: الدر المصون (٤/ ٤٨٥)، والبحر المحيط (٦/ ١٥٧).

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ۝١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ
جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ۝١٠٦﴾

قوله تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ قال علي عليه السلام: هم القسِّيسون والرُّهبان(١).

وفي رواية عنه قال: منهم أهل حروراء(٢).

وقال سعد بن أبي وقاص: هم اليهود والنصارى(٣). وقد ذكرته عنه بإسناده في البقرة عند قوله: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ [البقرة:٢٧].

قوله: ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا﴾ قال الزمخشري(٤): الأوجه: أن يكون في محل الرفع، على معنى: هم الذين ضل سعيهم؛ لأنه جواب عن السؤال،

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٣٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٩٣). وانظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٤٧)، وزاد المسير (٥/ ١٩٧). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٥/ ٤٦٥) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٣٤). وانظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٥٨)، والنسائي (٦/ ٣٩٢)، والحاكم (٢/ ٤٠٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٦٠)، والطبري (١٦/ ٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٦٥) وعزاه لعبد الرزاق والبخاري والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه.

(٤) الكشاف (٢/ ٦٩٩).

ويجوز أن يكون نصباً على الذمّ، أو [جَرّ][(١)] على البدل.

والمعنى: ضاع وبطل يوم القيامة ما حَمَلُوا أنفسهم عليه في الدنيا من العبادة والزهادة، ودأبوا في التقرب به إلى الله ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾.

﴿أولئك الذين كفرو بآيات ربهم ولقائه﴾ أي: جحدوا بما جاء به محمد ﷺ من القرآن وغيره، وكذبوا بالبعث على الوجه الذي هو عليه.

﴿فحبطت أعمالهم﴾ بطل ثوابها لفوات شرط القبول، وهو الإيمان، ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ قال ابن الأعرابي في هذه الآية: العرب تقول: ما لفلان عندنا وزن، أي: قدر؛ لخسّته[(٢)].

فعلى هذا؛ يكون المعنى: لا يُعتد بهم، ولا يكون لهم عند الله قدرٌ ولا منزلة.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وَزْناً﴾ »[(٣)].

وقيل: المعنى: لا نقيم لهم؛ لأن الوزن عليهم[(٤)].

وقيل: هذا نفي لإقامة الميزان؛ لأنها إنما تُوضع لذوي الحسنات والسيئات من الموحّدين.

قوله: ﴿ذلك جزاؤهم﴾ تقديره: الأمر ذلك الذي ذكرتُ من بطلان عملهم

---

(١) زيادة من الكشاف (٢/ ٦٩٩).

(٢) الوسيط (٣/ ١٧٠)، وزاد المسير (٥/ ١٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٥٩ ح٤٤٥٢)، ومسلم (٤/ ٢١٤٧ ح٢٧٨٥).

(٤) زاد المسير (٥/ ١٩٨) عن ابن الأنباري.

وخسّة قدرهم.

ثم ابتدأ فقال: ﴿جزاؤهم جهنم بما كفروا﴾.

وقيل: «ذلك» مبتدأ، «جزاؤهم» خبره، «جهنم» خبر ثان. وقيل: «جهنم» بدل من «جزائهم»، أو عطف بيان. وإن شئت جعلت «جزاؤهم» بدلاً من «ذلك»[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كانت لهم جنات الفردوس نزلاً﴾ «جنات» اسم كان، و«لهم» خبره، و«نزلاً» حال أو تمييز، وإن شئت كان «نزلاً» خبراً، و«لهم» ظرف حشو[2]، والتقدير: كان لهم دخول جنات الفردوس نزلاً. والنُّزُل: ما يُهيّأ للضيف، كما سبق ذكره.

فيكون المعنى: كانت لهم ثمر جنات الفردوس.

وقيل: «نُزُلاً»: منزلاً، والتقدير كانت لهم في علم الله نزلاً.

﴿خالدين فيها﴾ نصبٌ على الحال من الضمير المجرور بـ«لَهُم»[3].

﴿لا يبغون عنها حِوَلاً﴾ أي: لا يريدون تحوُّلاً عنها إلى غيرها. والحول: اسم

(١) التبيان (٢/ ١٠٩)، والدر المصون (٤/ ٤٨٦).

(٢) مثل السابق.

(٣) مثل السابق.

بمعنى التَّحْويل يقوم مقام المصدر، يقال: حُوِّل عنه تَحْويلاً وحِوَلاً[(١)]. قاله ابن قتيبة والأزهري وغيرهما[(٢)]. يشير بذلك إلى اجتماع أغراضهم وحصول منتهى أملهم.

وأخرج الإمام أحمد رضي الله عنه من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء إلى الأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تخرج الأنهار الأربعة، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس»[(٣)].

وقال أبو أمامة: «الفردوس سُرَّة الجنة، والعرش فوقها»[(٤)].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «جنان الفردوس أربع: ثنتان من ذهبٍ حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[(٥)].

---

(١) انظر اللسان (مادة: حول).

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٢٧١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/ ٢٤٢).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣١٦ ح٢٢٧٤٧).

(٤) أخرج الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٢ ح٣٤٠٢) عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: سلوا الله الفردوس فإنها سرة الجنة. وقال: هذا حديث لم نكتبه إلا من هذا الإسناد ولم نجد بداً من إخراجه. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٤٦ ح٧٩٦٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٨) وعزاه للطبراني وقال: فيه جعفر بن الزبير، وهو متروك.

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧١٠ ح٧٠٠٦)، ومسلم (١/ ١٦٣ ح١٨٠).

فصل

قال المبرد: الفِرْدَوْسُ فيما سمعتُ من كلام العرب: الشَّجَرُ الملتفُّ، والأغلب عليه: العِنَب[١].

وقال الفراء[٢]: العرب تسمي البستان الذي فيه الكَرْم: فردوساً.

وقال الزجاج[٣]: اختلف الناس في تفسير الفردوس، فقال قوم: الفردوس: الأودية التي تُنبِتُ ضُروباً من النبت. قال: وقيل: الفردوس البستان. وقال: قالوا: هو بالرومية منقولٌ إلى لفظ العربية. قال: وقيل: الفردوس أيضاً بالسريانية، ولم نجده في أشعار العرب إلا في بيت لحسان[٤]:

وإنَّ ثوابَ الله كُلَّ مُخلَّدٍ ... جِنانٌ من الفردوس فيها يُخَلَّدُ[٥]

وحقيقته: البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين؛ لأنه كذا عند أهل اللغة. ولهذا قال حسان: [جنانٌ من الفردوس][٦]. هذا كلام الزجاج.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ١٥٠).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٣١).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣١٤-٣١٥).

(٤) قال أبو حيان في البحر (٦/ ١٥٩): هذا لا يصح؛ لأنه سُمِعَ في شعر أمية بن أبي الصلت:

كانتْ منازلُهم إذ ذاكَ ظاهرةً ... منها الفَراديسُ ثم الثومُ والبصلُ

(٥) البيت لحسان؛ انظر ديوانه (ص:٣٣٩)، واللسان (مادة: فردس)، والدر المصون (٤/ ٤٨٨)، والبحر (٦/ ١٥٩)، وتهذيب اللغة (١٣/ ١٥١)، والأشموني (٣/ ٢٨٨)، والهمع (٢/ ٩٥)، وزاد المسير (٥/ ٢٠٠)، وروح المعاني (١٦/ ٥٠).

(٦) زيادة من معاني الزجاج (٣/ ٣١٥).

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي﴾ أخرج الإمام أحمد في مسنده بإسناده، قال ابن عباس: « لما نزل قوله: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء:٨٥] قالت اليهود: كيف وقد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء؟ فنزلت هذه الآية »[١].

والبحر: اسم جنس، والمِداد: ما تُمَدُّ به الدواة من الحِبر، وأصله: الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء[٢]، ومنه: المِداد للزيت الذي يُوقد به السراج، ومنه: المدَد.

﴿لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي﴾ وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: «قبل أن ينفد» بالياء[٣].

قال أبو علي[٤]: التأنيث أحسن؛ لأن المسند إليه الفعل مؤنث، والتذكير حسن؛ لأن التأنيث ليس بحقيقي.

﴿ولو جئنا بمثله﴾ أي: بمثل البحر ﴿مَدَداً﴾ لنفد أيضاً.

وإنما لم تنفد كلمات الله؛ لأن كلامه صفة من صفاته فلا يتطرَّق إليها نفاد.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٥٥ ح٢٣٠٩).

(٢) انظر: اللسان (مادة: مدد).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٦)، والكشف (٢/ ٨١-٨٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٦)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٢).

(٤) الحجة (٣/ ١١٠).

وقرأ جماعة منهم ابن عباس ومجاهد وقتادة في آخرين: «ولو جئنا بمثله مِداداً»[1]، وهما بمعنى واحد.

والقراءة المشهورة أحسن؛ لاتفاق المقاطع عند أواخر الآي.

قال أبو الفتح[2]: «مِدَاداً» منصوبٌ على التمييز، أي: بمثله من المداد، فهو كقولك: لي مثله عبداً، أي من العبيد، وعلى التمرة مثلها زُبْداً.

وأما «مَدَداً» فمنصوب على الحال، كقولك: جئتك بزيدٍ عوناً لك ويداً معك.

وإن شئت نصبته على المصدر بفعل مضمر[3]، يدل عليه قوله: ﴿جئنا بمثله﴾، كأنه قال: [أمددناه][4] به إمداداً، ثم وضع ﴿مَدَداً﴾ موضع [إمداد][5]، ولهذا نظائر كثيرة.

وقال الزجاج[6]: «مدداً» نصب على التمييز، تقول: لي ملء هذا عسلاً، ومثل هذا ذهباً.

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ قال ابن عباس: علّم الله رسوله التواضع؛ لئلا يُزْهي

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٠٢).

(٢) المحتسب (٢/ ٣٥).

(٣) الدر المصون (٤/ ٤٨٧).

(٤) في الأصل: أمددنا. والمثبت من المحتسب (٢/ ٣٥).

(٥) في الأصل: المداد. والمثبت من المحتسب، الموضع السابق.

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٣١٦).

على خلقه، فأمره أن يقر على نفسه بأنه آدمي كغيره، إلا أنه أُكرم بالوحي، وهو قوله: ﴿يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد﴾[(١)].

﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ قال ابن عباس: قال جُندب بن زهير العامري لرسول الله ﷺ: إني أعملُ العملَ فإذا اطُّلِعَ عليه سَرَّني، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله طَيِّبٌ لا يقبل إلا الطيب، ولا يقبل ما روئي فيه، ونزلت هذه الآية»[(٢)].

قال ابن قتيبة[(٣)]: المعنى: فمن كان يخاف لقاء ربه.

وقال الزجاج[(٤)]: يأملُ لقاء ربه.

قال غيره: والرجاء يستعمل في الخوف والأمل. قال الشاعر:

فلا كل ما ترجو من الخير كائن ولا كل ما ترجو من الشر واقع[(٥)]

﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾ خالصاً لوجه الله، ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ قال سعيد بن جبير: لا يرائي[(٦)].

أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد، أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) الوسيط (٣/ ١٧٢)، وزاد المسير (٥/ ٢٠٢).

(٢) تفسير الماوردي (٣/ ٣٥٠) عن الكلبي ومقاتل، وزاد المسير (٥/ ٢٠٢-٢٠٣)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٣٠٧).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٢٧١).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣١٦).

(٥) انظر البيت في: البغوي (٣/ ١٨٧).

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ٣٤١ ح٦٨٥٥)، وهناد في الزهد (٢/ ٤٣٥)، والطبري (١٦/ ٤٠) عن سفيان، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٦٩) وعزاه لهناد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء. يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تُراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟»(١).

وأخرج الإمام أيضاً في مسنده ومسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «أنا خيرُ الشركاء، فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك»(٢).

وأخرج الترمذي من حديث أبي سعد بن أبي فضالة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه، نادى مُناد: من كان يُشرك في عملٍ عمله لله أحداً فليطلب ثوابه منه، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»(٣).

وقال أبو العالية: قال لي أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم: لا تعمل لغير الله فيكلك الله إلى من عملت له(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨ ح٢٣٦٨٠).

وفي هامش الأصل بخط مغاير: وأسند البزار: «كان عبد الرحمن بن غنم في نفر من أصحاب النبي ﷺ فيهم معاذ فقال عبدالرحمن: يا أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفي. فقال معاذ: اللهم غفراً. فقال: يا معاذ! أما سمعت النبي ﷺ يقول: من صام رياء فقد أشرك، ومن تصدق رياء فقد أشرك، ومن صلى رياء فقد أشرك؟ فقال: بلى، ولكن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية فشق ذلك عليهم واشتد، فقال: ألا أفرجها عنكم؟ قالوا: بلى فرج الله عنك الهم والأذى، قال: هي مثل الآية التي في الروم: ﴿وما آتيتم من رباً ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ... الآية﴾ [٣٩] من عمل عملاً رياء لم يكتب لا له ولا عليه». (مسند البزار: ٧/ ١٠٦-١٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٨٩ ح٢٩٨٥)، وأحمد (٢/ ٣٠١ ح٧٩٨٦).

(٣) أخرجه الترمذي في (٥/ ٣١٤ ح٣١٥٤).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٠٧ ح٣٥٣٨٤)، وأحمد في الزهد (ص:٥٦). وذكره السيوطي في الدر =

وقال عمرو بن قيس الكندي: ((سمعت معاوية رضي الله عنه على المنبر تـلا هذه الآية: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه ... الآية﴾ فقال: إنهـا آخـر آيـةٍ نزلـت مـن القرآن))[1].

=

(٥/ ٤٧٥) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد.

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٧٥) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.
قال الحافظ ابن كثير (٣/ ١١١): وهذا أثر مشكل، فإن هذه الآية آخر سورة الكهف، والكهـف كلها مكية، ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها، بل هي مثبتة محكمة، فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه، والله أعلم.
وقال الآلوسي (١٦/ ٥٥) على أثر معاوية: وفيه كلام، والحق خلافه، والله تعالى أعلم.

سورة مريم عليها السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ثمان وتسعون آية، وهي مكية بإجماعهم.

واستثنى مقاتل سجدتها فقال[1]: هي مدنية.

وقيل: هي مكية إلا آيتين وهما: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ والتي تليها.

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾

قال الله تعالى: ﴿كهيعص﴾ قرأ أبو بكر والكسائي بإمالة الهاء والياء. وقرأ أبو عمرو بإمالة الهاء وحدها. وقرأ ابن عامر وحمزة بإمالة الياء وحدها. وقرأ نافع بين اللفظين فيهما. وقرأ ابن كثير وحفص بالتفخيم فيهما. وقَطَعَ الحروف أبو جعفر على أصله مع التفخيم فيهما، وأظهر الدال من هجاء صاد عند الذال من ﴿ذكر﴾ نافع وابن كثير وعاصم[2].

قال أبو علي وغيره[3]: علة من أمال أن هذه الحروف ليست بحروف معان،

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠٦).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١١١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٧)، والكشف (١/ ٦٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٧)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٦).

(٣) الحجة (٣/ ١١١).

وإنما هي أسماءٌ لهذه الأصوات.

قال سيبويه: قالوا: با، تا، لأنها أسماء ما يتهجّى بـه، فلـما كانـت أسـماءً غـير حروف جازت فيها الإمالة كما جازت في الأسماء، والدليل على أنها أسماء: أنك إذا أخبرت عنها أعربتها، وإن كنت لا تُعربها قبل ذلك.

ومن فَخَّمَ فهو الأصل، ومن أدغم الدال في الذال فلتقارب مخرجيهما، ومـن أظهر فلتغاير حيزيهما. وقد سبق الكلام على الحروف المقطّعة في أول البقرة.

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: الكاف من كريم، والهـاء مـن هـادٍ، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق[١].

وقال في رواية عطاء: كافٍ لخلقه، هادٍ لعباده، ويده فوق أيديهم، عالم ببريته، صادق في وعده[٢].

وروي عن علي: أنه اسم من أسماء الله، وأنه كان يقول: يا كهيعص اغفر لي[٣].

وقال ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة: هو اسم مـن أسـماء الله، أقـسم الله تعالى به[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٠٣ ح٣٤٠٥)، والطبري (١٦/ ٤٢-٤٤)، وابن أبي حـاتم (٧/ ٢٣٩٦). وذكره الماوردي في تفسيره (٣/ ٣٥٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٠٥)، والسيوطي في الدر (٥/ ٤٧٨) وعزاه لعبد الرزاق وآدم بن أبي إياس وعثمان بن سعيد الدارمي في التوحيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٤). وذكره الماوردي (٣/ ٣٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٠٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٩٦). وذكـره ابـن الجـوزي في وزاد المسير (٥/ ٢٠٥)، والسيوطي في الدر (٥/ ٤٧٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

قال الزجاج[١]: القسم بهذا والدعاء لا يدل على أنه اسم واحد؛ لأن الداعي إذا عَلِمَ أن الدعاء بهذه الحروف يدل على صفات الله فدعا بها، فكأنه قال: يا كافي، يا هادي، يا عالم، يا صادق، وإذا أقسم به فكأنه قال: والكافي والهادي [والعالم والصادق][٢].

وقال الحسن: هو اسم للسورة[٣].

وقال قتادة: اسم للقرآن[٤].

قوله تعالى: ﴿ذكر رحمة ربك﴾ قال الزجاج[٥]: «ذِكْرُ» مرتفع بالمضمر. المعنى: هذا الذي نتلو عليك ذكر رحمة ربك.

﴿عبده زكريا﴾ يعني: إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد.

قال الفراء[٦]: في الكلام تقديم وتأخير. المعنى: ذكر ربك عبده زكريا بالرحمة.

﴿إذ نادى ربه﴾ أي: دعاه ﴿نداء خفياً﴾ خافياً، والجهر والإخفات سواء بالنسبة إلى الله تعالى، وكأن الإخفاء أولى؛ لأنه أبعد من الرياء، وأقعد في الإخلاص.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣١٨).

(٢) في ب: العالم الصادق. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) ذكره الماوردي (٣/ ٣٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٠٦).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٧٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣١٨).

(٦) معاني الفراء (٢/ ١٦١).

قال ابن جريج: أخفى دعاه ليبعد من الرياء(١).

وقال مقاتل(٢): لئلا يقول الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد على الكبر.

وقال أبو سليمان الدمشقي: لئلا يعاديه بنو عمه فيظنوا أنه كره أن يلوا مكانه بعده(٣).

﴿قال رب إني وَهَن العظم مني﴾ قال الفراء(٤): يقال: وَهَنَ بفتح الهاء وكسرها، يَهِنُ بكسر الهاء في المضارع فيهما.

وقرأ معاذ القارئ والضحاك: «وَهُنَ» بضم الهاء(٥). والمعنى: ضَعُفَ العظم مني.

وخَصَّ العَظْم؛ لأنه أصل التركيب وعماد البدن، فإذا وَهَنَ كان ما وراءه أوهَن.

وقال قتادة: شكا ذهاب أضراسه(٦).

﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ استعارة بليغة في انتشار الشيب وبياضه، حيث شبَّهه بشعاع النار وانتشارها.

قال لبيد:

---

(١) أخرج نحوه الطبري (١٦/ ٤٥) وذكر نحوه السيوطي في الدر (٥/ ٤٧٩) وعزاه لابن المنذر.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٠٦).

(٤) لم أقف عليه في معاني الفراء. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٠٧).

(٥) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٠٧).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٠٧).

إن ترى رأسي أمسى واضحاً سلّط الشيبُ عليه فاشتَعَل [١]

وقال آخر:

قالتِ الخنساءُ لما جِئتُها شَابَ بعْدي رأسُ هذا واشْتَعَل [٢]

و«شيباً» نصب على التمييز [٣].

قوله تعالى: ﴿ولم أكن بدعائك رب شقياً﴾ أي: بدعائي إياك، والمصدر مضاف إلى المفعول، والفاعل محذوف، وهذا كقوله: ﴿من دعاء الخير﴾ [فصلت:٤٩]، و﴿بسؤال نعجتك﴾ [ص:٢٤].

قال ابن عباس: المعنى: لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتك، يقال: شقي فلان بكذا؛ إذا تعب بسببه ولم يحصل مطلوبه، يقول: لم أكن أتعب بالدعاء ثم أُخيّب [٤].

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿وإني خِفْتُ الموالي من ورائي﴾ يعني: الذين يلونه في النسب، وهم ورثته من بني عمه وعصبته.

قال ابن عباس: خاف أن يرثوه [٥].

---

(١) انظر البيت في: الغريب للخطابي (٢/ ١٠٣).

(٢) البيت لامرئ القيس الكندي. انظر: العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين (ص:١١٢). وهو في: اللسان (مادة: شهب).

(٣) التبيان (٢/ ١١٠)، والدر المصون (٤/ ٤٩١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٥).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٠٧).

فإن قيل: أين هذا من قوله: «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث»[١]؟

قلت: مُحال أن يُظن بنبي الله زكرياء عليه الصلاة والسلام أنه سأل ربه عز وجل الولد حرصاً على وصول مالٍ لو كان له إليه، وبُخلاً به على غيره من عصبته وبني عمه ونفاسةً عليهم بعَرَضٍ من الدنيا الفانية يَصِلُ إليهم، فإن هذا من الأخلاق المذمومة البعيدة عن أخلاق العقلاء ذوي الحنكة والتجربة، البصيرين بعيوب الدنيا الناظرين إليها بعين الفناء، فكيف بمن اصطفاه الله لنبوته واجتباه لرسالته واختصه بولايته وأكرمه بسفارته، وإنما خاف ضياع الدين والعلم لما كان يُشاهد من بني إسرائيل من قتل الأنبياء وتضييع حدود الله تعالى وانتهاك محارمه، فسأل ربه ولداً من سِنْخه[٢] يرثه حكمته وعلمه، ويُحسن الخلافة من بعده في قومه.

فمعنى قول ابن عباس «خاف أن يرثوه»: أي: خاف أن يرثوه فيسيؤوا خلافته فيما يرثونه منه من القيام بأمور الدين وحقوق الموحدين.

وقرأتُ للكسائي من طريق ابن أبي سريج عنه: «وإني خَفَّتِ الموالِيْ» بفتح الخاء وتشديد الفاء وفتحها وكسر التاء لالتقاء الساكنين، وسكون الياء من «الموالي»[٣]، وهي قراءة عثمان بن عفان وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم، على معنى: قلَّت الموالي من ورائي. فكأنه خاف على علمه وحكمته ألا يكون لها وارث من شجرة نسبه.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٦٣ ح٩٩٧٣).

(٢) السِّنْخ: الأصل من كل شيء (اللسان، مادة: سنخ).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٠٨).

قرأ ابن كثير: «ورائيَ» بفتح الياء على الأصل، وسكّنها الباقون؛ طلباً للخفة[١].

﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ عقيماً لا تلد، ﴿فهب لي من لدنك﴾ من عندك ﴿ولياً﴾ ابناً صالحاً يتولاني.

﴿يرثني ويرث﴾ جزمهما أبو عمرو والكسائي على الشرط والجزاء، ورفعهما الباقون على معنى الصفة[٢]، تقديره: هب لي ولياً وارثاً يرثني.

قال ابن عباس والحسن وقتادة: يرث نبوتي وعلمي[٣].

﴿ويرث من آل يعقوب﴾ ذلك أيضاً فيكون ﴿نبياً﴾ داعياً إليك دالاًّ عليك كآبائه الأنبياء، ﴿واجعله رب رَضِيّاً﴾ أي: مَرْضِيّاً في أفعاله وأقواله وأحواله.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧﴾

فأجاب الله دعاءه، فذلك قوله: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سَمِيّاً﴾ أي: لم نُسَمِّ أحداً قبله يحيى.

وفي هذا تنبيه على فضله، حيث تولى الله سبحانه وتعالى تسميته بنفسه ولم

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٨)، والكشف (٢/ ٩٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٧)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١١٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٨)، والكشف (٢/ ٨٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٧)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٨٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن.

يَكِلها إلى أبويه، وسمّاه باسم لم يُسبق إليه.

قال صاحب الكشاف[١]: وهذا شاهد على أن الأسامي الشُّنُع جديرة بالأثرة، وإياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها أنبه وأنوه [وأنزه][٢] عن النَّبْز، حتى قال قائل في مدح قوم:

شُنْعُ الأَسَامِي مُسْبلي أُزُرٍ حُمْرٍ تَمَسُّ الأرضَ بالهُدُبِ[٣]

وقال ابن عباس في رواية عطاء في معنى قوله: ﴿لم نجعل له من قبل سَمِيّاً﴾: لم يكن له في سابق علمي نظير ولا شبيه[٤]، يريد والله أعلم: لم يكن له شبيه في كونه لم يعص ولم يهمّ بمعصية.

وقال في رواية الوالبي: لم تلد العواقر مثله ولداً[٥].

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾

﴿قال رب أنّى يكون لي غلام﴾ سبق تفسيره في آل عمران إلى قوله: ﴿عتيـاً﴾ وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام.

(١) الكشاف (٣/ ٧).

(٢) في الأصل: وأمره. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) انظر البيت في: القرطبي (١١/ ٨٣)، والبحر (٦/ ١٦٦)، وروح المعاني (١٦/ ٦٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٦).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٨١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

قال ابن عباس: العُتيّ: اليُبُوسُ من الكِبَر[١].

قال مجاهد: هو نحول العظم[٢].

قال الزجاج[٣]: كل شيء انتهى فقد عَتَا يَعْتُو عُتِيًّا وعُتُوًّا وعُسِيًّا وعُسُوًّا.

وفي قراءة ابن عباس ومجاهد: «عُسِيّاً» بالسين[٤].

قرأ الأكثرون: «عُتِياً وجُثِياً وبُكِياً وصُلِياً» بضم أوائلها، وقرأها حمزة والكسائي بكسر أوائلها، وافقهما حفص إلا في «بُكياً»[٥].

﴿قال كذلك﴾ الكاف في موضع رفع، أي: الأمر كما قيل لك من هبة الولد على الكبر.

ثم ابتدأ فقال: ﴿قال ربك هو عليّ هينٌ﴾ أي: إيجاد الولد منك وأنت شيخ فَانٍ، ومن زوجتك وهي عاقر، عليّ سهلٌ لا يتعاظمني.

﴿وقد خلقتك﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «خلقناك»[٦].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٠٤). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٧)، والسيوطي في الدر (٥/ ٤٨٢) وعزاه لابن الأنباري في الوقف والابتداء والحاكم.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٥١)، ومجاهد (ص:٣٨٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٨٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٢٠).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٢١١).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١١٥-١١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٩)، والكشف (٢/ ٨٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٨)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٧).

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ١١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٩)، والكشف (٢/ ٨٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٨)، والسبعة في القراءات =

﴿من قبل ولم تَكُ شيئاً﴾ فأوجدتك بقدرتي وأخرجتُك من العدم إلى الوجود.

قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

﴿قال رب اجعل لي آية﴾ مُفسَّر في آل عمران[1].

و«سَوِيّاً» منصوب على الحال[2]. والمعنى: علامتك ألا تقدر على كلامهم ثلاث ليال، وحالك أنك سويٌّ سليم من آفة الخرس.

﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ قال المفسرون: خرج عليهم في صبيحة الليلة التي حملت امرأته من مُصلاه[3].

﴿فأوحى إليهم﴾ أشار إليهم برأسه ويديه.

وقيل: كتب لهم في كتاب.

وقال ابن عباس: خطّ لهم على وجه الأرض.

﴿أن سَبِّحُوا﴾ صَلُّوا، وقيل: هو على ظاهره، و«أَنْ» هي المفسرة بمعنى: أي.

ويجوز أن يكون التقدير: أنه سبحوا، فخفف وأضمر الاسم ولم يُعوّض من المضمر شيئاً.

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا

=

(ص:٤٠٨).

(١) آية رقم: ٣٩.

(٢) التبيان (٢/ ١١١)، والدر المصون (٤/ ٤٩٤).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٢).

وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿يا يحيى﴾ فيه إضمارٌ تقديره: فوهبنا له يحيى، ثم قلنا له: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ يعني: التوراة، وكان هو وغيره من أنبياء بني إسرائيل متعبّدين بالأخذ بها والاعتصام بأحكامها.

وقال ابن الأنباري[(١)]: «خذ الكتاب» أي: اقبل كُتُبَ الله كلها إيماناً بها واستعمالاً لحكمها وأحكامها.

﴿وآتيناه الحكم﴾ وهو الحكمة والفقه في الدين. وقيل: العقل.

﴿صبياً﴾ حال من الضمير المنصوب في «آتيناه»[(٢)].

قال معمر: جاء الصبيان إلى يحيى بن زكرياء فقالوا له: اخرج بنا نلعب؟ فقال: ما لِلّعب خُلقنا[(٣)].

قال ابن عباس: من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبياً[(٤)].

واختُلف في سنّه يوم أُوتي الحكم؛ فقال ابن عباس: كان ابن سبع سنين، ورواه

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٢١٢-٢١٣).

(٢) الدر المصون (٤/ ٤٩٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٥٥)، وابن أبي عاصم في الزهد (ص:٧٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٨٤-٤٨٥) وعزاه لأحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي وابن عساكر.

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٣٣٠ ح١٩٤٩) مرفوعاً. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٨٥) وعزاه لابن مردويه والبيهقي شعب الإيمان.

مرفوعاً إلى النبي ﷺ[١].

وقال قتادة: ثلاث سنين[٢].

﴿وحناناً﴾ قال ابن الأنباري: المعنى: وجعلناه حناناً لأهل زمانه[٣].

وقال الزجاج[٤]: أي: وآتيناه حناناً.

قال ابن عباس وأكثر المفسرين واللغويين: الحنان: الرحمة[٥]. وأنشد أبو عبيدة[٦] قول الحطيئة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

تَحَنَّنْ عليَّ هَداكَ المليكُ ... فإنَّ لِكُلِّ مقامٍ مَقَالا[٧]

قال[٨]: وأكثر ما يستعمل في المنطق على لفظ الاثنين.

قال طرفة:

---

(١) ذكره الديلمي في الفردوس (٤/ ٤٠٢)، والسيوطي في الدر (٥/ ٤٨٤) وعزاه لأبي نعيم وابن مردويه والديلمي.

(٢) ذكره الماوردي (٣/ ٣٦٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٣)، والسيوطي في الدر (٥/ ٤٨٤) وعزاه لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٢١٣).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٢٢).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ٥٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٨٥) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٣).

(٧) البيت للحطيئة، انظر: ديوانه (ص:٨٢)، واللسان (مادة: حنن، قول)، والدر المصون (٤/ ٤٩٥)، والبحر المحيط (٦/ ١٦٨)، والطبري (١٦/ ٥٧)، والقرطبي (١١/ ٨٨)، وزاد المسير (٥/ ٢١٣).

(٨) أي: أبي عبيدة في مجازه.

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بعْضَنا حَنَانَيْكَ بعضُ الشرِّ أهونُ مِنْ بَعْضِ[(١)]

قال ابن قتيبة[(٢)]: ومنه يقال: تحنَّن عليّ، أصله من حنين الناقة على ولدها.

قال صاحب الكشاف[(٣)]: المعنى: أوحي إليه حناناً رحمة لأبويه وغيرهما، وتعطُّفاً وشفقةً، أنشد سيبويه[(٤)]:

[وقالت][(٥)] حَنانٌ ما أتى بكَ هاهنا؟ أذو نسَبٍ أمْ أنتَ بالحيِّ عَارفُ[(٦)]

وحنَّ: في معنى: ارتاح واشتاق، ثم استُعمل في العطف والرأفة[(٧)].

وقيل لله: «حنّان»، كما قيل: «رحيم»، على سبيل الاستعارة.

---

(١) البيت لطرفة، انظر: ديوانه (ص:٦٦)، واللسان (مادة: حنن)، والكتاب (١/ ٣٤٨)، والمقتضب (٣/ ٢٢٤)، وشرح المفصل (١/ ١١٨)، والهمع (١/ ١٩٠)، والدر المصون (٤/ ٤٩٥)، والبحر (٦/ ١٦٨)، والطبري (١٦/ ٥٦)، والقرطبي (٤/ ٩٦، ١١/ ٨٧)، وروح المعاني (١٦/ ٧٢)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٦٠)، وزاد المسير (٥/ ٢١٤).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٢٧٣).

(٣) الكشاف (٣/ ١٠).

(٤) انظر: الكتاب (١/ ٣٢٠).

(٥) في ب: وقال. والتصويب من الكشاف (٣/ ١٠)، ومصادر البيت.

(٦) البيت للمنذر بن درهم الكلبي. انظر: الكتاب (١/ ٣٢٠)، والمقتضب (٣/ ٢٢٥)، وشرح المفصل لابن يعيش (١/ ١١٨)، والصاحبي (ص:٤٢٨)، والهمع (١/ ١٨٩)، والتصريح (١/ ١٧٧)، واللسان (مادة: حنن)، والقرطبي (١١/ ٨٧، ٨٨)، وروح المعاني (١٦/ ٧٢)، والدر المصون (٤/ ٤٩٥).

والشاهد في البيت: رفع «حنان» بتقدير مبتدأ، أي: أمرنا حنان، وهو نائب عن المصدر الواقع بدلاً من الفعل.

(٧) انظر: اللسان (مادة: حنن).

﴿وزكاة﴾ أي: وآتيناه زكاة. قال ابن عباس: يعني بالزكاة: الطاعة والإخلاص[١].

وقال ابن السائب: «وزكاة»: صدقة على أبويه[٢].

وقال الزجاج[٣]: تطهيراً من لدنا، على معنى: وجعلناه تطهيراً للعباد بواسطة رسالته إليهم وحكمته.

وقال ابن الأنباري[٤]: الزكاة: الزيادة، فالمعنى: وآتيناه زيادة في الخير على ما وُصف وذُكر.

﴿وكان تقياً﴾ قال ابن عباس: جعلته يتّقيني ولا يعدل بي غيري[٥].

﴿وبراً بوالديه﴾ أي: وجعلناه باراً لطيفاً بأبويه محسناً إليهما، ﴿ولم يكن جباراً عصياً﴾ أي: عاصياً. وقد سبق معنى الجبار في هود[٦].

﴿وسلام عليه يوم ولد﴾ قال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن: يوم وُلد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم يره، فخصّ الله يحيى بالكرامة والسلام في هذه المواطن الثلاثة[٧].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٨).

(٢) ذكره الماوردي (٣/ ٣٦١) من قول ابن قتيبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٤).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٢٢).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٢١٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٤).

(٦) آية رقم: ٥٩.

(٧) أخرجه الطبري (١٦/ ٥٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٥).

قال الحسن البصري: التقَى يحيى وعيسى، فقال يحيى لعيسى: أنتَ خيرٌ مني، فقال عيسى ليحيى: بل أنتَ خيرٌ مني، سَلَّم الله عليكَ، وأنا سَلَّمت على نفسي[(١)].

فصل: يتضمن نبذة من حال يحيى عليه السلام

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: دخل يحيى بن زكرياء عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثماني حجج، فنظر إلى عُبَّاد بيت المقدس قد لبسوا مدارع الشعر وبرانس الصوف، ونظر إلى مُتَهَجِّديهم -أو قال: مجتهديهم- قد خرقوا التراقي، وسلكوا فيها السلاسل وشَدُّوها إلى جدار بيت المقدس، فَهَالَهُ ذلك، ورجع إلى أبويه فمرَّ بصبيان يلعبون فقالوا: يا يحيى هَلُمَّ نلعب! فقال: إني لم أخلق لِلَّعب، فذلك قول الله: ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾، فأتى أبويه فسألهما أن يُدرِّعاه الشَّعْر، ففعلا، ثم رجع إلى بيت المقدس فكان يخدم نهاره ويأوي فيه ليلاً، حتى أتت له خمس عشرة حجة، فوافاه الخوف فخرج سائحاً، وأَمَّ أطراف الجبال وغيران الشعاب، وخرج أبواه في طلبه، فوجداه على بُحَيْرة الأردن وقد قعد على شفير البُحَيْرة وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول: وعزتك لا أذوق بَردَ الشراب حتى أعلم أين مكاني منك؟ فسأله أبواه أن يأكل قرصاً كان معهما من شعير ويشرب من الماء، فقَبِلَ وكفَّرَ عن يمينه، فمُدح بالبِرّ، قال الله: ﴿وبراً بوالديه ولم يكن جباراً

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٥٩)، وابن أبي عاصم في الزهد (ص:٧٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٥).

قال القرطبي (١١/ ٨٩): انتزع بعض العلماء من هذه الآية في التسليم فضل عيسى بأن قال: إدلاله في التسليم على نفسه ومكانته من الله تعالى التي اقتضت ذلك حين قرر وحكى في محكم التنزيل أعظم في المنزلة من أن يسلم عليه. قال ابن عطية: ولكل وجه.

عصياً﴾ وردّه أبواه إلى بيت المقدس، فكان إذا قام في الصلاة بكى، ويبكي زكرياء لبُكائه حتى يغشى عليه، فلم يزل كذلك حتى خرقت دموعه لحم خَدَّيْه وبدت أضراسه، فقالت له أمه: يا يحيى لو أذنت لي لاتخذت لك لبداً يواري أضراسك عن الناظرين؟ قال: أنت وذاك، فعمدت إلى قطعتي لبودٍ فألصقتهما على خَدَّيْه، فكان إذا بكى استنقعت دموعه في القطعتين، فتقوم أمه فتعصرهما، فكان إذا نظر إلى دموعه تجري على ذراعي أمه قال: اللهم هذه أمي وهذه دموعي وأنا عبدك وأنت الرحمن[(١)].

ويروى: أن زكرياء عليه السلام لما طلب يحيى في الجبال أتعبه ذلك وكَدَّه، فقال: اللهم إني سألتك ولداً يخلفني في قومي ويرفّهني، وقد رزقتني ولداً يُتعبني، فأوحى الله إليه: يا زكرياء، أنسيت دعاءك لي وقولك: ﴿واجعله رب رضياً﴾.

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ أي: قصّ حديثها ﴿إذ انتبذت﴾ قال

(١) ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص: ٣٠١-٣٠٢).

الزمخشري[١]: الظرف بدل من «مريم» بدل الاشتمال؛ لأن الأحيان مشتملة على ما فيها. وفيه: أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا، لوقوع هذه القصة العجيبة.

والانتباذ: الاعتزال والانفراد، من النبْذَة، بضم النون وفتحها، وهي الناحية، أي: تنحَّت واعتزلت[٢].

﴿من أهلها مكاناً شرقياً﴾ مما يلي الشرق من جانب دارها، أو من جانب المسجد تخلّت فيه لعبادة ربها عز وجل.

قال الحسن: لذلك اتخذت النصارى المشرق قبلة[٣].

وقال عطاء: انتبذت لتفلي رأسها[٤].

وقال عكرمة: أرادت أن تغتسل من الحيض، فتحوّلت إلى مشرقة دارهم، فعرض لها جبريل وهي تغتسل في صورة شاب أمرد، وضيء الوجه، جعد الشعر، سويّ الخلق، فذلك قوله: ﴿إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً﴾[٥].

﴿فاتخذت من دونهم حجاباً﴾ يعني: ستراً وحاجزاً، ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً﴾ آدمياً سوياً لم تَفُتْهُ شيء من صورة ابن آدم؛ لطفاً من الله بها، إذ لو جاءها في الصورة الملكيّة لَنَفَرَتْ منه ولم تفهم ما جاء به.

---

(١) الكشاف (٣/ ١٠).

(٢) انظر: اللسان (مادة: نبذ).

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٦/ ٥٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٢) كلاهما عن ابن عباس. وذكره الماوردي (٣/ ٣٦١)، والسيوطي نحوه في الدر (٥/ ٤٩٤) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٦).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٩).

وقيل: أتاها بعدما لبست ثيابها.

وقيل: المراد بالرُّوح: الرُّوح القائمة بعيسى عليه السلام.

قال أبي بن كعب رضي الله عنه: الروح الذي خاطبها هو الذي دخل من فيها[1]، والإضافة للتشريف.

قال ابن عباس: لما رأت جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد فقالت: ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾ أي: مطيعاً لله[2].

والمعنى: إن كنت تقياً فستنتهي بتعوّذي منك بالله.

قال علي عليه السلام: علمت أن التقي ذو نهية[3].

وفي قراءة علي وابن مسعود: «إلا أن تكون تقياً»[4].

قال ابن الأنباري والماوردي[5]: إن تقياً رجل كان معروفاً فيهم بالفجور، فظنته هو.

والأول هو التفسير الصحيح.

﴿قال إنما أنا رسول ربك ليَهَبَ لك﴾ قرأ أبو عمرو وورش: «لِيَهَبَ» بالياء،

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٩٩) وعزاه لابن أبي حاتم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٩).

(٣) ذكره البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٦٧، ٤/ ١٧٥٩) من قول أبي وائل، وأخرجه الطبري (١٦/ ٦١) عن ابن زيد، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٣) عن أبي وائل. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي وائل.

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٢١٧).

(٥) تفسير الماوردي (٣/ ٣٦٣)، وزاد المسير (٥/ ٢١٧).

وقرأ الباقون: «لأهب»[(١)]، على معنى: لأكون سبباً في هبة الغلام لك؛ بالنفخ في الدرع، أو هو على وجه الحكاية عن الله عز وجل.

﴿غلاماً زكياً﴾ طاهراً من الذنوب.

قال ابن عباس: يولد نبياً[(٢)].

﴿قالت أنَّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر﴾ أي: لم يقربني زوج، ﴿ولم أكُ بغياً﴾ فاجرة زانية أبتغي الرجال.

قال ابن الأنباري وغيره[(٣)]: إنما لم يقل بَغِيَّة؛ لأنه وصفٌ يغلب على النساء، فقلّما تقول العرب: رجل بَغِيٌّ، فيجري مجرى عاقر، وهو عند المبرد فَعُولٌ بَغُويٌ، فأدغمت الواو في الياء.

وقال أبو الفتح ابن جني[(٤)]: هي فعيل، ولو كانت فَعُولاً لقيل: بَغُوٌّ، كما قيل: فلان نَهُوٌّ عن المنكر.

قوله تعالى: ﴿ولنجعله آية للناس﴾ تعليل حُذف مُعلله، أي: ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك، أو هو معطوف على تعليلٍ مضمر، تقديره: لنبين به قدرتنا، ولنجعله آية للناس، ونحوه: ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت﴾ [الجاثية:٢٢]، وقوله: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١١٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٠)، والكشف (٢/ ٨٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٨)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٩).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٢١٧).

(٤) لم أقف عليه في المحتسب.

ولنعلمه﴾ [يوسف:٢١].

والمعنى: ولنجعله علامة للناس على قدرتنا على إيجاد ولد من غير أب.

﴿ورحمة منا﴾ لمن تبعه وصدقه، ﴿وكان أمراً مقضياً﴾ أي: وكان وجوده على هذا الوصف أمراً محكوماً به مفروغاً منه في سابق علمي.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فحملته﴾ أي: فحملت عيسى.

قال ابن عباس: دنا جبريل منها فأخذ رُدْنَ[١] قميصها بأصبعه فنفخ فيه، فحملت من ساعتها بعيسى، ووجدت حسّ الحمل[٢].

واختلفوا في مدة حملها؛ فقال ابن عباس: حين حملت وضعت[٣]، يعني: لم تطل مدة حملها بل كانت ساعة واحدة.

وقال الحسن: حملت تسع ساعات ووضعت من يومها[٤].

وقال مقاتل[٥]: حملت ثلاث ساعات.

وهذا المعنى هو المشهور في التفسير.

---

(١) الرُّدْنُ: مقدّم كمّ القميص. وقيل: هو أسفله (اللسان، مادة: ردن).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٩٧) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٩)، والسيوطي في الدر (٥/ ٤٩٧) وعزاه لابن عساكر.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣١٠).

وروي عن سعيد بن جبير: أنها حملت تسعة أشهر. وقيل: ثمانية. وقيل: ستة أشهر[١].

واختلف في سِنّها يوم حملته؛ فقيل: ثلاث عشرة سنة.

وقيل: عشر سنين.

وقيل: خمس عشرة سنة.

﴿فانتبذت به﴾ أي: بالحمل ﴿مكاناً قصياً﴾ قاصياً بعيداً من أهلها؛ لما دهمها وخامر قلبها من هذه الآية الخارقة والحالة العجيبة.

قال ابن عباس: هو أقصى الوادي، وهو وادي بيت لحم[٢].

﴿فأجاءها المَخَاضُ﴾ قال أبو عبيدة[٣]: أفعَلَها، مِنْ جاءت هي وأجاءها غيرها.

وقال ابن قتيبة[٤]: المعنى: جاء بها وألجأها وهو من [حيث][٥] يقال: جاءت بي الحاجة إليك.

والمَخَاضُ: وَجَعُ الولادة، وقرئ بكسر الميم[٦]. يقال: مَخِضَتِ المرأةُ تَمْخَضُ مَخَاضاً ومِخَاضاً، وهو تمخُّض الولد في بطنها[٧].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٠).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٣-٤).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٢٧٣).

(٥) في ب: جئت. والتصويب من تفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٢١٩).

(٧) انظر: اللسان (مادة: مخض).

﴿إلى جذْع النخلة﴾ الجِذْع: ساق النخلة، كأنها عليها السلام قصدت الاسترواح من ألم الولادة بالاتكاء إليه والاعتماد عليه، والتعريف إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة؛ كتعريف النجم وابن الصَّعق، كأنَّ تلك الصحراء كان فيها جذع نخلةٍ متعارفٍ عند الناس، فإذا قيل: «جذع النخلة» فُهِمَ منه ذاك، وإما أن يكون تعريف الجنس.

قال ابن عباس: نظرت مريم إلى أكمة فصعدت مسرعة، وإذا عليها جذع نخلة نخرة ليس لها رأس ولا سعف[(١)].

﴿قالت﴾ -من فرط الحياء وخوف الفضيحة قومها-: ﴿يا ليتني متُّ قبل هذا﴾ أي: قبل هذا اليوم أو هذا الأمر[(٢)]، ﴿وكنت نِسياً منسياً﴾ وقرأ حمزة وحفص: «نَسْياً» بفتح النون[(٣)]، وهما لغتان؛ مثل: الوِتر والوَتر، والحِج والحَج، والرِّطل والرَّطل.

قال أبو علي[(٤)]: الكسر أعلى اللغتين.

قال الكسائي: المعنى: ليتني كنت ما إذا ذُكر لم يُطلب[(٥)].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٠).

(٢) قال ابن كثير (٣/ ١١٧-١١٨): فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة، فإنها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ولا يصدقونها في خبرها.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١١٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤١)، والكشف (٢/ ٨٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٨)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٨).

(٤) الحجة (٣/ ١١٨).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢١).

قال ابن عباس: المعنى: ليتني لم أك شيئاً[١].

وقال عكرمة ومجاهد: حيضة ملقاة[٢].

وقال الفراء[٣]: النّسْي: ما تلقيه المرأة من خِرَق اعتلالها.

فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾

قال ابن عباس: فسمع جبريل كلامها وعرف جزعها[٤]، ﴿فناداها مِنْ تَحْتِها﴾.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر: «مَنْ تَحْتَها» بفتح الميم وفتح التاء الثانية[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٤). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٠)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٠١) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) معاني الفراء (٢/ ١٦٤-١٦٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٠).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١١٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤١)، والكشف (٢/ ٨٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٨)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٨).

وكان أسفل تحت الأكمة.

وقيل: كان منها بمنزلة القابلة.

وقال قتادة: الضمير في «تحتها» للنخلة[١]، والمنادي هو: عيسى بن مريم ﷺ.

وقد قيل: إنه ناداها من بطنها.

وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: المنادي: جبريل عليه السلام[٢].

قال المفسرون: صاح بها: لا تحزني.

﴿قد جعل ربك تحتك سرياً﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: السَّرِيّ: النهر الصغير[٣].

وقال الحسن: هو عيسى عليه السلام[٤].

والسَّرِيّ: هو الشريف الرفيع[٥].

فإن قيل: ما وجه تسليتها بالنهر والرُّطب وهي لم تحزن لفقدهما، وإنما حزنت

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٧-٦٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الضحاك وعمرو بن ميمون وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٧٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) انظر: اللسان (مادة: سرا).

لما خامرها من خوف الفضيحة بسبب ولادتها وليست بذات بَعْل؟

قلت: لم تقع التسلية بالسّري والرُّطب من حيث إنهما طعام وشراب، لكن من حيث إنهما آيتان عظيمتان شاهدتان لها بالعصمة والبراءة مما عساه يُتخيّل في حقها؛ من مقارفة الريبة. فإن من أجرى الله لها نهراً يبساً وأثمر لها جذعاً نخراً لا يبعد في حقها الولد من غير فحل.

قوله تعالى: ﴿وهزّي إليك بجذع النخلة﴾ الباء في «بجذع» زائدة مؤكدة[(١)].

قال الفراء[(٢)]: العرب تقول: هزَّه وهزّ به، ومنه: ﴿فليَمْدُد بسبب﴾ [الحج:١٥]، معناه: فليمدد سبباً.

﴿تَسَّاقَط﴾ قرأ حفص بضم التاء وكسر القاف مخففاً، وفتحها الباقون، وكلهم شدّد السين إلا حمزة وحفصاً[(٣)].

وقرأتُ لجماعة؛ منهم: يعقوب، والمفضل، والعليمي، ونصير: بالياء وفتحها وتشديد السين وفتح القاف[(٤)]. فمن شَدَّدَ فالأصل تتساقط أو يتساقط، على القراءة الشاذة، فأدغم التاء في السين. ومن خَفَّفَ طرح التاء التي أدغمها غيره.

و﴿رُطباً﴾ مفعول؛ على قراءة حفص، وتمييز؛ على قراءة غيره[(٥)].

---

(١) الدر المصون (٤/ ٤٩٩).

(٢) معاني الفراء (٢/ ١٦٥).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١١٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٢-٤٤٣)، والكشف (٢/ ٨٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٨)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٩).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٨-٢٩٩)، والنشر (٢/ ٣١٨).

(٥) التبيان (٢/ ١١٣)، والدر المصون (٤/ ٥٠١).

وقيل: مفعول «هُزّي»، وليس بالقوي[١].

والتقدير على القراءة الشاذة: يساقط عليك الجذع رطباً.

﴿جنياً﴾ وقرأ طلحة بن سليمان: «جِنِيّاً» بكسر الجيم للاتباع[٢].

والجَنِيُّ: المجْنِي، من جَنَيْتُ الثَّمَرَة واجتَنَيْتُها[٣].

وفي قوله: ﴿فكُلِي واشرَبِي وقرّي عيناً﴾ تنبيه على أن الله تعالى أجرى لها النهر وأخرج لها الرطب لفائدتين:

إحداهما: الأكل والشرب.

والثانية: التسلية عمّا لابَسَها من الحزن، كأنه قيل لها: تمتّعي بالأكل والشرب وقرّي عيناً، أي: طِيبي نفساً، ودعي ما أهمّك فلست ممن يُزَنّ بريبة، إذ المنازع في ذلك مع وضوح آياتك وظهور معجزاتك كالمنازع للشمس في الشعاع والفلك في الارتفاع.

وقيل: المعنى: وقَرّي عيناً بولادة عيسى.

قال الزجاج[٤]: يقال: قَرِرْتُ به عَيْناً أَقَرُّ، بفتح القاف في المستقبل، وقَرَرْتُ في المكان أَقِرُّ بكسر القاف.

و«عيناً» منصوب على التمييز[٥].

---

(١) التبيان (٢/ ١١٣)، والدر المصون (٤/ ٥٠١).

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٧٥).

(٣) انظر: اللسان (مادة: جني).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٢٦).

(٥) التبيان (٢/ ١١٣)، والدر المصون (٤/ ٥٠٢).

وروى ابن الأنباري عن الأصمعي أنه قال: المعنى: لتبرد دمعتك؛ لأن دمعة الفرح باردة، ودمعة الحزن حارة، واشتقاقه من القَرُور، وهو الماء البارد[١].

﴿فإما ترينَّ من البشر أحداً﴾ قال الواحدي[٢]: أصله: فإن ما ترى، ثم دخله نون التوكيد فكُسرت الياء لالتقاء الساكنين، كما تقول للمرأة: اخْشينَّ.

والمعنى: فإما ترين من البشر أحداً فسألك عن أمر ولدك ﴿فقولي إني نذرت للرحمن صوماً﴾ أي: صَمْتاً. وهكذا هي في قراءة أبي بن كعب: «إني نذرت للرحمن صَمْتاً»[٣].

وقال قتادة: صوماً عن الطعام والشراب والكلام[٤].

قال السدي: أذن لها أن تتكلم بهذا العذر[٥] ثم تسكت[٦].

قال ابن مسعود وغيره: أمرها الله بالصمت اكتفاء بمجادلة ابنها عيسى عنها[٧]. فإن المجادِلَ في ذلك بعد إجراء السري وإخراج الرطب الجني وكلام الصبي سفيه أو معاند، فالسكوت عن مثلهما واجب، كما قيل:

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٤).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨١).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٢٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٧٤). وذكره الماوردي (٣/ ٣٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٥).

(٥) في زاد المسير: القدر.

(٦) ذكره الماوردي (٣/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٥).

(٧) ذكره الطبري (١٦/ ٧٥)، والواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٥).

عِلْمِي بأَنَّكَ نَاقِصٌ ... هو جُنَّةٌ لك مِنْ عِقَابي
وجوابُ مثلِكَ أنْ يُعامَلَ ... بالسُّكوتِ عن الجواب

فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ
هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟
كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿فأتت به قومها تحمله﴾ قال ابن عباس: أَتَتْهُم به بعد أربعين يوماً حين طهرت من نِفاسها[١]، وقيل: يوم ولدته.

قال ابن السائب: كلّمها عيسى في الطريق فقال: يا أماه أبشري! فإني عبدالله ومسيحه[٢]، فلما دخلت به على قومها بكوا -وكانوا قوماً صالحين- وقالوا: ﴿يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾ أي: عظيماً[٣].

وقال اليزيدي: «فرياً»: مصنوعاً، ومنه: فَرَيْتُ الكذب وافتريته[٤].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٦)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٠٦) وعزاه لسعيد بن منصور وابن عساكر.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٨).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٦).

(٤) ذكره الماوردي (٣/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٦).

﴿يا أخت هارون﴾ لم تكن مريم عليها السلام أخت هارون أخي موسى، فإن بين مريم وموسى زماناً طويلاً، وقد أشرنا إلى ذلك فيما مضى.

واختلفوا في المراد بهارون؛ فقال ابن عباس في رواية الضحاك والسدي: هو هارون أخو موسى، نسبوها إليه؛ لأنها كانت من نسله(١).

وهذا المعنى مروي عن النبي ﷺ، وهذا كما تقول للتميمي: يا أخا تميم، تريد: يا واحداً منهم.

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: هارون أخ كان لمريم من أمها(٢).

وقال الضحاك: من أبيها وأمها، وكان من أمثل بني إسرائيل(٣).

وروي عن ابن عباس وقتادة: أنه رجل صالح من بني إسرائيل كان ينتسب إليه من عُرف بالصلاح(٤).

وهذا المعنى مرويٌّ عن النبي ﷺ. قال المغيرة بن شعبة: «بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران فقالوا: ألستم تقرؤون: ﴿يا أخت هارون﴾ وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى، فلم أدر ما أجيبهم، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: ألا أخبرتهم أنهم كانوا يُسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»(٥). هذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه.

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٧٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٧) كلاهما عن السدي. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٨) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٧).

(٣) ذكره الماوردي (٣/ ٣٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٧٧). وذكره الماوردي (٣/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٧).

(٥) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٨٥ ح٢١٣٥).

قال بعض العلماء: العرب تسمي شبه الشيء أخاه وأخته. قال الله تعالى: ﴿وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها﴾ [الزخرف:٤٨].

فكأنه قيل: يا شبيه هارون في الصلاح والعبادة والعفة: ﴿ما كان أبوك﴾ عمران ﴿امرأ سَوْء﴾ يعنون: زانياً ﴿وما كانت أُمُّكِ﴾ حَنَّة ﴿بغياً﴾. ولم أر أحداً من أرباب المعاني تعرّض لمقصودهم بذكر الأبوين ونفي الزنا عنهما. ويلوح لي فيه معنيان:

أحدهما: أن يكون مقصودهم من ذلك التعجب من تلبّسها بالفجور على ظنّهم، مع طهارة أعراقها وطيب منبتها، ألا تراهم يقولون: ﴿يا أخت هارون﴾ أي: يا بنت النبي، أو يا أخت الرجل الصالح، ﴿ما كان أبوك﴾ ممن يُتَّهم بفاحشة، ولا أُمّك ممن يُزَنُّ[١] بريبة، بل أنت من سلالة الرسالة وسِنْخ النبوة، ومعدن العلم والحكمة، فمن أين تطرّق إليك ما ظهر عليك؟

وفي هذا تنبيه على أثرة المرأة ذات الأصل الطاهر والمنبت الطيب، واجتناب ذوات المنابت الخبيثة، وقد أشار رسول الله ﷺ إلى ذلك في قوله: « إياكم وخضراء الدِّمَن»، ثم فسَّرها فقال: « المرأةُ الحسناء في مَنْبَت السُّوء »[٢].

حذَّر ﷺ منها منفراً عنها بما ذكر من خبث أصلها، مشبهاً لها في حسن منظرها

---

(١) زَنَّهُ زَنّاً وأَزَنَّه: ظَنَّهُ به أو اتَّهَمَه (اللسان، مادة: زنن).

(٢) ذكره القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٩٦ ح٩٥٧)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١٤٥) وعزاه للرامهرمزي والعسكري في الأمثال وابن عدي في الكامل والقضاعي في مسند الشهاب والخطيب في إيضاح الملتبس، عن أبي سعيد الخدري.

ونضارتها بالنابتة الخضراء في دمنة البعر. وإلى هـذا المعنـى أشـار ﷺ[١]: «تخيروا لنطفكم»[٢].

الثاني: زيادة توبيخها والمبالغة في لومها باجتراحها السيئة التي لم تُلْفَ عليها أماً ولا أباً، فإن من فَعَل فِعْل أصله لم يُلَمْ، ومن أشبه أباه فما ظلم.

قوله تعالى: ﴿فأشارتْ إليه﴾ أي: أومَأَتْ إلى عيسى وهو يرضـع أن كَلِّمُـوه، فغضبوا وقالوا: لسخريتها منا أشدّ علينا من زناها.

﴿قالوا كيف نُكلِّمُ من كان في المهد صبياً﴾ قال أبو عبيـدة[٣]: «كـان» هاهنا حشو زائد. والمعنى: كيف نكلم صبياً في المهد؟.

وقال الزجاج[٤] وابن الأنباري: الأجود أن تكـون «مَـنْ» في معنـى الـشرط والجزاء. المعنى: من يكن في المهد صبياً فكيف نكلّمه. وهذا كما تقول: كيف أعظ من كان لا يقبل موعظتي؟ أي: من يكن لا يقبل، والماضي يكون بمعنى المستقبل في الجزاء.

وقال قطرب[٥]: «كان» بمعنى: صار.

وقيل: «كان» بمعنى: وقع وحدث.

قال ابن السائب: فلما سمع عيسى عليه السلام كلامهم لم يـزد عـلى أن تـرك

---

(١) إلى هنا ينتهي السقط من النسخة أ، والذي اعتمدنا فيه نسخة ب.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٣٣ ح١٩٦٨).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٧).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٢٨).

(٥) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٢٨).

الرضاع وأقبل عليهم بوجهه فقال: ﴿إني عبد الله﴾[(١)]. أنطقه الله سبحانه وتعالى أولاً بالعبودية على نفسه وبالربوبية لربه، رداً لقول النصارى فيه.

﴿آتاني الكتاب﴾ قال ابن عباس: آتاه الكتاب وهو في بطن أمه[(٢)].

وقال عكرمة: المعنى: قضى أن يؤتيني الكتاب[(٣)].

قال صاحب الكشاف[(٤)]: جعل الآتي لا محالة، كأنه قال: وجد.

وقيل: أخبر كما كُتب له في اللوح المحفوظ، كما سُئل النبي ﷺ: «متى كُنتَ نبياً؟ قال[(٥)]: وآدم بين الروح والجسد»[(٦)].

﴿وجعلني نبياً﴾ محمول على قول: ﴿آتاني الكتاب﴾، والقول فيه كالقول في ذلك.

﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾ قال رسول الله ﷺ: «وجعلني نفّاعاً حيثما توجهت»[(٧)].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٨٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٩) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) الكشاف (٣/ ١٧).

(٥) في ب: فقال.

(٦) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٨٥ ح٣٦٠٩).

(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٩) وعزاه للإسماعيلي في معجمه وأبي نعيم في الحلية وابن لال في مكارم الأخلاق وابن مردويه وابن النجار في تاريخه. وقد أخرجه الطبري موقوفاً على مجاهد (١٦/ ٨٠)، وتابعه في ذلك ابن كثير.

﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة﴾ يريد: زكاة المال[١]. وقيل: الطهارة من الذنوب[٢].

وقال الماوردي[٣]: الاستكثار من الطاعة.

﴿وبراً بوالدتي﴾ قال ابن عباس: لما قال هذا ولم يقل: بوالديّ، علموا أنه [ولد][٤] من غير بشر[٥].

﴿ولم يجعلني جباراً شقياً﴾ قال قتادة: ذُكر لنا أن امرأة رأت عيسى بن مريم يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص في آيات أُذن له فيهن، فقالت: طوبى للبطن الذي حملك، والثدي الذي أُرضعت به، فقال ابن مريم: طوبى لمن تلا كتاب الله، واتبع ما فيه، ولم يكن جباراً شقياً[٦].

قوله تعالى: ﴿والسلام عليّ﴾ أدْخَلَ لام التعريف هاهنا ليُعرِّفه بالذّكر قبله، كما قال تعالى: ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً * فعصى فرعون الرسول﴾ [المزمل:١٥-١٦] كأنه قيل: ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إليّ.

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ

(١) انظر: الطبري (١٦/ ٨١).

(٢) مثل السابق.

(٣) تفسير الماوردي (٣/ ٣٧١).

(٤) زيادة من زاد المسير (٥/ ٢٣٠).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٣٠).

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ٨٢).

ﭐللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك عيسى بن مريم قَوْلُ الحق الذي فيه يمترون﴾ «ذلك» مبتدأ و«عيسى بن مريم» خبر، «قول الحق» خبر ثان[1]، كما تقول: هذا حلوٌ حامضٌ. ويجوز أن يكون قوله: «قول الحق» خبر مبتدأ محذوف[2].

وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب: «قولَ» بالنصب[3] على المدح، إن قلنا أن المراد بقول الحق: كلمة الله، أو على أنه مصدر إن قلنا أن المراد بالحق: الصدق، على معنى: أقول قول الحق هو ابن مريم، وليس بإلاهٍ كما تدعونه.

قال الزجاج[4]: المعنى: ذلك الذي قال إني عبد الله هو عيسى بن مريم، لا ما تقول النصارى: من أنه ابن الله وأنه إله، جلّ الله وعز وتبارك وتعالى.

قوله تعالى: ﴿الذي فيه يمترون﴾ «الذي» نعت لعيسى، و«يمترون» يشكّون فيختلفون، فقائل يقول: هو الله، وثالث ثلاثة، وقائل يقول: هو ساحر كذاب، فهو على هذا من المِرْية أو من التَّماري، وهو التلاحي.

قوله تعالى: ﴿ما كان لله﴾ أي: ما ينبغي له ولا يصح ﴿أن يتخذ من ولد﴾؛ لأن

---

(١) التبيان (٢/ ١١٤)، والدر المصون (٤/ ٥٠٥).

(٢) مثل السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٢٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٣)، والكشف (٢/ ٨٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٩)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٩).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٢٩).

الولد جزء من الوالد ومجانس له، والله تعالى مُنَزَّهٌ عن ذلك.

قال الزجاج[١]: «مِنْ» في قوله: ﴿من ولد﴾ مؤكدة تدل على نفي الواحد والجماعة؛ لأن للقائل أن يقول: ما [اتَّخَذْتُ][٢] فرساً، يريد: [اتخذت][٣] أكثر من ذلك، وله أن يقول: ما اتخذْتُ فرسين ولا أكثر، يريد: اتخذت فرساً واحداً. فإذا قال: ما اتخذت مِنْ فرس، فقد دلّ على نفْي الواحد والجميع.

ثم نَزَّه نفسه فقال: ﴿سبحانه﴾.

ثم أخبرهم بعظيم قدرته فقال: ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ وقد سبق تفسيره.

وفيه تقريبٌ لما استبعدوه من وجود ولدٍ من غير أب.

قوله تعالى: ﴿وأنَّ الله ربي وربكم﴾ قرأ ابن عامر وأهل الكوفة: «وإنَّ الله» بكسر الهمزة[٤]، على الاستئناف، أو عطفاً على قول عيسى: ﴿إني عبدالله﴾، وقرأ الباقون بفتح الهمزة[٥] حملاً على قوله: ﴿وأوصاني بالصلاة﴾ أي: أوصاني بالصلاة وبأن الله ربي وربكم.

أو يكون المعنى: ولأن الله ربي وربكم ﴿فاعبدوه﴾؛ كقوله: ﴿وأن المساجد لله

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٢٩-٣٣٠).

(٢) في الأصل: اتخذ. والمثبت من ب. وانظر: معاني الزجاج (٣/ ٣٢٩).

(٣) في الأصل: اتخاذ. والمثبت من ب. وانظر: معاني الزجاج (٣/ ٣٣٠).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٢٢-١٢٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٤)، والكشف (٢/ ٨٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٩)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٠).

(٥) انظر: المصادر السابقة.

فلا تدعو مع الله أحداً﴾ [الجن:١٨].

قوله تعالى: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ قيل: «مِنْ» زائدة.

وقال ابن الأنباري[1]: لما تمسّك المؤمنون بالحق، كان اختلاف الأحزاب من بين المؤمنين مقصوراً عليهم.

والأحزاب: اليهود والنصارى، اختلفوا في عيسى الاختلاف المعروف.

﴿فويل للذين كفروا﴾ بقولهم في المسيح غلواً وتقصيراً. وقد سبق معنى الويل في البقرة[2].

﴿من مشهد يوم عظيم﴾ أي: من شهودهم هول الحساب والجزاء يوم القيامة، أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف، أو من وقت الشهود.

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ لفظه لفظ الأمر، ومعناه: الخبر والتعجب، تقديره: ما أسمعهم وأبصرهم.

﴿يوم يأتوننا﴾ بعدما كانوا في الدنيا صُمّاً عُمْياً[3] عن الحق.

قال الحسن البصري: لأن كانوا في الدنيا صُمّاً عُمْياً عن الحق، فما أسمعهم

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٣٢).

(٢) عند آية: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾ [البقرة:٧٩].

(٣) في ب: وعمياً.

وأبصرهم يوم القيامة[(١)]. وهذا قول جمهور العلماء.

وقال أبو العالية: المعنى: أسمع بحديثهم اليوم [وأبصر][(٢)] كيف نصنع بهم يوم يأتوننا[(٣)].

﴿لكن الظالمون اليوم﴾ وهم المشركون الذين [أعرضوا][(٤)] عن الحق فلم يستمعوه ولم ينظروا إليه ببصائرهم اليوم في الدنيا ﴿في ضلال مبين﴾.

قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ أي: خَوِّف الكفار يوم الحسرة، وهو يوم القيامة، يتحسر المسيء [إذ][(٥)] لم يُحسن، والمقصّر [إذ][(٦)] لم يزدد من الخير.

﴿إذ قضي الأمر﴾ فُرِغَ منه، فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير.

وقال ابن جريج والسدي: «قضي الأمر»: ذَبْحُ الموت[(٧)].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن علي بن أبي بكر قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أمْلَح، فينادي منادياً أهل الجنة، فيشرئبّون وينظرون،

---

(١) ذكره الماوردي (٣/ ٣٧٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٤).

(٢) في الأصل: أبصر. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٨٧). وذكره الماوردي (٣/ ٣٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٣٣).

(٤) في الأصل: أعضوا. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: إذا. والتصويب من ب، وزاد المسير (٥/ ٢٣٣).

(٦) في الأصل: إذا. والتصويب من ب.

(٧) أخرجه الطبري (١٦/ ٨٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٣٥).

فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم! هذا الموت، ثم ينادي منادياً أهل النـار، فيشرئبّون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم! هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيُذْبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلـودٌ فـلا موت. ثم قرأ: ﴿وأنذرهم يـوم الحسرة إذ قـضي الأمـر وهـم في غفلـة وهـم لا يؤمنون﴾ »[1]. وأخرجه مسلم عن أبي كريب، عن أبي معاوية، عن الأعمش.

والأمْلَح: الذي في صوفه بياض وسواد، والبياض أكثر.

وقوله: «فيشرئبّون» أي: يرفعون رؤوسهم، ومنه قول عائشة رضي الله عنها: « ارتدت العرب واشرأبّ النفاق »[2]، أي: ارتفع وعلا.

قوله تعالى: ﴿وهم في غفلة﴾ أي: هم في الدنيا في غفلة عـما يُـصنع بهـم يـوم القيامة ﴿وهم لا يؤمنون﴾ بما بعد الموت.

وقد ذكرنا فيما مضى [معنى][3] تسمية ما يرجع إلى الله بعد فناء خلقه ميراثاً.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ۝٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ۝٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ۝٤٥﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٦٠ ح٤٤٥٣)، ومسلم (٤/ ٢١٨٨ ح٢٨٤٩).

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٨/ ٢٠٠)، والطبراني في الأوسط (٥/ ١٤٨ ح٤٩١٣).

(٣) زيادة من ب.

قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم﴾ أي: اذكر لقومك قصته ﴿إنه كان صديقاً نبياً﴾ كثير الصدق والتصديق بالأنبياء وبما جاؤوا به من عند الله، وكان مع ذلك في نفسه نبياً.

﴿إذ قال لأبيه﴾ بدل من «إبراهيم»[(١)]، وما بينهما جملة اعتراضية.

ويجوز أن تكون «إذ» متعلقاً بـ«كان صديقاً نبياً»، أي: كان جامعاً بين هذين الوصفين حين جادل أباه[(٢)].

﴿يا أبتِ﴾ التاء عوض من ياء الإضافة، ولا يقال: يا أبتي؛ لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه.

وفي قوله: «يا أبت» من الرفق واللطف والأدب الحسن والاستعطاف ما ليس بخَاف.

﴿لم تَعبُدُ﴾ تذلّ وتخضع لـ ﴿ما لا يسمع﴾ إن تضرعت إليه ﴿ولا يبصر﴾ إن تذللت بين يديه ﴿ولا يغني عنك شيئاً﴾ إذا اعتمدت عليه.

ولما وَبَّخَه بما هو عليه من الضلال الفاضح، دعاه إلى الحق الواضح فقال: ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم﴾ بالله والمعرفة ﴿ما لم يَأْتِكَ﴾، وهذا أيضاً من أدبه الجميل، فإنه لم يَجْبَهْ[(٣)] أباه بما يأباه من وَصْم الوسم بالجهل.

﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ أي: لا تُطِعْه. ثم أغراه به فقال: ﴿إن الشيطان كان

---

(١) انظر: الدر المصون (٤/ ٥٠٩).

(٢) مثل السابق.

(٣) جَبَهَ الرجل يَجْبَهُه جَبْهاً: رَدَّه عن حاجته واستقبله بما يكره، وجَبَهْتُ فلاناً: إذا استقبلته بكلام فيه غِلْظَة (اللسان، مادة: جبه).

للرحمن﴾ الذي خلقك ورزقك ﴿عَصِيّاً﴾ المعنى: كيف تتخذه ولياً.

ثم إنه كشف قناع مُدَاجَاته[1] طمعاً في نجاته فقال: ﴿يا أبت إني أخاف﴾ أحذر عليك إن أطعت الشيطان ﴿أن يمسَّكَ عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً﴾ أي: قريناً في النار.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾

قال صاحب الكشاف[2]: لما أطلعه الله على سماجة صورة أمره، وهدم مذهبه بالحجج القاطعة، وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات، أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد، وناداه باسمه، ولم يُقابل «يا أبت» بـ«يا بني». وقدَّم الخبر على المبتدأ في قوله: ﴿أراغب أنت عن آلهتي﴾ لأنه كان أهمّ عنده [وهو عنده أعنى][3]، وفيه ضرب من التعجّب والإنكار لرغبته عن آلهته، وأن آلهته ما ينبغي أن يَرغب عنها أحد. وفي هذا سلوان وثلجٌ لصدر الرسول ﷺ عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه.

---

(١) المُداجاة: المُدَارَاة (اللسان، مادة: دجا).

(٢) الكشاف (٣/ ٢٢).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

وقال غيره: «أراغب» مبتدأ، و«أنت» مرفوع به؛ لأنه قد اعتمد على الهمزة[١].

وقيل: تمام الكلام قوله: «عن آلهتي»، وقيل: ﴿يا إبراهيم﴾.

﴿لئن لم تنته﴾ عن شَتْم آلهتي وعيبها ﴿لأرجمنَّك﴾ لأرمينّك بالقول القبيح.

وقيل: لأرجمنك بالحجارة.

والأول قول ابن عباس ومجاهد[٢]، والثاني قول الحسن[٣].

﴿واهجرني ملياً﴾ معطوف على محذوف، تقديره: فاحذرني واهجرني ملياً، أي: زماناً طويلاً، من الملاوة، وهذا قول الأكثرين[٤].

وقيل: هو من قولهم: فلان مليّ بكذا؛ إذا كان مطيقاً له مضطلعاً به. فالمعنى: اذهب عني وحالك أنك ملي مطيق لذلك من قبل أن أثخنك بالعقوبة، فلا تقدر على الذهاب. وهذا المعنى يروى[٥] عن ابن عباس وقتادة وابن جرير[٦].

فلما قال له ذلك سَلَّمَ عليه إبراهيم استمالةً له فذلك قوله: ﴿قال سلام عليك﴾.

وقيل: هو تسليم متاركة وتوديع، كقوله: ﴿سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾

---

(١) التبيان (٢/ ١١٤)، والدر المصون (٤/ ٥٠٩).

(٢) ذكره الطبري (١٦/ ٩٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٣٧).

(٣) ذكره الماوردي (٣/ ٣٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٣٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٩١).

(٥) في ب: مروي.

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ٩١-٩٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥١٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

[القصص:٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ [الفرقان:٦٣].

﴿سأستغفر لك ربي﴾ قال أكثر المفسرين: وعده بالاستغفار بشرط الإيمان[(١)].

والأظهر في نظري: أنه وعده الاستغفار مطلقاً، ولم يكن ذلك محظوراً عليه بعد. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك﴾ [الممتحنة:٤] فلو كان ذلك مقروناً بشرط الإيمان لم يستثن عما وجبت فيه الأسوة.

وقيل: المعنى: سأسأل لك ربي توبة تنال بها مغفرة[(٢)].

﴿إنه كان بي حفياً﴾ رحيماً لطيفاً.

قوله تعالى: ﴿وأعتزلكم وما تدعون﴾ أي: وما تعبدون، ﴿من دون الله﴾ وهي الأصنام. ﴿وأدعو ربي﴾ أخصّه بالعبادة.

وفي قوله: ﴿عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً﴾ تعريضٌ بشقاوتهم وتواضعٌ لله عز وجل [وهضمٌ لنفسه][(٣)] حيث أتى بصيغة الترجي.

فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٣٧).

(٢) في ب: مغفرته.

(٣) زيادة من ب.

﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾ قال المفسرون: هاجر إلى الشام[١]، ﴿وهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ بعد إسماعيل، ﴿وكلاً﴾ من هذين، وقيل: من إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جعلنا نبياً﴾.

﴿ووهبنا لهم من رحمتنا﴾ قال الحسن: النبوة[٢].

وقيل: المال والولد والعلم والعمل[٣].

﴿وجعلنا لهم لسان صدق علياً﴾ أي: ذكراً حسناً وثناء جميلاً شائعاً ذائعاً في الناس، فترى أهل الأديان على تنافرهم مطبقين على الثناء عليهم.

قال ابن قتيبة: وضع اللسان موضع القول؛ لأن القول يكون باللسان.

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مُخْلِصاً﴾ وقرأ أهل الكوفة: «مُخْلَصاً» بفتح اللام[٤]. فمن كسر فعلى معنى: كان مخلِصاً في التوحيد والطاعة، ومن فتح فعلى معنى: أنه كان ممن أخلصه الله من الدنس.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٣٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٦) بلا نسبة.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٣٨).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٢٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٤)، والكشف (٢/ ٨٩-٩٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٩)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٠).

ويجوز عندي أن يكون المعنى: أنه كان ممن أخلصه الله واصطفاه للقيام بأثقال النبوة والنهوض بأعبائها.

وكأنّ الأول أظهر؛ لأن المعنى حاصل بقوله: ﴿وكان رسولاً نبياً﴾ قال ابن الأنباري[1]: إنما أعاد «وكان»؛ لتفخيم شأن النبي المذكور.

قال المفسرون: كل نبي معه كتاب من عند الله إلى عباده فهو رسول. والنبي هو المخبر عن الله تعالى وإن لم يكن معه كتاب؛ كيوشع بن نون[2].

﴿وناديناه﴾ هو قوله: ﴿يا موسى إني أنا الله﴾ [القصص:٣٠]، ﴿من جانب الطور الأيمن﴾ يعني: الذي يلي يمين موسى.

وقيل: «الأيمن» صفة للطور، من [اليُمْن][3] وهو البَرَكَة، كأنه قيل: من جانب الطور المبارك.

﴿وقرَّبْناه نجياً﴾ قال الزجاج[4]: قرّبه منه في المنزلة حتى سمع مناجاة الله.

وقال ابن عباس: قرّبه حتى سمع صريف القلم[5].

و«نجياً» منصوب على الحال[6]، أو على المصدر؛ لأن «قربناه» في معنى:

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٣٩).

(٢) انظر: الدر المنثور (٥/ ٥١٤-٥١٥).

(٣) في الأصل: اليمين. والتصويب من ب.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٣٣).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ٩٤)، والحاكم (٢/ ٤٠٥)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٣٥)، وهناد في الزهد (١/ ١١٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥١٥) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة في المصنف وهناد في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

(٦) التبيان (٢/ ١١٥)، والدر المصون (٤/ ٥١٠).

رفعناه. ونجياً: من النَّجْوَة، وهو المكان المرتفع[١].

﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾ أي: من نعمتنا ﴿أخاه هارون نبياً﴾ قال ابن عباس: حيث سألني فقال: ﴿اجعل لي وزيراً من أهلي﴾ [طه:٢٩] إليّ[٢].

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

قوله: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد﴾ وصفه بالمشهور من خصاله؛ تشريفاً له وتكريماً.

قال مجاهد: لم يَعِدْ شيئاً إلا وفّى به[٣].

قال ابن عباس: وعد صاحباً له أن ينتظره في مكان، فانتظره سنة[٤].

قال بعضهم: وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى به[٥]، حيث قال: ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ [الصافات:١٠٢].

﴿وكان رسولاً﴾ إلى قومه جُرْهُم ﴿نبياً﴾ فيهم.

﴿وكان يأمر أهله﴾ قال ابن عباس: يريد: قومه[٦]، كأنه عليه السلام أُمر أن

---

(١) انظر: اللسان، (مادة: نجا).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٠).

(٤) ذكره الماوردي (٣/ ٣٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٠).

(٥) ساقط من ب.

(٦) ذكره الماوردي (٣/ ٣٧٧) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٠) من قول مقاتل.

يبدأ بأهله في الأمر بالمعروف؛ لأنهم قادة الناس وأئمتهم، فكان الابتداء بهم أَهَـمُّ [وأولى][(١)]. قال الله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء:٢١٤].

وقال الزجاج[(٢)]: أهله: أمّته.

قال ابن عباس: كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة التي افترض الله تعالى عليهم، وهي الحنيفية التي افتُرضت علينا[(٣)].

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾ وهو أخنوخ جَدُّ أبي نوح عليهما السلام، وقد ذكرنا نسبه في الأعراف في قصة نوح. وكثير من المفسرين يقولون: سُمِّيَ إدريس؛ لدَرْسِه الكتب، وليس بصحيح؛ لأنه لو كان كذلك لكان إفعيلاً من الدَّرْس، ولو كان كذلك لكان مُنْصَرِفاً؛ لأنه ليس فيه مما يمنعُ الصَّرْفَ سوى سبب واحد، وهو العَلَميَّة.

قال ابن عباس: هو أول نبي بُعث في الأرض بعد آدم، وكان يصعد له من العمل في اليوم[(٤)] ما لا يصعد لبني آدم في الشهر، فحسده إبليس وعصاه قومه، فرفعه الله تعالى إليه وأدخله الجنة وقال: لستُ بمخرجه منها[(٥)].

قال المفسرون: وهو أول من خطّ بالقلم، ونظر في الحساب والنجوم، وخاط

---

(١) في الأصل: والأولى. والتصويب من ب.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٣٣).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٧).

(٤) في ب: في اليوم من العمل.

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٤٠).

ولبس المخيط، وكانوا يلبسون الجلود[١].

﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ أخرج الترمذي من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «لما عرج بي رأيت إدريس في السماء الرابعة»[٢].

وفي الصحيحين من حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله ﷺ في حديث المعراج: «أنه رأى إدريس في السماء الرابعة»[٣].

وقال زيد بن أسلم: «ورفعناه مكاناً علياً» هو الجنة[٤].

وهو يرجع إلى معنى القول الأول؛ لأن الجنة في السماء الرابعة.

وكان السبب في رفعه إلى السماء ما رواه زيد بن أسلم مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «أن إدريس عليه السلام كان يصعد له من العمل مثل ما يصعد لجميع بني آدم، فأحبه ملك الموت، فاستأذن الله تعالى في خلّته، فأذن له، فهبط إليه في صورة آدمي فكان يصحبه، فلما عرفه قال له: إني أسألك حاجة؟ قال: ما هي؟ قال: تذيقني الموت فلعلّي أعلم ما شدته فأكون له أشد استعداداً، فأوحى الله تعالى إليه: اقبض روحه ساعة ثم أرسله، ففعل، ثم قال: كيف رأيت؟ قال: كان أشدّ مما بلغني عنه، وإني أحبّ أن تريني النار، قال: فحمله فأراه إياها. قال: فإني أحب أن [تريني][٥] الجنة، فأراه إياها، فلما دخلها وطاف فيها قال له ملك الموت: اخرج، فقال: والله لا

---

(١) ذكره القرطبي (١١/ ١١٧)، والبغوي (٣/ ١٩٩)، والمناوي في فيض القدير (٣/ ٩٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣١٦ ح٣١٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٣ ح٣٠٣٥)، وأخرجه مسلم (١/ ١٥٠ ح١٦٤).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤١).

(٥) في الأصل: ترني. والتصويب من ب.

أخرج حتى يكون الله تعالى يخرجني، فبعث الله تعالى إليه مَلَكاً يحكم بينهما، فقال: ما تقول يا ملك الموت؟ فقصّ عليه ما جرى. فقال: ما تقول يا إدريس؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران:١٨٥] وقد ذقته، وقال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] وقد وردتها، وقال لأهل الجنة: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ [الحجر:٤٨] فوالله لا أخرج حتى يكون الله عز وجل يخرجني، فسمع هاتفاً من فوقه يقول: بإذني دخل وبأمري فعل، فخلّ سبيله»[١].

فإن قيل: من أين لإدريس هذه الآيات وهي في القرآن؟ فقد ذكر ابن الأنباري عن بعض العلماء قال[٢]: كان الله تعالى قد علّم إدريس ما ذكر في القرآن من وجوب الورود وامتناع الخروج من الجنة وغير ذلك، فقال ما قاله بعلم.

أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿أولئك﴾ إشارة إلى الذين تقدم ذكرهم من الأنبياء من لدن زكرياء إلى إدريس عليهم السلام ﴿الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾. قال الزمخشري[٣]: و«من» في ﴿من النبيين﴾ [للبيان][٤] مثل ما في قوله: ﴿وعد الله

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤١-٢٤٢).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٤٢).

(٣) الكشاف (٣/ ٢٦).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة﴾ [الفتح:٢٩]؛ لأن جميع الأنبياء مُنْعَمٌ عليهم. و«مِن» الثانية التي في قوله: ﴿من ذرية آدم﴾ [للتبعيض][1] يريد به: إدريس ونوحاً؛ لقربهما من آدم عليه السلام.

﴿وممن حملنا مع نوح﴾ يريد: إبراهيم؛ لأنه من ولد سام بن نوح ﴿ومن ذرية إبراهيم﴾ يريد: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وإسرائيل﴾ أي ومن ذرية إسرائيل، يريد: موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى.

ذكر سبحانه وتعالى مراتب نسبهم تنبيهاً على شرفهم.

قال الواحدي[2]: فكان لإدريس ونوح شرف القُرْب من آدم، ولإبراهيم شرف القُرْب من نوح، وإسماعيل وإسحاق ويعقوب لمّا تباعدوا من آدم حصل لهم الشرف بإبراهيم.

قوله تعالى: ﴿وممن هدينا واجتبينا﴾ جائز أن يكون عطفاً على «مِنَ النبيين». وجائز أن يكون عطفاً على «مِنْ ذرية آدم»[3].

قوله تعالى: ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن﴾ كلام مستأنف، إن جعلت «الذين» وما في [حيّزها][4] خبر «أولئك»، وإن جعلتها صفة لـ«أولئك» كانت هذه الجملة خبر «أولئك»[5].

---

(١) زيادة من الكشاف (٣/ ٢٦).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٧).

(٣) الدر المصون (٤/ ٥١١).

(٤) في الأصل: خبرها. والتصويب من ب.

(٥) الدر المصون (٤/ ٥١١).

وقرأت لحمزة من رواية العجلي: «يتلى» بالياء[(١)]؛ لأن التأنيث غير حقيقي مع وجود الفاصل.

﴿خَرُّوا سجداً وبكياً﴾ سُجَّداً: جمع ساجد، وهو حالٌ مُقَدَّرَة[(٢)]. المعنى: خرّوا مقدّرين السجود؛ لأن الإنسان في حال خُروره لا يكون ساجداً. و«بُكياً» معطوف عليه، وهو جمع بَاكٍ.

أخبر الله سبحانه وتعالى أن أنبياءه عليهم السلام كانوا إذا سمعوا آية سجدوا وبكوا؛ تضرعاً إليه، وخضوعاً لجلاله، ورغبةً في ثوابه، ورهبةً من عقابه.

ومضمونها: تقريع الذين يسمعونها [فيُعيرونها][(٣)] آذاناً صُمّاً وقلوباً عُمْياً، ويضربون عن التفكُّر فيها صفحاً.

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ينبغي لحامل القرآن أن يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه [إذا][(٤)] الناس يضحكون[(٥)].

قال صالح المري: قرأتُ على رسول الله ﷺ القرآن في المنام، فقال لي: يا صالح! هذه القراءة فأين البُكاء؟

---

(١) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٨٩).

(٢) التبيان (٢/ ١١٥)، والدر المصون (٤/ ٥١١).

(٣) في الأصل: فيغيّرونها. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: إلى. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٣١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢١) وعزاه لابن أبي شيبة.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ﴾ سبق تفسيره في الأعراف[(١)].

قال ابن عباس: هم اليهود[(٢)].

وقال السدي: اليهود والنصارى[(٣)].

وقال مجاهد وقتادة: هم قومٌ يأتون عند ذهاب صالحي أمة محمد ﷺ يتبارون بالزنا، ينزو بعضهم على بعض في الأزقة زناة[(٤)].

وقال وهب: فخلف من بعدهم خلف شرّابون للقهوات، لعّابون بالكِعاب[(٥)]، ركّابون للشهوات، متّبعون للّذات، تاركون للجُمُعَات، مُضيِّعون للصلوات[(٦)].

وقال كعب: يظهر في آخر الزمان قوم بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون

(١) آية رقم: ١٦٩.

(٢) ذكره الماوردي (٣/ ٣٧٩) من قول مقاتل، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٥).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٢). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٧)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٢٦) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٩٩)، ومجاهد (ص:٣٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٢٦) وعزاه لعبد بن حميد عن مجاهد.

(٥) الكِعاب: فصوص النَّرْد (اللسان، مادة: كعب).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٢) عن كعب. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٢٦) وعزاه لابن أبي حاتم عن كعب.

الناس، ثم قرأ: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾[(١)].

﴿أضاعوا الصلاة﴾ وقرأ ابن مسعود والحسن البصري: «الصلوات» على الجمع[(٢)].

قال ابن مسعود ومجاهد: أضاعوها بالتأخير عن أوقاتها[(٣)].

وقال القرظي: تركوها[(٤)]، وهو اختيار الزجاج[(٥)].

﴿واتبعوا الشهوات﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: وذلك مثل استماع الغناء، وشرب الخمر، والزنا، واللهو، وما شاكل ذلك مما يقطع عن أداء فرائض الله[(٦)].

﴿فسوف يلقون غياً﴾ قال ابن عباس: هو وادٍ في جهنم[(٧)]، ورفعه إلى النبي ﷺ.

قال ابن مسعود: الغي: نهر في جهنم، بعيد القعر، خبيث الطعم[(٨)].

---

(١) القرطبي (١١/ ١٢٥).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٩).

(٣) ذكره الماوردي (٣/ ٣٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٥).

(٤) مثل السابق.

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٣٥).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٥).

(٧) ذكره الماوردي (٣/ ٣٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٦)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٢٨) وعزاه لابن مردويه.

(٨) أخرجه الطبري (١٦/ ١٠٠)، والحاكم (٢/ ٤٠٦)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٣)، وهناد في الزهد (١/ ١٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٢٧) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في البعث.

وقال الزجاج(١): المعنى: فسوف يلقون مُجازاة الغي، كقولـه: ﴿يَلْـقَ أثامـاً﴾ [الفرقان:٦٨] أي: مجازاة الآثام.

وقيل: كل شر عند العرب غيّ، وكل خير رشاد، ومنه قول الشاعر:

فمنْ يَلْقَ خيراً يَحْمَدِ الناسُ أمرَهُ ... ومَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائِما(٢)

قوله تعالى: ﴿إلا من تاب﴾ يعني: رجع عن إهمال الصلاة ﴿وآمن﴾ من اليهود والنصارى.

قال(٣) مقاتل(٤): إلا من تاب من الشرك وآمن بمحمد ﷺ.

﴿وعمل صالحاً﴾: سبق تفسيره.

﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾ أي: لا ينقصون شيئاً من جـزاء أعمالهم الصالحة.

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾﴾

﴿جَنَّاتِ عدن﴾ وقرأ أبو رزين والضحاك وابن أبي عبلة: «جناتُ» بالرفع(٥).

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٣٦).

(٢) البيت للمرقش الأصغر: انظر: المفضليات (ص:١٨)، واللسان (مادة: غوى)، والطبري (١٦/ ١٠١)، والقرطبي (١١/ ١٢٥، ١٧/ ٨٤).

(٣) في ب: وقال.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣١٧).

(٥) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٤٦).

وقرأ الحسن البصري والشعبي: «جنةُ عدنٍ» بالرفع مع التوحيد[(١)].

وقرأ أبو مجلز وأبو المتوكل: «جنةَ» بالنصب[(٢)]. فمن نصب فعلى البدل من قوله: ﴿يدخلون الجنة﴾ وهو بدل اشتمال[(٣)]؛ لأن الجنة مشتملة على جنات عدن. ومن رفع فعلى الابتداء.

﴿التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ أي: وعدهم بها وهي غائبة عنهم، أو هم غائبون عنها.

﴿إنه كان وعده مأتياً﴾ أي: آتياً. هذا قول الفراء[(٤)].

وقال الزجاج[(٥)]: بل هو على حقيقته؛ لأن كل ما أتاك فقد أتيته، [فالوعد][(٦)] قد أتاك وأنت قد أتيت الوعد.

وقال ابن جريج: وعْدُه في هذه الآية: موعوده، وهو الجنة[(٧)].

و«مأتياً» يأتيه أولياؤه وأهل طاعته.

قوله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾ قال ابن الأنباري: اللغو في العربية: الفاسد المطَّرح[(٨)].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٠).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٤٦).

(٣) التبيان (٢/ ١١٥)، والدر المصون (٤/ ٥١٢).

(٤) معاني الفراء (٢/ ١٧٠).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٣٦).

(٦) في الأصل: قالوا عدّ. والتصويب من ب.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٧).

(٨) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٧).

وقال مقاتل(١): هو التَّحَايُف(٢) عند شرب الخمر(٣).

قال صاحب الكشاف(٤): فيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتّقائه، حيث نزّه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها، وما أحسن قوله: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾ [الفرقان:٧٢]. أي: أكرموا أنفسهم عنه ولم يخالطوا أهله.

قوله تعالى: ﴿إلا سلاماً﴾ استثناء منقطع، التقدير: لكن يسمعون سلاماً، وهو أن بعضهم يُحيّي بعضاً بالسلام، ويرسل الرب الملائكة إليهم بالسلام.

وقال ابن الأنباري: استثنى السلام من غير جنسه. وفي ذلك توكيدٌ للمعنى المقصود؛ لأنهم إذا لم يسمعوا من اللغو إلا السلام فليس يسمعون لغواً البتَّة(٥).

وقال صاحب الكشاف(٦): هو من وادي قوله:

ولا عيب فيهم......... ....(٧)

﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً﴾ قال الحسن: كانت العرب لا تعرف شيئاً من العيش أفضل من الغداء والعشاء، فذكر الله تعالى لهم ذلك(٨).

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣١٧).

(٢) في مقاتل: الحلف. -يعني: لا يحلفون كما يحلف أهل الدنيا-. وفي الماوردي: الخلف. وفي زاد المسير: التخالف.

(٣) ذكره الماوردي (٣/ ٣٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٧).

(٤) الكشاف (٣/ ٢٩).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٧).

(٦) الكشاف (٣/ ٢٩).

(٧) تقدم ذكره في سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿إلا ما قد سلف﴾ [٢٢].

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٧).

قال زهير بن محمد: ليس في الجنة ليل ولا نهار، وهم في نور أبداً، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، [ومقدار][1] النهار برفع الحجب وفتح الأبواب[2].

وقيل: أراد دوام الرزق ودروره، كما تقول: أنا عند فلان صباحاً ومساءً وبكرةً وعشياً، يريد: الدَّيْمُومَة، ولا يقصد الوقتين المعلومين.

﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا﴾ وذلك أن الله يورث عباده المؤمنين من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا.

وقد ذكرنا معنى الميراث في سورة الأعراف[3].

والمعنى: نورث في الجنة ﴿من كان تقياً﴾ في الدنيا.

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ أخبرنا المؤيد بن محمد في كتابه، أخبرنا عبد الجبار بن محمد بن أحمد، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أخبرنا محمد بن علي القفال، أخبرنا إسحاق بن محمد بن إسحاق

---

(١) في الأصل: مقدار. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ١٠٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٢٨-٥٢٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) آية رقم: ٤٣.

الرسعني، حدثنا جدي، حدثنا المغيرة، حدثنا عمر بـن ذر[١]، عـن أبيـه[٢]، عـن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « يا جبريل! ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا، فنزل: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك... الآية كلها﴾. قال: وكان هذا جواباً لمحمد ﷺ »[٣].

وأخبرني به أيضاً الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبدالله، وأبو الحسن علي بن أبي بكر البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا أبو نعيم، حدثنا عمر بن ذر قال: سمعت أبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ لجبريل عليه السلام: « ما يمنعـك أن تزورنا؟ فنزلت: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا ومـا خلفنـا »[٤]. هـذا حديث صحيح انفرد بإخراجه البخاري.

وقال مجاهد: أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ثم أتاه فقال: لعلّي أبطأت، فقال[٥]: قد فعلت، فقال: وما لي لا أفعل وأنتم لا تتسوّكون ولا تقصّون أظفاركم ولا

---

(١) عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني المرهبي، أبو ذر الكوفي، ثقة، رمي بالإرجاء، مات سنة ثلاث وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ٧/ ٣٩٠، والتقريب ص:٤١٢).

(٢) ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني المرهبي، أبو عمر الكوفي، ثقة عابد، رمي بالإرجاء، مات قبل المائة (تهذيب التهذيب ٣/ ١٨٩، والتقريب ص:٢٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧١٣ ح٧٠١٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٦٠ ح٤٤٥٤).

(٥) في ب: قال.

تُنَقُّون براجمكم، فنزلت هذه الآية[١].

قال ابن الأنباري: البراجم عند العرب: الفصوص التي في فصول ظهور الأصابع تبدو إذا جمعت، وتُغمض إذا بسطت. والرَّوَاجِب: ما بين البراجم، بين كل برجمتين راجبة[٢].

وفي مدة احتباس جبريل عن رسول الله ﷺ أقوال:

أحدها: أربعون ليلة. قاله عكرمة ومقاتل[٣].

والثاني: اثنتا عشرة ليلة. قاله مجاهد[٤].

والثالث: أربعون يوماً.

والرابع: خمسة وعشرون يوماً[٥].

والذي أشرنا إليه من سبب النزول هو القول المعتمد عليه. وقد نقل جماعة - منهم الماوردي[٦] - أن قوله: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ حكاية قول أهل الجنة إذا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ١٥٧ ح١٨٠٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٣٠) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٠٩).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٩).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣١٧). وقد أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٣٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٣٠) وعزاه لابن جرير.

(٥) في هامش ب: وقيل: خمسة عشر، وقيل: ثلاثة أيام.

(٦) تفسير الماوردي (٣/ ٣٨١).

دخلوها، أي: وما نَتَنَزَّلُ هذه الجنات[1] وما نتنزل موضعاً منها إلا بأمر الله.

﴿له ما بين أيدينا﴾ من أمر الآخرة، ﴿وما خلفنا﴾ من أمر الدنيا، وقيل: بالعكس من ذلك. والأول قول ابن عباس[2]، والثاني قول مجاهد[3].

﴿وما بين ذلك﴾ قال سعيد بن جبير: ما بين الدنيا والآخرة[4].

وقيل: ما بين النفختين.

﴿وما كان ربك نسياً﴾ قال ابن عباس: تارك[5] لك بإبطاء الوحي عنك[6].

وقال الزجاج[7]: المعنى: قد علم [الله][8] ما كان وما يكون وما هو كائن، وحافظ لذلك -جَلَّ ذِكْرُه- لا ينسى منه شيئاً.

﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ «رب» بدل من «ربك»[9].

---

(١) في ب، وزاد المسير (٥/ ٢٥٠): الجنان.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ١٠٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٠).

وهذا القول هو الذي رجحه الطبري (١٦/ ١٠٥) ثم قال: وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات به؛ لأن ذلك هو الظاهر الأغلب، وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب من معانيه ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم به.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٠).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٣١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) في ب: تاركاً.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٠).

(٧) معاني الزجاج (٣/ ٣٣٧).

(٨) لفظ الجلالة زيادة من ب.

(٩) انظر: الدر المصون (٤/ ٥١٥).

ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هو رب السموات[١]، ﴿فاعبده﴾ وحِّدْه، ﴿واصطبر لعبادته﴾ أي: اصبر على توحيده. وقيل: على أمره ونهيه.

﴿هل تعلم له سمياً﴾ أي: مِثْلاً وشبيهاً. وقيل: هل تعلم أحداً يُسمَّى الله غيره؟ والقولان عن ابن عباس[٢].

وقال الزجاج[٣]: هل تعلم أحداً يستحق أن يقال له: خالقٌ وقادرٌ، إلا الله.

والاستفهام هاهنا بمعنى: النفي.

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿ويقول الإنسان أإذا ما مِتُّ لسوف أخرج حياً﴾ الإنسان هاهنا: اسم جنس، يريد: الكافر.

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: أخذ أُبيّ بن خلف عظماً بالياً فجعل يفتّه

---

(١) التبيان (٢/ ١١٥)، والدر المصون (٤/ ٥١٥).

(٢) أخرج القول الأول الطبري (١٦/ ١٠٦)، والبيهقي في الشعب (١/ ١٤٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٣١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. وأخرج القول الثاني الحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٥) بلفظ: ((لا يسمى أحد الرحمن غيره))، والبيهقي في الشعب (١/ ١٤٤) بلفظ: ((ليس أحد يسمى الرحمن غيره)). وذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥١).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٣٨).

بيده ويذريه في الريح، ويقول: زعم لكم محمد أن الله يبعثنا بعد أن نكون مثل هذا العظم البالي، فنزلت هذه الآية[١].

وروى عنه عطاء: أنه الوليد بن المغيرة[٢].

وجائز أن تكون القصة جرت لهما، قال المخذول ذلك استهزاءً وتكذيباً واستبعاداً.

و«ما» في قوله: «ما مِتُّ» للتوكيد.

والمعنى: لسوف أُخرج من القبر.

وقيل: هو مِنْ قولهم: خرج فلانٌ عالماً وخرج شُجاعاً، فأجابه الله تعالى فقال: ﴿أو لا يذّكّر الإنسان﴾ أي: يتدبَّر.

وقرأ نافع وعاصم وابن عامر: «يَذْكُر» بتخفيف الذال والكاف وضمها[٣]، من الذِّكْر بعد النسيان.

قال الزمخشري[٤]: الواو -يعني: في «أو لا يذكر الإنسان[٥]»- عَطَفَتْ «لا

---

(١) ذكر الواحدي نحوه في الوسيط (٣/ ١٩٠) عن الكلبي، وأسباب النزول (ص:٣٠٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥١-٢٥٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٢).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٢٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٥)، والكشف (٢/ ٩٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٠)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٠).

(٤) الكشاف (٣/ ٣٣-٣٤).

(٥) ليست في ب.

يذكر» على «يقول»، فتوسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وبين حرف[١] العطف.

يعني: أيقول ذلك[٢] ولا يذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر الأخرى، فإن تلك أعجب وأغرب وأدلّ على قدرة الخالق، حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود، ثم أوقع التأليف مشحوناً بضروب الحكم التي تَحَار الفطن فيها، من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف، ولكن اختراعاً وإبداعاً من عند قادر جَلَّت قدرته ودَقَّت حكمته.

وأما الثانية فقد تقدَّمت نظيرتها فعادت لها كالمثال المحتذى عليه، وليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة [الباقية][٣] وتركيبها، وردّها إلى ما كانت عليه مجموعةً بعد التفكيك والتفريق.

وقوله: ﴿ولم يَكُ شيئاً﴾ دليل على هذا المعنى، وكذلك قوله: ﴿وهو أهون عليه﴾ [الروم:٢٧]، على أن رب العزة سواء عليه النشأتان، لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل، ولا يحتاج إلى احتذاء [على][٤] مثال، ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعاً لمعاندته، وكشفاً عن صفحة جهله.

قوله تعالى: ﴿فوربك﴾ أقسم سبحانه وتعالى باسمه مُفَخَّماً رسوله ﷺ بإضافته إليه، ﴿لنحشرنهم والشياطين﴾ أي: نجمع الكفرة مع شياطينهم، وذاك أن كل

---

(١) في ب: عليه وحرف.

(٢) في ب: ذاك.

(٣) زيادة من الكشاف (٣/ ٣٤).

(٤) مثل السابق.

كافر يُقرن مع شيطانه في سلسلة.

وقيل: الواو في: «والشياطين» للعطف.

﴿ثم لنُحضرنهم حول جهنم﴾ قال مقاتل[١]: أي: في جهنم.

يقال: جلس القوم حول البيت؛ إذا جلسوا داخله مطيفين به[٢].

وقيل: يجثون حولها قبل أن يدخلوها[٣].

وقوله: ﴿جِثِيّاً﴾ نصب على الحال[٤]، وهو جمع جاثٍ، مثل: باكٍ وبكيّ، من قولهم: جَثَا على رُكبتيه يَجْثُو جُثُوّاً[٥].

وقيل: هو جمع جثو، بكسر الجيم وضمها، وهي ما جمع من التراب والحجارة، على معنى: يحشرون جماعات.

والمعنيان مرويان عن ابن عباس[٦].

والمعنى الأول أظهر وأشهر.

قال مجاهد: يحضرون مُسْتَوْفِزين[٧] على الرُّكَب[٨].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣١٨).

(٢) انظر: اللسان مادة: (حول).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٣).

(٤) انظر: الدر المصون (٤/ ٥١٦).

(٥) انظر: اللسان (مادة: جثا).

(٦) ذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٣).

(٧) مستوفزين: اسْتَوْفَزَ في قِعْدَتِه إذا قَعَدَ قُعوداً منتصباً غير مطمئن (لسان العرب، مادة: وفز).

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٣).

وقال السدي: قياماً على الرُّكَب، وذلك لضيق المكان بهم[(١)].

قوله تعالى: ﴿ثم لننزعنّ من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾ أي: لنأخذن من كل فرقة وطائفة أعتاهم وأعصاهم فنطرحهم في النار على ترتيب دركاتهم، ونبدأ بأولاهم بالعذاب فأولاهم.

قال الكسائي والأخفش: «مِنْ» زائدة، والتقدير: لننزعن كل شيعة، فـ«كل شيعة» مفعول لـ«ننزعن». ويكون قوله: «أيهم» مبتدأ لا تعلق له بالفعل[(٢)].

وقال الخليل: بل قوله: «أيهم» رفع على الحكاية، والتقدير: لننزعن من كل شيعة مَنْ يُقال له: «أيهم أشد على الرحمن عتياً»، فحذف القول وما اتصل به، كقول الشاعر:

ولقد أبيتُ على الفَتاةِ بمَنْزِل فأبيتُ لا حَرِجٌ ولا محْرُومُ[(٣)]

المعنى: فأبيت بمنزلة الذي يقال: لا هو حرج ولا محروم.

وأنكر ذلك سيبويه[(٤)]، وزعم أن ذلك لا يجوز، فلا يقال: اضربِ الخبيثُ الفاسقُ، على تقدير من يقال له: الخبيثُ الفاسقُ.

قال: وأنا أقول: إنّ قوله: «أيهم أشد» مفعول لـ«ننزعن»، وكان حقه النصب،

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٣)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٣٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١١٦)، والدر المصون (٤/ ٥١٧).

(٣) البيت للأخطل، انظر: ديوانه (ص:٨٤)، والكتاب (٢/ ٨٤)، وشرح المفصل لابن يعيش (٣/ ١٤٧)، وأمالي ابن الشجري (١/ ٨٠)، والخزانة (٦/ ١٣٩)، والبحر (٦/ ١٩٦)، والدر المصون (٤/ ٥١٧)، والقرطبي (١١/ ١٣٣)، وزاد المسير (٥/ ٢٥٤).

والشاهد في البيت: رفع «حرج» و«محروم» وكان وجه الكلام نصبهما على الحال.

(٤) انظر: الكتاب (٢/ ٤٠١).

وقد رواه هارون فيما حدثنا به أنه قُرِئ: «أَيَّهُم» بالنصب بالفعل، ولكن الذين رفعوه بنوه على الضم؛ لأن «أيّهم» هاهنا بمعنى: الذي، ويقتضي عائداً يعود إليها من صلتها، والتقدير: أيهم هو أشد، فحذف هو، فوجب بناء «أيهم» عنده لما حذف من صلته العائد؛ لأن الصلة توضح الموصول وتُبيّنه، كما أن حذف المضاف إليه في: ﴿من قبل ومن بعد﴾ [الروم:٤] وابدأ بهذا أول يوجب بناء المضاف لما كان المضاف إليه مخصصاً ومُبيناً للمضاف ومُعرِّفاً له.

[والعُتيُّ][(١)]: المتمرد في العصيان، وهو مصدر عَتَا يَعْتُو عُتُوّاً وعُتِيّاً[(٢)].

﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صِلِيّاً﴾ يقال: صَلَى النار يَصْلاها صَلْياً؛ إذا قاسَى حَرَّها[(٣)].

ومعنى الكلام: أن الأولى بها صِلِيّاً الذين هم أشد على الرحمن عِتِيّاً.

وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

ثم التفت فقال: ﴿وإن منكم﴾ أي: وما منكم أيها المؤمنون والكافرون من أحد ﴿إلا واردها﴾ أي: داخل النار. هذا قول الأكثرين.

ويروى عن ابن عباس: أن الخطاب للكفار[(٤)].

---

(١) في الأصل: والمعنى. والتصويب من ب.

(٢) انظر: اللسان، (مادة: عتا).

(٣) انظر: اللسان (مادة: صلا).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١١٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٤).

والأول أصح؛ لما أخبرنا أبو علي بن عبد الله بن الفرج في كتابه، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي، أخبرنا أبو بكر ابن مالك، حدثنا عبد الله بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا سليمان بن حرب[١]، حدثنا غالب بن سليمان[٢]، عن كثير بن زياد البرساني[٣]، عن أبي سمية قال: «اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعاً، ثم يُنجّي الله الذين اتقوا. فلقيت جابر بن عبد الله فقلتُ له: إنا اختلفنا في الورود، [فأهوى][٤] بأصبعيه إلى أذنيه وقال: صُمَّتا إن لم أكن سمعت النبي ﷺ يقول: الورود: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بَرْداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم، حتى قال[٥]: إن للنار -أو قال: لجهنم- ضجيجاً من بردهم، ثم يُنَجِّي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جِثِيّاً»[٦].

وروى يعلى بن مُنْيَة[٧] -وهذا اسم أمه، واسم أبيه: أمية- أن رسول الله ﷺ

---

(١) سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي الواشحي، أبو أيوب البصري، سكن مكة وكان قاضيها، ثقة إمام حافظ، مات سنة أربع وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ١٥٧، والتقريب ص:٢٥٠).

(٢) غالب بن سليمان العتكي الجهضمي، أبو صالح، ويقال: أبو سلمة الخراساني البصري، ثقة (تهذيب التهذيب ٨/ ٢١٧، والتقريب ص:٤٤٢).

(٣) كثير بن زياد، أبو سهل البرساني الأزدي العتكي البصري، ثقة من أكابر أصحاب الحسن، سكن بلخ، وثقه ابن معين وغيره (تهذيب التهذيب ٨/ ٣٧٠، والتقريب ص:٤٥٩).

(٤) في الأصل: فأهو. والتصويب من ب، ومن مسند أحمد (٣/ ٣٢٨).

(٥) ساقط من ب.

(٦) أخرجه أحمد في (٣/ ٣٢٨ ح١٤٥٦٠).

(٧) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة واسمه عبيد، ويقال: زيد بن همام بن الحارث بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، أبو خلف، ويقال: أبو خالد، ويقال: أبو صفوان المكي،=

قال: «تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جِزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»[(١)].

وصَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد فيدخل النار إلا تحلّة القسم، ثم قرأ: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾»[(٢)].

وكان الحسن البصري يقول: كيف لا يحزن المؤمن وقد حُدّث عن الله أنه وارد جهنم، ولم يأته أنه صادر عنها[(٣)].

وكان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أُخبرنا أنّا واردوها، ولم نُخبر أنّا صادرون عنها[(٤)].

وقال خالد بن معدان[(٥)]: إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا: ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار؟ فيقال: بلى، ولكن مررتم بها وهي خامدة[(٦)].

وروي عن مجاهد أنه قال: الحمّى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿وإن

= حليف قريش، وهو يعلى بن منية وهي أمه، ويقال: جدته، صحابي مشهور، شهد الطائف وحنيناً وتبوك مع النبي ﷺ، وكان عامل عمر بن الخطاب على نجران، مات سنة بضع وأربعين (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٥٠، والتقريب ص:٦٠٩).

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٣٤٠ ح٣٧٥)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٥٨ ح٦٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٢١ ح١١٩٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١١٢) ولفظه قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك بأنك وارد النار؟ قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك؟ قال: فما رؤي ضاحكاً حتى لحق بالله. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١١٠).

(٥) خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي، أبو عبد الله الشامي الحمصي، تابعي ثقة عابد، مات سنة ثلاث ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ١٠٢، والتقريب ص:١٩٠).

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ١٠٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٥).

منكم إلا واردها﴾[1].

فهذا يُشعر أنه من حُمَّ من المؤمنين فقد ورد النار؛ لأن الحمى من فيح جهنم، وأنه قد أخذ بحظه منها.

والتفسير الصحيح هو المدلول عليه بالأخبار والآثار.

فإن قيل: فما تصنع بقوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون * لا يسمعون حسيسها﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٢]، وبقوله: ﴿إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ [آل عمران:١٩٢] والمؤمنون آمنون من الخزي؟

قلت: لا يلزم من ورود النار على الوجه الذي ذكرناه سماع حسيسها ولا الدخول على وجه الخزي، فإن ذلك إنما يكون إذا دخلها دخول تعذيب وخُلود، لا دخول وُرود.

قوله تعالى: ﴿كان على ربك﴾ يعني: ورودهم النار ﴿حتماً مقضياً﴾ أمراً كائناً لازماً جازماً قضاه الله تعالى على نفسه وحتمه على خلقه.

قوله تعالى: ﴿ثم نُنَجّي الذين اتقوا﴾ وقرأ الكسائي ويعقوب: «نُنْجي» بالتخفيف[2].

وقرأ [ابن يعمر][3] وأبو مجلز وعاصم الجحدري: «ثَم» بفتح الثاء[4]، على

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١١١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٧).

(٢) الحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٦)، والكشف (٢/ ٩١)، والنشر (٢/ ٢٥٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٠)، والسبعة في القراءات (ص:٤١١).

(٣) في الأصل: أبو عامر. والتصويب من زاد المسير (٥/ ٢٥٧).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٥٧).

معنى: هناك ننجي الذين اتقوا الشرك.

وقرأ أبي بن كعب وابن السميفع: «نُنْحِي» بالحاء المهملة[١]، وفيه دليل واضح على ورود البرّ والفاجر.

﴿ونَذَرُ الظالمين﴾ المشركين والكفار ﴿فيها جثياً﴾ سبق آنفاً تفسيره.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم﴾ أي: تُقرأ على المشركين ﴿آياتنا بينات﴾ ظاهرات الإعجاز، وهي حال مؤكدة، كقوله: ﴿وهو الحق مصدقاً﴾ [البقرة:٩١]، ﴿قال الذين كفرا﴾ يعني: مشركي قريش ﴿للذين آمنوا﴾ أي: لفقراء المؤمنين وضعفتهم، ظناً منهم بجهلهم وعتوهم أنهم أكرم على الله من اتباع محمد ﷺ لما كانوا فيه من الرفعة والدعة والسعة، ﴿أيّ الفريقين﴾ نحن أم أنتم ﴿خير مقاماً﴾ وقرأ ابن كثير: «مُقاماً» بضم الميم[٢]، وهما بمعنى واحد.

قال أبو علي الفارسي[٣]: من قرأ: «مَقاماً» بفتح الميم، احتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون مصدراً من قامَ يقُوم.

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٥٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٢٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٦)، والكشف (٢/ ٩١)، والنشر (٢/ ٣١٨-٣١٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٠)، والسبعة في القراءات (ص:٤١١).

(٣) الحجة (٣/ ١٢٤ و١٢٧).

والآخر: أن يكون اسم المكان منه.

ومن قرأ: «مُقاماً» -بضم الميم- احتمل أيضاً أن يكون مصدراً من أَقَامَ يُقِيمُ، وأن يكون اسم المكان منه، إلا أن اسم[1] المقام هاهنا فيمن ضم الميم وفيمن فتح على اسم المكان، وليس اسم الحدث، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورءياً﴾ فلا يراد بهذا الحدث، إنما يراد به حُسْنُ الشارة والمنظر، وهذا إنما يكون في الأماكن.

﴿وأحسن نَدِيّاً﴾ النَّدِيُّ والنَّادي: مجتمع القوم ومجلسهم[2]. يريدون: أن ناديهم أعز رجالاً وأعظم أبّهة.

ويروى: أنهم كانوا [يدَّهِنُون][3] ويتطيّبون ويلبسون الثياب الفاخرة ثم يقولون ذلك للفقراء؛ افتخاراً عليهم.

ثم إن الله سبحانه وتعالى ذكّرهم حال من كان قبلهم من الأمم الخالية ممن كان أمتع[4] منهم وأنعم وأفْره وأرْفه فقال: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ سبق تفسيره.

﴿هم أحسن أثاثاً ورءياً﴾ أي: متاعاً ومنظراً، وقد سبق تفسير الأثاث في النحل[5].

---

(١) ساقط من ب.

(٢) انظر: اللسان (مادة: ندي).

(٣) في الأصل: يذهبون. والتصويب من ب.

(٤) في ب: أمنع.

(٥) آية رقم: ٨٠.

قال الواحدي[١]: الرِّئْيُ: فِعْلٌ من رأيْتُ، والمصدر: الرَّأْيُ والرُّؤْيَة، كالطَّحن والطِّحن، والرَّعي والرِّعي.

وقرأ [قالون][٢] وابن ذكوان: «وَرِيّاً» بتشديد الياء من غير همز[٣].

قال الزجاج[٤]: لها تفسيران، أحدهما: أنها بمعنى الأولى، والثاني أنها من الرِّي. فالمعنى: منظرهم مرتوٍ من النعمة، كأن النعيم بَيِّنٌ فيهم.

وقرأتُ للكسائي من رواية ابن أبي سريج عنه: «وَزِيّاً» بالزاي المعجمة مع التشديد من غير همز، وهي قراءة ابن عباس وأبي المتوكل[٥].

قال الزجاج[٦]: معناه: أن زيّهم حسن، يعني: هيئتهم. قال الشاعر:

أَشَاقَتْكَ الظَّعائنُ يومَ بَانُوا ... بذي الزيِّ الجميلِ من الأثاث[٧]

ونصب «أحسن أثاثاً ورءياً» على التمييز، المعنى: وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً منهم وأحسن زياً منهم.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٣).

(٢) في الأصل: قالقون. وهو خطأ. والتصويب من ب.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٢٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٦)، والكشف (٢/ ٩١)، والنشر (١/ ٣٩٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٠)، والسبعة في القراءات (ص:٤١١).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٤٢).

(٥) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٥٨).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٣٤٢-٣٤٣).

(٧) البيت هو لمحمد بن نمير الثقفي، الذي شبَّب بزينب أخت الحجاج. انظر البيت في: مجاز القرآن (١٠/ ٣٦٦)، واللسان (مادة: رأي)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٨٦)، والقرطبي (١٠/ ١٥٣، ١٥٩، ١١/ ١٤٣)، والطبري (١٤/ ١٥٤، ١٦/ ٩٣)، وروح المعاني (١٦/ ١٢٦).

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

﴿قل من كان في الضلالة﴾ قال ابن عباس: في العماية عن التوحيد ودين الله[(١)]، ﴿فليمدد له الرحمن مداً﴾ قال الزجاج[(٢)]: لفظه لفظ الأمر، ومعناه: الخبر. تأويله: أن الله تعالى جعل جزاء ضلالته أن يتركه فيها، كما قال تعالى: ﴿من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ [الأعراف:١٨٦]، إلا أن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر، كأنّ لفظ الأمر يريد به المتكلم نفسه إلزاماً، كأنه يقول: أفعلُ ذلك وآمُرُ نفسي به.

قال الزمخشري[(٣)]: أُخرج على لفظ الأمر إيذاناً [بالوُجوب][(٤)]، وأنه مفعول لا محالة، كالمأمور به الممتَثَل.

قال غيره: ويجوز أن تكون اللام لام الدعاء، على معنى: قل يا محمد من كان في الضلالة فاللهم مُدّ له من[(٥)] العمر مَدّاً.

والأول هو وجه الكلام.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٩) بلا نسبة.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٤٣).

(٣) الكشاف (٣/ ٣٩).

(٤) في الأصل: بالجوب. والتصويب من ب.

(٥) في ب: في.

وبين آخر هذه الآية وأول التي تليها ارتباط، تقديره: إن الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عنها إلى أن يعاينوا ما أعد الله تعالى لهم وتوعدهم به، وهو قوله: ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾، وهذه «حتى» التي تحكي بعدها الجمل، والجملة المحكية هاهنا: الجملة الشرطية، وهي قوله: ﴿إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون﴾.

ثم بيّن الله تعالى ما يوعدون فقال: ﴿إما العذاب﴾ يعني: القتل والأسر ﴿وإما الساعة﴾ يعني: القيامة ﴿فسيعلمون﴾ حينئذ ﴿من هو شر مكاناً﴾ في الآخرة أهم أم المؤمنون ﴿وأضعف جنداً﴾ وهذا مقابل لقولهم: ﴿أيّ الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾.

قوله تعالى: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ قال الزجاج وغيره[1]: المعنى: أن الله تعالى يجعل جزاء المؤمنين أن يزيدهم يقيناً، كما جعل جزاء الكافرين أن يمدهم في ضلالتهم[2].

﴿والباقيات الصالحات﴾ سبق تفسيرها في الكهف[3].

﴿خير عند ربك ثواباً﴾ مما يفتخر به الكافر في الدنيا ﴿وخير مَرَدّاً﴾ أي: مرجعاً.

وقيل: منفعة، مِنْ قولهم: ليس لهذا الأمر مَرَدّ.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٤٤).

(٢) في ب: الكافر أن يمده في ضلالته.

(٣) آية رقم: ٤٦.

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

قوله تعالى: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن خبّاب قال: « كنتُ رجلا قَيْناً[1]، وكان لي على العاص بن وائل دَيْن، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لا قَضَيْتُكَ حتى تكفر بمحمد، قال: قلت: لن أكفر به حتى تموت ثم تُبعث، قال: فإني مبعوث من بعد الموت فسوف أقضيك إذا رجعتُ إلى مال وولد. قال: فنزلت: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً -إلى قوله تعالى-: فرداً﴾ »[2]. هذا حديث متفق على صحته، أخرجه مسلم عن الأشج، عن وكيع، عن الأعمش.

قال صاحب الكشاف[3]: استعملوا «أرأيت» في معنى أخبر، والفاء جاءت لإفادة معناها الذي هو التعقيب، كأنه قال: أخبر أيضاً بقصة هذا الكافر، وأذكر حديثه عقيب حديث أولئك.

---

(١) القَيْنُ: الحدَّاد (اللسان، مادة: قين).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٦٢ ح٤٤٥٨)، ومسلم (٤/ ٢١٥٣ ح٢٧٩٥).

(٣) الكشاف (٣/ ٤٠).

﴿وقال لأوتين مالاً وولداً﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «ووُلْداً» بضم الواو وسكون اللام[١].

قال الفراء[٢]: هما لغتان كالعُدْم والعَدَم، وليس يُجْمَع، وقَيْسٌ تجعَل الوُلْد جَمْعاً، والوَلَد -بفتح الواو- واحداً.

فردّ الله عليه فقال: ﴿أطّلع الغيب﴾ قال ابن عباس: أعَلِمَ ما غاب عنه حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا[٣]؟.

وقال في رواية أخرى: أَنظَرَ في اللوح المحفوظ[٤]؟.

﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ أم قال: لا إله إلا الله فأرحمه؟.

وقال قتادة: يعني: أقَدَّمَ عملاً صالحاً فهو يرجوه؟[٥].

وقال ابن السائب: المعنى: أم عهد اللهُ إليه أنه يُدخله الجنة[٦]؟.

فإن قيل: أين مفعولاَ «أفرأيت»؟.

قلت: الموصول الأول، والاستفهام في موضع المفعول الثاني وهو قوله: ﴿أطّلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٢٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٧)، والكشف (٢/ ٩٢)، والنشر (٢/ ٣١٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠١)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٢).

(٢) لم أقف عليه في معاني الفراء.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٤) عن الكلبي، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦١).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٢٢). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦١)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٣٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦١).

قوله تعالى: ﴿كَلاَّ﴾ رَدٌّ لقوله، أي: ليس الأمر كذلك على ما قال من أنه يؤتى مالاً وولداً، ويكون[(١)] المعنى: كلا لم يطّلع الغيب ولم يتخذ عهداً.

﴿سنكتب ما يقول﴾ أي: سنأمر الحَفَظَة بكتابة قوله وإثباته في صحيفة عمله ليُجازى به في الآخرة.

قال صاحب الكشاف[(٢)]: إن قلت: كيف قيل: «سَنَكْتُبُ» بسين التسويف، وكما قاله كُتب من غير تأخير، قال الله تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ [ق:١٨]؟

قلت: المعنى: سنُظْهِر له ونُعلمه أنا كتبنا قوله، على طريقة قوله:

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ....[(٣)]

أي: تَبَيَّنَ وعُلِمَ بالانتساب أني لست بابن لئيمة.

﴿ونمد له من العذاب مداً﴾ أي: نطو له ونجعلُ بعضه تالياً لبعض، من غير أن [يتخلله][(٤)] إراحة.

﴿ونرثه ما يقول﴾ أي: سنسلبه ماله وولده ونجعله لغيره.

وقيل: نرثه ما يقول أنه له في الجنة فنجعله لغيره من المؤمنين، كما قررناه فيما مضى.

---

(١) في ب: أو يكون.

(٢) الكشاف (٣/ ٤١-٤٢).

(٣) صدر بيت وعجزه: (ولم تجدي من أن تقري به بدا). وانظر البيت في: الطبري (١/ ٣٢٨، ٤٢٠، ٣/ ٧٣)، وزاد المسير (٢/ ٢٧٦).

(٤) في الأصل: يتخله. والتصويب من ب.

والقولان عن ابن عباس[١]. والأول اختيار قتادة[٢]، والثاني اختيار الفراء[٣].

﴿ويأتينا فرداً﴾ أي: يجيئنا غداً بلا مال ولا ولد، كما قال الله تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ [الأنعام:٩٤].

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ يعني: المشركين عَبَدة الأصنام ﴿ليكونوا لهم عِزّاً﴾ قال ابن عباس: ليمنعوهم منّي[٤].

والمعنى: ليتعزَّزوا بهم اعتقاداً منهم أنها تشفع لهم، فرد الله عليهم بقوله: ﴿كلا﴾ قال ابن عباس: لا يمنعهم مني شيء[٥].

وقرأ أبو نهيك: «كلاً» بالتنوين[٦].

قال ابن جني[٧]: هو مصدر، على معنى: كَلَّ هذا القول والاعتقاد.

﴿كلا سيكفرون بعبادتهم﴾ أي: ستكفُر الآلهة يوم القيامة بما يُركِّب الله تعالى

(١) ذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦١).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦١).

(٣) معاني الفراء (٢/ ١٧١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٥).

(٥) مثل السابق.

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٠٢).

(٧) المحتسب (٢/ ٤٥).

فيها من العلم بعبادة المشركين ويجحدونها ويتبرؤون منهم؛ لأنها جماد لا تَعْقِل مَنْ قصدها بالعبادة.

فعلى هذا القول؛ قوله: «بعبادتهم» مضاف إلى المفعول، ويكون هذا المعنى كقولهم: ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ [القصص:٦٣]. ويجوز أن يكون المصدر مضافاً إلى الفاعل، والمفعول محذوف تقديره: سيكفر المشركون بعبادة الأصنام، يدل على صحته قوله: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام:٢٣].

﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ أعداء لهم وأعواناً عليهم.

قوله تعالى: ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ أي: سَلَّطْناهم عليهم وقَيَّضْناهم لهم.

﴿تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾ قال الزمخشري(١): الأَزُّ والهَزُّ والاستِفْزَاز: أخوات، ومعناها: التهييج وشدة الإزعاج.

قال ابن عباس في قوله: «تؤزهم أزاً»: تُزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً(٢).

﴿فلا تعجل عليهم﴾ أي: لا تعجل بطلب عذابهم، ﴿إنما نعدّ لهم عَدّاً﴾ أي: ليس بينك وبين هلاكهم إلا أنفاسٌ معدودة وأيامٌ محصورة.

يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

(١) الكشاف (٣/ ٤٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ١٢٥) عن قتادة. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٢)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٣٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

قوله تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن﴾ انتصب الظرف بمصدر تقديره: اذكر، أو تقديره: يوم نحشر المتقين ونسوق المجرمين، يُفْعَلُ بالفريقين ما لا يعلم كُنْهَهُ إلا الله تعالى، أو ينتصب بقوله: ﴿لا يملكون﴾. ويجوز أن ينتصب بقوله: ﴿نعدّ لهم﴾ ذلك اليوم، وما يقع فيه للمتقين خيراً وللمجرمين شراً(١).

والمعنى: يوم نحشر الذين اتقوا الله تعالى بطاعته واجتناب معصيته إلى الرحمن.

﴿وَفْداً﴾ جمع وافد، مثل: رَكْبٍ ورَاكِبٍ، وصَحْبٍ وصَاحِب، وهو في موضع الحال(٢). أي: وافدين، على معنى: يَفِدُونَ إلى الله تعالى من قبورهم أو بعد الحساب، مُتطاولين إلى كرامته، مُرتقبين جميل عِدَاتِه، كما يَفِدُ الوُفَّاد على المُلُوك.

[أنبأنا](٣) أبو علي بن عبد الله، أخبرنا أبو القاسم بن عبد الواحد، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر، حدثنا عبدالله بن أحمد قال: حدثني سويد بن سعيد(٤)، أخبرنا علي بن مُسْهِر(٥)، عن عبدالرحمن بن إسحاق(٦)، حدثنا

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١١٧)، والدر المصون (٤/ ٥٢٦).

(٢) انظر: الدر المصون (٤/ ٥٢٦).

(٣) في الأصل: أنبأ. والمثبت من ب.

(٤) سويد بن سعيد بن سهل بن شهريار الهروي الأنباري، أبو محمد الحدثاني، سكن الحديثة، وهي قرية تحت عانة وفوق الأنبار، مات سنة أربعين ومائتين أول شوال بالحديثة (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٣٩-٢٤١، والتقريب ص:٢٦٠).

(٥) علي بن مسهر القرشي، أبو الحسن الكوفي الحافظ، قاضي الموصل، ثقة كثير الحديث، مات سنة تسع وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ٧/ ٣٣٥، والتقريب ص:٤٠٥).

(٦) عبد الرحمن بن إسحاق بن سعد بن الحارث، أبو شيبة الواسطي الأنصاري الكوفي، ضعّفه ابن معين وغيره (تهذيب التهذيب ٦/ ١٢٤، والتقريب ص:٣٣٦).

النعمان بن سعد[١] قال: «كنا جلوساً عند علي عليه السلام فقرأ هذه الآية: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ فقال: لا والله ما على أرجلهم يحشرون، ولا يحشر الوفد على أرجلهم، ولكن يُؤْتَونَ بِنُوقٍ لم تر الخلائق مثلها، عليها رِحَالٌ من ذهب، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة»[٢].

قوله تعالى: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾ قال ابن عباس وغيره: «وِرْداً»: عِطَاشاً[٣]، مُشاة على أرجلهم، قد تقطعت أعناقهم من العطش[٤].

وحقيقة الوِرْد[٥]: الجماعةُ التي تَرِدُ الماء، ولا يَرِدُ أحدٌ الماء إلا بعد العطش[٦].

﴿لا يملكون الشفاعة﴾ أي: لا يشفعون ولا يُشفع لهم ﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ قال ابن عباس: العَهْد: شهادة أن لا إله إلا الله[٧].

وقيل: اتخاذ العهد: الاستظهار بالإيمان والعمل.

---

(١) النعمان بن سعد بن حبتة، وقيل: حبتر الأنصاري الكوفي، روى عن علي، والأشعث بن قيس، والمغيرة بن شعبة، وزيد بن أرقم، روى عنه ابن أخته أبو شيبة عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، ولم يرو عنه غيره (تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٠٤، والتقريب ص: ٥٦٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٧ ح٣٤٠١٤)، وأحمد (١/ ١٥٥ ح١٣٣٢)، والحاكم (٢/ ٤٠٩ ح٣٤٢٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٤) ذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤١) وعزاه لابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٥) في ب: الورود.

(٦) انظر: اللسان (مادة: ورد).

(٧) أخرجه الطبري (١٦/ ١٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

وفي الكلام إضمار، تقديره: إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً فإنه يملك الشفاعة.

واختلفوا في محل «منِ اتَّخذَ»، فقيل: محله الرفع على البدل من الواو والنون في «يملكون». وقيل: النصب على الاستثناء المنقطع، أو على معنى: إلا شفاعة من اتخذ[١].

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ يعني: اليهود والنصارى والعرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿لقد جئتم﴾ أيها القائلون باتخاذ الله الولد ﴿شيئاً [إداً][٢]﴾ عظيماً منكراً من القول. هذا قول عامة المفسرين[٣].

وقال ابن خالويه[٤]: الإدُّ والأدُّ: العَجَبُ. وهو معنى قول المفسرين. كأن

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١١٧)، والدر المصون (٤/ ٥٢٧).

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٢٩)، ومجاهد (ص:٣٩١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) المختصر في شواذ القرآن (ص:٨٩).

القائلين بذلك جاؤوا بشيء منكر عظيم من القول يتعجب منه.

﴿تكاد السموات يَنْفَطِرْنَ منه﴾ وقرأ نافع والكسائي: «يَكاد» بالياء[١]، ومثله في الشورى[٢].

وقرأ نافع وابن كثير والكسائي وحفص: «يَتَفَطَّرْن» بتاء مفتوحة وتشديد الطاء وفتحها[٣].

والمعنى: تُقَارِبُ السموات يَتَشَقَّقْنَ من عظيم قولهم: اتخذ الرحمن ولداً.

﴿وتنشقُّ الأرض وتخرُّ الجبال هَدّاً﴾ أي: تسقط سقوطاً.

والهَدُّ: الكسر الشديد، يقالُ: هَدَّني هذا الأمرُ وهَدَّ رُكْني[٤].

قال المفسرون: لما قالوا: اتخذ الله ولداً اقشعرّت الأرض، وشاك الشجر، وغضبت الملائكة، واستعرت جهنم، وفزعت السموات والأرض والجبال[٥].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٨)، والكشف (٢/ ٩٣)، والنشر (٢/ ٣١٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠١)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٢-٤١٣).

(٢) آية رقم: ٥.

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) انظر: اللسان (مادة: هدد).

(٥) أخرج جزءاً منه الطبري (١٦/ ١٣٠) عن مجاهد قال: ذكر لنا أن كعباً كان يقول: غضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا ما قالوا. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٦). وذكر السيوطي جزءاً منه (١/ ٢٦٨) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن غالب بن عجرد قال: حدثني رجل من أهل الشام قال: بلغني أن الله لما خلق الأرض وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها ثمرة، حتى تكلم فجرة بني آدم بتلك الكلمة العظيمة قولهم: ﴿اتخذ الله ولداً﴾ فلما تكلموا بها اقشعرت الأرض وشاك الشجر.

﴿أن دعوا﴾ قال صاحب الكشاف[١]: في «أنْ دَعَوا» ثلاثة أوجه: أن يكون مجروراً بدلاً من الهاء في «منه»، كقول الشاعر:

عَلَى حَالةٍ لوْ أنَّ في القوم حاتماً على جُودِهِ لضَنَّ بالماء حاتم[٢]

ومنصوباً بتقدير [سقوط][٣] اللام وإفضاء الفعل، أي: هذا لأن دعوا.

ومرفوعاً بأنه فاعل «هدّاً»، أي: هدّها دُعاء الولد للرحمن.

﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾ أي: ما يصح له ولا يليق به اتخاذ الولد، ولا يجوز عليه ذلك.

وقد أشرنا فيما مضى إلى الدليل الموجب لعدم جواز ذلك عليه.

﴿إن كل من في السموات﴾ من الملائكة والإنس والجن وسائر المخلوقين ﴿إلا آتي الرحمن عبداً﴾ أي: إلا يأتي الرحمن يوم القيامة عبداً ذليلاً، خاضعاً خاشعاً، راغباً راهباً.

وقوله: «كل» مبتدأ «مَنْ» في موضع جر، والجار من صلته.

وقوله: «آتي» في موضع رفع خبر «كُل»، ووحَّدَه على اللفظ، وهو مضاف إلى المفعول. و«عبداً» حال من الضمير في «آتي»[٤].

﴿لقد أحصاهم﴾ عَلِمَهُم وأحَاطَ بهم وبجُمَلِ[٥] أمورهم وتفاصيلها.

---

(١) الكشاف (٣/ ٤٧).

(٢) تقدم في سورة آل عمران، عند قوله تعالى: ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا﴾ [١٦٨].

(٣) في الأصل: سقط. والتصويب من ب، والكشاف (٣/ ٤٧).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١١٨)، والدر المصون (٤/ ٥٣٠-٥٣١).

(٥) في ب: وأحاط بجمل.

﴿وعَدَّهم عَدّاً﴾ مع كثرتهم واختلافهم واختلاف أجناسهم وأنواعهم.

﴿وكُلُّهم﴾ أي: وكلّ واحد منهم ﴿آتيه﴾ أي: جاييه ﴿يوم القيامة فَرْداً﴾ ليس له مال ولا أهل.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدّاً﴾ قال ابن عباس: يُحبهم ويُحبّبهم إلى المؤمنين(١).

قال هرم بن حيان(٢): ما أقبل عبدٌ بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزُقه مودتهم ورحمتهم(٣).

وقال كعب: والله ما يستقر لعبد ثناء في الدنيا حتى يستقر له في السماء(٤).

وكتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن مخلّد(٥): سلامٌ عليك، أما بعد! فإن العبد إذا

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٦).

(٢) هرم بن حيان العبدي البصري، أحد العابدين. حدّث عن عمر، وروى عنه الحسن البصري وغيره، ولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان ببلاد فارس، وكان عاملاً لعمر، ثقة له فضل وعبادة (سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨-٥٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٦-٢٦٧).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٩٧ ح٣٥٢٩٤). وذكره الماوردي (٣/ ٣٩١).

(٥) مسلمة بن مخلد الأنصاري الزرقي، سكن مصر، وكان والياً عليها أيام معاوية، توفي في ذي القعدة سنة اثنتين وستين، وله ستون سنة (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٣٤، والتقريب ص:٥٣٢).

عمل بطاعة الله أحبه الله، فإذا أحبه الله حبَّبَه إلى عباده. وإن العبد إذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه [بَغَّضَهُ][(١)] إلى عباده[(٢)].

ومن هذا المعنى؛ الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أحبَّ الله العبد قال لجبريل: قد أحببتُ فلاناً فأحبَّه، فيحبَّه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحبَّ فلاناً فأحبُّوه، فيحبَّه أهل السماء، ثم يوضع[(٣)] له القبول في الأرض. وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل فيقول: إني أُبغض فلاناً فأبغضْه، قال: فيبغضُه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يُبغض فلاناً فأبغِضُوه، قال: فيُبغضونه، ثم يوضع[(٤)] له البغضاء في الأرض»[(٥)].

وقد روى الضحاك عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، جعل الله له وُدّاً في قلوب المؤمنين[(٦)].

وصَدَقَ ابن عباس رضي الله عنه، فإن لعليّ رضي الله عنه في قلوب المؤمنين الذين اتبعوا الهدى وجانبوا الهوى وُدّاً راسخ الأوتاد، شامخ الأطواد، لا يُخامره ما

---

(١) في الأصل: وبغضه. والتصويب من ب، وابن أبي شيبة (٧/ ١١٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١١٣ ح٣٤٦٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤٦) وعزاه للبيهقي في الأسماء والصفات.

(٣) في ب: يضع.

(٤) في ب: توضع.

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٥ ح٣٠٣٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٠ ح٢٦٣٧).

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٣٤٨ ح٥٥١٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤٤) وعزاه للطبراني وابن مردويه.

خامر قلوب الرّافضة[١] من الغل لأصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، ولا يَشينه ما شانهم من الإفراط في حالي مدحهم وقدْحهم.

قوله تعالى: ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ أي: سهَّلنا القرآن وأنزلناه بلغتك، ﴿لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لُدّاً﴾ قال ابن عباس: شداداً في الخصومة[٢].

وهو جمع ألَدّ. قال الشاعر:

وألَدَّ ذي حَنَقٍ عَلَيَّ كأنما ... تَغْلِي عداوةُ صدرهِ في مِرْجَل[٣]

وقد ذكرنا اشتقاقه في البقرة.

قوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تُحِسُّ منهم﴾ أي هل ترى من المهلكين ﴿من أحد أو تسمع لهم ركزاً﴾

قال اللغويون والمفسرون: الرِّكْزُ: الصوت الخفي[٤]، ومنه: رَكَزَ الرُّمْح؛ إذا غيّب طرفه في الأرض[٥].

والرِّكازُ: المال المدفون.

قال قتادة: المعنى: هل ترى من عينٍ أو تسمعُ من صوتٍ[٦].

---

(١) الرافضة: فرقة من فرق الشيعة، سميت بذلك؛ لأنها رفضت رأي زيد بن علي بن الحسين في صحة خلافة أبي بكر وعمر، وانشقوا عليه (انظر: ضحى الإسلام ٣/ ١٣٦).

(٢) انظر: الطبري (١٦/ ١٣٣)، والقرطبي (١١/ ١٦٢).

(٣) انظر البيت في: تفسير الماوردي (٣/ ٣٩١)، والقرطبي (٣/ ١٦).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٧). وانظر: معاني الزجاج (٣/ ٣٤٧).

(٥) انظر: اللسان (مادة: ركز).

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٤-١٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤٧).

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي مائة وخمس وثلاثون آية، وهي مكية بإجماعهم.

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾
تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ
ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ
﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

قال الله تعالى: ﴿طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر: بتفخيم الطاء والهاء على الأصل. وقرأ الكوفيون إلا حفصاً: بالإمالة فيهما. وقرأ نافع بين اللفظين فيهما[(١)]. وقرأ أبو عمرو بتفخيم الطاء لاستعلائها وإمالة الهاء[(٢)].

وقرأ ابن مسعود وسعيد بن المسيب على العكس من قراءة أبي عمرو[(٣)]. وقد

---

(١) أي: بين الفتح والكسر.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٣)، والحجة لابن زنجلة (ص: ٤٤٩-٤٥٠)، والكشف (١/ ١٨٧)، والنشر (٢/ ٧١-٧٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٢)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٦).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٢٦٩).

ذكرنا علة هذه الإمالة في أول مريم.

وقرأ الحسن: "طَهْ" بفتح الطاء وسكون الهاء(١).

وقرأ الضحاك: بكسر الطاء وسكون الهاء(٢).

وقد اختلف المفسرون في تأويل هذا؛ فقال جماعة منهم: المعنى: يا رجل(٣).

ثم اختلف هؤلاء بأي لسان هي، فقال ابن عباس في رواية عكرمة: هي بالنبطية(٤).

وقال في رواية أبي صالح: [بلسان](٥) عَكّ(٦).

وقال قتادة: هي [بالسريانية](٧).

قال ابن الأنباري(٨): ولغة قريش وافقت تلك اللغة في هذا المعنى؛ لأن الله

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٢).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٢٦٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٠) وعزاه لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

وهذا القول هو الذي اختاره الطبري ورجحه.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٥) في الأصل: بلسا. والتصويب من (ب).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٩).

وعَكّ: بفتح أوله، قبيلة يضاف إليها مخلاف اليمن (معجم البلدان ٤/ ١٤٢).

(٧) في الأصل: بالسرانية. والتصويب من (ب). وقول قتادة أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٩).

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٩).

تعالى لم يخاطب نبيه بلسان غير قريش.

وقال ابن أبي طلحة: هو قَسَمٌ أقسم الله تعالى به، وهو من أسمائه[(١)].

قال علي عليه السلام: كان رسول الله ﷺ يُراوح بين قدميه في الصلاة، فنزلت هذه الآية[(٢)].

قال مقاتل بن حيان: المعنى: طَإِ الأَرْضَ بقدميك[(٣)].

وقال قوم: هما حرفان من اسمين.

قال ابن مسعود: الطاء من لطيف، والهاء من هادي[(٤)]. وقيل غير ذلك تركتُ ذكره [لبُعْده][(٥)]؛ كقولهم: الطاء من طابة، والهاء من مكة.

وقولهم: الطاء طَرَبُ أهل الجنة، والهاء هوانُ أهل النار.

وقولهم: الطاء طُبول الغزاة، والهاء هيبتُهم في قلوب الكفار.

وقولهم: الطاء طوبى، والهاء هاوية. وأمثال ذلك من بدع التفاسير.

قال الزجاج[(٦)]: ومن قرأ "طَهْ" بإسكان الهاء ففيها وجهان:

أحدهما: أن يكون أصله "طَأْ" بالهمزة، فأبدلت منها الهاء، كما قالوا في أرقت الماء وهَرَقْتُ الماء. وجائز أن تكون من "وَطِيَ" على ترك الهمز، فيكون أصله "طَ" يا

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥١)، وعزاه لابن المنذر وابن مسعود عن ابن عباس.

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٣/ ١٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤٩) وعزاه للبزار.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٧٠).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٩).

(٥) في الأصل: لعبده. والتصويب من ب.

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٣٤٩-٣٥٠).

رَجُل، ثم ثبتت فيه الهاء للوقف فقال: طَهْ(١).

قال المفسرون: قال النضر بن الحارث وأبو جهل للنبي ﷺ: إنك لتشقى بترك ديننا، وذلك لما شاهدوا من شدة اجتهاده وطول عبادته، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٢).

وقال مجاهد: كان رسول الله ﷺ وأصحابه يربطون الحبال في صدورهم في الصلاة بالليل، ثم نسخ ذلك بالفرض ونزلت هذه الآية(٣).

والمعنى: ما أنزلنا عليك القرآن لِتَتَعَنَّى وتتعب.

قال ابن السائب: فكان رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية ينام ويصلي(٤).

وقيل: المعنى: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى بفرط تأسُّفك عليهم، فيكون كقوله: ﴿فلعلك باخع نفسك﴾ [الكهف:٦].

قوله تعالى: ﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾ قال الأخفش(٥): هو بدل من قوله: "لتشقى"(٦).

---

(١) أي: هي هاء السكت؛ لأن الفعل بقي على حرف واحد.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣١٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٧)، ومجاهد (ص:٣٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤٩) وعزاه لعبد بن حميد.

(٤) ذكره القرطبي (١١/ ١٦٧).

(٥) معاني القرآن للأخفش (ص:٢٤٩).

(٦) وهذا رأي الزجاج وابن عطية أيضاً.

واستبعده أبو جعفر النحاس فقال: وهذا وجه بعيد، والقريب أنه منصوب على المصدر، أو مفعول من أجله (إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٢).

=

وقال المبرد[١]: المعنى: لكن أنزلناه تذكرة، أي: عظة.

وقد أبطلوا قول الأخفش من حيث إن التذكرة ليست من الـشِّقْوَة في شيء، ليست هي ولا بعضها ولا مشتملة عليها.

والمعنى: إلا تذكرة لمن يخشى الله ويخاف عقابه.

قوله تعالى: ﴿تنزيلاً﴾ أي: أنزلناه تنزيلاً.

وقيل: هو نصب على المدح والاختصاص. ويجوز أن يكون مفعول "يخشى"[٢].

وقرئ شاذاً: [تنزيلٌ][٣] بالرفع[٤]، على معنى: هذا تنزيل.

﴿ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾ قال ابن عباس: أخبر بعظمته وجلاله[٥].

= وردّ هذا القول الفارسي (انظر رأيه في: البحر المحيط ٦/ ٢١٣).

وهو ردٌّ صحيح. وقد أوضح الزمخشري هذا فقال: فإن قلت: هل يجوز أن يكون "تذكرة" بدلاً من محل "لتشقى"؟ قلت: لا؛ لاختلاف الجنسين، ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي "إلا" فيه، بمعنى "لكن" (الكشاف ٣/ ٥٣).

قال أبو حيان في البحر (٦/ ٢١٣): ويعني باختلاف الجنسين: أن نصب "تذكرة" نصبة صحيحة ليست بعارضة، والنصبة التي تكون في "لتشقى" بعد نزع الخافض نصبة عارضة، والذي يقول إنه ليس له محل البتة فيتوهم البدل منه.

(١) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٢٠٠).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١١٨)، والدر المصون (٥/ ٦).

(٣) في الأصل: تنزل. والتصويب من ب.

(٤) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢١٣).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٠).

قال الزجاج[1]: العلى: جمع العُلْيا، يقال: سَمَاءٌ عُلْيَا، وسماوات عُلًى، مثل: الكُبْرى والكُبَر.

﴿الرحمن على العرش استوى﴾: سبق القول عليه في الأعراف[2].

قوله تعالى: ﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما﴾ يعني: الهواء، وهو الفضاء الخالي، ﴿وما تحت الثَّرى﴾ الثَّرَى في اللغة: التراب النَّدِيّ[3].

قال المفسرون: المعنى: وما تحت الأرض السابعة[4].

قوله تعالى: ﴿وإن تجهر بالقول﴾ أي: ترفع صوتك به، ﴿فإنه يعلم السر وأخفى﴾ قال ابن عباس: يعلم السر الذي في نفسك، وأخفى منه ما ستُحدث به نفسك مما تعلم[5] أنك تحدث به نفسك[6].

وقال سعيد بن جبير: السِّرّ: ما حدثت به نفسك، وأخفى: ما لم تلفظ به[7].

وقال مجاهد: السِّرّ: العمل الذي يُسَرُّه الإنسان من الناس، وأخفى منه:

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٠).

(٢) آية رقم: ٥٤.

(٣) انظر: اللسان، مادة: ثرا.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٦) كلاهما عن محمد بن كعب. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٢) وعزاه لابن أبي حاتم عن محمد بن كعب.

(٥) في ب: مما لا تعلم.

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٩-١٤٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٦). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٧) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

الوسوسة[١].

وقيل: السِّرُّ: ما أسرّه الإنسان إلى غيره، وأخفى منه: ما أخفاه في نفسه.

وقيل: "أخفى" فعل ماض، على معنى: يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم سره. وهذا المعنى قول زيد بن أسلم[٢].

ثم وَحَّدَ نفسه جَلَّتْ عظمته فقال: ﴿الله لا إله إلا هو﴾.

وقوله: ﴿له الأسماء الحسنى﴾ مفسر في أواخر الأعراف[٣].

وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ قال ابن عباس: كان موسى عليه السلام رجلاً غيوراً، لا يصحب الرفقة لئلا تُرى امرأته، فأخطأ الطريق في ليلة مظلمة[٤].

وقال وهب: استأذن موسى شُعيباً في الرجوع إلى والدته، فأذن له، فخرج بأهله فولد له ابنٌ في الطريق في ليلة شاتية مثلجة، فحاد عن الطريق، وقدح النار

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٩)، ومجاهد (ص:٣٩٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥١٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٤) وعزاه لأبي الشيخ في العظمة.

(٣) عند الآية رقم: ١٨٠.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠١).

فلم [تُورِ](١) المِقْدَحَة(٢) شيئاً، فبينا هو في [مزاولة](٣) ذلك أبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق(٤).

وها أنا أسوق حديثه على ما أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثنا عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه قال: «لما رأى موسى عليه السلام النار انطلق يسير حتى وقف منها قريباً، فإذا هو بنار عظيمة تفور من فرع(٥) شجرة خضراء شديدة الخضرة، لا تزداد النار فيما يرى إلا عِظَماً وتضرُّماً، ولا تزداد الشجرة على شدة الحريق إلا خُضرةً وحُسناً، فوقف ينظر لا يدري على ما يضع أمرها، إلا أنه قد ظن أنها شجرة تحترق، أوقد إليها موقد فنالها فاحترقت، وأنه إنما يمنع النار شدّةُ خُضرتها، وكثرة مائها، وكثافة ورقها، وعظم جذعها، فوضع أمرها على هذا، فوقف وهو يطمع أن يسقط منها شيء فيقتبسه، فلما طال عليه ذلك أهوى إليها بضِغْثٍ(٦) في يده وهو يريد أن يقتبس من لهبها، فلما فعل ذلك موسى مَالَتْ نحوَه كأنها تريده، فاستأخر عنها وهاب، ثم عاد فطاف بها، فلم تزل تُطمعه ويطمع فيها فلم يكن بأوشك من خمودها، فاشتد عند ذلك عجبه، وفكّر موسى في أمرها وقال: هي نار ممتنعة لا

(١) في الأصل: تُرِ. والتصويب من ب.

(٢) المقدحة: الحديدة التي يُقْدَحُ بها. وقيل: الحجر الذي يقدح به النار (اللسان، مادة: قدح).

(٣) في الأصل: محاورة. والتصويب من ب، وزاد المسير (٥/ ٢٧٢).

(٤) أخرج نحوه الطبري (١٦/ ١٤٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٧٢).

(٥) في ب: فروع.

(٦) الضِّغْث: الحُزمة من الحطب (انظر: اللسان، مادة: ضغث).

يقتبس منها ولكنها [تتضرّم](١) في جوف شجرة فلا تحرقها، ثم خُمودها على قدر عظمها في أوشك من طرفة عين. فلما رأى ذلك موسى قال: إن لهذه النار لشأناً، ثم وضع أمرها على أنها مأمورة أو مصنوعة لا يدري من أمرها ولا بما أمرت، ولا من صنعها ولا لم صنعت، فوقف مُتحيراً لا يدري أيرجع أم يقيم؟ فبينما هو على ذلك إذ رمى بطرفه نحو فرعها فإذا هو أشد ما كان خضرة، وإذا الخضرة ساطعة في السماء، ثم لم تزل الخضرة تُنَوَّرُ وتُسْفِرُ وتَبياضُّ حتى صارت نوراً ساطعاً عموداً ما بين السماء والأرض، عليه مثل شعاع الشمس تَكِلُّ(٢) دونه الأبصار، فكلما(٣) نظر إليه يكاد يخطف بصره، فعند ذلك اشتدّ خوفه، فردّ يده على عينه ولصق بالأرض وسمع الحسّ والوجس، إلا أنه [يسمع](٤) حينئذ شيئاً لم يسمع السامعون بمثله عظماً، فلما بلغ موسى ﷺ الكرب واشتدّ عليه الهول، وكاد يُخالط في عقله من شدة الخوف لما يسمع ويرى، نودي من الشجرة فقيل: يا موسى! فأجاب سريعاً وما يدري من دعاه، وما كانت سرعة إجابته إلا استئناساً بالأُنْس، فقال: لبيك "مراراً"، أسمع صوتك، وأُحسّ وَجْسَك(٥)، ولا أرى مكانك، فأين أنت؟ فقال(٦): أنا فوقك ومعك وأمامك وأقرب إليك منك، فلما سمع هذا موسى علم أنه [لا](٧)

---

(١) في الأصل: تضرم. والتصويب من ب، ومن الزهد (ص:٨٠).

(٢) تكلّ: أي: تتعب وتعيا، يقال: كَلَّ الرجل: إذا تعِب (انظر: اللسان، مادة: كلل).

(٣) في ب: كلما.

(٤) زيادة من ب، ومن الزهد (ص:٨٠).

(٥) الوَجْسُ: الصوت الخفي (اللسان، مادة: وجس).

(٦) في ب: قال.

(٧) في الأصل: ما. والتصويب من ب، ومن الزهد (ص:٨٠).

ينبغي ذلك إلا لربه تبارك وتعالى، فأيقن به فقال: كذلك أنت يا إلهي، فكلامك أسمع أم رسولك؟ قال: بل أنا الذي أكلمك، فادن يا موسى، فجمع موسى يديه في العصا ثم تحامل حتى استقلّ قائماً، فرعدت فرائصه حتى اختلفت، واضطربت رجلاه، وانقطع لسانه، وانكسر قلبه، ولم يبق منه عَظْمٌ يحمل آخر، فهو بمنزلة الميت إلا أن روح الحياة تجري فيه، ثم زحف على ذلك وهو مرعوب حتى وقف قريباً من الشجرة التي نودي منها، قال له الرب تبارك وتعالى: إليّ، ما تلك بيمينك يا موسى؟ قال: هي عصاي، قال: وما تصنع بها -ولا أحد أعلم بذلك منه-؟ قال موسى: أتوكَّأ عليها، وأهُشُّ بها على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى، وكان لموسى عليه السلام في العصا مآرب؛ كانت لها شُعبتان ومِحْجَنٌ[(١)] تحت الشُّعْبَتَيْن، قال له الرَّبُّ تبارك وتعالى: أَلقِها يا موسى، فظنّ موسى أنه يقول له: ارفضها، فألقاها على وجه الرفض، ثم حانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون، يدبّ يلتمس، كأنه يبتغي شيئاً يريد أخذه، يمرّ بالصخرة مثل الخَلِفَة[(٢)] من الإبل فيقتلعها، ويطعن بالنَّابِ من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فَتَجْتَثُّها[(٣)]، عيناه توقدان ناراً، وقد عاد المحجن عُرْفاً فيه شعر مثل النَّيَازِك[(٤)]، وعادت الشُّعْبتان فَماً مثل القَليب[(٥)] الواسع، وفيه أضراس وأنياب لها

(١) الشُّعْبة من الشجر: ما تفرق من أغصانها. وشُعَبُ الغصن: أطرافه المتفرقة (اللسان، مادة: شعب).
والمحجن: عصاً مُعَقَّفة الرأس كالصولجان (اللسان، مادة: حجن).

(٢) في ب: الخلقة. والخَلِفَة: الناقة الحامل (اللسان، مادة: خلف).

(٣) الجَثُّ: القطع، وجَثَّه: قلعه، واجتثَّه: اقتلعه (اللسان، مادة: جثث).

(٤) في هامش ب: النيازك: الرماح الصغار (انظر: اللسان، مادة: نزك).

(٥) القليب: البئر (اللسان، مادة: قلب).

صَريف[١]، فلما عاين ذلك موسى عليه السلام ولّى مُدْبِراً، فذهب حتى أمعن، ورأى أنه قد أعْجَزَ الحية، ثم ذَكَرَ رَبّه عز وجل فوقف استحياءً منه، ثم نودي: يا موسى! إليّ، ارجع حيث كنت، فرجع وهو شديد الخوف، قال: خُذْها بيمينك ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى، وعلى موسى يومئذ مِدْرَعة[٢] من صوف قد خَلَّلَها بِخِلالٍ من عيدان، فلما أمره[٣] بأخذها ثنى طرف المدرعة على يده، فقال له مَلَكٌ: أرأيت لو أذن الله لما تُحاذر، أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً؟ قال: لا، ولكني ضعيف، ومن ضَعْفٍ خُلِقتُ، فكشف عن يده ثم وضعها في فِيّ الحية، حتى سمع حِسّ الأضراس والأنياب، ثم قبض فإذا هي عصاه [التي][٤] عهدها، وإذا يده في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين. فقال له الله: ادن، فلم يزل يُدنيه حتى أسند ظهره بجذع الشجرة فاستقر، وذهبت عنه الرِّعْدَة وجمع يديه في العصا، وخضع برأسه وعنقه، ثم قال له: إني قد أقمتك اليوم مقاماً لا ينبغي لبشر بعدك أن يقوم مقامك[٥]، أدنيتك وقربتك حتى سمعت كلامي، وكنت بأقرب الأمكنة مني، فانطلق برسالتي، فإنك بعيني وسمعي، وإن معك يدي ونصري، وإني قد ألبستك [جُنَّةً][٦] من سلطاني تستكمل بها القوة في أمري، فأنت جند عظيم من

(١) الصريف: صوت الأنياب والأبواب (اللسان، مادة: صرف).
(٢) المِدْرَعَة: ضربٌ من الثياب التي تُلبس، وتكون من الصوف خاصة (اللسان، مادة: درع).
(٣) في ب: أُمِرَ.
(٤) في الأصل: الذي. والتصويب من ب، ومن الزهد (ص:٨١).
(٥) في الأصل زيادة: إذ. وانظر: الزهد (ص:٨٢).
(٦) في الأصل: محبة. والتصويب من ب، ومن الزهد، الموضع السابق.
والجُنّة: الدّرع (اللسان، مادة: جنن).

جندي[١]، بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقي بَطِرَ نعمتي وأمِنَ مكري، وغرَّتْه الدنيا عني، حتى جَحَدَ حقي، وأنكر ربوبيتي، وعَبَدَ دوني، [وزعم][٢] أنه لا يعرفني، وإني أقسم بعزتي لولا العذر والحجة اللذان وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار، تغْضَبُ لغضبه السموات والأرض والجبال والبحار، فإن أمرتُ السماء حَصَبَتْه، وإن أمرتُ الأرض ابتلعته، وإن أمرتُ الجبال دمّرته، وإن أمرتُ البحار غرّقته، ولكنه هان عَلَيَّ وسقط من عيني، ووسعه حِلْمي، [واستغنيت][٣] بما عندي، وحُقَّ لي إني أنا الغَنِيُّ لا غَنِيَّ غيري، فَبَلِّغْهُ رسالاتي وادْعُهُ إلى عبادتي وتوحيدي وإخلاص اسمي، وذَكِّرْهُ أيَّامي وحَذِّرْهُ نِقمَتي وبأسي، [وأخبره أنه لا يقوم شيء لغضبي، وقل له فيما بين ذلك قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى][٤]، وأخبره أني إلى العفو والمغفرة أسرع مني إلى الغضب والعقوبة، ولا يريعك[٥] ما ألبستُه من لباس الدنيا، فإن ناصيتَه بيدي، ليس يَطرف ولا ينطق ولا يتنفس إلا بإذني، قل له: أجب ربك، فإنه واسع المغفرة، فإنه قد أمهلك أربعمائة سنة، وفي كلها أنت مُبارِزٌ لمحاربته، تشبّه وتمثّل به وتصدّ عباده عن سبيله، وهو يُمطر عليك السماء، وينبت لك الأرض، لم تَسْقَمْ ولم تَهْرَمْ ولم تَفْتَقِرْ ولم تُغْلَبْ، ولو شاء أن يُعَجِّل ذلك [لك][٦] أو يَسْلُبَكَهُ فَعَل،

(١) في ب: جنودي.

(٢) في الأصل: زعم. والتصويب من ب، ومن الزهد (ص:٨٢).

(٣) في الأصل: واستغيت. والتصويب من ب، ومن الزهد، الموضع السابق.

(٤) زيادة من الزهد، الموضع السابق.

(٥) في ب: يرعبك. وفي الزهد: يرو عنك.

(٦) زيادة من الزهد (ص:٨٢).

[ولكنه][(١)] ذو أناةٍ وحلْمٍ عظيم، وجَاهِدْهُ بنفسك وأخيك وأنتما مُحْتَسِبان بجهاده، فإني لو شئت أن آتيه بجنود لا قِبَل له بها لَفَعَلْتُ، ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذي قد أعجبته نفسه وجموعه أن الفئة القليلة -ولا قليل مني- تغلب الفئة الكثيرة بإذني، ولا تُعْجِبَنَّكُما زينته ولا ما مُتِّعَ به، ولا تَمُدَّان إلى ذلك أعينكما، فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين، وإني لو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة يعلم فرعون حين ينظر إليها أن [مَقْدِرَتَهُ][(٢)] تَعْجِزُ عن مثل ما أوتيتما فعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك وأَزْوِيهِ عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي، وقديماً ما خِرْت لهم في ذلك، فإني لأذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيقُ غَنَمَهُ عن مَراتِعِ الهلكة، وإني لأُجَنِّبُهُم سَلْوَتَها وعيشها كما يُجَنِّبُ الراعي الشفيقُ إبله عن مَبَارِكِ الغُرَّة، وما ذاك لهوانهم[(٣)] عَلَيَّ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً مُوَفَّراً لم تَكْلِمْهُ الدنيا ولم يُطْغِهِ الهوى، واعلم أنه لم يتزين العباد بزينةٍ هي أبلغ من الزهد في الدنيا، فإنها زينة المتقين، عليهم منها لباس يُعرفون به من الخشوع، سيماهم في وجوههم من آثار السجود، أولئك أوليائي حقاً، فإذا لقيتُهم فاخفض لهم جناحك، وذَلِّل لهم قلبك ولسانك، واعلم أنه من أَهَانَ لي وليّاً وأخافه فقد بارزني بالمحاربة وبادأني، وعرّض نفسه ودعاني إليها، وأنا أسرع شيئاً إلى نصرة أوليائي، [أيظن الذي يحاربني أن يقوم لي، أو يظن][(٤)] الذي يعاديني أنه يُعْجِزُني؟ أم يظن

(١) زيادة من الزهد (ص:٨٢).

(٢) في الأصل: قدرته. والتصويب من ب، والزهد، الموضع السابق.

(٣) في ب: إلا لهوانهم. وهو خطأ.

(٤) في الأصل: أفيظن. والتصويب والزيادة من الزهد (ص:٨٣).

الذي يبارزني أنه يسبقني أو يفوتني؟! [وكيف][1] وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة، لا أَكِلُ نُصْرَتَهُمْ إلى غيري.

قال: فأقبل موسى ﷺ إلى فرعون في مدينة قد جعل حولها الأُسْد في غَيْضَةٍ[2] قد غرسها، فالأُسْد فيها مع سَاسَتِها[3] إذا أشْلَتْها[4] على أحد أُكِلَ، وللمدينة أربعة أبواب في الغيضة، فأقبل موسى عليه السلام من الطريق الأعظم الذي يراه فرعون، فلما رأته الأُسْدُ صاحت صياح الثعالب، فأنكر ذلك السَّاسة وفَرِقُوا من فرعون، وأقبل موسى عليه السلام حتى انتهى إلى الباب الذي فيه فرعون، فقرعه بعصاه، وعليه جُبَّةُ صُوفٍ وسراويل، فلما رآه البَوَّاب عجب من جرأته، فتركه ولم يأذن له، وقال: هل تدري باب من أنت تَضْرِب؟ إنما تضرب باب سيدك، قال: أنت وأنا وفرعون عبيد لربي عز وجل فإني[5] ناصره، [فأعلمه البوّاب السابق][6]، فأخبر البَوَّاب الذي يليه والبَوَّابين حتى بلغ ذلك أدناهم، ودونهم سبعون حاجباً، كل حاجب منهم تحت يده من الجنود ما شاء الله عز وجل، كأعظم أمير اليوم إمارة، حتى خلص الخبر إلى فرعون، فقال: أَدْخِلُوهُ عَلَيَّ، فَأُدْخِلَ، فقال له فرعون: أَعْرِفُكَ؟ قال: نعم، قال: أَلَمْ نُرَبِّكَ فينا وليداً؟ فردّ موسى عليه الذي ذكره الله عز وجل. قال فرعون: خذوه، فبادرهم موسى فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين،

(١) في الأصل: فكيف. والتصويب من ب، والزهد (ص:٨٣).

(٢) الغَيْضَة: الأجَمَة، وهي الشجر الكثير الملتفّ (اللسان، مادة: غيض). والمقصود هنا: الغابة.

(٣) الساسة: القادة (اللسان، مادة: سوس). والمقصود هنا: الذين كُلِّفوا برعايتها.

(٤) أشلتها: أي: أطلقتها (هامش الزهد ص:٨٣).

(٥) في ب: فأتى.

(٦) زيادة من الزهد (ص:٨٣).

فحملتْ على الناس فانهزموا منها، فمات منها[١] خمسة وعشرون ألفاً، قتَلَ بعضهم بعضاً، وقام فرعون منهزماً حتى دخل البيت، فقال لموسى: اجعل بيننا وبينك أجلاً نَنْظُرُ فيه، فقال له موسى: لم أُومَرْ بذلك، وإنما أُمِرْتُ بمناجزتك، وإن أنت لم تخرج إليّ دخلتُ إليك، فأوحى الله عز وجل إلى موسى أن اجعل بينك وبينه أجلاً ينظر فيه وقل له يجعله هو. قال فرعون: اجعله إلى أربعين يوماً، ففعل، وكان فرعون لا يأتي الخلاء إلا في أربعين يوماً مرة، فاختلف ذلك اليوم أربعين مرة.

قال: وخرج موسى من المدينة، فلما مرّ بالأُسْد مَصَعَتْ[٢] بأذنابها، وسارت مع موسى تُشَيِّعُهُ ولا تُهَيِّجُهُ ولا أحداً من بني إسرائيل[٣].

عُدْنا إلى تفسير الآية، قال ابن عباس: قوله تعالى: ﴿وهل أتاك﴾ أي: وقد أتاك، يشير إلى أنه استفهام في معنى الخبر[٤].

قال ابن الأنباري[٥]: هذا معروف عند اللغويين أن تأتي "هل" معبرة عن "قد"، فقد قال رسول الله ﷺ وهو أفصح العرب: « اللهم هل بلغت »[٦].

قال المفسرون: رأى نوراً، ولكنْ أخبر بما كان في ظن موسى ﴿فقال لأهله

---

(١) في الزهد: منهم.

(٢) المَصْعُ: التحريك. ومَصَعَتِ الدابة بذنبها مَصْعاً: حرّكته من غير عَدْوٍ (اللسان، مادة: مصع).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٧٩-٨٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٤-٥٥٨) وعزاه لأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠١).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٧١-٢٧٢).

(٦) أخرجه البخاري (٢/ ٦١٩ ح١٦٥٢)، ومسلم (١/ ٢٠١ ح٢٢١).

امكثوا﴾ أي: أقيموا مكانكم[(١)].

﴿إني آنست ناراً﴾ أي: أبصرتُ ناراً.

وقال الفراء[(٢)]: وجدتُ.

قال صاحب الكشاف[(٣)]: لما كان مقطوعاً متيقناً حققه لهم بكلمة "إن" ليوطّن أنفسهم، ولما كان الإتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين، بُني الأمر فيهما على الرجاء والطمع، وقال: ﴿لعلّي﴾.

والقَبَس: ما أخذتَه من النار في رأس عُود أو في رأس فتيلة[(٤)].

قوله: ﴿أَوْ أَجِدُ على النار هُدى﴾ قال ابن عباس: هادياً يهدي إلى الطريق[(٥)].

قال الفراء[(٦)]: أراد: هادياً، فذكره بلفظ المصدر.

[وقال][(٧)] صاحب الكشاف[(٨)]: المعنى [ذوي][(٩)] هدى، وإذا وجد الهُدَاة فقد

---

(١) أخرج نحوه الطبري (١٦/ ١٤٢) عن ابن عباس قال: كان في الشتاء ورفعت لهم نار، فلما رآها ظن أنها نار وكانت من نور الله ﴿قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً﴾. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٧٢).

(٢) معاني الفراء (٢/ ١٧٤).

(٣) الكشاف (٣/ ٥٥).

(٤) انظر: اللسان، مادة: قبس.

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٢) ولفظه: من يدل على الطريق. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٤) وعزاه لابن أبي حاتم، وبنفس لفظ الطبري عزاه لابن المنذر.

(٦) معاني الفراء (٢/ ١٧٥).

(٧) في الأصل: قال. والمثبت من ب.

(٨) الكشاف (٣/ ٥٥).

(٩) في الأصل: ذو. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

وجد الهُدَى. ومعنى الاستعلاء [في][(١)] "على النار": أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤﴾

قوله تعالى: ﴿فلما أتاها﴾ يعني: النار ﴿نُودي﴾ قال المفسرون: جاءه النداء من الشجرة[(٢)]: ﴿يا موسى إني أنا ربك﴾ كرر الضمير لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة، ومثله: ﴿إني أنا النذير المبين﴾ [الحجر:٨٩].

واختلف القُرّاء في قوله: "إني" ففتح الهمزة ابن كثير وأبو عمرو، وكسرها الباقون[(٣)].

فمن فتح فعلى معنى: نودي بأني أنا ربك. ومن كسر فعلى معنى: نودي، فقيل: يا موسى إني، أو لأن النداء ضربٌ من القول فعُومل معاملته.

قوله تعالى: ﴿فاخلع نعليك﴾ قال علي عليه السلام: كانا من جلد حمارٍ ميِّت[(٤)].

---

(١) زيادة من الكشاف (٣/ ٥٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٢).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥١)، والكشف (٢/ ٩٦)، والنشر (٢/ ٣١٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٢)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٤) وقال: في إسناده نظر يجب التثبت منه، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٨) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

ورواه ابن مسعود مرفوعاً إلى النبي ﷺ[(١)].

وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة: كانا من جلد بقرة ذكية، لكنه أُمر بخلعهما لبيان شرف[(٢)] الأرض المقدسة[(٣)] ليناله[(٤)] بركتها[(٥)].

وقيل: أمر بخلعهما؛ لأن الحفوة من أمارات التواضع.

ويحتمل عندي أن يقال: أمر بخلع نعليه؛ [إجلالاً][(٦)] وإعظاماً واحتراماً لتلك الحضرة المقدَّسة، أو احتراماً للبقعة، ألا ترى إلى قوله: ﴿إنك بالواد المقدس﴾ أي: المُطَهَّر. وقيل: المُبَارك.

وقد سبق في المائدة عند قوله: ﴿الأرض المقدسة﴾[(٧)].

قال الواحدي[(٨)]: و﴿طوى﴾ اسم للوادي[(٩)]، في قول جميع

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٢٤ ح١٧٣٤) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج، وحميد هو ابن علي الكوفي، منكر الحديث.

(٢) في ب: ليباشر تراب.

(٣) وهذا القول هو الذي رجّحه الطبري (١٦/ ١٤٤) قال: أمره الله تعالى بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي إذ كان واديا مقدساً. وإنما قلنا ذلك؛ لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار، ولا لنجاستهما، ولأخبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة، وإن في قوله: ﴿إنك بالواد المقدس﴾ بعقبه دليلاً واضحاً على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا.

(٤) في ب: فيناله.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٢).

(٦) في الأصل: إجلاً. والتصويب من ب.

(٧) عند تفسير الآية: ٢١.

(٨) الوسيط (٣/ ٢٠٢).

(٩) في ب: الوادي.

المفسرين[١].

وقال الحسن وقتادة: معنى "طوى": أنه قُدِّسَ مرتين[٢].

قرأ أهل الكوفة وابن عامر: "طوىً" بالتنوين على أنه اسم الوادي، وهو مُذَكَّر. وقرأ الباقون بغير تنوين على أنه اسم للبقعة[٣]، أو هو معدول عن طاوٍ، فيصير مثل عُمَر المعدول عن عَامِر.

قوله تعالى: ﴿وأنا اخترتك﴾ وقرأ حمزة: "وَأَنَّا اخْتَرْنَاكَ"[٤] على الجمع في الكلمتين؛ للتعظيم والمبالغة في الإجلال.

﴿فاستمع لما يوحى﴾ أي: أَنْصِتْ للذي يوحى إليك، أو للوحي، اللام متعلقة بـ"استمع" أو بـ"اخترتك".

قوله تعالى: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ وَحِّدْنِي.

﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ قال مجاهد: المعنى: لتذكرني فيها[٥]، يُشير إلى أن

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٦) عن ابن عباس ومجاهد، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٥٩-٥٦٠) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٥-١٤٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٠) وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥١)، والكشف (٢/ ٩٦)، والنشر (٢/ ٣١٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٢)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٧).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥١-٤٥٢)، والكشف (٢/ ٩٧)، والنشر (٢/ ٣٢٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٢-٣٠٣)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٧).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٨)، ومجاهد (ص:٣٩٤) ولفظه: "إذا صلى عبد ذكر ربه"، وابن أبي

الصلاة مشتملة على الأذكار[١]، فأضافه إلى المفعول وحذف الفاعل.

ويجوز أن يكون المعنى: لأذكرك، فحذف المفعول واقتصر على الفاعل.

وقال أكثر المفسرين: المعنى: أقم الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة، كنت في وقتها أو لم تكن[٢].

وفي صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها غير ذلك، ثم قرأ: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ »[٣].

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦﴾

قوله تعالى: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ قرأ أبو الدرداء وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير: "أَخفيها" بفتح الهمزة[٤].

= حاتم (٧/ ٢٤١٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦١) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) وهذا القول هو الذي رجّحه الطبري (١٦/ ١٤٨) وقال: لأن ذلك أظهر معنييه، ولو كان معناه: حين تذكرها، لكان التنزيل: أقم الصلاة لذكرها.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٨)، وابن أبي شيبة (١/ ٤١٢) كلاهما عن إبراهيم. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦١-٥٦٢) وعزاه لعبد بن حميد عن إبراهيم. ومن نفس الطريق عزاه أيضاً لابن أبي شيبة. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢١٥ ح٥٧٢)، ومسلم (١/ ٤٧٧ ح٦٨٤).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٧٦).

قال الزجاج[١]: معناه: أكاد أظهرها. قال امرؤ القيس:

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لاَ نَخْفِهِ وَإِنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لاَ نَقْعُدِ[٢]

أراد: إن تدفنوا الداء لا نظهره.

وهذه القراءة أبين في المعنى؛ لأن معنى أكاد أظهرها: قد أخفيتُها.

وقرأ الأكثرون: "أُخفيها" بضم الهمزة.

قال أبو الفتح ابن جني[٣]: أَخْفَيْتُ الشَّيءَ: كَتَمْتُه وأَظْهَرْتُه جميعاً، وخَفَيْتُهُ: أَظْهَرته البتة.

وفي قراءة ابن مسعود وأُبيّ بن كعب ومحمد بن علي: "أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي"[٤]. وبهذه القراءة جاء تفسير ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسرين، قالوا: المعنى: أكاد أخفيها من نفسي فكيف أطلعكم عليها؟[٥].

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٢-٣٥٣).

(٢) البيت لامرئ القيس يتوعد قتلة أبيه. انظر: ديوانه (ص:١٨٦)، واللسان، مادة: (خفا)، ومجاز القرآن (٢/ ١٧)، ومعاني الفراء (٢/ ١٧٧)، والطبري (١٣/ ١٢١، ١٦/ ١٥٠)، والقرطبي (١١/ ١٨٢، ١٨٣)، والماوردي (٣/ ٣٩٨)، وزاد المسير (٥/ ٢٧٦)، والبحر المحيط (٦/ ٢١٨)، والدر المصون (٥/ ١٢)، وروح المعاني (١٦/ ١٧٢).

(٣) المحتسب (٢/ ٤٧).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٧٥).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٩)، ومجاهد (ص:٣٩٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٣) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف.

قال المبرد[١]: وهذا على عادة العرب، فإنهم يقولون إذا بالغوا في كتمان الشيء: كتمته حتى من نفسي، أي: لم أُطْلِع عليه أحداً.

وقال قطرب: إن قيل: كيف يخفي الله تعالى من نفسه وهو خَلَقَ الإخفاء؟

قلنا: إن الله تعالى كلّم العرب بكلامهم الذي يعرفونـه، ألا تـرى أن الرجـل يعذل أخاه يقول: أذعتَ سِرِّي. فيقول مجيباً له معتذراً إليه: والله لقد كتمتُ سرّك من نفسي فكيف أذيعه؟ معناه عندهم: أخفيتُه الإخفاء كله.

قال الشاعر:

أيام تُعجبني هندٌ وأخبرها ما أكتُمُ النفس من حاجي وأسراري[٢]

فكيف يخبرها بما يكتم من نفسه، فمَجاز الآية على هذا.

وقال الزمخشري[٣]: المعنى: أكاد أخفيها، فلا أقول هي آتيـة[٤] لفـرط إرادتي إخفاءها.

وأنكر تفسيرَ الجمهور، فقال: لا دليل في هذا الكـلام عـلى هـذا المحـذوف، ومحذوفٌ لا دليل عليه مُطَّرَحٌ.

قال الزمخشري[٥]: والذي غَرَّهُمْ منه أَنَّ في مُـصْحَفِ أُبيّ بـن كعـب: "أكـاد أخفيها من نفسي".

---

(١) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٢٠٣)، وزاد المسير (٥/ ٢٧٦).

(٢) انظر البيت في: القرطبي (١١/ ١٨٥).

(٣) الكشاف (٣/ ٥٧-٥٨).

(٤) في الأصل: أيأتيه. والتصويب من ب، والكشاف (٣/ ٥٧).

(٥) الكشاف (٣/ ٥٨).

قلتُ[١]: وهذا من المواضع [التي][٢] سُلِبَ هـذا الرَّجُـلُ التَّوفيـق فيهـا، وَلَمْ يُرْشِدْهُ عِلْمُهُ إلى فساد ما خَيَّلَهُ له ظَنُّه.

ومن العجائب: أنه اعترف أن هذا مُسَطَّراً في مصحف أُبيّ بن كعب وسَجَّل على نفسه به، وجعل بعد ذلك القائل به والذاهب إليه مغروراً، وهذا تغفيل عظيم؛ لأن أُبيّاً سَطَّرَهُ في مصحفه، وذلك دليل على أنه سمعه من النبي ﷺ، فإما أن يكون قرآناً أو حديثاً، [وأيّاً][٣] ما كان فالصائر إليه والمعتمد في التفسير [عليه][٤] مُصيبٌ غير مغرور؛ كما زعم.

وقال أبو علي الفارسي[٥]: هذه همزة السَّلْب. المعنى: أكـاد أَسْـلُبُ خَفاءهـا وأُظْهِرُها، كما تقول: أَشْكَيْتُ الرَّجُلَ؛ إذا أَزَلْتَ شَكْوَاهُ[٦].

وكان الأخفش يقف على قوله: ﴿أكاد﴾ وقفة يـسيرة، ثـم يبتـدئ ﴿أخفيهـا لتجزى﴾، يشير إلى أن اللام في "لتجزى" متعلقة بـ"أخفيها".

وهذا حَسَنٌ لطيف إذا كان "أخفيها" بمعنى: أظهرُها أو أزيل خفاءهـا، وإلا فهي متعلقة بـ"آتية" على معنى: أن الساعة جائية.

﴿لِتُجْزَى كل نفس﴾ في يوم الساعة بسعيها في الدنيا وما عملتْه من خير وشر.

﴿فلا يَصُدَّنَّكَ عنها﴾ أي: لا يَصْرِفَنَّكَ عن الإيمان بها والاستعداد لها ﴿من لا

---

(١) أي: المصنف رحمه الله.

(٢) في الأصل: الذي. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: وأ. والمثبت من ب.

(٤) في الأصل: إليه. والتصويب من ب.

(٥) لم أقف عليه في الحجة. وانظر قوله في: البحر المحيط (٦/ ٢١٨)، والقرطبي (١١/ ١٨٤).

(٦) انظر: اللسان (مادة: شكا).

يؤمن بها واتبع هواه﴾ معرضاً عن براهين التوحيد ودلائل البعث، ﴿فَتَرْدَى﴾ أي: فتهلك.

والمقصود من ذلك: تثبيت موسى عليه السلام على الإيمان بالبعث؛ ليزداد حرصاً على الاستعداد واجتهاداً في دعاء العباد إلى الله تعالى، ولتنحسم أطماع المكذبين عن صدّه عما هو بصدده.

فإن قيل: ما موضع "فَتَرْدَى" من الإعراب؟

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: النصب على جواب النهي بالفاء، كقوله عقيب هذا الموضع: ﴿لا تفتروا على الله كذباً فَيُسْحِتَكُمْ بعذاب﴾ [طه:٦١].

الثاني: الرفع، على معنى: فإذاً أنت تردى، ومثله: ﴿فَأَطَّلِعُ إلى إله موسى﴾ [غافر:٣٧]، و"أَطَّلِعَ" بالنصب أيضاً، وقوله عز وجل: ﴿فتنفعُه -وتنفعَه- الذكرى﴾ [عبس:٤].

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ قال الزجاج[1]: "تلك" اسمٌ مُبْهَمٌ يجري مجرى "التي". والمعنى: وما التي بيمينك.

فإن قيل: ما الحكمة في سؤاله مع علم الله تعالى بحاله؟

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٣-٣٥٤).

قلتُ: لِيُرِيَهُ بعد التثبُّت في عصاهُ والتأمل لها، عجائبَ قدرته وبدائع صنعته من قلب الخشبة اليابسة حَيَّةً تسعى، ولِيُنَبِّهَهُ على هذه الآية الباهرة والمعجزة الظاهرة ليؤنسه[١] بسؤاله، مخففاً عنه ما خامره في ذلك المقام من ثقل الخوف وفرط الهيبة والإجلال.

﴿قال هي عَصَايَ﴾ وقرأ الحسن: "عصايِ" بكسر الياء؛ لالتقاء الساكنين[٢]. وفيها ضعف؛ لأنهم يستثقلون الكسرة على الياء، ومنهم من سكن الياء لوقوع المدة حائلة بين الساكنين.

وقرأ ابن أبي إسحاق: "عَصَيَّ" على لغة هذيل[٣]، ومثلُه: "يا بشريّ"، أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه، فقلبوا الألف إلى أخت الكسرة.

﴿أتوكأ عليها﴾ أعتمد عليها إذا وثبت أو تعبت، ﴿وأَهُشُّ بها على غنمي﴾ قال الفراء[٤]: أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقها فترعاه الغنم.

يقال: هَشَّ يَهُشُّ هَشًّاً؛ إِذَا خَبَطَ الشجر[٥].

وقرأ عكرمة: "وأَهُسُّ" بالسين المهملة[٦]، من الهَسّ، وهو زَجْرُ الغنم[٧]، يقال: رجل هَسَّاسٌ، أي: سَوَّاقٌ.

---

(١) في ب: وليؤنسه.

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٢٠).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) معاني الفراء (٢/ ١٧٧).

(٥) انظر: اللسان (مادة: هشش).

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٢٠).

(٧) انظر: اللسان (مادة: هسس).

﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ أي: حاجات، واحدتها: مَأْرُبَة، بفتح الراء وضمّها(١).

قيل: كان إذا طال الغُصن حَنَاهُ بالمِحْجَن، وإذا أراد كسره لَوَاهُ بالشُّعْبَتَيْن، وإذا سار ألقاها على عاتقه وعلق بها إداوته وقَوْسه وكِنَانَتَه، وكان يُقاتل بها السباع ويدفعها بها عن غنمه، إلى غير ذلك من المنافع.

وقيل: كانت تُضيءُ له بالليل، وتدفع عنه الهوام، وتُثْمِرُ له إذا اشتهى الطعام.

فإن قيل: حصل الجواب بقوله: ﴿هي عَصَايَ﴾، فما الفائدة في ذكر ما بعده؟

قلتُ: روي عن ابن عباس: أنه لما أجاب بقوله: هي عَصَايَ، قيل له: فما تصنع بها؟ فأجاب بذلك عن السؤال الآخر(٢).

وقال سعيد بن جبير: أظهر فوائدها خوفاً أن يؤمر بإلقائها كالنعلين(٣).

وقال بعض العلماء: بيّن منافعها لئلا يُعدّ عابثاً [بحملها](٤).

فإن قيل: لم أَجْمَلَ بقوله: ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ ولم يُفَصِّل بتعداد منافعها كلها؟

قلتُ: لعله تعرّض بذكر الإجمال إلى الزيادة في السؤال بأن يقال له: وما تلك المآرب، فيزداد بذلك كرامة وأُنساً، ولعله كره أن يشتغل عن كلام الله تعالى بتعداد

---

(١) انظر: اللسان (مادة: أرب).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٧٨).

(٣) مثل السابق.

(٤) في الأصل: بتحملها. والمثبت من زاد المسير (٥/ ٢٧٨). وهو قول الماوردي (٣/ ٣٩٩).

منافع عصاه[١].

فإن قيل: "المآرب" جمع، فكيف قال: "أخرى" ولم يقل: "أُخَر"؟

قلتُ: قال الزجاج[٢]: المآرب في معنى: جماعة، فكأنه قال: جماعة من الحاجات أخرى.

﴿قال أَلْقِها يا موسى * فألقاها فإذا هي حية تسعى﴾ قال المفسرون: أراد الله أن يُري موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق؛ لئلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون[٣].

فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿فإذا هي حَيَّةٌ﴾ وبين قوله في الأعراف: ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ [الأعراف:١٠٧]، وقوله[٤] في موضع آخر: ﴿كأنها جَانٌّ﴾ [النمل:١٠] وبين هذه الأوصاف من حيث إن الثعبان أعظم الحيات، والجانّ ما دَقَّ منها؟

قلتُ: وجه الجمع أن يقال: الحية: اسم جنس، يقع على الذَّكَر والأنثى، والصغير والكبير. ثم وَصْفُها بأنها ثعبان أو جَانّ لا يخلو إما أن يكون حال انقلابها حية كأنها جان، ثم يتزايد جِرْمها حتى يصير ثعباناً، فهي جانّ في الابتداء، ثعبان في الانتهاء. وإما أن تكون في شخص الثعبان وسرعة حركة الجانّ. وإما أن يتنوع

(١) وقد أبدى بعض المفسّرين نكتة في ذلك؛ وهي أن نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام أراد أن يتلذذ بطول المناجاة مع ربه تبارك وتعالى، ولهذا أطال الكلام عن العصا.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٥).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٧٩).

(٤) في ب: وبين قوله.

انقلابها، تارة تنقلب جانّاً وتارة ثعباناً.

﴿قال خُذْها ولا تَخَفْ سَنُعِيدُها سيرتها الأولى﴾ قال الزجاج[١]: المعنى: سنعيدها إلى سيرتها الأولى، فلما حُذِفَتْ "إلى" وصل إليها الفعل فنصبها[٢].

قال السدي: المعنى: سَنَرُدُّها عصا كما كانت[٣].

والسِّيرَةُ: الهَيْئَةُ والحالة، يقال لمن كان على شيء فتركه ثم عاد إليه: عاد إلى سيرته[٤].

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿واضْمُمْ يدكَ إلى جناحك﴾ قال مجاهد: كَفَّكَ تحت عَضُدِكَ[٥].

قال الفراء والزجاج[٦]: جناح الإنسان: عَضُدُه إلى أصل إِبْطِه.

﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي: من غير بَرَص، وكان موسى شديد الأُدْمَة، فإذا أخرج يده غلب نورها شعاع الشمس.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٥).

(٢) على إسقاط الخافق.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٥٧) عن وهب بن منبه. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٤).

(٤) انظر: اللسان، مادة: سير.

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٥٧)، ومجاهد (ص:٣٩٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٢١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) معاني الفراء (٢/ ١٧٨)، ومعاني الزجاج (٣/ ٣٥٥).

﴿آية أخرى﴾ دلالة [أخرى][(١)] على صدقك ورسالتك سوى العصا. و"آية" نصب على الحال[(٢)].

وقال الزجاج[(٣)]: على معنى: آتيناك آية، أو نؤتيك آية أخرى.

﴿لِنُرِيَكَ من آياتنا الكبرى﴾ أي: لنريك من آياتنا الآية الكبرى.

قال ابن عباس: كانت يد موسى أكبر آياته[(٤)].

قوله تعالى: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ أي: جاوز الحد في العُتُوّ والعِصْيان.

قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

قال أهل التفسير: علم موسى حين بُعث إلى الطاغية أنه قد كُلِّف أمراً عظيماً، وخَطْباً جسيماً، فسأل ربه عز وجل العون على فرعون فقال: ﴿رب اشرح لي صدري﴾ أي: وَسِّع قلبي للحق حتى لا أخاف فرعون[(٥)].

﴿ويَسِّرْ لي أمري﴾ هَوِّن عَلَيَّ النهوض بأعباء الرسالة.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٢٠)، والدر المصون (٥/ ١٦).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٥).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨١).

﴿واحلل عقدة من لساني﴾ قال ابن عباس: كانت في لسانه [رُتَّة][١]، وذلك أنه كان في حِجْرِ فرعون ذات يوم فَلَطَمَهُ لَطْمَةً وأخذ بلحيته، فقال فرعون لآسية امرأته: إن هذا عدوّي، فقالت آسية: على رِسْلِكَ، فإنه صبيّ لا يُفَرِّق بين الأشياء ولا يُمَيِّز، ثم جاءت بِطَشْتَيْن[٢]، فجعلت في أحدهما الجمر وفي الآخر الجوهر، ووضعتهما بين يدي موسى، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار، حتى رفع جمرة ووضعها على لسانه[٣]، فتلك الرُّتَّة من ذلك[٤].

والرُّتَّة في اللغة: العَجَلَةُ مع العُجْمَة[٥].

[ويروى][٦]: «أنه كانت في لسان الحسين عليه السلام رُتَّة[٧]، فقال النبي ﷺ: ورثها من عمّه موسى»[٨].

﴿يفقهوا قولي﴾ أي: يفقهوا كلامي.

واختلفوا هل زالت العقدة؟ فقال قوم: زالت[٩]؛ لقوله تعالى: ﴿قد أوتيت

---

(١) في الأصل: رتة. وكذا وردت في المواضع التالية، والتصويب من ب.

(٢) الطَّشْت -أو الطَّسْت-: من آنية الصُّفْر (اللسان، مادة: طست).

(٣) قال الآلوسي في تفسيره روح المعاني (١٦/ ١٨٢): وفي هذا دليل على فساد قول القائلين بأن النار تحرق بالطبيعة من غير مدخلية لإذن الله تعالى في ذلك، إذ لو كان الأمر كما زعموا لأحرقت يده.

(٤) ذكره القرطبي (١١/ ١٩٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨١).

(٥) انظر: اللسان (مادة: رتت).

(٦) في الأصل: ويرى. والتصويب من ب.

(٧) الرُّتَّة بالضم: العُجمة في الكلام (مختار الصحاح ص:٩٨).

(٨) ذكره الآلوسي في تفسيره روح المعاني (١٦/ ١٨٣).

(٩) قال أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٢٢٤): وهو ضعيف؛ لأنه لم يقل: واحلل العقدة، بل قال: "عقدة"، فإذا حلّ عقدة فقد آتاه الله سؤله.

=

سؤلك يا موسى﴾.

وقيل: بقي بعضها؛ لقوله: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾، وقوله: ﴿ولا يكاد يُبين﴾ [الزخرف:٥٢].

﴿واجعل لي وزيراً من أهلي﴾ أي: عوناً وظهيراً منهم.

قال الزجاج[١]: اشتقاقه من الوَزَر، والوَزَرُ: الجبلُ الذي يُعتصَمُ به ليُنجي من الهلكة[٢]، وكذلك وزير الخليفة، معناه: الذي يَعتمد عليه في أموره ويَلتجئ إلى رأيه.

وقال ابن قتيبة[٣]: أصل الوَزَارة: مِن الوِزْر، وهو الحِمْل، كأن الوزير يحمل[٤] عن السلطان الثِّقل.

"وزيراً" و"هارون" مفعولا "اجعل"، قدم الثاني منهما على الأول[٥]. التقدير: اجعل هارون أخي وزيري.

وقيل: المفعولان "وزيراً" و"هارون" عطف بيان للوزير، و"أخي" في الوجهين بدل من "هارون". ويجوز أن يكون عطف بيان آخر[٦].

= وقال الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦٣): إنه طلب حلّ بعضها إرادة أن يفهم عنه فهماً جيداً، ولم يطلب الفصاحة الكاملة.

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٧).

(٢) انظر: اللسان (مادة: وزر).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٢٧٨).

(٤) في ب: قد حمل.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ١٢١)، والدر المصون (٥/ ١٧).

(٦) مثل السابق.

قوله تعالى: ﴿اشْدُدْ به أزري﴾ قرأ ابن عامر: "أَشْدُدْ" بفتح الهمزة وقطعها[١]. جعلها ألف المُخْبِر عن نفسه، والفعل ثلاثي مجزوم؛ لأنه جواب الطلب.

وقرأ أيضاً: ﴿وأُشْرِكْهُ في أمري﴾ بضم الهمزة، جعلها ألف المتكلّم في فعل رباعي، وهو مجزوم عطفاً على قوله: "اشْدُدْ".

وقرأ الباقون: "اشْدُدْ" بوصل الألف، جعلوه طلباً وسؤالاً، حَمْلاً على ما قبله، والابتداء على هذه القراءة بضم الهمزة.

"وأَشْرِكْهُ" بفتح الهمزة، على الطلب أيضاً[٢].

والمعنى: قَوِّ به ظهري.

قال ابن قتيبة[٣]: الأَزْرُ: الظَّهْرُ، وقيل: القُوَّة[٤].

أي: اشْدُدْ به قُوَّتي، ومنه: ﴿فآزره فاستغلظ﴾ [الفتح:٢٩].

ومعنى "أشركه في أمري": اجمع بيني وبينه في النبوة.

﴿كي نُسَبِّحَكَ كثيراً﴾ أي: نُصَلِّي لك، ﴿ونذكرك﴾ ذِكْراً ﴿كثيراً﴾ بألسنتنا مضافاً إلى طاعتنا بجوارحنا.

﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾ ترى أحوالنا وتسمع دعاءنا فاستجب لنا.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٢)، والكشف (٢/ ٩٧)، والنشر (٢/ ٣٢٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٣)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٨).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٢٧٨).

(٤) انظر: اللسان (مادة: أزر).

قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾

﴿قال قد أوتيت سُؤْلَكَ يا موسى﴾ طلبتك وأمنيتك.

﴿ولقد مَنَنَّا عليك﴾ أنعمنا عليك ﴿مرة أخرى﴾ قبل هذه المرة.

ثم بيّن وقتها فقال: ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى﴾ أي: ألهمناها.

وقيل: يجوز أن يكون ذلك على لسان نبيٍ في زمانها، أو على لسان مَلَكٍ، أو بطريق الرؤيا في المنام.

وفي قوله: "ما يوحى" تنبيه على فخامة ما امْتَنَّ به عليه، إذ كان سبباً في نجاته.

ثم فَسَّره فقال: ﴿أن اقذفيه في التابوت﴾ أي: ضعيه فيه ﴿فاقذفيه في اليَمّ﴾.

قال ابن عباس: يريد: النيل[1].

﴿فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ بالساحل﴾ قال ابن الأنباري[2]: ظاهر هذا: الأمر، ومعناه:

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٦١) عن السدي. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٧) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٤).

الخبر، تأويله: [يلقيه][1] اليم.

ويجوز أن يكون البحر مأموراً بآلة رَكَّبها الله تعالى فيه فسَمِعَ وعَقَلَ، كما فعل ذلك بالحجارة والأشجار.

والسَّاحل: شَاطِئ البحر[2].

قال صاحب الكشاف[3]: الضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت[4]: فيه هُجْنَة[5]؛ لما يؤدي إليه من تنافر النظم.

قوله تعالى: ﴿يأخذه عَدُوٌّ لي وعَدُوٌّ له﴾ يعني: فرعون.

قال المفسرون: اتخذت أُمُّه تابوتاً وجعلت فيه قطناً مَحْلُوجاً[6] ووضعت فيه موسى، وأحكمت شقوق التابوت بالقَارِ[7]، ثم ألقته في النيل، وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون، فبينا هو جالس على رأس البركة مع امرأته آسية إذا هو بالتابوت، فأمر الغلمان والجواري بأخذه، فلما فتحوه رأوا صبياً من أحسن الناس وجهاً، فلما رآه فرعون أحبَّه حُبّاً شديداً، فذلك قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً

---

(١) في الأصل: ليلقه. والتصويب من ب، وزاد المسير (٥/ ٢٨٤).

(٢) انظر: اللسان (مادة: سحل).

(٣) الكشاف (٣/ ٦٤).

(٤) التابوت: الصندوق الذي يُحرز فيه المتاع، وعند قدماء المصريين: صندوق من حجر أو خشب توضع فيه الجثة (المعجم الوسيط ١/ ٨١).

(٥) الهُجْنَة من الكلام: ما يَعِيبُك (اللسان، مادة: هجن).

(٦) حَلَجَ القُطْنَ يَحْلِجُهُ حَلْجاً: نَدَفَه. وقطن حليج: مَنْدُوفٌ مُسْتَخْرَجُ الحَبِّ (اللسان، مادة: حلج).

(٧) القَارُ: هو صُعُدٌ يذاب فيستخرج منه القار، وهو شيء أسود تطلى به الإبل والسُّفُن، يمنع الماء أن يدخل. وقيل: هو الزِّفْت (اللسان، مادة: قير).

مِنِّي﴾[١].

قال ابن عباس: لا [يلقاك][٢] أحد إلا أحبك، لا مؤمن ولا كافر[٣].

وقال عطية العوفي: جعل عليه مسحة من جمال، لا يكاد يصبر عنه من رآه[٤].

وقال قتادة: ملاحة كانت في عيني موسى، ما رآه أحد إلا أحبه[٥].

﴿ولِتُصْنَعَ على عيني﴾ أي: لتربى وتغذى بمرأى مني.

قال قتادة: لتغذّى على محبتي وإرادتي[٦].

قال ابن الأنباري[٧]: العين في هذه الآية يقصد بها قصد الإرادة والاختيار، من قول العرب: غُذّي فلان على عيني، أي: على المحبة مني.

والمعطوف عليه محذوف، تقديره: وألقيت عليك محبة مني، ليتعطَّف عليك ويُحسن إليك.

وقيل: حُذِفَ مُعَلَّلُهُ، تقديره: ولتصنع على عيني فعلت ذلك.

---

(١) ذكر القرطبي (١١/ ١٩٥) نحوه، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٤).

(٢) في الأصل: يقاك. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٤).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (١١/ ١٩٦).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٨) وعزاه لابن عساكر.

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٢٢) ولفظه: ولتغذى على عيني. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٨) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٤).

وقرأ أبو جعفر: "ولْتُصْنَعْ" بجزم اللام والعين[١].

وقرأ أبو نهيك: بكسر اللام وفتح التاء والعين[٢].

قوله تعالى: ﴿إذ تمشي أختك﴾ العامل في الظرف: "ألقيت"، أو "ولتصنع"[٣].

والمعنى: إذ تمشي أختك مُتعرِّفةً خبرك.

قال مقاتل[٤]: اسمها: مريم.

قال المفسرون: قالت لها أمها: قصّي أثره، فاتّبعته، فلما التقطه فرعون جعل لا يَقْبَلُ ثديَ امرأة، فقالت لهم أخته: ﴿هل أدلكم على من يكفله﴾ لكم[٥]، أي: يرضعه ويضمّه إليه، فقيل لها: ومن هي؟ فقالت: أمي، قالوا: وهل لها لبن؟ قالت: لبن أخي هارون، وكان هارون أسنّ من موسى بثلاث سنين، فأرسلوها فجاءت بالأم فقبل ثديها، فذلك قوله تعالى: ﴿فرجعناك إلى أمك كي تقرّ عينها﴾ بلقائك وبقائك، ﴿ولا تحزن﴾ بفراقك[٦].

﴿وقتلت نفساً﴾ يعني: القبطي الذي وَكَزَهُ فقضى عليه ﴿فنجيناك من الغم﴾ أي: خلصناك منه، وذلك أنه خاف الإثم والقَوَد، فغفر الله له حين قال: ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾ [القصص:١٦]، ونجا من فرعون حين هرب إلى مَدْين.

﴿وفتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ قال بعض النُّحَاة: هذا من باب: ضَرَبْتُ ضَرْباً، فينتصب على

---

(١) النشر (٢/ ٣٢٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٣).

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٢٧).

(٣) وهو قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦٥).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٩).

(٥) ساقط من ب.

(٦) انظر: الطبري (١٦/ ١٦٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٥).

المصدر.

قال الزمخشري(١): يجوز أن يكون مصدراً على فُعُول في المتعدي؛ كالثُّبُور والشُّكُور والكُفُور، وجمع فُتَنٍ أو فَتْنَةٍ، على ترك الاعتداد بتاء التأنيث؛ كحُجُورٍ وبُدُورٍ، في حُجْرَة وبَدْرَة، أي: فَتَنَّاكَ ضُروباً من الفِتَن.

قال ابن عباس: الفُتُون: وقوعه في محنة [بعد محنة](٢) خلصه الله تعالى منها، أولها: أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم إلقاؤه في البحر، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي [أمه](٣)، ثم جَرُّهُ لحية فرعون حتى همّ بقتله، ثم تناولُه الجمرة بدل الدُّرَّة، ثم قتلُه القبطي، ثم خروجه إلى مدين خائفاً. وكان ابن عباس يقصّ هذه القصص على سعيد بن جبير ويقول له عند كل بلية: وهذا من الفُتُون يا ابن جبير(٤).

قوله تعالى: ﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾ فيه إضمار تقديره: وفَتَنَّاك فُتُوناً فخرجت إلى أهل مدين فلبثت سنين.

---

(١) الكشاف (٣/ ٦٥).

(٢) زيادة من الوسيط (٣/ ٢٠٦)، وزاد المسير (٥/ ٢٨٥).

(٣) مثل السابق.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١٦٤-١٦٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٩٦-٤٠٠)، وأبو يعلى في مسنده (٥/ ١٠-١٧) كلهم عن سعيد بن جبير قال: سألنا عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿وفتناك فتونا﴾... وساقوا الحديث بطوله. وذكره الماوردي (٣/ ٤٠٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٥-٢٨٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٩-٥٧٢) وعزاه لابن أبي عمر العدني في مسنده وعبد بن حميد والنسائي وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

ومَدْيَن: بلد شعيب، وهو على ثمان مراحل من مصر[(١)].

واختلفوا في مدة إقامة موسى به؛ فقال ابن عباس: عشر سنين[(٢)].

وقال وهب: ثمان وعشرون سنة، منها مهر امرأته عشر سنين، وأقام ثماني عشرة سنة حتى وُلد له[(٣)].

وقال مجاهد: عشرون سنة.

﴿ثم جئت على قَدَرٍ يا موسى﴾ أي: جئت لميقات قَدَّرته لك من غير نقصان ولا زيادة، وكان ذلك على رأس أربعين سنة من عمر موسى، وهو الوقت الذي يُوحى فيه إلى الأنبياء عليهم السلام.

وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿واصطنعتك لنفسي﴾ أي: اتخذت عندك هذه الصنيعة، وأسديتُ إليك الخير، ونجيتك من مخاليب الطاغية.

"لنفسي" أي: لما أردت بك من الاختصاص بكلامي وتبليغ رسالتي، وإقامة حججي على خلقي.

﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي﴾ وهي العصا، واليد، وحَلّ العُقْدة التي ما زال

---

(١) قال ياقوت في معجم البلدان (٥/ ٧٧): مَدْيَن على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل، سُمِّيت بمدين بن إبراهيم عليه السلام.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٢٣) عن قتادة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٧٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٦).

فرعون وقومه يعرفون موسى بها.

وقيل: هي الآيات التسع.

﴿ولا تَنِيَا في ذِكْري﴾ أي: لا تَفْتُرا. يقال: وَنَى يَنِي وَنْياً؛ إذا ضَعُفَ[1].

والمعنى: لا تنسياني، ولكن دأبكما وشعاركما ذِكْري.

وقيل: المعنى: لا تَنِيَا في تبليغ رسالتي، وهو يدخل في القول الأول؛ لأن تبليغ الرسالة من جملة ذكر الله تعالى.

﴿اذهبا إلى فرعون﴾ هذا خطاب لموسى وهارون عليهما السلام.

قال العلماء بالتفسير والسِّيَر: كان هارون بمصر، فأوحى الله تعالى إليه أن يتلقَّى موسى، فتلقَّاه على مرحلة، فقال له موسى: إن الله تعالى أمرني أن آتي فرعون، فسألته أن يجعلك معي[2].

﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ لطيفاً رقيقاً، ولا تجبهاه بما يكره[3]؛ لما له من حق التربية. ولأن الرفق بمثله أنجع في نفعه.

قال ابن عباس: هو قوله: ﴿هل لك إلى أن تزكى * وأهديك إلى ربك فتخشى﴾[4] [النازعات:١٨-١٩].

وقال في رواية أخرى: كنّياه[5].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: وني).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٩).

(٣) في ب: يكرهه.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٧).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٦٩) عن السدي. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٧)، وابن الجوزي زاد المسير (٥/ ٢٨٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن =

واختلف في كنيته؛ فقيل: أبو العباس. وقيل: أبو الوليد. وقيل: أبو مرة. وقيل: أبو مصعب[١].

قال السدي: أتاه موسى فقال له: تُسلم وتُؤمن بما جئت به، وتعبُد رب العالمين على أن لك شبابك فلا تهرم، ولا ينزع منك ملكك حتى تموت، ولا تنزع منك لذة الطعام والشراب والجماع حتى تموت، فإذا مُتَّ دخلت الجنة، فأعجبه ذلك. وكان لا يقطع أمراً دون هامان، وكان غائباً، فاستشاره حين جاء فقال: قد كنتُ أرى أن لك رأياً، أنت ربٌّ فتريد أن تكون مَرْبُوباً، فَقَلَبَهُ عن رأيه[٢].

أبنا[٣] المؤيد بن محمد قال: أخبرنا عبد الجبار الخواري، أخبرنا [علي بن أحمد][٤] النيسابوري قال: سمعت إسماعيل بن أبي القاسم النصرباذي[٥] يقول: سمعت والدي، سمعت أحمد بن محمد، سمعت محمد بن إبراهيم يقول: حضرت مجلس يحيى بن معاذ، وقرأ رجل هذه الآية: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ فبكى يحيى، ثم قال: إلهي هذا رِفْقُكَ بمن يقول: أنا إله، فكيف رِفْقُكَ بمن يقول: أنت إلهي[٦].

= ابن عباس.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٧)، والقرطبي (١١/ ٢٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨٠).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٧-٢٠٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٨).

(٣) في ب: أنبأنا.

(٤) في الأصل و ب: أحمد بن علي. وهو خطأ. وهو علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، صاحب كتاب الوسيط، المتوفى سنة: ٤٦٨هـ.

(٥) في ب: النصراباذي.

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب (٤/ ١٢١). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٨)، وابن الجوزي في =

قوله تعالى: ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ التَّرَجِّي لهما، أي: اذهبا على رجائكما، أو ادعواه على الرجاء والطمع لا على اليأس من فلاحه. هذا مذهب سيبويه[1].

وقال الفراء وكثير من المفسرين والنحويين[2]: "لعله" بمعنى: لكي[3]. وقد سبق ذكره.

فإن قيل: ما الفائدة في إرسالها إليه مع العلم بأنه لا يؤمن؟

قلتُ: إلزام الحجة وقطع المعذرة. قال الله تعالى: ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾ [طه:١٣٤].

قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾

﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ قال الزجاج[4]: يبادر بعقوبتنا. يقال: قد

زاد المسير (٥/ ٢٨٨).

(١) انظر: الكتاب (١/ ٣٣١).

(٢) لم أقف عليه في المطبوع من معاني الفراء.

(٣) ولابن جرير الطبري هنا رأي أردت إضافته للمقام، قال: معنى "لعل" هاهنا الاستفهام، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى: فقولا له قولاً ليناً فانظرا هل يتذكر ويراجع، أو يخشى فيرتدع عن طغيانه (الطبري ١٦/ ١٦٩).

قال أبو حيان في البحر (٦/ ٢٣٠): والصحيح أنها على بابها من الترجي، وذلك بالنسبة إلى البشر.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٨).

فَرَطَ منه أمرٌ، أي: قد بَدَر.

قال [الزمخشري][(١)]: "فَرَطَ" بمعنى: سَبَقَ وتَقَدَّمَ. ومنه الفَارِط: الذي يتقدم الوارد، وفَرَسٌ فَرط: يسبق الخيل.

﴿أو أن يطغى﴾ يتجاوز الحد في الإساءة بنا.

وقيل: يطغى بالتخطّي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي؛ لجرأته عليك وقسوة قلبه.

﴿قال لا تخافا﴾ أي: لا تفزعا منه، ﴿إنني معكما﴾ بالنصرة والعون ﴿أسمع﴾ محاورتكم ﴿وأرى﴾ ما يجري بينكم، فأمنعكما منه بحفظي وكلايتي.

﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ أي: خَلِّ عنهم ﴿ولا تعذبهم﴾ بقتل الأبناء واستحياء النساء، والاستخدام في الأعمال الشاقة من الحفر ونقل الحجارة والبناء.

﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ علامة دالة على صحة ما ادعيناه من الرسالة.

﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ قال مقاتل[(٢)]: من آمن بالله.

قال الزجاج[(٣)]: ليس يعني به التحية، وإنما معناه: أن من اتبع الهدى سَلِمَ من عذاب الله، يدل على هذا المعنى قوله: ﴿إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذّب وتولى﴾ أي: كذب بما جئنا به وأعرض عنه.

وقد قيل: إن هذه الآية أرجى آية في القرآن.

---

(١) في الأصل: الزامخشري. انظر: الكشاف (٣/ ٦٧).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٣٠).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٨).

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ
هَدَىٰ ۝٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ
لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾

فَأَتياه فبلغاه رسالة ربهما فقال: ﴿فمن ربكما يا موسى﴾ قال صاحب الكشاف[(١)]: خاطب الاثنين، فوجّه النداء إلى أحدهما وهو موسى؛ لأنه الأصل في النبوة، وهارون وزيره وتابعه.

ويحتمل عندي: أن يكون إعراضه عن مخاطبة هارون؛ أَنَفَةً واستكباراً لموضع ادّعائه الربوبية، وتنزُّل هارون منه منزلة العبيد الممتهنين المستخدمين في سفساف الأمور، وإقباله على مخاطبة موسى لموضع تربيته، وتنزُّله منه منزلة الولد.

﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خَلْقَهُ﴾ جائز أن يكون "خَلْقَهُ" أول مفعولي "أَعْطَى" في المعنى[(٢)].

التقدير: أعطى كل شيء يحتاجون إليه، ويتوقَّف مصالحهم عليه. وهذا معنى قول قتادة[(٣)].

وجائز أن يكون ثاني مفعوليه[(٤)]، على معنى: أعطى كل شيء صورتَه وشكلَه المطابق للنَّفع المنوط به على ما اقتضته الحكمة الإلهية؛ كالعين والأذن واليد

---

(١) الكشاف (٣/ ٦٨).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٢٢)، والدر المصون (٥/ ٢٦).

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٦/ ١٧٢). وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨١) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٢٢)، والدر المصون (٥/ ٢٥).

والرِّجْل، فإن كل واحد من هذه الأعضاء مركَّبٌ على هيئة لا ينوب غيرها عنها، وفيه دقائق من الحكمة لا يتنبه لها إلا حُذّاق الأطباء، ولهذا قال بعضهم:

وَلَقَارِئُ التَّشْرِيحِ أَجْدَرُ بالتُّقَى ... مِنْ عَابِدٍ في مَسْجِدٍ مُتَبَتِّلِ

ما ذاك إلا لاطلاعه على عجائب قدرة الله ودقائق حكمته في تشريح خلق الحيوان، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وقد رُوي عن ابن عباس معنيان:

أحدهما: أعطى كل حيوان شكله وصورته، فأعطى الرجل المرأة، وأعطى البعير[١] الناقة، وأمثال ذلك[٢].

والثاني: أعطى كل نوع من أنواع الحيوان صورة مختصة به مغايرة لسائر أنواع الحيوان، فصورة الآدمي ليست كصورة الفَرَس، وليست كصورة الجَمَل[٣]، ونحو ذلك[٤].

وقرأتُ على الشيخ أبي البقاء وغيره للكسائي من رواية نصير عنه: "كل شيء خَلَقَهُ" بفتح اللام[٥]، جعله فعلاً ماضياً صفة للمضاف والمضاف إليه، وهي قراءة عمر بن الخطاب وابن عباس والأعمش.

والمعنى: ربنا الذي أعطى كل مخلوق له، فلم يَخْلُ من عطائه وإنعامه أحدٌ من

---

(١) في ب: والبعير.

(٢) انظر: الطبري (١٦/ ١٧١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٢٤)، وزاد المسير (٥/ ٢٩١). وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) في ب: وصورة الفرس ليست كصورة الجمل.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩١).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٣).

خلقه.

﴿ثم هدى﴾ كل مخلوق إلى ما يصلحه من مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك.

فانظر إلى هذا الجواب ما أخصره وأحصره، فسبحان من لا شبيه له في ذاته وصفاته.

﴿قال فما بال القرون الأولى﴾ "البال" بمعنى: الشأن والحال، و"القرون الأولى": الأمم المتقدمة، مثل قوم نوح وعاد وثمود.

وقد اختلفوا فيما سأل عنه من حالهم؛ فقال مقاتل[1]: سأله عن أخبارها وأحاديثها، ولم يكن له بذلك علم، إذ التوراة إنما نزلت عليه بعد هلاك فرعون، ﴿قال علمها عند ربي﴾.

وقال غيره: معنى الكلام: ما حال القرون الأولى، لا تعرف ما وَصَفْتَ، وإنما عبدت الأوثان، ولو كان ما ذكرت حقاً لصاروا إليه.

وهذه المجادلة تَنْعَى على اللعين جهله أو تجاهله؛ لأنه لما أجابه موسى عن قوله: ﴿من ربكما﴾ بذلك الجواب الباهر الظاهر، عَدَلَ عن سَنَن الجدال، ولجأ إلى السؤال عن أحاديث الأمم على التأويل الأول، أو إلى الاحتجاج بكثرة الهلكى على التأويل الثاني.

وهذا أحد أَفَانِينِ خُبْثِهِ وأساليب مكره عند انقطاع حجته. وإن أحببتَ زيادة علم ذلك فتَلَمَّحْ قوله لمن حوله: ﴿ألا تستمعون﴾ [الشعراء:٢٥]، حين سأل

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٣١).

موسى عن رب العالمين، فأجابه بقوله: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ [الشعراء:٢٤]، فلم يُعرِّج موسى على هذا الإيهام فقال: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ [الشعراء:٢٦]، فأجاب اللعين في السَّفَهِ حين تَغَلْصَمَ بالحق وشَرِقَ به فقال: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء:٢٧].

وقيل: المعنى: فما بال القرون الأولى لا تُبْعث.

﴿قال علمها﴾ أي: علم القرون الأولى المؤمن منهم والكافر، والشقي والسعيد، وما كان منهم من قول أو عمل ﴿عند ربي في كتاب لا يضل ربي﴾ لا يخطئ ﴿ولا ينسى﴾ ما كان من أمرهم.

تقول: ضَلَلْتُ الشَّيْءَ؛ إذا أخطأته[(١)].

وقيل: اشتقاق الضلال من الغيبوبة، ومنه: ضَلَّ الماء في اللَّبَن. فالمعنى: لا يغيبُ عن شيء، ولا يغيبُ عنه شيء.

ويلوح لي في قول موسى لفرعون: ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾ أنه قصد [شَيْنَ][(٢)] فرعون وَعَيْبَهُ بإثباته له تلويحاً، ما نَفَاهُ عن الرَّبِّ عز وجل من الضلال والنسيان تصريحاً، ولم يُصرح له بذلك عملاً بقوله: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾.

وقوله[(٣)]: "علمها": مبتدأ، خبره: "في كتاب"، وقوله: "عند ربي" معمول الخبر[(٤)]، التقدير: علمها ثابت في كتاب عند ربي.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: ضلل).

(٢) في الأصل: شيئين. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل زيادة قوله: "علمها عند ربي في كتاب". وهو وهم من الناسخ.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٢٢)، والدر المصون (٥/ ٢٦).

[ويجوز أن يكون قوله: "في كتاب" بدلاً من قوله: "عند ربي" وعند ربي هو الخبر][(١)].

ويجوز أن يكون من باب: هذا حُلْوٌ حَامِضٌ[(٢)].

وقوله: "لا يضل ربي" يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يضل عن ربي، ففي "يَضِلُّ" ضمير يعود إلى "كتاب"، أي: في كتاب غير ضال عن ربي.

الثاني: لا يضل ربي عن الكتاب، فحذف الجار والمجرور[(٣)]، كما حذف في قوله: ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً﴾ [البقرة:٤٨]، أي: فيه، وفي قوله: ﴿فإن الجحيم هي المأوى﴾ [النازعات:٣٩] أي: له.

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض مِهَاداً﴾ "الذي" مرفوع صفة لـ"ربي"، أو خبر مبتدأ محذوف، أو منصوب على المدح[(٤)].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٢٢)، والدر المصون (٥/ ٢٧).

(٣) مثل السابق.

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٧-٢٨).

وقد سبق معنى المهاد[١].

وقرأ أهل الكوفة: "مَهْداً" على معنى: مهّدها[٢].

﴿وسلك لكم فيها سُبُلاً﴾ قال ابن عباس: سَهَّلَ لكم فيها طُرُقاً[٣].

والسَّلْكُ: إدخال الشيء[٤] في الشيء[٥].

﴿وأنزل من السماء ماءً﴾ يعني: المطر. وهذا تمام الإخبار عن موسى.

ثم أخبر الله تعالى عن نفسه متصلاً بالكلام الذي قبله فقال: ﴿فأخرجنا به أزواجاً﴾ أي: أصنافاً، ﴿من نبات شتى﴾ مختلفة الألوان والطعوم والأراييح والنفع والشكل.

قال الواحدي[٦]: ولا واحد لـ"شتى" من لفظه.

وقال الزمخشري[٧]: "شتى": جمع شتيت؛ كمَرِيض ومَرْضى، وهو صفة للأزواج. ويجوز أن يكون صفة للنبات، والنبات مصدر سُمِّيَ به النَّابِتُ، كما سُمِّيَ بالنَّبْتِ، فاستوى فيه الواحد والجمع.

---

(١) في سورة الأعراف عند تفسير الآية رقم (٤١).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٣)، والكشف (٢/ ٩٧)، والنشر (٢/ ٣٢٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٣)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٨).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٩).

(٤) ساقط من ب.

(٥) انظر: اللسان (مادة: سلك).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٠).

(٧) الكشاف (٣/ ٧٠). وفي الأصل زيادة قوله: "في".

﴿كُلُوا وارْعَوْا أنعامكم﴾ على إضمار القول، تقديره: قائلين: كُلُوا وارْعَوْا[١]، فهو حال من الضمير [في][٢] ﴿فأخرجنا﴾، أي: أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع به.

يقال: رَعَتِ الماشية الكلأ رَعْياً، ورَعَاها صاحبها رِعَاية؛ إذا سَرَحَها في المرعى[٣].

﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ أي: لذوي العقول.

قال الزجاج[٤]: واحد النُّهَى: نُهْيَة، يقال: فلان ذو نُهْيَة، أي: ذو عقل ينتهي به عن المقابح ويدخل به في المحاسن.

قوله تعالى: ﴿منها خلقناكم﴾ أي: من الأرض خلقنا أصلكم آدم، ﴿وفيها نعيدكم﴾ بعد الموت ﴿ومنها نخرجكم﴾ لفصل القضاء والجزاء ﴿تارة﴾ مرة ﴿أخرى﴾.

قوله تعالى: ﴿ولقد أريناه﴾ يعني: فرعون ﴿آياتنا كلها﴾ يعني: الآيات التسع ﴿فكَذَّبَ﴾ أي: نسب الآيات ومن جاء بها إلى الكذب ﴿وأبى﴾ أن يؤمن.

قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى

---

(١) في الأصل زيادة قوله: "أنعامكم".

(٢) زيادة من الكشاف (٣/ ٧٠).

(٣) انظر: اللسان (مادة: رعي).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٩).

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ۝٥٩﴾ ۝٥٨

قال بعضهم: يلوح من قوله: ﴿أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى﴾ أن فرائص فرعون كانت ترعد خوفاً مما جاء به موسى؛ لعلمه وإيقانه أنه على الحق، وأن المُحِقَّ لو أراد قَوْدَ الجبال لانْقَادَتْ له، وأن مثله لا يُخْذَلُ.

وقوله: "بسحرك" [تعلُّل وتحيُّر][1]، وإلا فكيف يخفى عليه أَنَّ ساحراً لا يقدر أن يُخْرِجَ مَلِكاً مثله من أرضه بالسحر.

قوله تعالى حاكياً عن فرعون[2]: ﴿فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نُخْلِفُهُ﴾[3].

وقرأتُ لأبي جعفر: "لا نُخْلِفْهُ" بسكون الفاء وضم الهاء من غير بلوغ إلى الواو[4] ﴿نحن ولا أنت﴾، ثم بيّن الموعد فقال: ﴿مكاناً﴾ المعنى: اجعل بيننا وبينك مكاناً نتواعد لحضورنا فيه، ولا يقع منا خلاف في حضوره.

وقوله: ﴿سوى﴾ اختلف القُرَّاء فيه، فقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة: "سُوىً" بضم السين، وكسرها الباقون من السبعة[5].

وقرأ أُبيّ بن كعب وأبو المتوكل وابن أبي عبلة: "سُواء" بالمد والهمز والتنوين

---

(١) زيادة من الكشاف (٣/ ٧١).

(٢) قوله: "تعالى حاكياً عن فرعون" ساقط من ب.

(٣) في الأصل زيادة قوله: "نحن ولا أنت". وستأتي لاحقاً.

(٤) النشر (٢/ ٣٢٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٤).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٣)، والكشف (٢/ ٩٨)، والنشر (٢/ ٣٢٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٤)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٨).

مع النصب، ومثلهم ابن مسعود إلا أنه كسر السين[١]، والمعنى واحد.

قال الزجاج[٢]: ومعناه: مَنْصَفاً، أي: مكاناً يكون النَّصَفُ فيما بيننا وبينك.

وروي عن الحسن: "سُوَى" بغير تنوين[٣].

قال ابن جني[٤]: تَرْكُ صَرْفِهِ مُشْكِلٌ، وذلك أنه وَصْفٌ على فُعَل، وذلك مَصْرُوفٌ عندهم؛ كَلُبَد وحُطَم، إلا أنه ينبغي أن يُحمل على الوقف.

﴿قال موعدكم يَوْمُ الزينة﴾ وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة وابن أبي عبلة والأعمش: "يَوْمَ" بالنصب[٥]. وبها قرأتُ على شيخنا أبي البقاء اللغوي لعاصم من رواية هبيرة عن حفص عنه، فمن رفع الميم جعل "اليوم" خبر "الموعد". ومن نصب فعلى معنى: موعدكم يقع يوم الزينة[٦].

﴿وأَنْ يُحشر الناس ضُحى﴾ "أَنْ" في محل الرفع، على معنى: موعدكم حشر الناس. أو في محل الجر عطفاً على "الزينة"[٧].

وقرأ عاصم الجحدري: "وأن تَحْشُر" بتاء مفتوحة وضم الشين، ونصب "الناس"[٨]، على معنى: وأن تَحْشُرَ يا فرعونُ الناسَ ضُحىً.

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٩٤).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٠).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٤).

(٤) المحتسب (٢/ ٥٢).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٤).

(٦) انظر: التبيان (٢/ ١٢٣)، والدر المصون (٥/ ٣٢).

(٧) مثل السابق.

(٨) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٩٥).

فإن قيل: ما يوم الزينة؟

قلتُ: قال مجاهد وقتادة: يوم عيدٍ لهم يَتَزَيَّنُونَ فيه(١).

وقيل: هو يوم عاشوراء(٢).

وقيل: يوم النيروز، ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة(٣). وهذه الأقوال الثلاثة مروية عن ابن عباس.

فإن قيل: لم جعل موسى موعدهم يوم الزينة ضُحىً؟

قلت: لما في ذلك من انتشار ما يظهر من الحق؛ لكثرة المشاهدين(٤) له من الخلق، مع ما في ضمن ذلك من كَبْتِ فرعون وغيظه وانحلال أمره، وإغراء الأغمار الذين استهواهم به إذا رأوه مع اقتداره وكثرة أنصاره قد خالفه موسى وعصاه، وفلَّ سيوفه بعصاه.

فصل

قال صاحب الكشاف(٥): لا يخلو الموعد في قوله: ﴿اجعل بيننا وبينك موعداً﴾ من أن يُجْعَلَ زماناً أو مكاناً أو مصدراً.

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٧٧)، ومجاهد (ص:٣٩٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨٤) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩٥).

(٤) في ب: المشاهد.

(٥) الكشاف (٣/ ٧١-٧٢).

فإن جعلته زماناً نظراً إلى[(١)] أن قوله: ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ مطابق له، لزمك شيئان؛ أن تجعل الثاني مُخْلِفاً، وأن يعضل عليك ناصب مكاناً.

وإن جعلته مكاناً لقوله: ﴿مكاناً سوى﴾ لزمك أيضاً أن تُوقِعَ الإِخْلافَ على المكان، وأن لا يطابق قوله: ﴿موعدكم يوم الزينة﴾، [وقراءة][(٢)] الحسن غير مطابقة له مكاناً وزماناً؛ لأنه قرأ "يومَ الزينة" بالنصب، فبقي أن يُجْعَلَ مَصْدراً [بمعنى الوعد][(٣)] ويُقَدَّرَ مُضَافَ محذوف، أي: مكان موعد، ويجعل الضمير في "نخلفه" للموعد، [و"مكاناً"][(٤)] بدل من المكان [المحذوف.

فإن قلت: فكيف طابقه قوله: ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ ولا بد من أن تجعله زماناً][(٥)]، والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان؟

قلتُ: هو مطابق معنىً وإن لم يطابق لفظاً؛ لأنه لا بد لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه، مشتهرٌ باجتماعهم فيه في ذلك اليوم، فبذكر الزمان عُلِمَ المكان.

وأما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير. والمعنى: إنجاز وعدكم يوم الزينة، وطباق هذا أيضاً من طريق المعنى.

---

(١) في ب والكشاف: في.

(٢) في الأصل: وقرأ. والتصويب من ب، والكشاف (٣/ ٧٢).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: مكاناً. والتصويب من ب، ومن الكشاف، الموضع السابق.

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق. وفي الأصل زيادة قوله: أن نجعل مكاناً.

فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟
عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟
أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن
يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿فتولى فرعون﴾ أي: أعرض عن الحق الذي أمر به. وقيل: تولى إلى منزله مستعداً كيداً يلقى به موسى، ﴿فجمع كيده﴾ أي: مكره وحيلته ﴿ثم أتى﴾ للموعد المجعول بينه وبينهم.

﴿قال لهم موسى﴾ أي: للسحرة منذراً ومحذراً، ﴿ويلكم﴾ قال الزجاج[1]: هو منصوب، على معنى: ألزمكم الله تعالى ويلاً. ويجوز أن يكون منصوباً على النداء، كما قال: ﴿يا ويلتى أألد وأنا عجوز﴾ [هود:٧٢]، ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ [يس:٥٢].

﴿لا تفتروا على الله كذباً﴾ قال ابن عباس: لا تشركوا معه أحداً[2].

﴿فَيَسْحَتَكُمْ﴾ قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "فَيُسْحِتَكُمْ" بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء[3].

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩٦).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٤١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٤)، والكشف (٢/ ٩٨)، والنشر (٢/ ٣٢٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٤)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٩).

قال الفراء[١]: العرب تقول: سَحَتَه الله وأسْحَتَه. والمعنى: فيستأصلكم.

﴿بعذاب وقد خاب من افترى﴾ قال قتادة: وقد خسر من كذب على الله ونسب إليه باطلاً[٢].

قوله تعالى: ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ يعني: السحرة تناظروا فيما بينهم وتشاوروا.

قال قتادة: قال بعضهم لبعض: إن كان موسى ساحراً غلبناه، وإن كان أمره من السماء كما زعم فله أمره[٣].

وقال الضحاك ومقاتل[٤]: لما سمع السحرة كلام موسى قالوا: ما هذا بقول موسى، ولكنه كلام الرب الأعلى، فعرفوا الحق، ثم نظروا إلى فرعون وعِزّ سلطانه، وموسى وعصاه، فَنُكِسُوا على رؤوسهم فقالوا: ﴿إن هذان لساحران﴾[٥].

وقال السدي: الذي أسرّوه قولهم: ﴿إن هذان لساحران﴾[٦].

واختلف القُرَّاء في هذا الحرف؛ فقرأ أبو عمرو: "إِنَّ هَذَينِ" على إعمال "إِنَّ"، وقال: إني لأستحيي من الله أن أقرأ: "إِنَّ هَذَانِ". وقرأ ابن كثير "إِنْ" مخفَّفة، "هَذَانِّ"

---

(١) معاني الفراء (٢/ ١٨٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١١).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٧٩). وذكره الماوردي (٣/ ٤١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٣٣٣).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩٧).

(٦) ذكره الماوردي (٣/ ٤١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩٧).

بتشديد النون، ومثله حفص إلا أنه خفف نون "هَذَانِ" أيضاً. وقرأ الباقون "إِنَّ" بالتشديد، "هَذَانِ" بالتخفيف والألف[١].

وأما أبو عمرو فإنه قرأ على ما تقتضيه العربية، غير أنه خالف الإمام.

قال الزجاج[٢]: لا أحب قراءته؛ لأنها خلاف المصحف، ولا أجيز مخالفة المصحف؛ لأن اتباعه سُنَّة.

قلتُ: وقد روي عن أبي عمرو أنه قال: هذا الحرف غلط من الكاتب.

وفي هذا بُعْدٌ؛ لما فيه من نسبة الأئمة والأُمَّة إلى تقرير الخطأ في الكتاب العزيز.

وأما ابن كثير فوجه قراءته أَنَّ "إِنْ" مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية.

ومنهم من يقول معناها: ما هذان إلا ساحران؛ كقوله: ﴿وإن نظنك لمن الكاذبين﴾ [الشعراء:١٨٦]، وأنشدوا:

ثكلتك أمك إن [قتلت][٣] لمسلماً   حَلَّتْ عليك عقوبة الرحمن[٤]

أي: ما قتلت إلا مسلماً.

قال الزجاج[٥]: ويشهد لهذه القراءة ما روي عن أُبيّ بن كعب أنه قرأ: "ما

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٤-٤٥٦)، والكشف (٢/ ٩٩)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٤)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٤).

(٣) في الأصل: قلت. والتصويب من ب.

(٤) انظر البيت في: القرطبي (٢/ ٤٢٧)، وزاد المسير (٥/ ٢٩٨) وفيه: "عليه" بدل "عليك"، و"المتعمد" بدل "الرحمن".

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٦١).

هذان إلا ساحران". وروي عنه: "إنْ هذان إلا ساحران".

قال بعضهم: وقراءة ابن كثير جيدة، جمع فيها بين اتّباع المصحف وصحة الإعراب.

وأما الباقون؛ فلما قرأوا به وجوه:

أحدها: ما قاله ابن الأنباري: أنها لغة لبني الحارث بن كعب(١) وافقتها لغة قريش(٢).

قال الزجاج(٣): وحكى أبو عبيدة(٤) عن أبي الخطاب -وهو رأس من رؤوس الرواة-: أنها لغة لكِنَانة، يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد. تقول: أتاني الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، وأنشدوا:

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغاً لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا(٥)

---

(١) بلحارث بن كعب: فخذ من القحطانية، وهم بنو بلحارث بن كعب، من مذحج (نهاية الأرب للنويري ٢/ ٣٠٣، ومعجم قبائل العرب ١/ ١٠٢).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩٨).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٢).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢١).

(٥) البيت للمُتَلَمّس، وهو جرير بن عبد المسيح، وأخواله بنو يشكر، كان نديماً لعمرو بن هند مع ابن أخته طرفة، وقصة صحيفته مشهورة، وكان قد نشأ في أخواله بني يشكر، فسأل عمرو بن هند خاله الحارث، فتردد في نسبه، فقال عمرو: ما أراه إلا كالساقط بين الفراشين، فلما بلغ ذلك المتلمس قال قصيدة يعاتب فيها خاله.

انظر البيت في: ابن يعيش (٣/ ١٢٨)، والأشموني (١/ ٧٩)، ومعاني الفراء (٢/ ١٨٤)، ومعاني الزجاج (٣/ ٣٦٢)، واللسان، مادة: (صمم)، والطبري (١٦/ ١٨٠)، والقرطبي (١١/ ٢١٧)، والماوردي (٣/ ٤١١)، وزاد المسير (٥/ ٢٩٨)، والاستيعاب (٣/ ١١٥٩)، وروح المعاني =

وقال الآخر:

تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذْنَاهُ طَعْنَةً ....[(١)]

وقال الآخر:

إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَغَا فِي المَجْدِ غَايَتَاهَا[(٢)]

الثاني: أن فيها هاء مضمرة، التقدير: إِنَّه هَاذان، ودخول [اللام][(٣)] في "لساحران" لمراعاة اللفظ.

الثالث: ما قاله الزجاج[(٤)]: الذي عندي وكنت عرضته على [عَالِمَيْنا][(٥)] محمد بن يزيد وعلى إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن [زيد][(٦)] فقبلاه، وذكرا أنه أجود ما [سمعاه][(٧)] في هذا، وهو أَنَّ "إِنَّ" قد وقعت موقع "نَعَمْ"، وأَنَّ اللام وقعت =

(١٦/ ٢٢٣).

ومعنى صَمَّمَ: عَضَّ في العظم. والشُّجاع: الذَّكر من الحيّات.

ومحل الشاهد في البيت: "لناباه" حيث أجراه بالألف مع وجود حرف الجر، وذلك كالمقصور، وكان من حق الكلام: "لنابيه".

(١) صدر بيت لهَوْبَر الحارثي، وعجزه: (دَعَتْهُ إلى هابي التُّرابِ عَقيمِ). انظر: اللسان، مادة: (صرع، شظي، هبا)، والقرطبي (١١/ ٢١٧).

(٢) البيت لرؤبة. انظر: ديوانه (ص:١٦٨)، والخزانة (٧/ ٤٥٥)، وأوضح المسالك (١/ ٤٦)، والشافية (١/ ١٨٤).

(٣) زيادة من ب.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٣-٣٦٤).

(٥) في الأصل و ب: عالمنا. والتصويب من معاني الزجاج (٣/ ٣٦٣).

(٦) في الأصل: يزيد. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٧) في الأصل و ب: سمعنا. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

موقعها، وأَنَّ المعنى: نَعَمْ هذان لهما ساحران.

والذي يلي هذا في الجودة: مذهب بني كنانة في ترك ألف التثنية على هيئةٍ واحدة؛ لأن حق الألف أن تَدُلَّ على الاثنين، وكان حقُّها أن لا تتغير كما لا تتغير ألف (رحى) و(عصى)[١]، ولكن كان نقلها إلى الياء في الخفض والنصب أبينُ وأفضلُ [للتمييز][٢] بين المرفوع والمنصوب والمجرور.

قال الزجاج[٣]: قال النحويون القُدَمَاء: هاهنا هاء مضمرة. المعنى: إنه [هذان][٤] لساحران، ويَحْتَجُّون بأن هذه اللام أصلها أن تقع في الابتداء، وأن وقوعها في الخبر جائز، وينشدون في ذلك:

خَالي لأَنْتَ وَمَنْ جَرِيرٌ خَالُهُ ... يُنَلِ العُلَى وَيُكَرِّمِ الأَخْوَالا[٥]

وأنشدوا أيضاً:

أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ ... تَرْضَى مِنَ اللَّحْمِ بعَظْمِ الرَّقَبَهْ[٦]

---

(١) أي يعامل المثنى معاملة المقصور.

(٢) زيادة من معاني الزجاج (٣/ ٣٦٤).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٢-٣٦٣).

(٤) في الأصل: لهذان. والتصويب من ب، ومن معاني الزجاج (٣/ ٣٦٢).

(٥) انظر البيت في: اللسان (مادة: شهرب)، والقرطبي (١١/ ٢١٩)، ومعاني الزجاج (٣/ ٣٦٣).

(٦) البيت لرؤبة. انظر: ديوانه (ص: ١٧٠)، واللسان (مادة: شهرب)، والخزانة (٣/ ١٣٠)، ومغني اللبيب (١/ ٢٣٠، ٢٣٣)، والهمع (١/ ١٤٠)، والتصريح (١/ ١٧٤)، ومعاني الزجاج (٣/ ٣٦٣)، والدر المصون (٥/ ٣٥).

والحُلَيْس: كساء رقيق يكون تحت البَرْذَعَة (اللسان، مادة: حلس).

والشَّهْرَبة: العجوز الكبيرة الطاعنة في السن (اللسان، مادة: شهرب).

وقال الزمخشري(١): قال بعضهم: "إِنَّ" بمعنى: "نَعَم"، و"سَاحِرانِ" خبر مبتدأ محذوف، واللام داخلة على الجملة تقديره: لَهُما ساحران. وقد أُعْجِبَ به أبو إسحاق -يعني: الزجاج-(٢).

وأنشد الزجاج(٣) وغيره مستشهدين على وقوع "إِنَّ" موقع "نَعَم" قول الشاعر:

بَكَرَتْ عَلَيَّ عَوَاذِلِي يَلْحَيْنَنِي وَأَلُومُهُنَّه
وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلاكَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهْ(٤)

أي: نعم.

ويروى: أن أعرابياً(٥) سأل ابن الزبير شيئاً فَحَرَمَهُ، فقال: لَعَنَ الله ناقةً حملتني إليك، فقال ابن الزبير: إِنَّ وصاحِبَها. أي: نَعَمْ(٦).

قوله تعالى: ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ وقرأت لأبان عن عاصم: "ويُذْهِبا"

---

(١) الكشاف (٣/ ٧٤).

(٢) انظر: معاني الزجاج (٣/ ٣٦٣).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٣).

(٤) البيت لعبدالله بن قيس الرُّقَيَّات العامري، من أهل الحجاز، مدح مصعب بن الزبير وعبدالملك، وسمي بالرّقيات؛ لأنه شَبَّبَ بثلاث نسوة كل تسمى رقية، وقيل: لأن له ثلاث جدات كل تسمى رقية. كان شعره يمتاز بالرقة. انظر: ديوانه (ص:٦٦)، والكتاب (٣/ ١٥١)، واللسان (مادة: أنن)، وابن يعيش (٣/ ١٣٠)، وابن الشجري (١/ ٣٢٢)، والقرطبي (٦/ ٢٤٧، ١١/ ٢١٨)، والماوردي (٣/ ٤١١)، والدر المصون (٢/ ٥٧٣، ٥/ ٣٥)، وروح المعاني (١٦/ ٢٢٢).

(٥) وهو عبد الله بن فضالة بن شريك. وقيل: إنه فضالة -والده- (انظر تخريج الرواية).

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٨٣)، والإصابة (٥/ ٣٨٩).

بضم الياء وكسر الهاء[١].

قال الزجاج[٢]: معناه في قول النحويين: بجماعتكم الأشراف. والمُثْلى: تأنيث الأَمْثَل، ومعنى الأَمْثَل والمُـثْلَى: أي: ذوو الفضل الذي يستحق [أن][٣] يقال [فيه][٤]: هذا أمثل قومه.

وفي التفسير: ﴿بطريقتكم المثلى﴾ بأشرافكم، والعرب تقول للرجل الفاضل: هذا طَرِيقَةُ قومه، ونَظِيرة قومه، ونَظُورَة قومه، كلّ هذا للرجل الفاضل. وتأويله: أن هذا الذي ينبغي أن يجعله قومُه قدوةً ويسلكوا طريقته. والذين قالوا: هذا نظورة قومه، معناه: الذي ينظر إليه قومه ويتبعونه.

قال[٥]: والذي عندي -والله أعلم- أن في الكلام محذوفاً يدل عليه ما بقي، إنما المعنى: ويذهبا بأهل طريقتكم المثلى، وكذلك قول العرب: هذا طريقة قومه، أي: صاحب طريقة قومه.

قال قتادة: طريقتهم المثلى يومئذ: بنوا إسرائيل، فقالوا: إنما يريدان [أن][٦] يذهبا بهم لأنفسهما[٧].

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٩٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٤-٣٦٥).

(٣) زيادة من ب، ومعاني الزجاج (٣/ ٣٦٤).

(٤) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) أي: الزجاج.

(٦) زيادة من ب.

(٧) أخرجه الطبري (١٦/ ١٨٢). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٣).

والمنقول عن ابن عباس: المعنى: ويذهبا بدينكم المستقيم[(١)].

قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا﴾ قرأ أبو عمرو بوصل الهمزة وفتح الميم[(٢)]، مِنْ جَمَعْتُ، يريد: لا تدعوا شيئاً من ﴿كيدكم﴾ أي: سحركم ومكركم إلا جئتم به.

[ويؤيد][(٣)] هذه القراءة: ﴿فجمع كيده﴾[(٤)] [طه:٦٠]. وقرأ الباقون: "فَأَجْمِعُوا" بقطع الهمزة وكسر الميم، مِنْ أَجْمَعْتُ[(٥)].

قال الفراء[(٦)]: الإجماع: الإحكام والعزيمة على الشيء. تقول: أجمعتُ الخروج، مثل: أزمعتُ.

﴿ثم ائتوا صفاً﴾ مُصْطَفِّينَ مجتمعينَ ليكون أنظم لكم وأشدّ لهيبتكم. فنصب

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٦)، والكشف (٢/ ١٠٠)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٤)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٩-٤٢٠).

(٣) في الأصل: يؤيد. والتصويب من ب.

(٤) قال الطبري (١٦/ ١٨٤): قوله: ﴿فجمع كيده﴾ غير شبيه المعنى بقوله: ﴿فأجمعوا كيدكم﴾، وذلك أن فرعون كان هو الذي يجمع ويحتفل بما يغلب به موسى مما لم يكن عنده مجتمعاً حاضراً، فقيل: ﴿فتولى فرعون فجمع كيده﴾.

وقد رجّح قراءة من قرأ بهمز الألف في قوله: ﴿فأجمعوا﴾، وعلّل ذلك بأن السحرة هم الذين كانوا به معروفين، فلا وجه لأن يقال لهم: اجمعوا ما دعيتم له مما أنتم به عالمون؛ لأن المرء إنما يجمع ما لم يكن عنده إلى ما عنده، ولم يكن ذلك يوم تزيد في علمهم بما كانوا يعملونه من السحر، بل كان يوم إظهاره، أو كان متفرقاً مما هو عنده بعضه إلى بعض، ولم يكن السحر متفرقاً عندهم فيجمعونه.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٦)، والكشف (٢/ ١٠٠)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٤)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٩-٤٢٠).

(٦) معاني الفراء (٢/ ١٨٥).

"صفاً" على الحال. وقيل: هو مفعول به[١]، أي: إيتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم.

قال الزجاج[٢]: يقال: أتيتُ صَفّاً، بمعنى: أتيتُ المُصَلَّى.

والأول أجود.

قال الحسن: كانوا خمسة وعشرين صَفّاً[٣].

﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ قال ابن عباس: فاز من غلب، يريد: أنه علا بالغلبة[٤].

قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَـٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾

﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى﴾ قال صاحب الكشاف[٥]: هذا التخيير منهم استعمالُ أدبٍ حسنٍ معه، وتواضعٌ له، وتنبيهٌ على

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٢٣)، والدر المصون (٥/ ٣٧).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٥).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠٠).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠١).

(٥) الكشاف (٣/ ٧٤-٧٥).

إعطائهم النَّصَفَة من أنفسهم، وكَأَنَّ الله عز وجل أَلهَمَهُمْ ذلك، وعَلَّمَ موسى عليه السلام اختيار إلقائهم أولاً، مع ما فيه من مقابلة أَدَبٍ بأَدَب، حتى يُبرزوا ما معهم من مكايد السحر، ويستنفذوا أقصى طَوْقِهِم ومجهودِهم، فإذا فعلوا أظهر الله تعالى سلطانه، وقذف بالحق على الباطل فَدَمَغَهُ، وسَلَّطَ المعجزة على السحر فَمَحَقَتْه، وكانت آية نَيِّرَةً للناظرين، وعبرة بَيِّنَةً للمعتبرين.

قوله تعالى: ﴿فإذا حبالهم وعصيهم﴾ هذه التي يقال لها: "إذا" المفاجأة، المعنى: ففاجأ حبالهم وعصيهم.

قال الزجاج[١]: يجوز في عِصِي: عُصِيٌّ، والكسر أكثر، والأصل الضم[٢]، إلا أن الكسر يَثْقُلُ بعد الضم، فلذلك اختير كسر العين.

﴿يُخَيَّلُ إليه﴾ يشبّه إليه، ﴿من سحرهم أنها تسعى﴾.

قال الكلبي: خُيِّلَ إلى موسى أن الأرض حَيَّات كلها، وأنها تسعى على بطونها[٣].

والأكثرون قرأوا: "يُخَيَّلُ" بالياء.

وقرأتُ لروح عن يعقوب: "تُخَيَّلُ" بالتاء[٤].

وموضع "أَنَّ" على قراءة الأكثرين: الرفع، على معنى: يخيل إليه سعيها.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٥-٣٦٦).

(٢) لأنه فعول.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٤). وفي ب: بطنها.

(٤) الحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٧)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٥). ولم يجوِّز الطبري في تفسيره (١٦/ ١٨٦) غير القراءة بالياء؛ لإجماع الحجة من القُرَّاء عليه.

وموضعها على القراءة الأخرى: الرفع أيضاً على البدل، على معنى: يخيل إليه سعايتها، وأبدل "أنها تسعى" من المضمر؛ لاشتماله على المعنى. أو النصب، على معنى: يخيل إليه ذات سَعْي. هذا قول الزجاج[١].

قال بعض المفسرين: يروى أنهم لطّخوها بالزِّئْبق، فلما أصابها حَرّ الشمس اضطربت واهتزّت[٢].

وليس هذا القول بشيء ولا هو من باب السحر، وكيف يكون ذلك والله تعالى يقول: ﴿وجاؤوا بسحر عظيم﴾ [الأعراف:١١٦].

قال المفسرون: وظن[٣] موسى أنها تقصده ﴿فأوجس﴾ أي: أضمر ﴿في نفسه خيفة موسى﴾ قيل: إنه خوف الطبع البشري. وقيل: خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعونه.

﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ أي: الأظهر بالظفر والغلبة.

﴿وألقِ ما في يمينك﴾ يريد: العصا ﴿تَلَقَّفْ﴾ وقرأ ابن ذكوان: "تَلَقَّفُ" بالرفع على الاستئناف أو الحال من "ما"، أو من الضمير في الظرف، وحفص يخفّفها[٤]، وقد سبق ذلك في الأعراف[٥].

﴿إنما صنعوا﴾ أي: زوّروا ﴿كَيْدُ ساحر﴾.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٦).

(٢) ذكره أبو السعود في تفسيره (٦/ ٢٧).

(٣) في ب: فظن.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٧)، والكشف (٢/ ١٠١)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٠-٤٢١).

(٥) آية رقم: ١١٧.

وقرأ ابن مسعود: "كَيْدَ" بالنصب[1]. فمن رفع جعل "ما" موصولة.

قال الزجاج[2]: على معنى: أن الذي صنعوه كيد ساحر، على خبر "إنَّ"، و"ما" اسم. ومن نصب جعلها "إنَّما" الكافة.

قال الزجاج[3]: جعل "ما" تمنع "إنَّ" العمل، ليسوغ للفعل أن يكون بعدها، وينصب "كَيْدَ ساحر" بـ"صَنَعُوا"، كما تقول: إنما ضربتُ زيداً.

وقرأ حمزة والكسائي: "كَيْدُ سِحْرٍ"[4]، على معنى: كيدٌ ذي سِحْرٍ، أو على معنى: [تبيين][5] الكيد؛ لأنه يكون سِحْراً وغير سِحْر، كما تَبِينُ المائة بدرهم.

وقيل: جعلهم لِتَوَغُّلِهِمْ في السِّحر كأنهم السِّحْرُ بعينه.

﴿ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حيث أتى﴾ أي: أَيَّةَ سَلَكَ وأينما كان.

وروى جندب بن عبدالله البجلي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أخذتم الساحر فاقتلوه، ثم قرأ: ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ قال: لا يَأْمَنُ حَيْثُ وُجِدَ»[6].

فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٠٦).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٧).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٧).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٨)، والكشف (٢/ ١٠٢)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢١).

(٥) في الأصل: يتبين. والتصويب من ب.

(٦) أصل الحديث أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠) ولفظه: "حَدُّ الساحر ضربةٌ بالسيف"، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٢٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨٦) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ
أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى
فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا
بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾

﴿فألقي السحرة سجداً﴾ اضطرَّهم ما شاهدوه من المعجز إلى السجود بعد الجحود.

قال عكرمة: لما خَرُّوا سُجَّداً أراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة(١).

﴿قالوا آمنا برب هارون وموسى * قال آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ ذُكر في الأعراف(٢).

﴿إنه لكبيركم﴾ أي: لُمَعَلِّمُكُم ﴿الذي علمكم السحر﴾ قال الكسائي: إذا جاء الصبي بالحجاز من عند مُعلِّمه يقول: جئت من عند كبيري(٣).

والمعنى: إنه لعظيمكم الذي ترجعون إليه في أمر السحر.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨٦-٥٨٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. وذكره الآلوسي في تفسيره روح المعاني (١٦/ ٢٣٠) ثم قال: واستبعد ذلك القاضي بأنه كالإلجاء إلى الإيمان وأنه ينافي التكليف، وأجيب بأنه حين كان الإيمان مقدماً على هذا الكشف فلا منافاة ولا إلجاء.

(٢) عند تفسير الآيتين رقم: [١٢٢-١٢٣].

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠٧).

قوله: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ قال الأكثرون: "في" بمعنى: "على"[1].

قال الزمخشري[2]: شُبّه تمكُّنُ المصلوب في الجذع بتمكُّن الشيء الموعى في وعائه، فلذلك قيل: ﴿في جذوع النخل﴾.

وقال غيره: جعل [الجذوع ظروفاً][3] لهم فصاروا هم فيها.

﴿ولتعلمنّ﴾ أيها السحرة ﴿أيُّنا أشد عذاباً وأبقى﴾.

قال جمهور المفسرين: المعنى: ولتعلمنّ أيها السحرة أينا أشد عذاباً لكم وأدوم، أنا على إيمانكم، أو رب موسى على ترككم [الإيمان][4] به[5].

وقال صاحب الكشاف[6]: "أيُّنا" يريد نفسه اللعينة وموسى ﷺ، بدليل قوله: "آمنتم له"، واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله؛ كقوله: ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ [التوبة:٦١].

قال الزجاج[7]: "أيّ" رُفِعَتْ؛ لأنها وُضعت موضع الاستفهام، ولا يعمل ما قبل "أيّ" فيها؛ لأن ما قبلها خبر وهو استفهام، فلو عمل فيها لجاز أن يعمل فيما بعد الألف في قولك: قد علمتُ أزيدٌ في الدار أم عمرو.

﴿قالوا لن نؤثرك﴾ أي: لن نختارك يا فرعون ﴿على ما جاءنا من البينات﴾

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠٧).

(٢) الكشاف (٣/ ٧٨).

(٣) في الأصل: الجذع ظرفاً. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: إيمان. والتصويب من ب.

(٥) انظر: الطبري (١٦/ ١٨٩)، والوسيط (٣/ ٢١٤)، وزاد المسير (٥/ ٣٠٧).

(٦) الكشاف (٣/ ٧٨).

(٧) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٨).

وهي: اليد والعصا.

وقيل: هي ما شاهدوه حين سجدوا لرب العالمين من منازلهم في الجنة.

﴿والذي فَطَرنا﴾ أي: خَلَقَنا، وهو عطف على ما قبله، تقديره: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات وعلى الذي فطرنا.

وقيل: هو قسمٌ تقديره: وحقّ الذي فطرنا.

﴿فاقض ما أنت قاض﴾ أي: اصنع ما أنت صانع، فـ"ما" هاهنا مفعول. ويجوز أن تكون ظرفاً، على معنى: فاقض مدة كونك قاضياً[(١)].

﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ قال ابن عباس: إنما سلطانك وملكك في هذه الحياة الدنيا، فأما الآخرة فليس لك فيها حظ ولا سلطان[(٢)].

﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾ قال ابن عباس: يريد: الشرك[(٣)].

﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ قال الزجاج[(٤)]: موضع "ما" نصب، على معنى: ليغفر لنا خطايانا، وإكراهك إيانا على السحر.

وقال ابن الأنباري: التقدير: ليغفر لنا ربنا خطايانا من السحر وما أكرهتنا عليه، فيكون "مِنْ" تبييناً لـ"خطايانا"، [ويكون][(٥)] "ما" نفياً، أي: السحر الذي لم تكرهنا عليه، فإنا معذورون فيما أكرهتنا عليه، فَقَدَّمَ كناية المجرور بـ"مَنْ" على

---

(١) التبيان (٢/ ١٢٤)، والدر المصون (٥/ ٤١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠٨).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٩).

(٥) في الأصل: ويكو. والتصويب من ب.

المجرور.

وقال أبو علي[1]: قوله: "وما أكرهتنا عليه من السحر" ليس معطوفاً على "خطايانا"، بل هو مرفوع بالابتداء، والخبر مضمر اسْتُغْنِيَ عن ذكره لطول الكلام بالصلة، أي: وما أكرهتنا عليه مَحْطُوطٌ عَنَّا مَغْفُورٌ لنا، فيكون الوقف -على قول أبي علي- على قوله: "خطايانا".

ومن قال: إن "ما" نافية لم يُجِز الوقف على "خطايانا"؛ لأنه يجعل قوله: "من السحر" تبييناً لـ"خطايانا".

قال ابن عباس: كان فرعون يُكره الناس على تعلّم السحر[2].

قال مقاتل[3]: كانت السحرة اثنين وسبعين ساحراً، اثنان من القبط -وهما رأسا القوم-، وسبعون من بني إسرائيل، وكان فرعون أكره السبعين على تعلم السحر[4].

﴿والله خير وأبقى﴾ أي: خير منك ثواباً إذا أطيع، وأبقى منك عقاباً إذا عُصي، وهذا جواب لقوله: ﴿ولتعلمنّ أينا أشدّ عذاباً وأبقى﴾.

إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ

---

(١) لم أقف عليه في الحجة.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠٨).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٣٣٤) وفيه: أن السحرة كانوا ثلاثة وسبعين ساحراً.

(٤) ذكره البغوي (٢/ ١٨٧، ٣/ ٢٢٥)، وأبو السعود (٦/ ٢٦) بلا نسبة.

عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿إنه من يأت ربه مجرماً﴾ أي: مشركاً ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها﴾ فيستريح ﴿ولا يحيى﴾ حياة تنفعه.

والعرب تقول: فلان لا حي ولا ميت؛ إذا كان غير منتفع بحياته. وأنشد ابن [الأنباري](١) في هذا المعنى:

أَلاَ مَنْ لِنَفْسٍ لاَ تَمُوتُ فَيَنْقَضِي شَقَاهَا وَلاَ تَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعْمُ(٢)

﴿ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات﴾ قال ابن عباس: أدّى الفرائض(٣).

﴿فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ هي درجات الجنة، وبعضها أعلى من بعض.

والعُلى: جمع العليا، وهو تأنيث الأعلى، وقد سبق ذكره.

قرأتُ على أبي المجد محمد بن الحسين بن بهرام، أخبركم محمد بن أسعد فأقرَّ به، قال: حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، أخبرنا أبو القاسم الحنيفي، أخبرنا أبو بكر الحيري، أخبرنا عبدالله بن إسماعيل الهاشمي، حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في أفق من آفاق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنْعَمَا»(٤).

---

(١) في الأصل: ابن الأعرابي. والمثبت من زاد المسير (٥/ ٣٠٩)، ومن ب.

(٢) انظر البيت في: اللسان (مادة: طعم)، والقرطبي (٢٠/ ٢١)، والماوردي (٣/ ٤١٥)، وزاد المسير (٥/ ٣٠٩).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٠٧ ح٣٦٥٨).

هذا حديث حسن.

ومعنى: أَنْعَما: زادا على ذلك.

يقال: أَحْسَنْتَ إِلَيَّ وَأَنْعَمْتَ، أي: زِدْتَ عَلَيَّ الإِحْسَان[١]. وقيل: أنْعَما: أي: صارا على النعيم[٢].

قوله تعالى: ﴿جناتُ عدن﴾ بدل من "الدرجات العلى"[٣]، أي: أولئك لهم جنات عدن.

فإن قيل: هل يجوز الوقف على قوله: "العلى"، ويكون "جنات عدن" مرفوع بابتداء مضمر؟

قلتُ: لا يجوز؛ لأن قوله: ﴿خالدين فيها﴾ نصب على الحال مِنْ قوله: "لهم"، فالعامل في الحال: اللام، وصاحب الحال: الضمير المجرور باللام. فلو قطع "خالدين" من "لهم" لبقي الحال بلا عامل ولا صاحب.

﴿وذلك جزاء من تزكى﴾ أي: تَطَهَّرَ من الكفر والمعاصي.

قال ابن عباس: "تزكى": قال: لا إله إلا الله[٤].

فصل

اختلف العلماء في هذه الآيات الثلاث؛ فقال قوم: هي من تمام الحكاية عنهم.

وقال آخرون: هي ابتداء خبر من الله تعالى. وهو الذي يقوى في نظري.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: نعم).

(٢) في ب: وقيل: أنعما صارا إلى النعيم.

(٣) التبيان (٢/ ١٢٤)، والدر المصون (٥/ ٤٣).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٢٢٦) من قول الكلبي.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ سبق تفسيره.

والمعنى: سِرْ بهم من أرض مصر.

﴿فاضرب لهم﴾ أي: فاجعل[1] لهم، مِنْ قولهم: ضَرَبَ لي في ماله سهماً.

﴿طريقاً في البحر يَبَساً﴾ أي: يابساً، وهكذا قرأها أبو رجاء وابن السميفع[2].

﴿لا تخاف﴾ حال من الضمير في "فَاضْرِبْ"[3].

وقرأ حمزة: "لا تَخَفْ"[4] على النهي، أو على الجواب.

﴿دَرَكاً﴾ وقرأ أبو حيوة: "دَرْكاً" بسكون الراء[5]. والدَّرك: بفتح الراء وسكونها اسمان من الإدراك.

والمعنى: لا تخاف أين يُدركك فرعون من خلفك.

﴿ولا تخشى﴾ غرقاً في البحر.

فإن قيل: ما وجه قوله: "ولا تخشى" على قراءة حمزة؟

---

(١) في ب: اجعل.

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٣١٠).

(٣) التبيان (٢/ ١٢٥)، والدر المصون (٥/ ٤٣).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٨-٤٥٩)، والكشف (٢/ ١٠٢)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ض:٣٠٦)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢١).

(٥) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٤٥).

قلتُ: الاستئناف، مثل قوله: ﴿يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون﴾ [آل عمران:١١١].

وقال الفراء[١]: لو نوى حمزة بقوله: "ولا تخشى" الجزم لكان صواباً. قال الشاعر:

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لاَقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ[٢]

وقال الزمخشري[٣]: يجوز أن يكون مثل قوله:

.... كَأَنْ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيراً يَمَانِيا[٤]

ويجوز أن [لا][٥] تكون الألف المنقلبة عن الياء هي لام الفعل، ولكن زائدة للإطلاق من أجل الفاصلة؛ كقوله: ﴿فأضلونا السبيلا﴾ [الأحزاب:٦٧]، ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ [الأحزاب:١٠].

قوله تعالى: ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ قال ابن قتيبة[٦]: لحقهم.

---

(١) معاني الفراء (٢/ ١٨٧-١٨٨).

(٢) تقدم.

(٣) الكشاف (٣/ ٧٩).

(٤) عجز بيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي، وصدره: (وَتَضْحَكُ مِنّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيةٌ). انظر البيت في: خزانة الأدب (٢/ ١٩٦، ٢٠٢)، وسرّ صناعة الإعراب (١/ ٧٦)، وشرح شواهد الإيضاح (ص:٤١٤)، واللسان، مادة: (هذذ، قدر، شمس)، ومغني اللبيب (١/ ٢٧٧)، وشرح المفصل (٥/ ٩٧، ١٠/ ١٠٧)، والمحتسب (١/ ٦٩).

(٥) زيادة من الكشاف (٣/ ٧٩).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٢٨١).

وقرأ أبو عمرو في رواية هارون عنه: "فَاتَّبَعَهُمْ" بالتشديد[١].

قال الزجاج[٢]: يقال: تَبِعَ الرَّجُلُ الشَّيْءَ واتَّبَعَهُ بمعنى واحد. ومن قرأ بالتشديد ففيه دليل على أنه اتَّبَعَهُم ومعه جنوده. ومن قرأ: "فَأَتْبَعَهُم" فمعناه: ألحق بهم جنوده. وجائز أن يكون معهم على ذا اللفظ. وجائز أن لا يكون معهم إلا أنه قد كان معهم.

﴿فغشيهم﴾ أي: غطّاهم ﴿من اليمّ ما غشيهم وأضل فرعون قومه﴾ حين دعاهم إلى عبادته، ﴿وما هدى﴾ تكذيبٌ له في قوله: ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ [غافر:٢٩].

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

ثم ذكّر بني إسرائيل نِعَمَهُ فقال: ﴿يا بني إسرائيل﴾ أي: قلنا يا بني إسرائيل.

وقيل: هو خطابٌ للموجودين في زمن النبي ﷺ منهم.

﴿قد أنجيناكم من عدوكم﴾ قرأ حمزة والكسائي: "قد أَنْجَيْتُكُم"، "وَوَاعَدْتُكُم"، "مَا رَزَقْتُكُم" على لفظ الواحد. وقرأ الباقون بالنون والألف، على

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٩)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٢).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٠).

لفظ الجمع[(١)]، على مذهب التفخيم للواحد العظيم المخبر عن نفسه.

﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ وذاك أن الله تعالى وعد موسى عليه الصلاة والسلام بعد أن أغرق فرعون أن يأتي جانب الطور الأيمن ليؤتيه التوراة، فيها بيان ما يحتاج إليه بنو إسرائيل من مصالح دينهم ودنياهم.

﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ يعني: في التِّيه.

﴿كُلُوا﴾ أي: قلنا لهم كُلُوا ﴿من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه﴾ بالكفر ونسيان الشكر والتظالم فيما بينكم، والادّخار لأكثر[(٢)] من يوم وليلة.

﴿فيَحِلَّ عليكم غضبي﴾ أي: فتجب عليكم عقوبتي، مِنْ حَلَّ الدَّيْنُ يَحِلُّ؛ إذا وَجَبَ أَدَاؤُهُ[(٣)]، ومنه: ﴿حتى يبلغ الهَدْيُ مَحِلَّه﴾ [البقرة:١٩٦].

﴿ومن يَحْلِلْ عليه غضبي فقد هوى﴾ أي: هَلَكَ.

قال الزجاج[(٤)]: صار في الهاوية، وهي قَعْرُ نار جهنم.

وقرأ الكسائي: "فيَحُلَّ عليكم" بضم الحاء، "ومن يَحْلُلْ" بضم اللام[(٥)]، مِنْ حَلَّ في المكان يَحُلُّ؛ إذا نَزَلَ به[(٦)].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٠)، والكشف (٢/ ١٠٣)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٦)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٢).

(٢) في ب: أكثر.

(٣) انظر: اللسان (مادة: حلل).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٠).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٠)، والكشف (٢/ ١٠٣)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٦)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٢).

(٦) انظر: اللسان (مادة: حلل).

قوله تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن﴾ قال ابن عباس: "تاب" من الشرك، "وآمن": وَحَّدَ الله، ﴿وعمل صالحاً﴾: أدّى فرائض الله[(١)].

﴿ثم اهتدى﴾ علم أن ذلك بتوفيق الله.

وقال سعيد بن جبير: "اهتدى": لَزِمَ[(٢)] السُّنَّة والجماعة[(٣)].

وقال الضحاك: "اهتدى": استقام[(٤)].

وقال ثابت البناني: اهتدى لولاية بيت النبي ﷺ[(٥)].

وقال قتادة والزجاج[(٦)]: أقام على إيمانه حتى يموت[(٧)].

قال الزمخشري[(٨)]: كلمة التراخي دلّت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين، في "جاءني زيد ثم عمرو"، أعني: أن منزلة الاستقامة على الخير مباينةٌ لمنزلة

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) من هنا يوجد سقط في الأصل إلى قوله تعالى من سورة الأنبياء: ﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ [٩٧]. وقد استدركناه من نسخة ب.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الطبري (١٦/ ١٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٢).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٩٥). وذكره الماوردي (٣/ ٤١٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٢).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٠).

(٧) أخرجه الطبري (١٦/ ١٩٤). وذكره الماوردي (٣/ ٤١٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٢).

(٨) الكشاف (٣/ ٨١).

الخير نفسه؛ لأنها أعلى منها وأفضل.

۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ أي: أيّ شيء عجل بك عنهم، وهذا على معنى الإنكار عليه.

وكان عليه السلام قد مضى مع السبعين إلى الطور لأجل الموعد، ثم إنه تقدمهم شوقاً إلى ربه عز وجل واستنجازاً لما وعده به من إعطائه التوراة.

﴿قال هم أولاء على أثري﴾ وقُرئ شاذاً: بسكون الثاء مع الحركات الثلاث على الهمزة[1]، وبكسر الهمزة مع سكون الثاء، قرأت لرويس عن يعقوب ولعبد الوارث عن أبي عمرو من طريق القزاز[2].

والمعنى: هم بالقرب مني.

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٣١٣).

(٢) النشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٦).

قال الزجاج[(١)]: "أُولاءِ" مبني على الكسر، وقوله: "على أثري" من صلة "أولاء". ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر، كأنه قال: هم على أثري، هؤلاء [هم][(٢)]. وأجود ذلك أن يكون صلة.

قال صاحب الكشاف[(٣)]: إن قلت: "ما أعجلك" سؤال عن سبب العجلة، فكان الذي ينطبق عليه من الجواب أن يقال: طلبُ زيادة رضاك والشوق إلى كلامك، وتَنَجُّزُ موعدك، فقوله: ﴿هم أولاء على أثري﴾ كما ترى غير منطبق عليه.

قلتُ: قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين؛ [أحدهما][(٤)]: إنكار العجلة في نفسها، والثاني: السؤال عن سبب المستنكَر والحامل عليه، فكان أهم الأمرين إلى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه، فاعتلّ بأنه لم يوجد مني إلا تقدم [يسير][(٥)] مثله لا يُعْتَدُّ به في العادة [ولا يحتفل به][(٦)]، وليس بيني وبين من سبقته إلا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفدَ رأسُهم ومقدَّمُهم، ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال: ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾[(٧)].

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٠-٣٧١).

(٢) زيادة من ب. وانظر: معاني الزجاج (٣/ ٣٧١).

(٣) الكشاف (٣/ ٨١-٨٢).

(٤) زيادة من الكشاف (٣/ ٨٢).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) ثم قال -أي: الزمخشري في الكشاف (٣/ ٨٢)-: ولقائل أن يقول: حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله، فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق المترتب على حدود الكلام.

قال أبو حيان في البحر (٦/ ٢٤٨): وفيه سوء أدب على الأنبياء عليهم السلام.

قال المفسرون: لتزداد عني رضى[(١)].

﴿قال فإنا قد فتنّا قومك من بعدك﴾ أي: أوقعناهم في فتنة ومحنة بخلق العِجل.

وقال ابن الأنباري: صيرناهم مفتونين أشقياء بعبادة العجل من بعد انطلاقك إلى الجبل[(٢)].

قال المفسرون: كانوا ستمائة ألف ففتنوا، غير اثني عشر ألفاً[(٣)].

﴿وأضلَّهم السامري﴾ أي: كان سبباً في ضلالهم.

وقرأ معاذ القارئ وأبو المتوكل وعاصم الجحدري وابن السميفع: "وأضلُّهم" برفع اللام[(٤)]، على معنى: وأشدُّهم ضلالاً السامري؛ لأنه ضَلّ وأَضَلّ.

قال ابن عباس: كان السامري من أهل باجرمى[(٥)].

وقال سعيد بن جبير: كان من أهل كَرْمَان[(٦)].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٧-٢١٨).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٣١٣).

(٥) أخرجه الطبري (١/ ٢٨٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩٣) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم.

وباجرمى: قرية من أعمال البليخ قرب الرقة من أرض الجزيرة (معجم البلدان ١/ ٣١٣).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٢) عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨٨) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

وكَرْمَان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة، ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان (معجم البلدان ٤/ ٤٥٤).

وقيل: هو من قبيلة من بني إسرائيل يقال لها: السَّامِرَة[١].

قال الزجاج[٢]: وهم إلى هذه الغاية في الشام يعرفون بالسامريين.

قال وهب وغيره: واسمه: [موسى][٣] بن ظفر، وكان منافقاً قد أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر[٤].

وقد سبق في البقرة[٥] سبب اتخاذه العجل[٦]، وفي الأعراف[٧] معنى: ﴿غضبان أسفاً﴾.

﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ وهو أن يعطيكم التوراة فيها هدى ونور.

---

(١) السَّامِرَة: اسم عبراني معناه: مركز الحارس، وهي مدينة في وسط فلسطين، تقع بالقرب من جبل الجليل.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٧١).

(٣) في ب: وهب. وهو خطأ. والتصويب من تفسير الطبري (١/ ٢٨٣). وانظر: تاريخ الطبري (١/ ٢٥١).

(٤) أخرج الطبري (١/ ٢٨٢) عن ابن عباس قال: كان السامري رجلاً من أهل باجرمى، وكان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادة البقر في نفسه، وكان قد أظهر الإسلام في بني إسرائيل.
وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٩٣) عن ابن عباس.

(٥) آية رقم: ٥٢.

(٦) قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٨٠-٨١): وفي سبب اتخاذ السامري عجلاً، قولان:
أحدهما: أن السامري كان من قوم يعبدون البقر، فكان ذلك في قلبه.
والثاني: أن بني إسرائيل لما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، أعجبهم ذلك، فلما سألوا موسى أن يجعل لهم إلهاً وأنكر عليهم، أخرج السامري لهم في غيبته عجلاً؛ لما رأى من استحسانهم ذلك.

(٧) آية رقم: ١٥٠.

وقيل: الوعد الحسن قوله: ﴿وإني لغفار... الآية﴾[(١)].

وقيل: هو النصر والظفر[(٢)].

﴿أَفَطَالَ عليكم العهد﴾ أي: الزمان الذي فارقتكم فيه، ﴿أم أردتم أن يحلَّ عليكم غضب من ربكم﴾ أي: أردتم أن تصنعوا صنيعاً يكون سبباً لغضب ربكم عليكم، ﴿فأخلفتم موعدي﴾ وذلك أنهم واعدوه إنِ اللهُ أنجاهم من فرعون وسوء مَلَكَتِه أن يُوَحِّدُوا الله ويطيعوا رسوله وينصروه.

وقيل: هو ما وعدوه من حُسن الخلافة بعده، بدليل قوله: ﴿بئسما خلفتموني من بعدي﴾ [الأعراف:١٥٠].

فقال الذين لم يعبدوا العجل: ﴿ما أخلفنا موعدك بِمَلْكِنا﴾ قرئ بالحركات الثلاث على الميم في "مَلْكِنَا". فممن ضَمَّها من القُرَّاء السبعة: حمزة والكسائي، ومِمَّن فَتَحَها منهم: نافع وعاصم، والباقون منهم قرؤوا بكسرها[(٣)].

قال أبو علي[(٤)]: هي لغات.

وقال الزجاج[(٥)]: المُلْك -بالضم-: السُّلْطان والقدرة، وبالكسر: ما حَوَتْهُ

---

(١) ذكره الماوردي (٣/ ٤١٧-٤١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٣).

(٢) مثل السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٥١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦١)، والكشف (٢/ ١٠٤)، والنشر (٢/ ٣٢١-٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٦)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٢-٤٢٣).

(٤) الحجة (٣/ ١٥١).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٧١).

اليَدُ، وبالفتح: المصدر. يقال: مَلَكْتُ الشَّيْءَ أَمْلِكُهُ مَلْكاً[١].

وقال غيره: معنى الكلام على قراءة من كَسَرَ الميم: ما أخلفنا موعدك ونحن نَمْلِكُ أمرنا، ولكنا غُلبنا من جهة السامري وكيده. وقريب منه قراءة من ضَمَّ الميم، كأنهم اعتذروا بضعفهم وما فَاتَهُم من القُدرة والسلطان على الذين عبدوا العجل.

وقيل: المعنى: ما أخلفنا موعدك بِمُعاناة مُلْكِنا إن اشتغلنا بجهاده وإصلاحه. وهذا صحيح إن قلنا أنه اعتذار من لم يَتَلَبَّسْ بعبادة العجل منهم.

وإن كان اعتذاراً ممن عَبَدَ العجل؛ فالمعنى: لم نملك أنفسنا عند الوقوع في البَلِيَّة. وهذا قول ابن زيد[٢].

﴿ولكنا حَمَلْنا﴾ قرأ الحرميان وابن عامر وحفص: "حُمِّلْنا" بضم الحاء وتشديد الميم وكسرها، وقرأ الباقون بفتح الحاء والميم مخففة[٣].

﴿أوزاراً﴾ أثقالاً من الآثام والتَّبِعَات لموضع ائتمانهم ذلك.

﴿من زينة القوم﴾ قال قتادة: كانت حُلِيّاً تَعَوَّرُوها[٤] من آل فرعون، فساروا وهي معهم[٥].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: ملك).

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ١٩٨). وذكره الماوردي (٣/ ٤١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٤).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٢)، والكشف (٢/ ١٠٤)، والنشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٦)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٣).

(٤) أي: أخذوها عارية ثم يردونها.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٤) بلا نسبة.

﴿فقذفناها﴾ يعنون في الحفيرة، كما أمرهم هارون[1].

﴿فكذلك ألقى السامري﴾ أي: كما ألقينا ألقى، وكان الخبيث أراهم أنه يُلقي حلياً وإنما ألقى التربة التي أخذها من أثر حافر فرس جبريل، وكان شيطانه أوحى إليه أنها إذا خالطت مواتاً صار حيواناً.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾

﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار﴾ لما أراد الله بهم من الفتنة والابتلاء، ﴿فقالوا﴾ يعني: السامري ومن شايعه وتابعه، ﴿هذا﴾ إشارة إلى العجل ﴿إلهكم وإله موسى﴾ قال سعيد بن جبير: عكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوه شيئاً قط[2].

قوله: ﴿فنسي﴾ الظاهر في التفسير: أنه موسى[3]. وقيل: السامري[4]. رويا عن ابن عباس.

فإن قلنا: هو موسى؛ فالمعنى: فنسي موسى أن يخبركم أن هذا إلهه، أو نسي أن يطلب إلهه هاهنا وذهب يطلبه عند الطور.

---

(١) وهذا صحيح؛ لأن هارون هو الذي أمرهم أن يلقوا الزينة في الحفيرة ريثما يعود موسى.

(٢) انظر: الطبري (١/ ٢٨٣)، والوسيط (٣/ ٢١٨)، والدر المنثور (٥/ ٥٩٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٠١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٠١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩٣).

والأول قول ابن عباس[١]، والثاني قول السدي[٢].

وإن قلنا: هو السامري؛ فالمعنى: فنسي السامري إيمانه وإسلامه. روي عن ابن عباس أيضاً[٣].

ثم وبَّخهم الله على عبادتهم العجل فقال: ﴿أفلا يرون ألا يَرْجِعُ﴾ أي: أنه لا يرجع.

قال الزجاج[٤]: ويجوز "أن لا يرجع" يُنْصَبُ بـ"أن".

قال: والأول هو الاختيار.

يكون المعنى: أنه لا يرجع إليهم، كما قال: ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم﴾ [الأعراف:١٤٨].

وقرأتُ ليعقوب من رواية الوليد عنه: "يَرْجِعْ" بإسكان العين للتخفيف، كما قال:

فَاليَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ ... إِثْماً مِنَ اللهِ وَلاَ وَاغِلِ[٥]

---

(١) أخرج نحوه الطبري (١٦/ ٢٠١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩٥) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٠١). وانظر: الدر المنثور (٥/ ٥٨٨).

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٦/ ٢٠١). وذكره الماوردي (٣/ ٤١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩٣) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٣).

(٥) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:١٢٢) وروايته فيه: "فاليوم أسقى" بدل: "فاليوم أشرب". وهو في: الكتاب (٤/ ٢٠٤)، واللسان، مادة: (دلك، وغل)، والخصائص (١/ ٧٤، ٢/ ٣١٧، ٣٤٠، ٣/ ٩٦)، والمحتسب (١/ ١٥، ١١٠)، والأصمعيات (ص:١٣٠)، والدر المصون =

والمعنى: أفلا يرون أنه لا يرد عليهم جواباً، ﴿ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾ وهذا غاية العجز ونهاية النقص، فكيف اتخذتموه إلهاً؟.

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ
فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن
تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾

قوله: ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ أي: من قبْل أن يأتي موسى حين وقعوا في الفتنة.

وقال الزمخشري(١): من قبل أن يقول لهم السامري ما قال، كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه، فقبل أن ينطق السامري بادرهم هارون بقوله: ﴿إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن﴾ لا العجل، ﴿فاتبعوني﴾ في عبادته ﴿وأطيعوا أمري﴾ لا أمر السامري.

﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين﴾ أي: لن نزال مقيمين على عبادته ﴿حتى يرجع

= (١/ ٢٢٧)، والحجة للفارسي (١/ ٩١)، وجمهرة اللغة (ص:٩٦٢)، وخزانة الأدب (٤/ ١٠٦، ٨/ ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٥).

ومعنى: "مستحقب": أصله الذي يجمع حاجاته في الحقيقة، والمراد: غير مكتسب.

و"واغل": هو الذي يدخل على القوم وهم يشربون من غير أن يدعى إلى مشاركتهم.

(١) الكشاف (٣/ ٨٤).

إلينا موسى﴾ عليه السلام.

﴿قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا * ألا تتبعني﴾ "لا" زائدة، أي: ما منعك أن تتبعني في الغضب لله والأخذ على أيديهم بالإنكار الشديد.

وعن ابن عباس روايتان:

إحداهما[١]: ما منعك أن تتبعني؟ أي: تسير إليّ بمن معك من المؤمنين[٢].

والثانية: أن لا تتبعني على عادتي في مناجزتهم القتال[٣].

﴿أفعصيت أمري﴾ وهو قوله له حين فارقهم: ﴿اخلفني في قومي وأصلح﴾ [الأعراف:١٤٢].

ثم أخذ بلحيته غضباً لله تعالى، وظناً منه أنه قد وجد منه نوع تفريط، فذلك قوله: ﴿يا ابْنَ أُمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾. ثم اعتذر إليه بقوله: ﴿إني خشيت﴾ أي: خفت إن قاتلتهم أو فارقتهم بمن معي من المؤمنين ﴿أن تقول فرّقت بين بني إسرائيل﴾ وجعلتهم أحزاباً ﴿ولم ترقب قولي﴾ أي: لم تنتظر حكمي فيهم، فاسْتأنيت بهم لتكون أنت المتدارك لذلك.

وقيل: لم ترقب قولي لك: ﴿اخلفني في قومي وأصلح﴾ [الأعراف:١٤٢].

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ

---

(١) وهي اختيار ابن جرير الطبري.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٠٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٦).

﴿فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴿٩٨﴾﴾

فلما قام بعذره أقبل موسى على السامري فـ﴿قال فما خطبك يا سامريّ﴾ أي: ما شأنك؟ وما الذي دعاك إلى الضلال والإضلال؟.

﴿قال بَصُرْتُ بما لم يَبْصُروا به﴾ قال الزجاج[1]: يقال: بَصُرَ الرَّجُلُ يَبْصُرُ؛ إذا صَارَ عَليماً بالشَّيْءِ، وأبْصَرَ يُبْصِرُ؛ إذا نَظَرَ[2].

وقرأ حمزة والكسائي: "تَبْصُروا به" على الخطاب لبني إسرائيل[3].

قال له موسى: وما الذي أبصرت؟

قال: رأيت جبريل على فَرَس، فَأُلقِيَ في نفسي أن أقبض من أثرها.

﴿فقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾ قرأ جماعة منهم: ابن مسعود وابن الزبير وأبي بن كعب والحسن وقتادة: "فَقَبَصْتُ قَبْصَةً" بالصاد المهملة فيهما[4].

قال الزجاج[5]: القَبْضَة -يعني: بالضاد المعجمة-: بجملة

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٤).

(٢) انظر: اللسان (مادة: بصر).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٢)، والكشف (٢/ ١٠٥)، والنشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٧)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٤).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٧).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٤).

الكَفّ[١]، والقَبْصَة: بأطراف الأصابع[٢].

قال غيره: ونحوه: الخَضْمُ والقَضْمُ، فالخَضْمُ بالفَمِ كله[٣]، والقَضْمُ بأطراف الأسنان[٤]، وأنشدوا:

رَضُوا بِالشِّقَاقِ الأَكْلَ خَضْماً فَقَدْ رَضُوا
أخيراً مِنْ أَكْلِ الخَضْمِ أَنْ يَأْكُلُوا القَضْمَا[٥]

وقرأ ابن مسعود: "مِنْ أَثَرِ فَرَسِ الرَّسُولِ"[٦].

﴿فنبذتها﴾ ألقيتها في العجل.

﴿وكذلك﴾ أي: وكما حدثتك يا موسى ﴿سوّلت لي نفسي﴾.

ويروى: أن موسى عليه السلام همّ بقتل السامري، فأوحى الله إليه لا تقتله فإنه سَخِيّ.

فقال له موسى: ﴿فاذهب﴾ أي: اخرج من بيننا ﴿فإن لك في الحياة﴾ أي: ما دمت حياً ﴿أن تقول لا مساس﴾ أي: تقول: لا أَمَسَّ ولا أُمَسَّ، فصار طريداً فريداً يهيم مع الوحوش والسِّباع، لا يَمَسُّ أحداً ولا يَمَسُّهُ أحد إلا حُمَّ[٧] في الوقت.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: قبض).

(٢) انظر: اللسان (مادة: قبص).

(٣) انظر: اللسان (مادة: خضم).

(٤) انظر: اللسان (مادة: قضم).

(٥) البيت لأيمن بن خُرَيْم الأسدي يذكر أهل العراق حين ظهر عبد الملك على مصعب. انظر البيت في: اللسان، مادة: (خضم، قضم) وفيه: "رجوا" بدل: "رضوا".

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٥٤).

(٧) أي: أصابته الحُمَّى.

وكان إذا لقي أحداً قال له: لا مساس، أي: لا تقربني ولا تمسني، فصار ذلك عقوبة له ولولده إلى اليوم.

ويقال: إن بقاياهم في الشام، وأنهم يقولون ذلك، وإلى هذا أشار الشاعر في قوله:

تَمِيمٌ كَرَهْطِ السَّامِرِيِّ وَقَوْلِهِ ... أَلاَ لاَ يُرِيدُ السَّامِرِيُّ مِسَاسَا[1]

أي: لا يُخَالِطُون ولا يُخَالَطُون، يرميهم -والله أعلم- بالانقباض والانزواء عن الناس بسبب البخل.

﴿وإن لك موعداً﴾ لعذابك، وهو يوم القيامة ﴿لن تُخْلَفَهُ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "تُخْلِفَهُ" بكسر اللام، وقرأ الباقون بفتحها[2].

فمن كَسَرَ فالمعنى: سَتَأْتِيهِ، ولا مَذْهَبَ لَكَ عَنْهُ. ومن فَتَحَ فعلى معنى: لن يُخْلِفَكَهُ الله.

ثم أراه الله بعينه إضلال سعيه وإبطال مكره، مبالغة في تحقيره وتصغيره، فذلك قوله تعالى: ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عاكفاً﴾ يعني: العجل.

وقُرِئ شاذاً: "ظِلْتَ" بكسر الظاء[3].

قال الزجاج[4]: من فَتَحَ فالأصل فيه: ظَلِلْتَ، لكن اللام حُذفت لثِقَل

(١) انظر البيت في: مجاز القرآن (٢/ ٢٧)، والقرطبي (١١/ ٢٤٠)، والماوردي (٣/ ٤٢٤)، والبحر المحيط (٦/ ٢٥٦)، والدر المصون (٥/ ٥١)، وروح المعاني (١٦/ ٢٥٦).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٢-٤٦٣)، والكشف (٢/ ١٠٥)، والنشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٧)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٤).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٧).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٥).

التضعيف والكسر، وبقيت الظاء على أصلها. ومن كَسَرَ حَوَّل كسرة اللام على الظاء.

﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ قال ابن عباس: حَرَّقَهُ بالنار ثم ذَرَّاهُ في اليَمّ، وهو قوله: ﴿ثم لَنَنْسِفَنَّهُ في اليَمِّ نَسْفاً﴾(١).

وقرأ علي بن أبي طالب عليه السلام: "لَنَحْرُقَنَّهُ"(٢) بفتح النون وسكون الحاء وتخفيفها(٣).

قال الزجاج(٤): تأويلها: لنَبْرُدَنَّه بالمِبْرَد. يقال: حَرَقْتُ أَحْرِق وأحْرُقُ؛ إذا بَرَدْتَ الشَّيْءَ(٥).

وفي قراءة ابن مسعود: "لَنَذْبَحَنَّهُ ثم لَنُحْرِقَنَّهُ ثم لَنَنْسِفَنَّهُ"(٦).

وجاء في التفسير: أن موسى عليه السلام أخذ العجل فذبحه فسال دمه، ثم أحرقه بالنار، ثم ذَرَّاهُ في البحر(٧).

قوله تعالى: ﴿إنما إلهكم الله﴾ أي: إنما إلهكم الذي يستحق العبادة الله ﴿الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء عِلْماً﴾ أي: وسع علمه كل شيء.

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٠٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٠).

(٢) في الأصل: لَنَحْرِقَنَّهُ. والصواب بضمّ الراء.

(٣) النشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٧).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٥).

(٥) انظر: اللسان (مادة: حرق).

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٥٧).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٠).

و"عِلْماً" نَصْبٌ على التمييز[(١)].

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾

قوله: ﴿كذلك﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وقومه ﴿نقص عليك من أنباء ما قد سبق﴾ أي: من أخبار الأمم الخالية، ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكراً﴾ يعني: القرآن.

ثم توعّد من كفر به فقال: ﴿من أعرض عنه﴾ أي: أعرض عن الإيمان بالقرآن ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ حِمْلاً ثقيلاً من الإثم.

﴿خالدين فيه﴾ وَحّدَ الضمير في "أَعْرَضَ" حَمْلاً على لفظ "مَنْ"، ثم جَمَعَ فقال: "خالدين" حَمْلاً على معناها. وقد مرّت نظائر هذا في مواضع.

والنصب في "خَالِدِينَ" على الحال من الضمير في "يَحْمِلُ"[(٢)]، والضمير في "فِيهِ" راجع إلى الوِزْرِ، على معنى: خالدين في عذاب ذلك الوزر.

﴿وَسَاءَ لهم يوم القيامة حِمْلاً﴾ و"حِمْلاً" مَنصوبٌ على التمييز[(٣)].

وقال الزمخشري[(٤)]: "سَاءَ" في حكم بئس، والضمير الذي فيه يجب أن يكون

---

(١) التبيان (٢/ ١٢٧)، والدر المصون (٥/ ٥٣).

(٢) مثل السابق.

(٣) التبيان (٢/ ١٢٧)، والدر المصون (٥/ ٥٤).

(٤) الكشاف (٣/ ٨٧).

مبهماً، يُفسره "حِمْلاً". والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه، تقديره: ساء حملاً وزرهم، كما حُذِفَ في قوله: ﴿نِعْمَ العبد إنه أوّاب﴾ [ص:٣٠]، وأيوب[1] هو المخصوص بالمدح، ومنه قوله: ﴿وساءت مصيراً﴾ [النساء:٩٧]، أي: وساءت مصيراً جهنم.

فإن قلت: مَا أَنْكَرْتَ أن يكون في "ساء" ضمير الوزر؟

قلتُ: لا يصح أن يكون في "سَاءَ" ضَميرٌ وحكمه حكم بئس شيء بعينه غير مُبْهَم.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾

قوله: ﴿يوم يُنْفَخُ في الصُّور﴾ قرأ أبو عمرو: "نَنْفُخُ" بالنون، على معنى إسناد النَّفْخ إلى الآمر به، ويؤيده قوله: ﴿ونَحْشُرُ﴾. وقرأ الباقون: "يُنْفَخُ" بالياء المضمومة، على ما لم يُسَمَّ فاعله[2].

وقرأ أبو عمران الجوني: "يَنفُخُ" بفتح الياء وضَمّ الفاء[3]، والضمير لله أو لإسرافيل.

---

(١) أدرج في هامش ب لفظة: "الذي".

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٣)، والكشف (٢/ ١٠٦)، والنشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٧)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٤).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٢٠-٣٢١).

واتفق جمهور القراء على: "ونَحْشُرُ" بالنون.

وقرأ ابن مسعود وأبو عمران الجوني والحسن البصري: "ويُحْشَرُ" بضم الياء وفتح الشين، ﴿المجرمون﴾ بالواو[1].

﴿يومئذ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿زُرْقاً﴾ يريد: زُرْق العيون، والزُّرْقَة: الخُضْرَة في سواد العين[2]، والعَرَبُ تَتَشَاءَمُ بِزُرْقَةِ العيون؛ لأن الرُّوم أعداؤهم، وهم بهذه الصفة، يشير إلى تشويه خَلْقهم بزُرْقَةِ عيونهم وسَوَادِ وجوههم بسخط الله عليهم.

وقال الزهري: زُرْقُ العيون من شِدَّةِ العطش[3].

وقال ابن عباس: "زُرْقاً": عُمْياً[4]؛ لأن حَدَقَةَ من يذهبُ بصره تَزْرَاقُّ.

﴿يتخافتون بينهم﴾ يتسارَرُون بينهم ﴿إن لبثتم﴾ قال ابن عباس: يعني: في القبور[5].

﴿إلا عشراً﴾ أي: عشر ليال، ومرادهم بذلك التقليل لا التحديد.

فإن قيل: كيف تقالّوا ذلك وقد كانوا في قبورهم معذَّبين وأيام العذاب طِوَالٌ؟

قلتُ: استقصروا مدة لبثهم في القبور وإن كانوا معذبين فيها؛ لما لاَبَسَهُم من أهوال ذلك اليوم وشدائده، حتى صار عذاب القبر بالنسبة إليه كَلاَ عذاب.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٧). وانظر: زاد المسير (٥/ ٣٢٠).

(٢) انظر: اللسان (مادة: زرق).

(٣) ذكره الطبري (١٦/ ٢١٠)، والماوردي (٣/ ٤٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢١).

(٤) ذكره الطبري (١٦/ ٢١٠)، والماوردي (٣/ ٤٢٤) من قول الفراء، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢١).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢١).

وقال الحسن البصري: "إن لبثتم" يعني: في الدنيا[١]، كأنهم استذكروا أيام السرور فتأسّفوا عليها ووصفوها بالقِصَر.

وقيل: إن لبثتم بين النفختين، استقصروا ذلك؛ لأنه يُكَفُّ عنهم العذاب فيما بين النفختين، وذلك أربعون سنة.

فقال الله: ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أي: بما يتسارَرُون بينهم.

﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أعقلهم وأعدلهم، ﴿إن لبثتم إلا يوماً﴾ قال المفسرون: نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم[٢].

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الجبال﴾ قال ابن عباس: سأل رجال من ثقيف رسول الله ﷺ: كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فنزلت هذه الآية[٣].

﴿فقل ينسفها ربي نسفاً﴾ قال المفسرون: يجعلها كالرمل، ثم يرسل عليها الرياح فينسفها[٤].

---

(١) ذكره الماوردي (٣/ ٤٢٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢١).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩٨) وعزاه لابن المنذر عن ابن جريج.

(٤) ذكره الماوردي (٣/ ٤٢٥)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٢).

﴿فيذرها﴾ أي: فيدع أماكنها ﴿قاعاً صفصفاً﴾ قال الفراء[١]: القَاعُ: ما انبسط من الأرض، وجمعه قيعة[٢]، ومنه: ﴿كَسَرابٍ بِقِيعةٍ﴾ [النور:٣٩]، والصَّفْصَفُ: الأَمْلَسُ الذي لا نبات فيه[٣].

﴿لا ترى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً﴾ قال ابن عباس: العِوَجُ: الأودية، والأَمْتُ: الرَّوابي[٤].

وقال الحسن: العِوَجُ: ما انخفض من الأرض، والأَمْتُ: ما نَشَزَ من الرَّوابي[٥].

﴿يومئذ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ إلى المحشر، وهو إسرافيل، ﴿لا عِوَجَ له﴾ أي: لا يُعَوَّجُ له مَدْعُوٌّ، بل يتبعون صوته مستوين غير منحرفين عنه. وقد سبق في آل عمران[٦] الفرق بين العوج بكسر العين وفتحها.

﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ أي: خضعت وسكنت من الفزع، ﴿فلا تسمع إلا هَمْساً﴾ وهو الصوت الخفي.

---

(١) معاني الفراء (٢/ ١٩١). وفيه: القاع: مستنقع الماء.

(٢) انظر: اللسان، مادة: (قوع).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (صفف).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) ذكره الماوردي (٣/ ٤٢٦)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٣).

(٦) آية رقم: ٩٩.

قال مجاهد: هو تخافُت الكلام وخفض الصوت(١).

ويدل عليه قراءة أُبيّ بن كعب: "فلا ينطقون إلا هَمْساً"(٢).

وقال أكثر المفسرين: هو من همس الإبل، وهو صوت أخفافها(٣). قال الراجز:

وَهُنَّ يَمْشِينَ بها هَمِيسَا ....(٤)

فالمعنى: لا تسمع إلا صوت نقل الأقدام إلى المحشر.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ۝١٠٩ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۝١١١ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۝١١٢﴾

قوله: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا مَنْ أذن له الرحمن﴾ "مَنْ" في محل الرفع على

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٢١٥)، ومجاهد (ص:٤٠٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٦٠).

(٣) الطبري (١٦/ ٢١٤)، والماوردي (٣/ ٤٢٧)، والدر المنثور (٥/ ٦٠٠).

(٤) من الرجز، يروى عن ابن عباس أنه تمثل فأنشده. وبعده: (إنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسا). انظر: اللسان، مادة: (رفث، همس)، وجمهرة اللغة (ص:٤٢٢، ٨٦٣)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٤٣، ١٥/ ٧٨)، والعين (٤/ ١٠)، والطبري (٢/ ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٥/ ١٠٦، ١٦/ ٢١٤)، والقرطبي (٢/ ٤٠٧)، والماوردي (٣/ ٤٢٧)، والحجة للفارسي (١/ ٤١٩)، والبحر المحيط (٦/ ٢٥٢)، والدر المصون (٥/ ٥٦).

البدل من "الشفاعة"(١)، بتقدير حذف المضاف، تقديره: لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمن أن يشفع.

وقيل: "مَنْ" في محل النصب على المفعولية(٢)، على معنى: لا تنفع الشفاعة إلا عبداً أذن الله لمن يشاء من خلقه أن يشفع، كما قال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [الأنبياء:٢٨].

قال ابن عباس في قوله: ﴿ورضي له قولاً﴾ قال: لا إله إلا الله(٣).

قال الزمخشري(٤): "ورضي له": لأجله، أي: أذن للشافع ورضي قوله لأجله.

ونحو هذه اللام اللام في قوله: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾ [الأحقاف:١١].

﴿ولا يحيطون به علماً﴾ أي: بما بين أيديهم وما خلفهم.

وقيل: لا يحيطون بالله علماً(٥).

وقيل: المعنى: لا يحيطون بمعلوماته علماً.

قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الوجوه﴾ أي: خضعت وذَلَّت، ومنه: العاني، وهو الأسير، ومنه: الفتح عَنْوَةً. يقال منه: عَنَا يَعْنُو(٦).

---

(١) التبيان (٢/ ١٢٧)، والدر المصون (٥/ ٥٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٢).

(٤) الكشاف (٣/ ٨٩).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٣).

(٦) انظر: اللسان (مادة: عنا).

وقد ذكر في آية الكرسي تفسير "الحي القيوم"[١].

﴿وقد خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾ قال ابن عباس: خسر من أشرك بالله تعالى[٢].

قال صاحب الكشاف[٣]: المراد بالوجوه: وجوه العُصَاة، وأنهم إذا عاينوا - يوم القيامة- الخيبة والشقوة وسوء الحساب، صارت وجوههم عانية، أي: ذليلة خاشعة، مثل وجوه العُنَاة، وهم الأسارى، ونحوه قوله: ﴿فلما رأوه زُلْفَةً سِيئَتْ وجوه الذين كفروا﴾ [الملك:٢٧]، ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ [القيامة:٢٤].

"وقد خاب" وما بعده اعتراض[٤].

قوله: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾ "مَنْ" للجنس. وشَرَطَ الإيمان؛ لتوقف قبول العمل عليه.

﴿فلا يخاف﴾ أي: فهو لا يخاف.

وقرأ ابن كثير: "فلا يَخَفْ" على النهي[٥].

﴿ظُلْماً ولا هَضْماً﴾ الظُّلْمُ: أن يُؤخذ من الشخص فوق حَقِّه[٦]. والهَضْمُ: أن

---

(١) قال ابن جرير الطبري (٣/ ٥): "الحي": يعني الذي له الحياة الدائمة والبقاء الذي لا أول له يُحَدّ، ولا آخر له يؤمد، إذا كان كل ما سواه فإنه وإن كان حياً فلحياته أول محدود وآخر مأمود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها. و"القيوم": القائم برزق ما خلق وحفظه.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٤).

(٣) الكشاف (٣/ ٨٩).

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ٥٧).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٤)، والكشف (٢/ ١٠٧)، والنشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٧)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٤).

(٦) انظر: اللسان (مادة: ظلم).

ينقص من حَقِّه[١]. يقال: فُلانٌ يَهْضِمُني حَقِّي، أي: يَنْقُصُني، ومنه قول امرئ القيس:

هَصَرتْ بفَوْدي رَأْسِها فتَمايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيم الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ[٢]

قال ابن عباس: لا يخاف أن يظلم فيُزاد عليه في سيئاته، ولا أن يُهضم من حسناته[٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾

قوله: ﴿وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً﴾ عطف على قوله: ﴿كذلك نقص﴾. والمعنى: وكما أنزلنا من الآيات المتضمنة لأنواع الوعيد والتهديد، أنزلنا هذا الكتاب على هذه الوتيرة قرآناً عربياً، بيّنّا فيه ضروب التخويف.

﴿وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون﴾ الشرك والمعاصي، ﴿أو يُحدث لهم ذكراً﴾ أي: يحدث لهم اعتباراً.

ثم نزّه نفسه فقال: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ أي: جلّ وارتفع عن إلحاد

---

(١) انظر: اللسان (مادة: هضم).

(٢) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:١٥)، واللسان، مادة: (هضم) مع اختلاف في الشطر الأول، والقرطبي (١٣/ ١٢٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

الملحدين.

قال صاحب الكشاف[١]: لما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد: ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ أي: إذا لقَّنك جبريل ما نوحي إليك من القرآن فتَأَنَّ عليه ريثما يُسْمِعُك ويُفْهِمُك، ثم أقبل عليه بالتَّحَفُّظِ بعد ذلك، ولا تكن قراءتك مُساوِقَةً لقراءته، ونحوه قوله: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ [القيامة:١٦].

وقيل: معناه: لا تبلّغ ما كان منه مجملاً حتى يأتيك البيان.

قال الحسن البصري: لَطَمَ رجل امرأته، فأتت النبي ﷺ تطلب القصاص، فجعل رسول الله ﷺ بينهما القصاص، فنزلت هذه الآية، فوقف رسول الله ﷺ حتى نزل قوله: ﴿الرجال قوّامون على النساء﴾[٢] [النساء:٣٤].

وقرأتُ ليعقوب: "نَقْضِيَ" بالنون المفتوحة وكسر الضاد وفتح الياء، "وَحْيَهُ" بالنصب، وهي قراءة ابن مسعود والحسن[٣].

﴿وقل رب زدني علماً﴾ أي: فهماً في القرآن ومعانيه.

وقيل: زدني علماً بقصص أنبيائك ومنازل أوليائك.

وقيل: زدني أدباً في دينك.

وقال ابن السائب ومقاتل[٤]: زدني قرآناً[٥]؛ لأنه كلما ازداد قرآناً ازداد علماً.

---

(١) الكشاف (٣/ ٩٠).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٥٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٠٢) وعزاه للفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) النشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٨).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٢).

(٥) ذكره الماوردي (٣/ ٤٢٩) من قول ابن السائب الكلبي، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٧) =

وكان ابن مسعود إذا تلا هذه الآية قال: اللهم زدني إيماناً ويقيناً[١].

وفي ضمن أمره بسؤال الزيادة في العلم إيذان باستحباب المبالغة في طلب العلم والحكمة، وتنبيه على زيادة التواضع لله والاعتراف له بالإحاطة بالمعلومات.

وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي﴾ أي: ولقد عزمنا عليه وأوصيناه أن لا يأكل من الشجرة من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وضيعوا وصيتي...[٢] وهم المشار إليهم بقوله: ﴿لعلهم يتقون﴾. والمعنى: أن...[٣] آدم عهدنا إليه من قبل فترك ما أمرته به.

= من قول مقاتل.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٠٥)، والبيهقي في الشعب (١/ ٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٠٢) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد.

(٢) بياض في ب قدر عدة كلمات.

(٣) بياض في ب قدر عدة كلمات.

ويجوز أن يراد به النسيان الذي هو نقيض الذُّكر.

﴿ولم نجد له عزماً﴾ قال الحسن البصري: صبراً عما نُهي عنه[١].

ومعنى العزم: توطئة النفس على الشيء وتطمينها عليه، وتصميمها على فعله.

قال الحسن: كانَ عقل آدم مثل عقل جميع ولده، فقال الله: ﴿ولم نجد له عزماً﴾[٢].

قال ابن الأنباري[٣]: وهذا لا يُخرج آدم من أولي العزم، وإنما لم يكن له عزم في الأكل فحسب.

وما بعده مفسر إلى قوله: ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ قال عطاء: يريد: شقاء الدنيا ونَصَبَها[٤].

وقال السدي: يريد: الحرث والزرع والعجن والخبز[٥].

وإنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء؛ لأن الخطاب معه.

وقيل: أسنده إليه؛ لأنه في ضمن شقاء الرجل -وهو قَيِّم أهله وأميرهم-

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٢١) عن قتادة. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٥٥٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٤)، والسيوطي في الدر (٥/ ٦٠٣) وعزاه لأبي الشيخ في العظمة.

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٢٨).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٨) كلاهما عن الحسن. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٨) بلا نسبة.

شقاؤهم، كما أن في ضمن سعادته سعادتُهم.

وقيل: أُريد بالشقاء: التعب في طلب القوت -كما رويناه عن عطاء والسدي-، وذلك معصوب برأس الرجل.

قوله: ﴿إن لك ألا تجوع فيها﴾ أي: في الجنة ﴿ولا تعرى﴾.

﴿وأنك﴾ عطف على "أن لا تجوع"[1].

وقرأ نافع وأبو بكر: "وإنك" على الاستئناف[2].

﴿لا تظمأُ فيها﴾ أي: لا تعطش فيها، ﴿ولا تضحى﴾ لا تبرز للشمس فيصيبك الحَرُّ.

قال الزجاج[3]: يقال: ضَحِيَ الرَّجُلُ [يَضْحَى][4]؛ إذا بَرزَ إلى الشمس[5].

قال الشاعر:

رَأَتْ رَجُلاً أَمَّا [إِذا][6] الشَّمْس عَارَضَتْ   فَيَضْحَى وَأَمَّا بالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ[7]

---

(١) التبيان (٢/ ١٢٨)، والدر المصون (٥/ ٦٠).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٤)، والكشف (٢/ ١٠٧)، والنشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٨)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٤).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٨).

(٤) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) انظر: اللسان (مادة: ضحا).

(٦) في ب: رأى. والمثبت من معاني الزجاج (٣/ ٣٧٨). وانظر: مصادر البيت.

(٧) البيت لعمر بن أبي ربيعة، من رائيته المعروفة. انظر: ديوانه (ص:١٢١)، ومعاني الفراء (٢/ ١٩٤)، والطبري (١٦/ ٢٢٣)، والقرطبي (١/ ٢٤٤، ١١/ ٢٥٤)، والبحر المحيط (٦/ ٢٥٣)، والدر المصون (٥/ ٦١)، وروح المعاني (١٦/ ٢٧١).

ومعنى يَخْصَرُ: يُصيبه الخَصَرُ، وهو شدة البَرْدِ وبلوغه في الأطراف[١]. قال صاحب الكشاف[٢]: الشِّبَعُ والرِّيُّ والكِسْوَةُ والكِنُّ[٣]: هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان، فذكر استجماعها له في الجنة. وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجُوعُ والعُرْيُ والظَّمأُ والضَّحْوُ، لتطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حَذَّره منها، حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها.

قوله: ﴿فوسوس إليه الشيطان﴾ سبق تفسيره، ﴿قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد﴾ على شجرةٍ منْ أكل منها لم يَمُتْ، ﴿وملك لا يبلى﴾ لا يزال جديداً.

[وما بعده مُفَسَّرٌ في الأعراف[٤]][٥] إلى قوله: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ أي: ضلّ عن طريق الخلود حيث أراده من قبل المعصية.

وقال ابن الأعرابي[٦]: الغَيُّ: الفَسَادُ، المعنى: فَسَدَ عليه عَيْشُهُ.

﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ أي: وَفَّقَهُ لحفظ التوبة.

وقيل: هداه إلى التوبة، فقال: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا... الآية﴾ [الأعراف:٢٣].

قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ

(١) انظر: اللسان (مادة: خصر).

(٢) الكشاف (٣/ ٩٢-٩٣).

(٣) الكِنُّ والكِنَّةُ والكِنَانُ: وِقاء كل شيء. والكِنُّ: البيت (اللسان، مادة: كنن).

(٤) آية رقم: ٢٢.

(٥) ما بين المعكوفين زيادة يقتضيها السياق.

(٦) انظر: الوسيط (٣/ ٢٢٤)، وزاد المسير (٥/ ٣٢٩).

﴿لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾

وما بعده مُفَسَّرٌ في البقرة[١] إلى قوله: ﴿فمن اتَّبع هُداي﴾ وهو الكتاب والرسول ﴿فلا يضل ولا يشقى﴾[٢].

قال ابن عباس: لقد ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية[٣].

﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ وهو القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه، ﴿فإن له معيشةً ضَنْكاً﴾ قال الزجاج[٤]: أصل الضَّنْك في اللغة: الضِّيقُ والشِّدَّة[٥].

وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المعيشة الضَّنْك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه ليُسلط

---

(١) آية رقم: ٣٨.

(٢) في هامش ب بخط مغاير: قال الطبراني: ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثني أبي قال: وجدت في كتاب أبي بخطه: ثنا عمران بن أبي عمران، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من اتبع كتاب الله هداه من الضلالة، ووقاه سوء الحساب يوم القيامة، وذلك أن الله يقول: ﴿فمن اتبع هداي...﴾ فذكر الآية». (المعجم الكبير ١٢/ ٤٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٢٥)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٧) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٨).

(٥) انظر: اللسان (مادة: ضنك).

عليه تسعة وتسعون تِنِّيناً، [أتدرون ما التنِّين؟ تسعة وتسعون حيَّة، لكل حيَّة سبعة رؤوس][(١)] ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة))[(٢)].[(٣)] وهذا قول جمهور المفسرين.

قال أبو سعيد الخدري: المعيشة الضنك: عذاب القبر، يلتئم على صاحبه، فلا يزال يعذب حتى يبعث[(٤)].

ويروى عن ابن عباس في قوله: ﴿معيشةً ضنكاً﴾ قال: شدة عطشه في النار[(٥)].

وروي عنه أيضاً في هذه الآية قال: يُضَيَّقُ عليه أبواب الخير فلا يهتدي لشيء

(١) زيادة من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٢٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٩)، وابن حبان (٧/ ٣٩٢ ح٣١٢٢)، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٥٢١-٥٢٢)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ١٠١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٠٨) وعزاه لابن أبي الدنيا في ذكر الموت والحكيم الترمذي وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه.

(٣) في هامش ب: خرجه ابن أبي حاتم والبزار، وعنده بسند جيد من حديثه أيضاً مرفوعاً: المعيشة الضنك: عذاب القبر. وعند ابن أبي حاتم من حديث أبي سعيد رفعه: هي ضَمَّةُ القبر. والموقوف أصح، وهو ما ذُكر عنه هنا.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٢٧)، والحاكم (٢/ ٤١٣)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٤٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٧) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور ومسدد في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في كتاب عذاب القبر، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً.

قال ابن كثير (٣/ ١٧٠): رفعه منكر جداً.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣١) وفيه: شدة عيشه في النار. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٨) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿معيشة ضنكاً﴾ قال: شدة عليه في النار.

منها، وله معيشة حرام يركُضُ فيها(١).

قال الزمخشري(٢): الضَّنْكُ مصدر يستوي في الوصف به المُذَكَّر والمؤنَّث.

وقرئ: "ضَنْكَى"، على فَعْلَى.

قال(٣): ومعنى ذلك: أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته؛ فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة، فيعيش عيشاً رائعاً(٤)، كما قال الله: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ [النحل:٩٧]، والمُعْرِضُ عن الدِّينِ مُسْتَوْلٍ عليه الحِرْصُ الذي لا يزال يَطْمَحُ به إلى الازدياد من الدنيا، مُسَلَّطٍ عليه الشُّحُّ الذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشه ضَنْكٌ، وحَالُهُ مُظْلِمَةٌ، كما قال بعضهم: لا يُعْرِضُ أحد عن ذِكْرِ رَبِّهِ إلا أَظْلَمَ عليه وقته وتَشَوَّشَ عليه رزقه.

﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ قال ابن عباس: إذا أُخرج من القبر خرج بصيراً، فإذا سيق إلى المحشر عَمِيَ(٥).

وقال مجاهد: أعمى عن الحجة(٦).

﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ أنظر بعيني.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣١-٣٣٢).

(٢) الكشاف (٣/ ٩٥).

(٣) أي: الزمخشري في الكشاف.

(٤) في الكشاف: رافعاً.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣٢).

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٢٩)، ومجاهد (ص:٤٠٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٤٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.
وهذا القول هو الذي اختاره الطبري ورجَّحه.

وقال مجاهد: عالماً بحجتي (١).

﴿قال كذلك﴾ أي: مثل ذلك فعلت أنت. ثم فسَّره فقال: ﴿أَتَتْكَ آياتنا﴾ واضحة نيِّرة ﴿فنَسِيتَها﴾ تركتها جانباً لم تتدبَّرها ولم تَعْتَبِرْها، ﴿وكذلك اليوم تُنْسى﴾ تُتْرَك في النار.

أخرج الإمام أحمد في المسند من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أمير عَشَرة إلا يُؤتى به يوم القيامة مَغْلُولاً لا يَفُكُّهُ منها إلا عدله، وما من رجل تعلّم القرآن ثم نسيه إلا لقي الله تبارك وتعالى يوم القيامة أَجْذَم»(٢).

ومعنى أجذم: مقطوع اليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ.

وقيل: مقطوع الحُجَّة.

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿وكذلك نجزي من أسرف﴾ أي: أشرك بالله ﴿ولم يؤمن بآيات

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٢٩)، ومجاهد (ص:٤٠٥) بلفظ: "بصيراً بحجتي".

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٣ ح٢٢٨١٠).

ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ من المعيشة الضَّنْك والمحشر على العَمى.

قوله: ﴿أفلم يَهْدِ لهم﴾ قال علي بن الحسين النحوي الأصبهاني: فاعل "يَهْدِ" مُضْمَرٌ دَلَّ عليه ﴿كم أهلكنا﴾، تقديره: أفلم يتبين لهم إهلاكنا، ولا يكون "كم أهلكنا" فاعلاً ولا مفعولاً، على معنى: أفلم يُبين الله إهلاكه لهم؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، فلا يكون "كَمْ" معمولاً لـ"يَهْدِ"، ولكنه منصوبٌ بـ"أهلكنا"، وهو مفعول مُقَدَّمٌ، وتفسيره محذوف، والتقدير: كم قرية أهلكنا[1].

وقال الزمخشري[2]: فاعل "لم يَهْدِ" الجملة بعده [بريد: ألم يهد لهم، هذا بمعناه ومضمونه][3]، ونظيره قوله: ﴿وتركنا عليه في الآخرين * سلام على نوح في العالمين﴾ [الصافات:٧٨-٧٩]. أي: وتركنا [عليه][4] هذا الكلام.

ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول، ويدل عليه القراءة بالنون.

قلتُ: وبها قرأتُ لزيد عن يعقوب[5].

وكانت قريش تمرّ بديار عاد وثمود وتشاهد آثار وقائع الله بهم، فذلك قوله: ﴿يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهي﴾ أي: لَعِبَراً ودلالات وعلامات على عظيم انتقام الله ممن أشرك به وكذب رسله لأرباب العقول.

قوله تعالى: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهي العِدَةُ بتأخير عقابهم إلى يوم

---

(١) التبيان (٢/ ١٢٨)، والدر المصون (٥/ ٦٣-٦٤).

(٢) الكشاف (٣/ ٩٦).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٣٣).

القيامة ﴿لكان لزاماً﴾ أي: لكان العذاب لازماً لهم.

واللِّزَام: مصدر لازَمَ، ثم وُصِفَ به.

﴿وأَجَلٌ مُسَمَّى﴾ عطف على "كلمة"، التقدير: لولا كلمةٌ وأجلٌ مسمى لكان لزاماً. هذا قول الفراء وابن قتيبة والأكثرين[١].

وجوّز الزمخشري[٢] أن يكون عطفاً على الضمير في "كان"، أي: لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين [لهم][٣]، كما كانا لازمين لعاد وثمود، ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل.

قوله: ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ قال المفسرون: أمر الله نبيه أن يصبر على أذاهم، ثم نُسخ إطلاق الصبر بآية السيف[٤].

﴿وسبح بحمد ربك﴾ أي: صَلِّ حامداً لربك إن وَفَّقَكَ للتسبيح وأعانك عليه.

﴿قبل طلوع الشمس﴾ يعني: الفجر، ﴿وقبل غروبها﴾ يعني: العصر.

وفي الصحيحين من حديث جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾»[٥].

---

(١) معاني الفراء (٢/ ١٩٥)، وتفسير غريب القرآن (ص:٢٨٣).

(٢) الكشاف (٣/ ٩٦).

(٣) في ب: له. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣٣).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٢٠٣ ح٥٢٩)، ومسلم (١/ ٤٣٩ ح٦٣٣).

﴿ومن آناء الليل فسبح﴾ قال ابن عباس: يريد: المغرب والعشاء، ﴿وأطراف النهار﴾ قال: يريد: الظُّهر[(١)] ....[(٢)].

وقال في رواية أخرى: "ومن آناء الليل": جوف الليل[(٣)].

أمره سبحانه بالصلاة فيه نَفْلاً؛ لأنه مظنة الفراغ عن الأشغال القاطعة والأسباب المانعة للقلب عن الاهتمام بالعبادة المختصة به، كما قال: ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً﴾ [المزمل:٦].

وقرئ شاذاً: "وأطرافِ" بالجر، عطفاً على "آناء"[(٤)].

﴿لعلك ترضى﴾ أي: سبح بحمد ربك في هذه الأوقات طمعاً ورجاءً أن ترضى بما تنال من كرامته.

وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم: "تُرْضَى" بضم التاء[(٥)]، على معنى: لعلك يرضيك ربك.

وقيل: المعنى: لعلك يرضاك ربك.

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٣٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٤١) كلاهما عن قتادة. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣٣)، والسيوطي في الدر (٥/ ٦١١) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) كلام غير ظاهر في مصورة ب.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٣)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٣٥)، والطبري (١٦/ ٢٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٢٩٧) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد وابن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٨).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٤)، والكشف (٢/ ١٠٧)، والنشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٨)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٥).

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ قال أبو رافع: «نزل برسول الله ﷺ ضيف، فبعثني إلى يهودي فقال: قل له: إن رسول الله ﷺ يقول: بعني كذا وكذا من الدقيق أو أسلفني إلى هلال رجب، فأتيته فقلت له ذلك، فقال: والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا بِرَهْنٍ، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: والله لو باعني أو أسلفني لقضيته، وإني لأمينٌ في السماء أمينٌ في الأرض، اذهب بدِرْعِي الحديد إليه. فنزلت هذه الآية تعزيةً للنبي ﷺ عن الدنيا[1]»[2].

وقال أُبيّ بن كعب في هذه الآية: فمن لم يتعز بعزاء الله تعالى تقطّعت نفسه حسرات على الدنيا، ومن يُتْبِعْ بصرَه ما في أيدي الناس يَطُل حزنه ولا يشفى

(١) كتب في الهامش الأيمن من ب بخط مغاير: قلت: أسند البزار هكذا من حديث أبي رافع، وفي سنده موسى بن عبيدة هو الربذي، ضعيف.

وفي الهامش الأيسر كتب: اعترضه ابن عطية قال: السورة مكية والقصة مدنية مشهورة.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٤١-٢٤٤٢)، والبزار (٩/ ٣١٥)، والطبراني في الكبير (١/ ٣٣١). وانظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (ص:٣١٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦١٢) وعزاه لابن أبي شيبة وابن راهويه والبزار وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والخرائطي في مكارم الأخلاق وأبي نعيم في المعرفة.

غيظه[١].

وقد سبق تفسير ما لم أتعرض له هاهنا في سورة الحِجْر[٢].

وقرأتُ ليعقوب: "زَهَرَةَ" بفتح الهاء، وهي قراءة ابن مسعود والحسن[٣]، وهما بمعنى واحد.

يريد: بهجة الحياة الدنيا وزينتها.

قال الفراء[٤]: "زَهْرَةَ" منصوب على التمييز. وهو غلط؛ لأنه مضاف إلى المعرفة.

وقال الزجاج[٥]: "زهرة" منصوب بمعنى "متَّعْنا"؛ لأن معنى مَتَّعْنا: جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة.

وقال الزمخشري[٦]: [انتصب "زهرة" على أحد أربعة أوجه: على الذَّمّ، وعلى تضمن "متعنا" معنى: أعطينا، وعلى إبداله من الجار والمجرور، وعلى إبداله من "أزواجاً"، على تقدير: ذوي زهرة.

ومعنى: ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنختبرهم، واللام من صلة "مَتَّعْنا".

﴿ورزق ربك﴾ الذي ادَّخَرَهُ لك في الآخرة وأَعَدَّهُ لك في الجنة.

وقيل: هو ما أنعم به عليه من النبوة والإسلام.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣٥).

(٢) آية رقم: ٨٨.

(٣) النشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٨).

(٤) انظر: معاني الفراء (٢/ ١٩٦).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٠).

(٦) الكشاف (٣/ ٩٨).

﴿خير وأبقى﴾ أكثر وأدْوَم.

قوله تعالى: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ دُمْ عليها ولا يُضجرنّك تكرارها وتحمّل أعباءها.

﴿لا نسألك رزقاً﴾ لنفسك ولا لخلقنا، إنما نأمرك بالعبادة، ورزقك ورزقهم علينا، فذلك قوله: ﴿نحن نرزقك﴾.

﴿والعاقبة﴾ قال ابن عباس: هي الجنة[(١)].

﴿للتقوى﴾ قال الأخفش[(٢)]: لأهل التقوى.

فصل

كان عروة بن الزبير إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره وقرأ: ﴿ولا تمدن عينيك... الآية﴾، ثم ينادي أهله: الصلاةَ يرحمكم الله[(٣)].

وقال مالك بن دينار: كان بكر بن عبدالله المزني إذا أصاب أهله خصاصة يقول: قوموا فَصَلُّوا، ثم يقول: بهذا أمر الله ورسوله، ويتلو هذه الآية[(٤)] [(٥)].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦١٤) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٢) معاني الأخفش (ص:٢٥٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٣٦-٢٣٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٤٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦١٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣٦).

(٥) في هامش ب: كان عمر رضي الله عنه يصلي من الليل ما شاء الله، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة وقال لهم: الصلاة، ويتلو هذه الآية. [أخرجه] مالك [في الموطأ] (١/ ١١٩ ح٢٥٩).
وكان النبي ﷺ بعد نزولها يذهب كل يوم إلى بيت فاطمة ويقول لها ولِعَلِيّ: الصلاة.

وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾
وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا
فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

قوله: ﴿وقالوا لو لا يأتينا بآية من ربه﴾ أي: بآية خارقة؛ كناقة صالح، وعصا موسى.

﴿أَوَ لَمْ تأتهم بَيِّنَةُ ما في الصُّحُفِ الأولى﴾ المعنى: أو لم يأتهم بيان ما في الكتب السالفة من أخبار الأمم المهلكة، حين كفروا بما أتتهم به رسلهم من الآيات التي اقترحوها، أفأمنوا أن تكون حالهم كحال أولئك. هذا قول الأكثرين[١].

وقال الزمخشري[٢]: المعنى: أو لم يأتهم آية هي أُمُّ الآيات وأعظمها في باب الإعجاز -يعني القرآن-، من قبل أن القرآن برهانُ ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته؛ لأنه معجزة، وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة عليه بقوله: أو لم يأتهم بينة.

﴿لقالوا﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾ يدعونا إليك ويدلنا عليك، ﴿فنتبع آياتك﴾ أي: نعمل بمقتضاها أعمالاً ترضاها ﴿من قبل أن نَذِلَّ ونَخْزَى﴾ بعذاب جهنم.

وقرأتُ ليعقوب من رواية أبي حاتم: "نُذَلَّ ونُخْزَى" بضم النون فيهما وفتح

---

(١) الطبري (١٦/ ٢٣٧)، والوسيط (٣/ ٢٢٨)، وزاد المسير (٥/ ٣٣٦).

(٢) الكشاف (٣/ ٩٩).

الذال على ما لم يُسَمَّ فاعله، وهي قراءة ابن عباس وابن السميفع[(١)].

﴿قل﴾ يا محمد للكفار ﴿كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾ منتظر نصره وظفره، وحسن العاقبة له، والدوائر على خصمه، ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ صيغة الأمر في معنى التهديد، أي: فتربصوا بنا الدوائر.

﴿فستعلمون﴾ إذا جاء أمر الله ﴿مَنْ أصحاب الصراط السوي﴾ أي: الدين المستقيم ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلالة نحن أم أنتم.

وهذا من أحسن أساليب الاستعطاف مع إقامة الحجة؛ لما فيه من ملاينة الخصم، وثنيه عن المشاغبة، واستنزاله عن اللَّدَد[(٢)] بلطيف المخاطبة.

فإن قيل: هل يجوز أن تكون "مَنْ" هاهنا بمعنى: "الذي"؟

قلتُ: لا يجوز؛ لأنه لا عائد من صلته يعود إليه، وإنما هو استفهام، وهو مبتدأ، خبره: "أصحاب الصراط"، والجملة في موضع النصب بـ"تَعْلَمُونَ"[(٣)].

---

(١) زاد المسير (٥/ ٣٣٧).

(٢) اللَّدَد: الخصومة الشديدة (اللسان، مادة: لدد).

(٣) التبيان (٢/ ١٢٩)، والدر المصون (٥/ ٦٧-٦٨).

سورة الأنبياء عليهم السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي مائة واثنتا عشرة آية، وهي مكية بإجماعهم.

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾

قال الله تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ قال الزجاج[1]: المعنى: اقترب للناس وقت حسابهم، يعني: يوم القيامة، كما قال: ﴿اقتربت الساعة﴾ [القمر:١].

فإن قيل: ما وجه وصفه بالقُرْبِ وقد مضى لهذا الوعيد أكثر من ستمائة عام وثلاثين عاماً إلى يومنا هذا[2] ولم يقع؟

قلتُ: عنه أجوبة:

أحدها: أنه قريب بالنسبة إلى ما بقي من الزمان، ومنه قوله عليه السلام في

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٣).

(٢) هذا إلى عهد المؤلف -رحمه الله-. وقد مضى على هذا الوعيد إلى اليوم أكثر من (١٤٢٨) سنة.

الخطبة: «بُعثتُ أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى»[١].

ومنه الحديث: «ولّت الدنيا حَذَّاء[٢] ولم يبق إلا صُبَابةٌ[٣] كصُبابة الإناء»[٤].

الثاني: أنه وُصِفَ بالقُرْب؛ لأنه آتٍ، وكل آتٍ قريب وإن طالت مُدَّتُهُ.

الثالث: أنه قريب عند الله وإن كان بعيداً بالنسبة إلى غيره، قال الله تعالى: ﴿إنهم يرونه بعيداً * ونراه قريباً﴾ [المعارج:٦-٧].

واللام في: "للناس" بمعنى: "مِنْ"، وقيل: صلة لـ"اقْتَرَبَ".

﴿وهم في غفلة﴾ عن حسابهم وما يُراد بهم ﴿معرضون﴾ عن التفكّر والتأهّب له.

﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم﴾ قال ابن عباس: يريد: القرآن[٥].

﴿مُحْدَثٍ﴾، أي: محدث النزول، فإن القرآن نزل آية بعد آية، وسورة بعد سورة.

وقرأ ابن أبي عبلة: "مُحْدَثٌ" بالرفع، صفة على المحل[٦].

﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ قال ابن عباس: يستمعون القرآن مستهزئين[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٣١ ح٤٩٩٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٦٩ ح٢٩٥١).

(٢) في هامش مصورة ب: حاشية: حَذَّاء بالحاء المهملة والذال المعجمة المشددة مع المد، أي: خفيفة سريعة، ومنه قيل للقطاة: حَذَّاء.

(٣) الصُّبابة: بقية الماء واللبن وغيرهما تبقى في الإناء والسقاء (اللسان، مادة: صبب).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٨ ح٢٩٦٧).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣٩).

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٧٥).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣٩).

وقوله: "وهم يلعبون" حال من ضمير الفاعل في "استمعوه"[(١)].

﴿لاهيةً﴾ حال ثانية من ضمير الفاعل أيضاً، ويجوز أن يكون حالاً من الحال الأولى[(٢)].

وقرأ عكرمة وابن أبي عبلة وسعيد بن جبير: "لاهيةٌ قلوبُهم" بالرفع فيهما على الابتداء والخبر[(٣)].

﴿وأسرُّوا النجوى﴾ قيل: المعنى: أظهروا النجوى، فإنه من الأضداد؛ كما سبق.

والصحيح عندي: ما هو المتبادر إلى الأفهام.

فإن قيل: النجوى لا تكون إلا خفية، فما معنى قوله: "وأسروا"؟

قلت: المبالغة في إخفاء ما تناجوا به.

فإن قيل: ما الذي حملهم على المبالغة في إخفائه، وهم أشد شَكِيمة وأحدُّ شوكة؟

قلتُ: حملهم عليه الخوف من نقض ما أبرموه من المكايد لهدم الإسلام وإطفاء نور النبي عليه السلام على تقدير اطّلاعه عليه، على ما أُلِفَ وعُرِفَ من شأن ذوي الشأن.

فإن قيل: ما محل ﴿الذين ظلموا﴾ من الإعراب؟

قلت: الرفع بدلاً من الواو في "وأسروا النجوى".

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٧٠).

(٢) التبيان (٢/ ١٣٠)، والدر المصون (٥/ ٧٠).

(٣) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٧٥).

ويجوز أن يكون...[١] مثلكم على إضمار القول، كأنه قيل: الذين ظلموا يقولون: هل هذا، فحذف القول، كقول الشاعر:

.... جاؤوا بمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطٌّ[٢]

أي: بِمَذْقٍ يقال فيه هل رأيت الذئب قط.

أو هو على لغة من قال: "أكلوني البراغيث"، و"يَعْصِرُونَ[٣] السَّلِيطَ أَقَارِبُه"[٤]؛ لأنهم جردوا الواو للجمعية عن الضمير وجعلوه حرفاً، كما قالوا في الجمع؛ كقولهم: الزَّيْدُون والعَمْرُون.

ويجوز أن يكون محله النصب على الذمّ[٥].

وقوله: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ في آخر الآية بيان لما أَسَرُّوه. وهو في محل النصب على البدل من "النجوى"[٦]، والمشار إليه بقولهم: "هذا"؛ محمد ﷺ، ومقصودهم استبعاد اختصاصه بالوحي من بينهم مع اشتراكهم في كونه من

---

(١) بياض عدة كلمات غير ظاهرة في ب.

(٢) عجز بيت للعجاج، وصدره: (حتى إذا جَنَّ الظلام واختلط). وهو ليس في ديوانه. انظر: المقرب (١/ ٢٢٠)، وأمالي الزجاجي (ص:٢٣٧)، والخزانة (٢/ ١٠٩)، والبحر المحيط (٤/ ٤٧٨)، والدر المصون (٣/ ٤١١).

(٣) في المصادر: يعصرن.

(٤) جزء من بيت للفرزدق يهجو عمرو بن عفراء، وهو:

ولكِنْ دِيافيٌّ أبوه وأمه ... بحوران يعصرن السليط أقاربه

انظر: اللسان، مادة: (سلط، دوف).

(٥) التبيان (٢/ ١٣٠)، والدر المصون (٥/ ٧١-٧٢).

(٦) انظر: الدر المصون (٥/ ٧٢).

جنسهم.

﴿أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ إنكار وتوبيخ. والمعنى: أتقبلون وأنتم تعلمون أنه سحر وتشاهدونه.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾

﴿قُلْ ربي يعلم القول﴾ سراً كان أو جهراً ﴿في السماء والأرض﴾.

وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "قَالَ ربي"[1] على الخبر عن النبي ﷺ.

﴿وهو السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بأفعالهم، فكيف يُسرّون منه النجوى.

قوله تعالى: ﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ قال الزمخشري[2]: أضربوا عن قولهم: هو سحر، إلى أنه تخاليط أحلام، ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده، ثم إلى أنه قول شاعر، وكذا الباطل مُلَجْلَج، والمُبْطِلُ مُتَحَيِّرٌ رَجَّاع غير ثابت على قول واحد.

ويجوز أن يكون تنزيلاً من الله تعالى لأقوالهم في درج الفساد، وأن قولهم الثاني أفسد من الأول، والثالث أفسد من الثاني، وكذلك الرابع من الثالث. وصحة التشبيه في قوله: ﴿كما أرسل الأولون﴾ من حيث إنه في [معنى][3]: كما أتى

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٥)، والكشف (٢/ ١١٠)، والنشر (٢/ ٣٢٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٩)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٨).

(٢) الكشاف (٣/ ١٠٤).

(٣) في الأصل: المعنى: والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

الأولون بالآيات؛ لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات.

قال ابن عباس: "فليأتنا بآية": مثل: الناقة والعصا[١].

قوله: ﴿ما آمنت قبلهم﴾ يعني: قبل أهل مكة ﴿من قرية﴾ أي: من أهل قرية، فحذف المضاف.

﴿أهلكناها﴾ صفة لـ"قرية"، تقديره: من قرية مهلكة[٢].

أخبر الله سبحانه وتعالى أن القرى المهلكة لم يتنفعوا بمقترحاتهم، ولم يكن سبباً في نجاتهم، حيث لم يشأ الله لهم الإيمان ولم يُرِدْه منهم.

﴿أفهم﴾ بقوّتهم ﴿يؤمنون﴾ حتى يجعلوا إيمانهم مَنوطاً بمجيء الآيات التي يقترحونها، ويلتزموا بذلك على أنفسهم.

وقيل: المعنى: ما آمنت قبلهم القرى المهلكة أفهم يؤمنون، وهم أعتى وأشد كفراً وتمرُّداً من أولئك.

وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤٠) بلا نسبة.

والناقة: كانت معجزة لنبي الله صالح عندما أرسله الله لقومه ثمود.

والعصا: كانت معجزة من الله لسيدنا موسى عليه السلام.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٣٠).

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً يُوحَى إليهم﴾ جواب لقولهم: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾.

وقرأ حفص: "نُوحِي" بالنون وكسر الحاء[1].

﴿فاسألوا﴾ يا أهل مكة ﴿أهل الذِّكْرِ﴾ يعني: علماء أهل الكتاب الذين هم على مثل رأيكم في تكذيب رسولي ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ أن الله يَصْطَفِي من البشر رُسُلاً، فإنهم لا يكتمون ذلك ولا ينكرونه، فإنهم لو كتموا ذلك أو أنكروه أصيبت مَقَاتِلُهُم، ولزمتهم الحجة، وظهرت فضائحهم، وبَانَ كذبُهُم وباطلُهُم.

قوله: ﴿وما جعلناهم﴾ يعني: الرسل ﴿جَسَداً لا يأكلون الطعام﴾ قال الزجاج[2]: هو واحد ينبئ عن جماعة، أي: وما جعلناهم ذوي أجساد لا يأكلون الطعام.

والمقصود من ذلك: الردّ عليهم، وإبطال ما كانوا يلمزون به الرسول ﷺ في قولهم: ﴿مَالِ هذا الرسول يأكل الطعام﴾ [الفرقان:٧].

وفي قوله أيضاً: ﴿وما كانوا خالدين﴾ رَدٌّ لما دلّ عليه قولهم: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ من اعتقاد أنه ينبغي أن يكون الرسول مَلَكاً مُخَلَّداً لا يَطْعَم.

قوله تعالى: ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ أي: أنجزنا المرسلين ما وعدناهم به من الإنجاء والظَّفَر بالأعداء، ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ يعني: المؤمنين ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ وفي هذا تخويف لكُفّار مكة.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٦)، والكشف (٢/ ١٤-١٥)، والنشر (٢/ ٣٢٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٩)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٨).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٥).

لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن
قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ
إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ
دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾

ثم ذَكَّرَهم نِعَمَهُ فقال: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً﴾ يعني: القرآن ﴿فيه ذِكْرُكُمْ﴾ شَرَفُكُم وَصِيتُكُم، كما قال في موضع آخر: ﴿وإنه لَذِكْرٌ لَكَ ولقومك﴾ [الزخرف:٤٤]. هذا قول ابن عباس (١) والأكثرين (٢).

وقال الزجاج (٣): فيه تذكرة لكم.

﴿أفلا تعقلون﴾ ما فضلتكم به.

ثم خوفهم أيضاً فقال: ﴿وكما قَصَمْنا من قرية﴾ أي: وكم أهلكنا. وأصل القَصْمُ: كَسْرُ الشيءِ ودَقُّهُ، والقُصَمُ: الرَّجُلُ يَحْطِمُ كُلَّ مَا لَقِيَ (٤).

---

(١) وهو اختيار ابن جرير الطبري.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٢٣٢)، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢/ ٦٣٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٦). وذكره الطبري (١٧/ ٧) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤١)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦١٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابن عباس.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٥).

(٤) انظر: اللسان (مادة: قصم).

قال الزمخشري[١]: هذه الآية واردةٌ عن غضب شديد، ومناديةٌ على سخط عظيم؛ لأن القَصْمَ أَفْظَعُ الكَسْرِ، وهو الكَسْرُ الذي يُبِينُ تلاؤمَ الأجزاء، بخلاف الفَصْم[٢].

وأراد بالقرية: أهلها، ولذلك وصفها بالظُّلم وقال: ﴿قوماً آخرين﴾.

ومعنى: ﴿كانت ظالمة﴾: كافرة، ﴿وأنشأنا﴾ أوجدنا ﴿بعدها قوماً آخرين﴾.

﴿فلما أَحَسُّوا بَأْسَنا﴾ رأوا عذابنا بحاسّة البصر ﴿إذا هم منها﴾ أي من القرية، أو من ديارهم ﴿يركضون﴾ أي: يَعْدُون. وأصل الرَّكْضِ: ضَرْبُ الدابة بالرِّجْل[٣]، ومنه: ﴿اركض برِجْلك﴾ [ص:٤٢].

قال المفسرون: فقالت لهم الملائكة على وجه التوبيخ والتهكّم: ﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ من العيش الرّافِهِ والحال الناعمة[٤].

قال ابن قتيبة[٥]: إلى نعمكم التي أتْرَفَتْكُم. وقد ذكرنا هذا عند قوله: ﴿أمرنا مُتْرَفِيها﴾ [الإسراء:١٦].

﴿لعلكم تُسَأَلون﴾ المعنى: ارجعوا واجلسوا في مجالسكم ومراتبكم حتى يسألكم العبيدُ والحَشَمُ ويقولوا لكم: ماذا تأمرون؟ على ما هو المُتَعَارَفُ من عادات المترفين.

---

(١) الكشاف (٣/ ١٠٥-١٠٦).

(٢) الفَصْم: الكَسْر من غير بينونة (اللسان، مادة: فصم).

(٣) انظر: اللسان (مادة: ركض).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤٢).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٢٨٤).

أو يكون المعنى: لعلكم تُسْأَلُون المُعَاوِنَ في المهمات والنوازل، أو لعلكم تسألون عما جرى عليكم.

﴿قالوا﴾ حين أيقنوا بالعذاب ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ وقد بينا فيما مضى أن...[1] ما لا يعقل أسلوب من أساليب العرب، وذكرنا فائدته ومعناه.

ومقصودهم باعترافهم: إظهار الندم على اقترافهم وتكذيبهم رسل الله.

﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أي: ما زالت تلك الكلمة -التي هي ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾- أو ما زالت تلك الدعوى دعواهم، أي: دعاؤهم يَدْعُونَ بها ويُرَدِّدُونها، ﴿حتى جعلناهم حصيداً﴾ وهو الزرع المحصود، شَبَّهَهُم به في اصْطِلامِهِم[2] واستئصالهم، ﴿خامدين﴾ كَخُمودِ النار إذا طُفئت.

و"حصيداً خامدين" منصوبان على المفعولية بـ"جَعَل"[3].

قال الزمخشري[4]: إن قلت: كيف يَنْصِبُ "جَعَلَ" ثلاثة مفاعيل؟

قلتُ: حكم الاثنين الأخيرين حكمُ الواحد؛ لأن معنى قولك: "جعلته حُلْواً حَامِضاً" جعلته جامعاً للطَّعْمَيْن، وكذلك معنى ذلك: جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخُمود.

---

(١) كلمة غير ظاهرة في ب.

(٢) صَلَمَ الشيءَ صَلْماً: قطعه من أصله. والاصْطِلام: الاستئصال (اللسان، مادة: صلم).

(٣) التبيان (٢/ ١٣١)، والدر المصون (٥/ ٧٤).

(٤) الكشاف (٣/ ١٠٧).

فصل

روي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿وكم قصمنا من قرية...﴾ الآيات قال: القرية هي حَضُور[١]، قرية باليمن[٢].

قال صاحب الكشاف[٣]: هي وسَحُول[٤] قريتان باليمن، تُنْسَبُ إليهما الثِّياب.

وفي الحديث: «كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثوبين سَحُولِيَّيْن»[٥]، وروي: «حَضُورِيَّيْن»[٦].

بعث الله إليهم نبياً فقتلوه، فسلّط الله عليهم بُخْتَنَصَّر كما سَلَّطَهُ على أهل بيت المقدس فاستأصلهم.

وروي: أنه لما أخذتهم السيوف نادى مناد من السماء: يا لثارات الأنبياء[٧].

وظاهر الآية على العموم.

---

(١) حَضُور: بلدة من أعمال زبيد، سميت بحضور بن عدي بن مالك بن زيد (معجم البلدان ٢/ ٢٧٢).

(٢) ذكره القرطبي (١١/ ٢٧٤) بلا نسبة. وذكره الآلوسي في تفسيره روح المعاني (١٧/ ١٥) وعزاه لابن المنذر وغيره عن الكلبي.

(٣) الكشاف (٣/ ١٠٦).

(٤) سَحُول: قرية من قرى اليمن يحمل منها ثياب قطن تسمى: السحولية (معجم البلدان ٣/ ١٩٥).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ٢٧٥ ح٦٩٦)، وابن حبان (٧/ ٣٠٧ ح٣٠٣٥).

(٦) ذكره البكري في معجم ما استعجم (١/ ٤٥٦).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦١٨-٦١٩) بأطول منه، وعزاه لابن أبي حاتم عن وهب.

ولعل ابن عباس ذكر "حضور" بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ۝١٦ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ۝١٧ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۝١٨ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ أي: ما خلقناهما وما بينهما من سائر المخلوقات على هذا الوجه العجيب البديع المشحون بضروب الحكم عابثين بذلك، إنما خلقناهما وما بينهما دلالة على قدرتنا وحكمتنا ووحدانيتنا ومصالح عبادنا باطلاً؛ لأن العبادة لا تصلح إلا للخالق العظيم...(١).

قوله تعالى: ﴿لو أردنا أن نَتَّخِذَ لَهْواً﴾ قيل: هو المرأة.

قال الحسن وقتادة: اللهو بلغة اليمن: المرأة(٢).

وقيل: الولد(٣).

---

(١) عدة كلمات غير ظاهرة في ب.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٧-٢٤٤٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٢٠) وعزاه لابن أبي حاتم عن الحسن. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦١٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة.

وقيل: اللعب[١]. رويت عن ابن عباس.

قال الزجاج[٢]: المعنى: لو أردنا أن نتخذ ولداً ذا لَهْوٍ يُلْهَى به.

﴿لاتخذناه من لدنا﴾ قال ابن جريج: لاتخذنا نساءً وولداً من أهل السماء لا من أهل الأرض[٣]، ﴿إِنْ كُنَّا فاعلين﴾ ذلك، فـ"إِنْ" شرطية[٤]. والمنصوص عن ابن عباس أَنَّ "إِنْ" بمعنى: "ما"، وهو قول المفسرين[٥]، تقديره: ما كنا فاعلين.

قال الفراء[٦]: هو كقوله: ﴿إن أنت إلا نذير﴾ [فاطر:٢٣]، ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾ [الملك:٢٠].

وهذه الآية ردٌّ لقول كفار العرب: الملائكة بنات الله، ولقول النصارى: المسيح ابنُ الله.

قال الواحدي[٧]: وقد أحسن ابن قتيبة في تفسير هذه الآية فقال[٨]: المرأة والولد في اللَّهْوِ متقاربان؛ لأن امرأة الرَّجُلِ لَهْوُهُ، وَوَلَدُهُ لَهْوُهُ، وأصل اللَّهْوِ:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٢٠) وعزاه لابن المنذر.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٦).

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٧/ ١٠). وذكره الماوردي (٣/ ٤٤٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤٤).

(٤) وهو قول النحويين.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠) عن قتادة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٢٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٦) معاني الفراء (٢/ ٢٠٠).

(٧) الوسيط (٣/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٨) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص:١٦٣).

الجِمَاع، كُنِّي عنه باللَّهْوِ كما كُنِّي عنه بالسِّرّ. ثم قيل للمرأة لَهْوٌ؛ لأنها تُجامَع. قال امرؤ القيس:

أَلاَ زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليَوْمَ أَنَّني ... كَبِرْتُ وَأَنْ لاَ يُحْسِنَ اللَّهْوَ أَمْثَالِي [1]

أي: النكاح.

وتأويل الآية: أن النصارى لما قالت في المسيح وأمه ما قالت، قال الله: لو أردنا أن نتخذ صاحبة وولداً كما يقولون، لاتخذناه ذلك من لدنا، أي: من عندنا ولم نتخذه من عندكم؛ لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجه يكونان عنده لا عند غيره.

﴿بل﴾ إضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لنفسه منه ﴿نقذف بالحق على الباطل﴾ أي: نسلطه عليه ﴿فيدمغه﴾ قال الزجاج [2]: يذهبه ذهاب الصَّغَار والإذلال. وذلك أن أصله: إصابة الدماغ بالضرب، وهو مَقْتَل.

﴿فإذا هو زاهق﴾ ذاهب زائل.

ثم تَوَعَّدَهُم على كذبهم ووصفهم ربَّهم بما لا يجوز عليه فقال: ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾.

﴿وله من في السموات والأرض﴾ خَلْقاً ومُلْكاً، ﴿ومن عنده﴾ يعني: الملائكة، وخَصَّهم بالذِّكْرِ؛ لامتيازهم بفضيلة القُرْبِ منه.

وقوله: ﴿ومن عنده لا يستكبرون﴾ مبتدأ وخبر. ويجوز أن يكون "وَمَنْ عِنْدَهُ"

---

(١) البيت لامرئ القيس من قصيدة يتغزل ويصف مغامراته وصيده وسعيه إلى المجد. انظر: ديوانه (ص:٢٨)، واللسان، مادة: (لها)، والقرطبي (٣/ ١٩١، ٦/ ٢٤٨، ١١/ ٢٧٦)، وزاد المسير (١/ ٢٧٧)، وروح المعاني (١٧/ ١٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٧).

معطوفاً على "مَنْ في السموات"، فيكون قوله: "لا يستكبرون" في موضع الحال[١]، أي: غير مستكبرين. وكذلك: ﴿ولا يستحسرون﴾.

قال مجاهد: لا ينقطعون عن العبادة[٢].

قال ابن قتيبة[٣]: لا يعيون. والحسير: المنقطع [به][٤] الواقف إعياءً وكَلالاً.

﴿يُسَبِّحون الليل والنهار﴾ قال الزجاج[٥]: يجري التسبيح منهم كَمَجْرى النَّفَس مِنَّا.

﴿لا يَفْتُرون﴾ قال قتادة: لا يَسْأَمُون[٦].

وسُئل كعب: أما يشغلهم شأن؟ أما تشغلهم حاجة؟ فقال للسائل: يا ابن أخي! جَعَلَ لهم التسبيح كما جَعَلَ لكم النَّفَس، ألستَ تأكل وتشرب وتقوم وتجلس وتجيء وتذهب وتتكلم وأنت تَتَنَفَّس؟ فكذلك جعل لهم التسبيح[٧].

وكان العباس بن الفضل يقف على "الليل"، ويبتدئ: "والنهارَ لا يفترون" فنصب "النهارَ" بـ"لا يفتُرون" لا بقوله: "يسبحون".

---

(١) التبيان (٢/ ١٣١)، والدر المصون (٥/ ٧٦).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٨) عن السدي. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٣)، والسيوطي في الدر (٥/ ٦٢١) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٢٨٥).

(٤) زيادة من تفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٧-٣٨٨).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤٥).

(٧) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٢١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الشعب.

أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا آلهةً من الأرض هم يُنْشِرون﴾ قال الزمخشري[(١)]: هذه "أم" المنقطعة الكائنة بمعنى: بل، والهمزة قد آذنتْ بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعدها. والمنكَرُ: هو اتخاذهم آلهة من الأرض يُنْشِرون الموتى. ولعمري إنَّ مِنْ أَعْظَمِ المنكرات أن يُنْشِر الموتى بعض الموات.

فإن قلت: كيف أنكر عليهم اتخاذَ آلهةٍ تُنْشِرُ وما كانوا يدَّعون ذلك لآلهتهم؟

قلتُ: الأمر كما ذكَرْتَ، لكنهم بادّعائهم لها الإلهية، يلزمهم أن يَدَّعُو لها الإِنْشار؛ لأنه لا يستحقّ هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور، والإِنْشَارُ من جملة المقدورات.

ومعنى نِسْبَتِهِ آلهتهم إلى الأرض: أنها تتخذ من الأرض أيّ جنس كانت.

ومعنى: "يُنْشِرُون" يُحيون الموتى.

قال: أنشر...[(٢)].

وقرأ الحسن: "يَنْشُرون" بفتح الياء وضم الشين[(٣)].

ومضمون الآية: توبيخهم على عبادتهم جماداً لا يقدر على شيء.

---

(١) الكشاف (٣/ ١٠٩).

(٢) بياض قدر نصف سطر في ب.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٩).

ثم بَرْهَنَ سبحانه وتعالى على الوحدانية فقال: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ قال الزجاج[١]: أي: لو كان في السماء والأرض آلهة غير الله.

قال الزمخشري[٢]: وُصفت آلهة بـ"إلا" كما توصف بـ"غير".

قال الواحدي[٣]: هذا قول جميع النحويين.

فإن قلت: ما [منعك][٤] من الرفع على البدل؟

قلتُ: لأن "لو" بمنزلة "إِن" في أَنَّ الكلام معه موجب، والبدل لا يسوغ إلا في الكلام غير الموجب.

ومعنى الآية: لو كان يتولاهما ويُدبّر أمرهما آلهة شتى [غير الواحد الذي هو فاطرهما][٥] لفسدتا؛ لوجود التمانع وطلب التغالب.

قال عبدالملك بن مروان حين قَتَلَ عمرو بن سعيد بن الأشدق: كان والله أعزّ عَلَيَّ من دَمِ ناظري، ولكن لا يجتمع فَحْلان في شَوْل[٦].

وفيها دلالة على أمرين:

أحدهما: وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحداً.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٨).

(٢) الكشاف (٣/ ١١٠-١١١).

(٣) الوسيط (٣/ ٢٣٣).

(٤) في الأصل: يبعد. والمثبت من الكشاف (٣/ ١١١).

(٥) زيادة من الكشاف (٣/ ١١١).

(٦) انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٣٤)، وتهذيب الكمال (٢٢/ ٣٨) في ترجمة عمرو بن سعيد الأشدق.
والشَّوْلُ: بقية الماء في السِّقاء والدَّلْو. وقيل: هو الماء القليل يكون في أسفل القِرْبة والمَزادة (اللسان، مادة: شول).

والثاني: أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده؛ لقوله: ﴿إلا الله﴾.

ثم نزَّه نفسه عما يقولون فقال: ﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ خَصَّ العرش بالذِّكْرِ؛ لأنه أعظم المخلوقات.

﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ أي: عَمَّا يَحْكُمُ في عباده من هُدًى وإضلالٍ، وعزٍّ وإذلالٍ، وسعادةٍ وشقاءٍ وغير ذلك؛ لأنه الرب المالك للخليقة على الحقيقة، ﴿وهم يسألون﴾ لأنهم عبيد يجب عليهم الامتثال، ويتطرّق عليهم الخطأ في الأقوال والأفعال.

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾

قوله: ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾ توبيخ وإنكار، ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ على ما تقولون من جواز اتخاذ إلهٍ سوى الله.

﴿هذا﴾ يعني: القرآن ﴿ذِكْرُ من مَعِيَ﴾ على ديني بما هم من الثواب وعليهم من العقاب، ﴿وذِكْرُ من قبلي﴾ أي: وهذا ذكر من قبلي، إشارة إلى الكتب المتقدمة. المعنى: فانظروا هل تجدون في شيء من هذه الكتب أَنَّ الله أمر باتخاذ إله سواه؟

﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق﴾ قال ابن عباس: القرآن[١].

وقال مقاتل[٢]: التوحيد.

﴿فهم معرضون﴾ عما يجب عليهم الإقبال عليه والمصير إليه.

وقال الزجاج[٣]: المعنى: هاتوا برهانكم بأن رسولاً من الرسل أنبأ أمته بأن لهم إلهاً غير الله، فهل في ذكر مَنْ معي وذكر من قبلي إلا توحيد الله.

يدل على صحة هذا المعنى: قوله بعد هذا: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾.

قوله: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ نزلت في خزاعة، حيث قالوا: الملائكة بنات الله، ﴿سبحانه بل عباد﴾ أي: بل هم عباد، يعني: الملائكة ﴿مكرمون﴾ أكرمهم واصطفاهم.

﴿لا يسبقونه بالقول﴾ أي: لا يتكلمون قبل أن يأذن لهم في الكلام، ﴿وهم بأمره يعملون﴾ أخبر الله عنهم في معرض الثناء عليهم وإثبات العبودية لهم، أن أقوالهم وأعمالهم منوطةٌ بإذن الله تعالى، وأنهم لا يستبدّون بأمر.

﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أي: ما قدّموا من الأعمال وما يعملون، وقد سبق تفسيره.

﴿ولا يشفعون﴾ يوم القيامة ﴿إلا لمن ارتضى﴾ أي: رضيه الله.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤٦).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٥).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٩).

قال ابن عباس: هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله[(١)].

وقيل: لا يشفعون في الدنيا، أي: لا يستغفرون إلا لمن ارتضى.

﴿وَهُمْ من خشيته﴾ أي: من خشيتهم الله، فأضاف المصدر إلى المفعول ﴿مشفقون﴾ خائفون لا يأمنون مكره.

﴿وَمَنْ يَقُلْ منهم﴾ أي: من الملائكة مع قرب منزلتهم مني ومكانتهم عندي ﴿إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم﴾ مبتدأ وخبر.

والإشارة إلى "مَنْ" في قوله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ منهم﴾ قال الضحاك وغيره: هذه خاصة لإبليس، لم يَدْعُ أحد من الملائكة إلى عبادة نفسه سواه[(٢)].

ومن قال: لم يكن إبليس من الملائكة؛ فالكلام يكون على معنى الفَرْض والتهديد...[(٣)] عنهم ما كانوا يعلمون.

أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٢٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٠) عن الضحاك، والطبري (١٧/ ١٧) عن ابن جريج وقتادة. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٢٥) وعزاه لابن أبي حاتم عن الضحاك.

(٣) بياض في ب قدر عدة كلمات.

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿أو لم يَرَ الذين كفروا﴾ وقرأ ابن كثير: "أَلَمْ يَرَ" بغير واو[(١)].

﴿أَنَّ السموات والأرض كانتا رَتْقاً﴾ أي: مَرْتُوقَتَيْنِ.

وقال الزجاج[(٢)]: كانتا ذواتي رَتْق، فجعلناهما ذواتي فَتْق.

وقال غيره: لم يَقُلْ رَتْقَيْن؛ لأنه مصدر.

ومعنى الرَّتْق: السَّدُّ، يقال: رَتَقْتُ الشيءَ فَارْتَتَقَ[(٣)].

فإن قيل: متى رأوهما رَتْقاً حتى قرَّرهم بذلك؟

قلت: قد روي عن ابن عباس، أن معناه: كانت السماء رَتْقاً لا تمطر، وكانت الأرض رَتْقاً لا تُنبت، فَفَتَقْنا هذه بالمطر، وهذه بالنبات[(٤)]. وهذا قول عطاء وعكرمة والضحاك ومجاهد في رواية عنه[(٥)]. وهذا مما رأوه وشاهدوه.

فإن قيل: فما نصنع بما روي عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة:

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٧)، والكشف (٢/ ١١٠)، والنشر (٢/ ٣٢٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٠)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٨).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٠).

(٣) انظر: اللسان (مادة: رتق).

(٤) وهو اختيار ابن جرير الطبري.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٩) عن عطية العوفي وعكرمة وابن زيد، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٠). وأخرج نحوه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٢٠). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٦) عن ابن عباس. وذكر نحوه السيوطي في الدر (٥/ ٦٢٥) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم في الحلية.

أن المعنى: كانتا رتقاً ملتصقتين ففتقهما الله عز وجل[(١)].

وروى السدي عن أشياخه قالوا: فَتق من الأرض ست أرضين فصارت سبعاً، ومن السماء ست سماوات فصارت سبعاً[(٢)].

وهذا شيء لم يروه، فما وجه تقريرهم به؟

قلتُ: الرؤية هاهنا بمعنى: العلم.

فإن قيل: من أين علموا ذلك؟

قلتُ: بما قصَّ عليهم في القرآن الذي هو معجزٌ في نفسه. وجائز أن يكون العلم بذلك مما تناقلوه وبقي في أيديهم من الشريعة الحنيفية، أو مما سمعوه ووعوه من أهل الكتاب.

﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ أي: جعلناه سبباً لحياة كل حي. و"مِن" على هذا مثل قوله: « ما أنا مِنْ دَدٍ ولا الدَّدُ مني »[(٣)].

وقال أبو العالية: يريد بالماء هاهنا: النطفة[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٨) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٢٥) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٢٦) كلاهما عن مجاهد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤٨) عن السدي، والسيوطي في الدر (٥/ ٦٢٦) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ١٣٢) من حديث أنس، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢١٧). وفيه: قال علي بن المديني: سألت أبا عبيدة صاحب العربية عن معنى هذا الحديث، فقال: يقول: لست من الباطل ولا الباطل مني.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٢٦) وعزاه لعبد بن =

وقرأ معاذ القارئ: "حياً"[١].

قال الزمخشري[٢]: هو المفعول الثاني لـ"جَعَلْنا"، والظرف لغو.

﴿أفلا يؤمنون﴾ بعد هذا البيان.

﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم﴾ مفسر في النحل[٣]. وقد سبق إعرابه أيضاً،

وأنَّ المعنى: كراهية أن تميد بهم، أو لئلا تميد بهم.

﴿وجعلنا فيها﴾ أي: في الرواسي ﴿فجاجاً﴾ قال الزجاج[٤]: الفِجَاج: جمع فَجّ، وهو كل مُنْخَرِقٍ بين جبلين[٥].

قال ابن عباس: جعلنا من الجبال طرقاً حتى يهتدوا إلى مقاصدهم في الأسفار[٦].

فإن قيل: فهل تضمَّن قوله: "سُبُلاً" معنىً ليس في الفِجَاج؟

قلتُ: نعم، وهو كونها فجاجاً نافذة مسلوكة، فإن بعض الفجاج لا تنفذ.

قال صاحب الكشاف[٧]: إن قلت: في الفجاج معنى الوصف، فما لها قُدِّمت

= حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٠).

(٢) الكشاف (٣/ ١١٥).

(٣) آية رقم: ١٥.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٠).

(٥) انظر: اللسان (مادة: فجج).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤٩).

(٧) الكشاف (٣/ ١١٥-١١٦).

على السُّبُل ولم تؤخر كما في قوله تعالى: ﴿لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً﴾ [نوح:٢٠]؟

قلتُ: لم تُقَدَّمْ وهي صفة، ولكن جُعلت حالاً، كقوله:

لِعَزَّةَ مُوحِشاً طَلَلٌ قَدِيمُ ....[1]

قوله تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ لما كانت السماء كالسقف للأرض سُمِّيَتْ سَقْفاً. قال الله تعالى: ﴿والسقف المرفوع﴾ [الطور:٥].

والمعنى: جعلنا السماء سقفاً محفوظاً بالنجوم من الشياطين، أو محفوظاً أن يقع على الأرض إلا بإذن الله.

﴿وهم عن آياتها﴾ شمسها وقمرها ونجومها، وما لازمها من الطلوع والغروب على الحساب القويم، الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة.

﴿معرضون﴾ لا يتفكرون ولا يعتبرون.

قوله: ﴿كلٌّ﴾ التنوين فيه عِوَضٌ من المضاف إليه المحذوف، تقديره: كل الطوالع ﴿في فَلَكٍ﴾ يخصه، وهو كقولهم: كَسَاهُم الأمير حُلةً وقلّدهم سيفاً.

قال ابن قتيبة[2]: الفَلَكُ: مدار النجوم الذي يَضُمُّها، سُمِّيَ فَلَكاً؛ لاستدارته، ومنه: فَلْكَةُ المِغْزَل، وقد فَلَّكَ ثدي المرأة[3].

قال الحسن البصري: الفَلَكُ طاحونة كهيئة فَلْكَةُ المِغْزَل، يريد: أنه مستدير

---

(١) لم أجد هذا البيت بهذه الصيغة إلا عند الزمخشري في الكشاف (٣/ ١١٥). وقد تقدم (ج٣/ ٦) بلفظ: (لميّة موحشاً...).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٤٩).

(٣) انظر: اللسان (مادة: فلك).

كاستدارة الطاحونة(١).

ومعنى: ﴿يسبحون﴾ يجرون بسرعة.

قال الفراء(٢): لما كانت السباحة من فعل الآدميين ذكرت بالنون؛ كقوله: ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف:٤].

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ وهو البقاء الدائم، ﴿أفإن مت﴾ يا محمد ﴿فهم الخالدون﴾ يعني: مشركي مكة، فإنهم كانوا يقولون:.....(٣) فأذكرهم الله تعالى أَنَّ ما يرتقبون الشماتة به ويتربصونه لنبيه وَصْفٌ مشتركٌ بينهم وبينه، لا ينبغي لعاقلٍ أن يفرح به فإنه بسبيل منه.

وهذا المعنى أراد عبد الملك بن مروان بإنشاد هذا البيت عند موته:

وَمَا مِنْ خَالِدٍ إِمَّا هَلَكْنَا ... وَهَلْ بالمَوْتِ يَا لِلنَّاسِ عَارُ(٤)

ومن هذا قول الآخر:

فَقُلْ للشَّامِتِينَ بنَا أَفيقُوا ... سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا(٥)

---

(١) ذكره الطبري (١٧/ ٢٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٦).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٠١).

(٣) بياض في ب قدر عدة كلمات.

(٤) البيت لعدي بن زيد. وهو في: الدر (١/ ١٠٢)، والاستيعاب وفيهما: "فهل من خالد".

(٥) البيت لذي الأصبع العدواني. انظر: القرطبي (٧/ ٢٩١)، والكشاف (٣/ ١١٧)، والبحر المحيط (٦/ ٢٨٩)، وروح المعاني (١٧/ ٤٥).

وقد ذكرنا فيما مضى أن العرب تُسقط همزة الاستفهام، وتلونا في ذلك آيات من الكتاب، منها هذه الآية، وأبياتاً من أشعار العرب.

فصل

احتج سيبويه(١) بهذه الآية على أن همزة الاستفهام إذا دخلت على "إِن" الشرطية لا تُبطل عملها. تقول: إن تأتني آتك، كما لو لم تدخل الهمزة عليه.

وزعم يونس أن التقدير: آتيك إن تأتني، و"آتيك" معتمد الهمزة، وهو في نية التقديم، ولو كان قوله: "آتيك" في نية التقديم، لكان التقدير في الآية: أفهم الخالدون فإن مت. ولا يقال: أنت ظالم فإن فعلت، وإنما يقال: أنت ظالم إن فعلت.

فإن قيل: الفاء هاهنا زائدة، وهي نظيرة "ثُمَّ" في قوله: ﴿أَثُمَّ إذا ما وقع آمنتم به﴾ [يونس:٥١]، فكما لا يجوز تقدير زيادة ثم، فكذا لا يجوز تقدير زيادة الفاء، ونحوه ما قاله الأخفش في قوله: ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ [التوبة:١١٨]، قال: ثم هنا زائدة، والتقدير: حتى إذا ضاقت تاب عليهم.

قلنا: الزيادة على خلاف الأصل، فلا يُصار إليها إلا بدليل، ثم المواضع التي استشهدوا بها تارة تمنع الزيادة فيها على الوجه المذكور في مواضعها، وتارة نسلم ونقول: لا يلزم من القول بالزيادة في موضع قام الدليل على صحته القول بها هاهنا.

قوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ من تمام ما نفاه الله على مشركي مكة من

---

(١) انظر: الكتاب (٣/ ٨٣).

الشماتة بما عساهم يظفرون به من إماتة محمد ﷺ.

ويروى عن عائشة: «أن أبا بكر الصديق رضي الله عنهما استأذن على رسول الله ﷺ يوم مات وقد سُجّي عليه بثوب، فكشف عن وجهه ووضع فمه بين عينيه، ووضع يده على صدغيه وقال: وا نبيّاه وا خليلاه وا صفيّاه، صدق الله ورسوله، ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مِتَّ فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت﴾ ثم خرج إلى الناس فخطب»(١).

قوله: ﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ قال ابن زيد: نبلوكم بما تحبون وما تكرهون لننظر كيف شُكركم وكيف صبركم(٢).

﴿فتنة﴾ مصدر لـ"نبلوكم" من غير لفظه.

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى
يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ
ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ
مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا
يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾
بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣١ ح٢٤٠٧٥) إلى قوله: وا صفيّاه. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٢٩) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٥). وذكره الماوردي (٣/ ٤٤٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٠).

قوله: ﴿وإذا رآك الذين كفروا﴾ قال ابن عباس: نزلت في المستهزئين[١].

قال السدي: نزلت في أبي جهل، مرّ به رسول الله ﷺ فضحك وقال: هذا نبي بني عبد مناف[٢].

﴿إن يتخذونك﴾ أي: ما يتخذونك ﴿إلا هُزُؤاً﴾ مهزوءاً به، ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ على إضمار القول، تقديره: يقولون أهذا الذي يذكر آلهتكم، والذِّكْر يكون بالخير وبالشر، فإذا دلَّت الحال على أحدهما أُطْلِقَ ولم يُقَيَّد.

قال الزجاج[٣]: المعنى: أهذا الذي يعيب آلهتكم. يقال: فلان يذكر الناس، أي: يغتابُهُم ويذكُرُهُم بالعيوب. ويقال: فلان يذكر الله، أي: يصفه بالعظمة ويُثْني عليه ويوحِّده، وإنما يحذف مع الذِّكْر ما عُقِلَ معناه. قال الشاعر:

لاَ تَذْكُرِي فَرَسِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ ... فَيَكُونَ لَوْنُكِ مِثْلَ لَوْنِ الأَجْرَبِ[٤]

أي: لا تذكري فرسي وإحساني إليه فَتَعِيبِيني بإيثاري إياه عليكِ.

قوله: ﴿وهم بذِكْرِ الرحمن هم كافرون﴾ لأنهم قالوا: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة.

قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الإنسان من عَجَل﴾ الظاهر أنه اسم جنس، فإن الآية

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٣٠) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٢).

(٤) البيت لعنترة يخاطب زوجه -ونُسب أيضاً لخُزَر بن لوذان السدوسي-، وكانت تلومه على عنايته بفرسه، وكان يسقيها لبن الإبل، ومثل جلد الأجرب كناية عن تهديدها بالضرب حتى يتغير جلدها، أو عن مفارقتها وتحاشيها كما يتحاشى الأجرب. انظر البيت في: معاني الفراء (٢/ ٢٠٣)، واللسان، مادة: (عتق، نعم، ذكر)، والطبري (١٧/ ٢٥)، والقرطبي (١١/ ٢٨٨).

نزلت في...[١] كان المراد به آدم ففي قوله: "من عجل" ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى: خُلق عجولاً فأورث أولاده العجلة.

قال عكرمة: لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح صار في رأسه، فذهب لينهض قبل أن يبلغ الروح إلى رجليه فوقع، فقيل: خُلق الإنسان من عَجَل. وهذا قول سعيد بن جبير والسدي والكلبي[٢].

الثاني: أن المعنى: استُعجل بخلق آدم قبل غروب الشمس من يوم الجمعة[٣]. وهذا قول مجاهد[٤].

الثالث: أن العَجَل: الطين، بلُغة حمْير، وأنشدوا:

النَّبْعُ في الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ مَنْبَتُهُ ... والنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ المَاءِ وَالعَجَلِ[٥]

---

(١) بياض في ب قدر سطر.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٦) عن سعيد والسدي. وأخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٧٢) عن سعيد بن جبير. وذكره الماوردي (٣/ ٤٤٧) من قول الكلبي، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٧) من قول عكرمة، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٣٠) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة. ومن طريق آخر عن سعيد بن جبير، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) وهذا القول هو اختيار ابن جرير الطبري (١٧/ ٢٧)، قال: وإنما قلنا ذلك؛ لدلالة قوله: ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ على ذلك.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٣)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢٦٤)، ومجاهد (ص: ٤١٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٥٥٢-١٥٥٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٣٠) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(٥) البيت لم أعرف قائله. وهو في: اللسان، مادة: (عجل)، والبحر المحيط (٦/ ٢٩١)، والدر المصون (٥/ ٨٦)، والقرطبي (١١/ ٢٨٩)، والماوردي (٣/ ٤٤٨)، وروح المعاني (١٧/ ٤٩).

وإن كان المراد به: النضر بن الحارث؛ فمعنى كونه خُلِقَ من عَجَل: استعجاله بالعذاب وقوله: ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال:٣٢].

قال الزجاج[١]: خُوطبت العرب بما تَعْقِل، وهم يقولون للذي يَكْثُرُ منه الشيء: خُلِقَ منه، كما تقول: أنتَ مِنْ لَعِبٍ، وخُلقت من لَعِبٍ، تريد المبالغة في وصفه بذلك.

﴿سأريكم آياتي﴾ قال المفسرون: هو ما أصابهم من القتل والأسر يوم بدر[٢].

قال ابن السائب: المعنى: إنكم تسافرون فترون آثار الهلاك في الماضين[٣].

﴿ويقولون﴾ تكذيباً واستهزاءً ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ يريدون يوم القيامة إن كنتم صادقين في الإخبار به.

﴿لو يعلم الذين كفروا﴾ جوابه محذوف، تقديره: لو يعلمون ما يشتمل عليه ذلك اليوم من الأهوال والشدائد ما استعجلوا به.

وقوله: ﴿حين لا يَكُفُّونَ﴾ منصوب بمضمر، التقدير: حين لا يَكُفُّونَ ﴿عن وجوههم النار﴾ يعلمون بطلان ما كانوا عليه.

قال ابن عباس: يريد: ساعة يدخلون النار لا يدفعون عن وجوههم النار ﴿ولا عن ظهورهم﴾؛ لإحاطتها بهم، ﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون ما نزل بهم[٤].

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٢).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٢).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٢).

﴿بل تأتيهم﴾ يعني: الساعة، أو النار، أو الحين، كأنه في مضي الساعة...[(١)]، وأنّث نظراً إلى أنهم وُعدوا بالنار أو بالساعة.

﴿بغتة﴾ فجأة، ﴿فتبْهَتُهُم فلا يستطيعون ردّها﴾ صرفها عنهم، ﴿ولا هم ينظرون﴾ يُمْهَلون لتوبة أو معذرة.

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾

ثم عَزَّى الله رسوله بقوله: ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم﴾ أي: أحاط بالذين سخروا من الرسل ﴿ما كانوا﴾ أي: الذي كانوا ﴿به يستهزؤون﴾ وهو العذاب الذي طلبوه استهزاء وتكذيباً.

﴿قل من يَكْلَؤُكُم﴾ أي: قل يا محمد للمستهزين من يحفظكم ويمنعكم ﴿بالليل والنهار من الرحمن﴾ أي: من عذابه إن أراد أن يعذبكم. وهذا استفهام إنكار، أي: لا أحد يفعل ذلك. ﴿بل هم عن ذِكْرِ ربهم﴾ وهو القرآن ﴿معرضون﴾.

﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ قال الزمخشري[(٢)]: أَضْرَبَ عن ذلك بما في "أم" من معنى "بل"، وقال: "أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا". وفيه تقديم وتأخير تقديره: أم

(١) كلام غير ظاهر في ب.

(٢) الكشاف (٣/ ١٢٠).

لهم آلهة من دوننا تمنعهم، وهاهنا تم الكلام.

ثم وصف آلهتهم بالضَّعْفِ فقال: ﴿لا يستطيعون نَصْرَ أنفسهم ولا هم منا يُصْحَبُون﴾ قال قتادة: المعنى: ولا هم منا يُصْحَبُونَ بخير(١).

المعنى: إذا لم تَنْصُرْ نفسها ولم تُصْحَبْ بخير، فكيف تَنْصُرُ غيرها أو تُصْحِبُهُ خيراً؟

وقال ابن عباس: الضمير في قوله: "ولا هم" للكفار(٢).

بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿بل متّعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العُمُر﴾ أي: أمهلناهم ومكنّاهم فاغتروا بذلك وظنوا أنهم لا يُسلبون ثوب عزّهم.

﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض﴾ أرض كفرهم ودار حربهم ﴿ننقصها من

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٣٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الطبري (١٧/ ٣١)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٣).

أطرافها﴾ بتسليطك واستيلائك عليها، ﴿أفهم الغالبون﴾ أم أنت. وهذا تهديد لهم وإيذان بأن العاقبة للمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾ أي: أخوفكم بالقرآن وما آتاني من عند الله لا من قبل نفسي.

﴿ولا يسمع الصُّمُّ الدعاء إذا ما يُنذرون﴾ وقرأ ابن عامر: "ولا تُسْمِعُ" بتاء مضمومة وكسر الميم، "الصُّمَّ" بالنصب[1]، على معنى: لا تُسْمِعُ يا محمد الصُّمَّ الدعاء، جعلهم صُمّاً لعدم إِصَاخَتِهم إلى الحق، وكونهم لم ينتفعوا بما سمعوا من القرآن.

قوله: ﴿ولئن مستهم نَفْحَةٌ﴾ قال ابن عباس: طَرَفٌ[2] ﴿من عذاب ربك﴾.

وقال المبرد[3]: النَّفْحَة: الدَّفْعَة من الشيء التي دُونَ مُعظمه. يقال: [نَفَحَهُ][4] نَفْحَةٌ بالسيف: للضَّرْبَةِ الخفيفة.

وقال بعضهم: النَّفْحُ [كاللَّفْحِ][5]. وأنشدوا قول الشاعر:

وَعَمْرَةُ مِنْ سَرَواتِ النِّسَاءِ تَنْفَحُ بالمِسْكِ أَرْدَانُها[6]

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٧-٤٦٨)، والكشف (٢/ ١١٠)، والنشر (٢/ ٣٢٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٠)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٤).

(٣) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٢٣٩).

(٤) زيادة من الوسيط، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: كالنفح. والصواب ما أثبتناه. انظر: اللسان (مادة: نفح).

(٦) البيت لقيس بن الخطيم الأنصاري من قصيدة شَبَّبَ بعَمْرة أم النعمان بن بشير. انظر البيت في: اللسان، مادة: (ردن)، والقرطبي (١١/ ٢٩٣)، والإصابة (٨/ ٣١)، وفتح الباري (٥/ ٢١٣).
=

قوله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط﴾ قال الزمخشري[1]: وَصَفَ الموازين بالقسط -وهو العدل- مبالغة، كأنها في أَنْفُسِها قِسْط، أو على حذف المضاف، أي: ذوات القسط.

واللام في ﴿ليوم القيامة﴾ مثلُها في قول النابغة:

تَوَسَّمْتُ[2] آياتٍ لها فَعَرَفْتُها لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذا العَامُ سَابعُ[3]

وقد سبق ذكر "الميزان" في أول سورة الأعراف[4].

﴿فلا تُظْلَمُ نفسٌ شيئاً﴾ بالنقص من الحسنات والزيادة في السيئات، ﴿وإن كان مِثْقَالَ حبة﴾ أي: زِنَةَ حَبَّةٍ ﴿من خَرْدَلٍ﴾.

وقرأ نافع: "مِثْقَالُ" بالرفع[5]، على معنى: وإن وجد وحدث. والجمهور جعلوها "كان" الناقصة.

﴿أتينا بها﴾ جئنا بها. وقرأ ابن عباس: "آتينا" بالمد[6]، على معنى: كافَيْنا وجازينا

=

وعَمْرَة: هي بنت رواحة الأنصارية، امرأة بشير بن سعد والد النعمان، وأخت عبد الله بن رواحة (انظر ترجمتها في: الإصابة ٨/ ٣١، والاستيعاب ٤/ ١٨٨٧).

والأَرْدَن: ضَرْبٌ من الخَزّ الأحمر. وقيل: الحرير (اللسان، مادة: ردن).

(١) الكشاف (٣/ ١٢١).

(٢) في الكشاف والبحر: ترسمت. وفي بقية المصادر: توهمت.

(٣) البيت للنابغة الذبياني. انظر: ديوانه (ص:٧٩)، واللسان، مادة: (عشر)، والقرطبي (١/ ٦٦، ٤/ ١٢٦)، وزاد المسير (١/ ٧١)، والبحر المحيط (٦/ ٢٩٤)، والدر المصون (٥/ ٩٠).

(٤) آية رقم: ٨.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٨)، والكشف (٢/ ١١١)، والنشر (٢/ ٣٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٠)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٩).

(٦) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٥٥).

بها.

﴿وكفى بنا حاسبين﴾ قال السدي: مُحْصِين[١].

قال الزجاج[٢]: هو منصوب على وجهين:

أحدهما: التمييز.

والثاني: الحال.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾

قوله: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾ قال مجاهد وقتادة: هو التوراة[٣]،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٣٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٤).

(٣) والذي اختاره ابن جرير الطبري في تفسيره: أن المقصود بالفرقان: الحق آتاه الله موسى وهارون، فرّق بينهما وبين فرعون فقضى بينهم بالحق. وهو قول ابن زيد. وهذا القول أشبه بظاهر التنزيل، وذلك لدخول الواو في الضياء، ولو كان الفرقان هو التوراة كما قال من قال ذلك، لكان التنزيل: "ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء"؛ لأن الضياء الذي آتى الله موسى وهارون هو التوراة التي أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم فبصّرهم الحلال والحرام، ولم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الأبصار، وفي دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء.

فإن قال قائل: وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان، وإن كانت فيه واو فيكون معناه: وضياء آتيناه ذلك، كما قال: ﴿بزينة الكواكب * وحفظاً﴾ [الصافات:٦-٧]؟

قيل له: إن ذلك وإن كان الكلام يحتمله، فإن الأغلب من معانيه ما قلنا. والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب والأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب، ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب =

فرّق بها بين الحق والباطل[١].

﴿وضياء﴾ يستضيؤون بها في دينهم.

قال عكرمة: كان ابن عباس يرى الواو في "وضِياءً" زائدة[٢].

قال الزجاج[٣]: وكذلك قال بعض النحويين. وعند البصريين: أن الواو لا تُزاد ولا تأتي إلا بمعنى العطف، فهي هاهنا مثل قوله: ﴿فيها هدى ونور﴾ [المائدة:٤٤].

وقرأ جماعة منهم ابن عباس وعكرمة والضحاك: "ضياء" بغير واو[٤]، فيكون حالاً.

ومعنى قوله: ﴿وذكراً للمتقين﴾ تذكرةً وعظةً لهم.

ثم وصفهم فقال: ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ يخافونه ولم يروه.

وقال الزجاج[٥]: يخافونه من حيث لا يراهم أحد.

﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ أي: من أهوالها وعذابها خائفون قلقون.

ثم عاد إلى ذكر القرآن فقال: ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ كثير الخير والنفع، ﴿أنزلناه أفأنتم﴾ أيها الكافرون ﴿له منكرون﴾ وهذا استفهام في معنى التقريع والتوبيخ.

= التسليم له من حجة خبر أو عقل (تفسير الطبري ١٧/ ٣٤-٣٥).

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٣٤) وعزاه لابن جرير عن قتادة.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٥).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٤-٣٩٥).

(٤) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٩٥).

(٥) لم أقف عليه في معاني الزجاج. وقد نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٦).

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رُشده﴾ يعني: هُداهُ ﴿من قبل﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح: من قبل بلوغه[1]. يعني: حين كان في السَّرْب[2].

وقال في رواية الضحاك: آتيناه رشده في العلم السابق[3].

وقال الضحاك: من قبل موسى وهارون[4].

﴿وكنا به عالمين﴾ علمنا أنه موضع للإيتاء، فأهّلناه للخُلَّةِ[5] والاصْطِفَاء.

﴿إذ قال لأبيه وقومه﴾ الظرف إما أن يتعلق بـ"آتينا"، أو بمحذوف تقديره: اذكر إذ قال لأبيه[6].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤١) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٦).

(٢) السَّرْب: الطريق أو المذهب (انظر: لسان العرب، والصحاح، مادة: سرب). والمعنى: آتيناه رشده وهو لم يزل في بداية الطريق حتى عرف الحق من الباطل.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٦).

(٤) ذكره القرطبي (١١/ ٢٩٦) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٧).

(٥) الخُلَّة: الصَّدَاقَة والمحبّة التي تخلَّلت القلب فصارت خِلالَه، أي في باطنه. والخليل: المُحِبُّ الذي ليس في محبَّته خَلَل (اللسان، مادة: خلل).

(٦) التبيان (٢/ ١٣٤)، والدر المصون (٥/ ٩١).

ويجوز عندي أن يكون متعلقاً بقوله: "وكنا به عالمين"، فيكون الوقف التام على قوله: "من قبل".

فإن قيل: على هذا الله عالم به في كل وقت، فما فائدة تخصيص هذا الوقت بالذكر؟

قلت: فائدته: الإعلام برعاية الله له، وحسن تولّيه وقت زيادة حاجته إليه في جدال قومه.

المعنى: وكنا به عالمين وقت جداله لقومه، فألهمناه حُجّته وقُمْنا بنصره.

﴿إذ قال لأبيه﴾ آزر ﴿وقومه﴾ منكراً عليهم وموبخاً لهم: ﴿ما هذه التماثيل﴾ يعني: الأصنام المُمَثَّلَةَ المُشَبَّهَةَ بِخَلْقِ الله.

وقيل: تَجَاهَلَ لهم وتغابى عليهم؛ تصغيراً وتحقيراً لآلهتهم التي يُعَظِّمُونَهَا.

وقد سبق معنى العُكُوف في قوله: ﴿يعكفون على أصنام لهم﴾ [الأعراف:١٣٨].

﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾...[١] والحُمْق المُفْرِط حيث لم يجدوا مَلْجَأً للاعتذار عن عبادة الأحجار إلا تقليد الآباء الفُجَّار.

﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾ سبق تفسيره[٢].

﴿قالوا أجئتنا بالحق﴾ أي: بالجِدِّ المحض، ﴿أم أنت من اللاعبين﴾ أي: اللاَّهِينَ المُدَاعبين، وهو كلام يلوح منه استفظاع ما واجههم به من تضليل آبائهم وتسفيه آرائهم؛ أُنساً بالعوائد، وذهاباً مع التقليد. فأضرب عما نسبوه إليه من

(١) بياض في ب قدر نصف سطر.
(٢) (٢/ ١٦٤).

اللَّعب، وعَمَّا تقوّلوه من الكذب، فـ﴿قال بل﴾، ثم أوضح لهم سبيل الرشاد فقال: ﴿ربكم رب السموات والأرض الذي فطَرَهُنَّ﴾: ابْتَدَعَهُنَّ على غير مِثالٍ سبق.

والأظهر: أن الضمير في "فَطَرَهُنَّ" للسماوات والأرض (١).

وجوّز صاحب الكشاف (٢) أن تكون للتماثيل، قال: وهو أدخلُ في تضليلهم، وأثبتُ للاحتجاج عليهم.

﴿وأنا على ذلكم﴾ أي: على أن ربكم رب السموات والأرض ﴿من الشاهدين﴾ القائمين على تصحيحه بالحجج والبراهين.

وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا

---

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٣٠٠): قال ابن عطية: "فطرهن" عبارة كأنها تعقل، وهذه من حيث لها طاعة وانقياد، وقد وصفت في مواضع بما يوصف به من يعقل. وقال غيره: أعاد ضمير من يعقل لما صدر منهن من الأحوال التي تدل على أنها من قبيل من يعقل، فإن الله أخبر بقوله: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت:١١]، وقوله ﷺ: ((أطَّت السماء وحق لها أن تئط)).

ثم قال -يعني: أبو حيان-: وكأن ابن عطية وهذا القائل تخيَّلا أن "هُنَّ" من الضمائر التي تخص من يعقل من المؤنثات، وليس كذلك، بل هو لفظ مشترك بين من يعقل وما لا يعقل من المؤنث المجموع، كقوله: ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ [التوبة:٣٦]، والضمير عائد على الأربعة الحُرُم.

(٢) الكشاف (٣/ ١٢٣).

﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣﴾

﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ أحتالُ لإفسادها ﴿بعد أن تولوا مدبرين﴾.

قال العلماء بالتفسير والسِّيَر: كان لهم عِيدٌ في كل سنة يخرجون إليه، ولا يتخلَّف منهم أحد بالمدينة، فقالوا لإبراهيم: لو خرجتَ معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا، فخرج معهم، فلما كان ببعض الطريق قال: إني سقيم، وألقى نفسه، وقال سراً منهم: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم... الآية﴾ فَسَمِعَهُ رَجُلٌ منهم، فأفشاه عليه، فرجع إبراهيم إلى بيت الأصنام -قال مقاتل[١]: وكانت اثنين وسبعين صنماً من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب- فكسّرها، وعلّق الفأس في عُنُقِ أكبرها -وكان من ذهب، وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل-، فذلك قوله: ﴿فجعلهم جُذاذاً إلا كبيراً لهم﴾[٢].

قرأ الأكثرون: "جُذاذاً" بضم الجيم، جمع جُذَاذَةٍ.

والجُذَاذُ: ما قُطِعَ وكُسِرَ، وهو مثل الحُطام والدُّقاق[٣].

وكذلك معاذ القارئ، إلا أنه أسقط الألف، جمع جُذَّةٍ[٤].

وقرأ الكسائي: "جِذاذاً" بكسر الجيم[٥]، جمع جَذيذٍ، مثل: ثَقيلٍ وثِقالٍ،

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٦٢).

(٢) الطبري (١٧/ ٣٨)، والوسيط (٣/ ٢٤٢)، وزاد المسير (٥/ ٣٥٧)، والدر المنثور (٥/ ٦٣٦).

(٣) انظر: اللسان (مادة: جذذ).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٥٨).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٨)، والكشف (٢/ ١١٢)، والنشر (٢/ ٣٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١١)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٩).

وخَفيفٍ وخِفافٍ.

وقرأ جماعة، منهم عاصم الجحدري: "جَذاذاً" بفتح الجيم، ومثلهم الضحاك إلا أنه أسقط الألف[1].

قال أبو حاتم: فيه لغات: جُذاذاً وجَذاذاً وجِذاذاً، يعني: بالحركات الثلاث على الجيم.

قال: وأجودها ضَمُّ الجيم.

وقال الزجاج[2] في قوله: "إلا كبيراً لهم": جائز أن يكون أكبرها في ذاته، وجائز أن يكون أكبرها عندهم في تعظيمهم إياه.

قوله: ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾: الأظهر أن الضمير في "إليه" يرجع إلى إبراهيم، على معنى: لعلهم يرجعون إلى دينه حين تقوم عليهم الحُجَّة إذا علموا عَجْزَ آلهتهم وجهلها.

وقيل: يرجع الضمير إلى "كبيرهم"، على معنى: لعلهم إلى كبيرهم بالتُّهَمَة ذهاباً مع حُسن ظنهم به وتعظيمهم إياه.

ويكون مراد إبراهيم بذلك: استدراجهم إلى معرفة الحق بما يظهر لهم من عجز الإله الأكبر في نظرهم والأعظم عندهم.

فلما رجعوا وشاهدوا آلهتهم جُذاذاً استعظموا ذلك واسْتَفْظَعُوهُ، ونسبوا الفاعل بها ذلك إلى الظُّلْم، وأكَّدوه بِضُروبٍ من التوكيد، فذلك قوله: ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين﴾.

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٥٨).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٦).

﴿قالوا﴾ يريدُ ذلك الذي سَمِعَ إبراهيم يقول: ﴿وتالله لأَكِيدَنَّ... الآية﴾، -وإنما جَمَعَ؛ لأنه لا يكاد يَنْفَكُّ عن قوم هم على مثل رأيه يُضَامُّونَهُ في القول، أو يشهدون بصدقه، لما أَلِفُوا وعرفوا من عداوة إبراهيم لآلهتهم-: ﴿سمعنا فتىً يَذْكُرُهُم﴾ أي: يَعِيبُهُم. وقد ذكرنا هذا المعنى آنفاً.

﴿يُقالُ له إبراهيم﴾ كأنهم قالوا ذلك للملأ، منهم نمروذ وأصحابه، وكانوا لا يعرفون إبراهيم، فلذلك قالوا: "يقال له إبراهيم"، ويدلّك أيضاً على أن الخطاب للمَلِكِ وأتباعه.

قوله: ﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس﴾ أي: بمرأى منهم، وهو في محل الحال[١]، بمعنى:...[٢] ﴿لعلهم يشهدون﴾ عليه بما نُسب إليه.

قال الحسن: كرهوا أن يأخذوه بغير بَيِّنَة[٣].

وقال ابن إسحاق: المعنى: لَعلَّهم يَشْهدون عقابه[٤].

فانطلقوا به إلى نمروذ فقال له: ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾؟.

﴿قال بل فعله كبيرهم هذا﴾ أي: فعله غضباً وحميّةً أن تعبدوا معه الآلهة الصغار، ﴿فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ نَسَبَ إبراهيم عليه السلام الفعل الصادر

---

(١) التبيان (٢/ ١٣٤)، والدر المصون (٥/ ٩٦).

(٢) بياض في ب قدر نصف سطر.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٥) كلاهما عن قتادة. وذكره الماوردي (٣/ ٤٥١)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٣٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٠). وذكره الماوردي (٣/ ٤٥١) ونسبه لابن عباس، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٩).

عنه إلى الصنم؛ ليبلغ مقصوده من إلزامهم الحجة وتبكيتهم عند ظهور عجز آلهتهم.

فإن قيل: هل يُعدُّ مثل هذا كَذِباً؟

قلت: كلا، بل هو من معاريض الكلام، أي: إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا، ومثله قول المَلَك لداود: ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة﴾ [ص:٢٣].

قال بعض العلماء: العرب تستعمل التعريض في كلامها كثيراً، فتبلغُ مرادها بوجه هو ألطف من الكشف وأحسن من التصريح، كما روي: أن قوماً من العرب خرجوا يَمْتَارُون، فلما صَدَرُوا خَالَفَ رَجُلٌ منهم في بعض الليالي إلى عِكْمِ[١] صاحبه، فأخذ منه بُرّاً وجعله في عِكْمِه، فلما أرادوا الرحلة وقاما يَتَعاكَمَان رأى عِكْمَهُ يَشُولُ[٢]، وعِكْم صاحبه يَثْقُلُ، فأنشأ يقول:

عِكْماً تَغَشَّى بَعْضَ أَعْكَامِ القَوْمِ ... لَمْ أَرَ عِكْماً سَارِقاً قَبْلَ اليَوْمِ[٣]

فَخَوَّنَ صاحبه بوجه هو ألطف من التصريح.

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله[٤]: قد ذهب جماعة من العلماء إلى هذا الوجه وأنه من المعاريض، والمعاريض لا تُذَمُّ خُصوصاً إذا احتيج إليها.

روى عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في المعاريض لَمَنْدُوحَةً

---

(١) العِكْمُ: العِدْل ما دام فيه المتاع (اللسان، مادة: عكم).

(٢) أي: خفيفاً (انظر: اللسان، مادة: شول).

(٣) انظر هذه الرواية في: زاد المسير (٥/ ٣٦٠).

(٤) زاد المسير (٥/ ٣٦١).

عن الكَذِب))[١].

وقال ابن سيرين: الكلام أوسع من أن يَكْذِب ظريف[٢].

وقد قال رسول الله ﷺ لعجوز: ((إن الجنة لا تدخلها العجائز))[٣] أراد قوله: ﴿إنا أنشأناهن إنشاءً﴾ [الواقعة:٣٥].

وقال ﷺ لامرأة: ((مَنْ زوْجُك؟ فَسَمَّتْهُ له، فقال: الذي في عينيه بياض!))[٤].

و((كان ابن رواحة قد رأته امرأته مع جاريةٍ له، فقالت له: وعلى فراشي أيضاً؟ فَجَحَدَ، فقالت له: فاقرأ القرآن، فقال:

وَفينَا رَسُولُ الله يَتْلُو كِتَابَهُ ... إذا انْشَقَّ مَشْهُورٌ مِنَ الصُّبْحِ طَالِعُ

يَبيتُ يُجَافي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِ ... إذا اسْتَثْقَلَتْ بالكَافِرِينَ المَضَاجِعُ

فقالت: آمنتُ بالله وكذّبتُ بصري، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فضحك وأعجبه ما صنع))[٥].

وعرض شريح القاضي ناقةً ليبيعها، فقال له المشتري: كيف لبنها؟ فقال: احْلُبْ في أيّ إناء شئت؟ قال: كيف الوِطاء؟ قال: افْرُشْ وَنَمْ. قال: كيف نجاؤُها؟ قال: إذا رأيتها في الإبل عَرَفْتَ مكانها، عَلِّقْ سَوْطَكَ وَسِرْ. قال: كيف

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩٩)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٨٢ ح٢٦٠٩٦) موقوفاً.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٤/ ٢٣٢ ح٤٨٩٨).

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية (١/ ١٩٩)، وذكره الهيثمي في مجمعه (١٠/ ٤١٩) وعزاه للطبراني في الأوسط.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٢).

(٥) أخرجه الدارقطني (١/ ١٢٠ ح١٣).

قُوَّتُها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت. فاشتراها فلم يَرَ شيئاً مما وَصَفَ، فرجع إليه فقال: لم أَرَ شيئاً مما وَصَفْتَها به. قال: مَا كَذَبْتُكَ، قال: أَقِلْنِي، قال: نعم[١].

وأخذ محمد بن يوسف حُجْراً المَدَرِيّ فقال: الْعَنْ عَلِياً، فقال: إن الأمير أمرني أن أَلْعَنَ عَلِيّاً محمد بن يوسف فالْعَنُوهُ لَعَنَهُ الله[٢].

وأمر بعض الأمراء صعصعة بن صُوحَان بِلَعْنِ عَلِيٍّ، فقال: لَعَنَ الله من لَعَنَ الله ولَعَنَ عَلِيّ. ثم قال: إن الأمير قد أبى إلا أن أَلْعَنَ عَلِياً فالْعَنُوهُ لَعَنَهُ الله[٣].

وامتحَنت الخوارج رَجُلاً من الشِّيعَة فجعل يقول: أنا من عَلِيّ ومن عثمان بريء[٤].

وخَطَبَ رجلٌ امرأة وتحته أخرى فقالوا: لا نُزَوِّجُكَ حتى تُطَلِّقَ امرأتك، فقال: اشهدوا أني قد طَلَّقْتُ ثلاثاً، فَزَوَّجُوهُ، فأقام مع المرأة الأولى، فادَّعوا أنه قد طَلَّق، فقال: أما تعلمون أنه كانت تحتي فلانة فطلقتها، ثم فلانة فطلّقتها، ثم فلانة فطلّقتها؟ قالوا: بلى، قال: فقد طَلَّقْتُ ثلاثاً[٥].

ويروى: أن رجلاً عثر به الطائف ليلة، فقال له: من أنت؟ فقال:

أَنَا ابنُ الذِي لا ينزل الدهر قدره ... وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْماً فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْواجاً عَلَى ضَوْءِ نَارِهِ ... فَمِنْهُم قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ

---

(١) ذكره ابن حبان في الثقات (٦/ ٢٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٣).
(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٩٠ ح٣٣٦٦).
(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٣).
(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٦٣)، والمغني لابن قدامة (٩/ ٤٢٢).
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٧٧).

فَظَنَّ الطائفُ أَنَّهُ ابن بعضِ الأشرافِ بالبصرة، فلما أصبح سَأَلَ عنه، فإذا هو ابن باقِلاَوِيّ[١].

ومثل هذا كثير.

وقال ابن الأنباري[٢]: كلام إبراهيم كان صدقاً عند البحث.

ومعنى قول النبي ﷺ: «كذب إبراهيم ثلاث كذبات»[٣] قال: قولاً يُشبه الكذب في الظاهر وليس بكذب.

وروي عن الكسائي أنه كان يقف على قوله: ﴿بل فعله﴾ ويقول معناه: فَعَلَهُ من فَعَلَهُ، ثم يبتدئ ﴿كبيرهم هذا﴾[٤].

وقرأ محمد بن السميفع: "بَلْ فَعَلَّهُ كَبِيرُهُم هذا"[٥].

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾

قوله: ﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾ أي: رجع كل واحد منهم إلى نفسه.

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٦٣-٣٦٤)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٤٤)، والمغني لابن قدامة (٩/ ٤٢٢).
والمقصود بالباقلاوي: الذي يبيع الباقلاء.

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٢٥ ح٣١٧٩)، ومسلم (٤/ ١٨٤٠ ح٢٣٧١).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٦٠).

(٥) مثل السابق.

وقيل: رجع بعضهم إلى بعض.

﴿فقالوا﴾ معترفين على أنفسهم بالكفر والضلال ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ أي: الواضعون العبادة في غير موضعها، حيث عبدتم جماداً لا يعقل ولا ينفع ولا يدفع. وهذا قول ابن عباس وعامة المفسرين[١].

ثم أدركتهم الشقاوة فعاودوا الكفر، فذلك قوله: ﴿ثم نُكسوا على رؤوسهم﴾.

وقال ابن إسحاق: إنكم أنتم الظالمون حين اتهمتموه وقد رأيتم الفأس في يد كبير الأصنام[٢].

وقيل: أنتم الظالمون بعبادة الأصاغر مع هذا الكبير.

وقيل: أنتم الظالمون بترككم آلهتكم وحدها. قالهما وهب بن منبه[٣].

والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿ثم نُكِسُوا على رؤوسهم﴾ مجاز عن انقلابهم عن الإيمان إلى الكفر، ورجوعهم إلى المجادلة بالباطل بعد أن أقرُّوا لإبراهيم وعادوا على أنفسهم باللوم في تُهمته، فقالوا لإبراهيم: ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ فاعترفوا بعجزها عن النطق.

فلما توجهت عليهم الحجة بإقرارهم، أخذ إبراهيم في توبيخهم فقال: ﴿أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً﴾ إن عبدتموه ﴿ولا يضركم﴾ إن

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٤).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٤).

(٣) مثل السابق.

نبذتموه.

﴿أُفٍّ لكم﴾ قال الزجاج[1]: [وتفسيرها][2]: النَّتْنُ لكم، ﴿ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾.

قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

قال العلماء بالتفسير: فاستشار حينئذ نمروذ قومه، بأي عذاب يعذبه؟ فقال رجل منهم: ﴿حَرِّقُوهُ وانْصُروا آلهتكم﴾، فَخَسَفَ الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة[3].

والمعنى: انصروا آلهتكم بتحريقه، ﴿إن كنتم فاعلين﴾ ناصرين لها.

الإشارة إلى قصة تحريقه عليه السلام

ذكر العلماء بالتفسير والسير: أنهم حَبسوا إبراهيم في بيت، ثم بنوا له حَيْراً[4] طول جداره ستون ذراعاً إلى سفح جبل مُنيف، وأمر نمروذ منادياً فنادى: أيها الناس، احتطبوا لإبراهيم ولا يتخلّفنّ أحد، ومن تخلّف أُلقِيَ في النار، ففعلوا ذلك أربعين ليلة، حتى إن المرأة لتقول: إن ظفرتُ بكذا أو عافاني الله لأحتطبنَّ

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٨).

(٢) زيادة من الزجاج، الموضع السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٣) من طريق شعيب الجبئي. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٣٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن شعيب الجبئي.

(٤) الحَيْر: شبه الحظيرة أو الحِمَى (اللسان، مادة: حير).

لإبراهيم، حتى إذا كاد الحطب يساوي رأس الجدار سدُّوا أبواب الحَيْر وقذفوا فيه النار، فارتفع لهبها، حتى إن كان الطائر ليمرُّ بها فيحترق من شدة حرّها، وكانوا بنوا بيتاً شامخاً مسامتاً للحير، واتخذوا فوقه منجنيقاً(١)، فوضعوا إبراهيم في كفّة المنجنيق مقيَّداً مغلولاً ليرموه في النار، فرفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض، ليس في الأرض أحدٌ يعبدُك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل، فضجّت الملائكة والسماء والأرض والجبال وجميع الخلق إلا الثقلين ضجة واحدة وقالت: أيْ ربنا، إبراهيم يُحرق فيك، فائذن لنا في نصرته؟ فقال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه. فقال له خازن المياه: يا إبراهيم إن أردتَ أخمدت النار، فإن خزائن الأمطار والمياه بيدي، وأتاه خازن الرياح فقال: إن شئتَ طيرتُ النار في الهواء، فقال إبراهيم: لا حاجة لي إليكما، فقذفوه في النار وهو ابن ست عشرة سنة، -وقيل: ست وعشرين- فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم، أَلَكَ حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فقال له جبريل: فَسَلْ ربك؟ فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي، فقال الله: ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾، فلم يبق نار على وجه الأرض إلا بطل عملها يومئذ ظناً منها أنها قد عُنيت بذلك(٢). فسبحان من نَزَعَ عنها طبع الحر والإحراق، وأبقى عليها وصف الضوء والإشراق.

---

(١) المنجنيق: القذاف التي ترمى بها الحجارة، لفظ أعجمي معرّب، وأصلها بالفارسية: (من جي نيك) أي: ما أجودني (لسان العرب، مادة: مجنق).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (١/ ١٤٧)، وزاد المسير (٥/ ٣٦٦-٣٦٧).

قال ابن عباس: لو لم يُتْبِعْ بَرْدَها سلاماً؛ لمات إبراهيم من بَرْدِها(١).

قال السدي: فأخذت الملائكة بضبعي إبراهيم فأجلسته على الأرض، فإذا عين من ماء عذب وورد أحمر ونرجس(٢).

قال كعب ووهب: ما أحرقت النار منه إلا وثاقه، وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام(٣).

وقال غيرهما: أقام أربعين أو خمسين يوماً، فنزل جبريل بقميص من الجنة وطُنْفُسَة(٤) من الجنة، فألبسه القميص وأجلسه على الطُّنْفُسَة، وقعد معه يحدثه(٥).

ثم إن نمروذ أشرف مِنْ صَرْحٍ له على إبراهيم -وهو لا يشك في هلاكه-، فرأى إبراهيمَ جالساً في روضة تهتزُّ وثيابه تندَّى، وعليه القميص وتحته الطنفسة، والمَلَكُ إلى جنبه، فناداه نمروذ: يا إبراهيم! إن إلهك الذي بلغتْ قدرتُه هذا لكبير، هل تستطيع أن تخرج؟ قال: نعم. فقام إبراهيم يمشي حتى خرج. فقال: مَن الذي رأيتُ معك؟ قال: مَلَكٌ أرسله إليّ ربي ليؤنسني. فقال نمروذ: إني مُقرِّب لإلهك

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٤)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٤٠) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٤)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٣٠) كلاهما عن كعب. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٧)، و السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٣٩) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر عن كعب.

(٤) الطُّنْفُسَة: هي البِساط الذي له خَمْلٌ رقيق (اللسان، مادة: طنفس).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٧٩) وعزاه لأبي الشيخ عن الحسن.

قُرْباناً[١] لما رأيتُ من قدرته وعزته حين أبيتَ إلا عبادته وتوحيده، إني ذابح له أربعة آلاف بقرة، فقال: إذاً لا يقبل الله منك ما كنتَ على دينك. فقال: يا إبراهيم! لا أستطيع ترك مُلْكي، ولكن سوف أذبح له، فَذَبَحَ له القُرْبان وَكَفَّ عن إبراهيم عليه السلام[٢].

قال المفسرون: ومعنى: ﴿كوني برداً﴾: ذات بَرْد، ﴿وسلاماً﴾ أي: سلامة.

﴿وأرادوا به كيداً﴾ وهو التحريق بالنار ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾ المغلوبين، وذلك أن الله سَلَّطَ عليهم البَعُوض حتى أكل لحومهم وشرب دماءهم، ودخلت بَعُوضَةٌ في دماغ نمروذ فأهلكته[٣].

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ونجيناه ولوطاً[٤] إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ أي:

---

(١) القُرْبان: ما قُرِّبَ إلى الله عز وجل (اللسان، مادة: قرب).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (١/ ١٤٧)، وزاد المسير (٥/ ٣٦٧-٣٦٨).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٨).

(٤) في هامش ب: هو لوط بن هاران بن تارح، فهو ابن أخي إبراهيم، وكان إبراهيم يحبه حباً شديداً، =

ونجيناه من نمروذ وكيده، فهاجرا من أرض العراق إلى أرض الشام.

قال وهب: كانت سارة[(١)] مع إبراهيم[(٢)].

وقال السدي: إنما هي بنت ملك حرّان، كانت تُنكر دين قومها، فتزوجت بإبراهيم وشرطت عليه أن لا يغيرها[(٣)].

وروى العوفي عن ابن عباس: أن الأرض: مكة[(٤)].

والصحيح الأول.

وبركتها: بَعْثُ الأنبياء فيها وكثرة ثمارها وغزارة أنهارها.

وقيل: ما من ماءٍ عذبٍ إلا وأصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس[(٥)].

ويروى: أن إبراهيم نزل بفلسطين من أرض الشام[(٦)].

قوله تعالى: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ يعني: إسرائيل بن إسحاق أبا يوسف عليهم السلام، ﴿نافلة﴾ زيادة على الولد الذي سأله، و"نافلة" يتعلق

= فلذا هاجر به وسارة، صلى الله عليهم أجمعين.

(١) في هامش ب: سارة: هي بنت هاران الأكبر عمّ إبراهيم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٨).

قال ابن كثير (٣/ ١٨٦): وهو غريب. والمشهور أنها ابنة عمه وأنه خرج بها مهاجراً.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٧). وذكره الماوردي (٣/ ٤٥٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٨).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٦) عن أبي بن كعب. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٤٢) وعزاه لابن أبي حاتم عن أبي حاتم عن أبي بن كعب.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٩).

وفي هامش ب: قاله أبي بن كعب. وقال: وجدت في كتاب الله تعالى أن الشام كنز الله في أرضه، وفيه كنزه من عباده. ذكره...

بيعقوب وجدّه. والعرب تُسَمّي ولد الولد: نافلة.

﴿وكلاً﴾ يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جعلنا صالحين﴾ أنبياء يُهتدى بأنوارهم ويُقتدى بمنارهم.

﴿وجعلناهم أئمة﴾ قادة في الخير ﴿يهدون بأمرنا﴾ أي: بأمرنا إياهم بذلك، ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ قال ابن عباس: شرائع النبوة[(١)].

وقال مقاتل[(٢)]: الأعمال الصالحة.

﴿وإقام الصلاة﴾ قال الزجاج[(٣)]: حَذْفُ الهاء من إقامة الصلاة قليلٌ في اللغة، تقول: أقام إقامَةً. والحذف جائز؛ لأن الإضافة عِوَضٌ من الهاء.

﴿وإيتاء الزكاة﴾ إعطاء طائفة من المال على الوجه المشروع، تقرباً إلى الله تعالى.

﴿وكانوا لنا عابدين﴾ مُوَحِّدين مطيعين.

ولما ذكر ما أنعم به على إبراهيم جزاء له على هجرته ذكر أيضاً ما امتنّ به على صاحبه لوط، فذلك قوله تعالى: ﴿ولوطاً آتيناه حُكْماً وعلْماً﴾ وانتصب بفعل مضمر يفسره ما بعده.

وقيل: بإضمار "اذكر"[(٤)].

والأول أجود.

والمعنى: آتيناه حُكْماً وهو النبوة.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٥).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٦٤).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٨).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٣٥)، والدر المصون (٥/ ١٠٠-١٠١).

وقيل: الفصل بين الخصوم.

"وعِلْماً": فهماً وعقلاً.

﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ وهي سدوم، والمراد: أهلها. والخبائث: أفعالهم المنكرة.

﴿إنهم كانوا قوم سَوْءٍ فاسقين﴾ مارقين من طاعتنا.

﴿وأدخلناه في رحمتنا﴾ أي: في أهل رحمتنا، على معنى: نظمناه في سلكهم وجعلناه من جملتهم.

وقيل: المراد بالرحمة: الجنة، كما جاء في الحديث: «إنما أنتِ رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي»[1].

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿ونوحاً﴾ المعنى: واذكر نوحاً، وكذلك جميع القصص المذكورة هاهنا، ﴿إذ نادى من قبل﴾ أي: دعا ربه من قبل إبراهيم ولوط، وهو قوله: ﴿لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ [نوح:٢٦].

﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله﴾ الذين نجوا معه في السفينة. وقد ذكرناهم في سورة هود[2]، ﴿من الكرب العظيم﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٦ ح٤٥٦٩)، ومسلم (٤/ ٢١٨٧ ح٢٨٤٦).

(٢) الآية رقم: (٤٠).

قال ابن عباس: يريد: الغرق وتكذيب قومه[١].

﴿ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ منعناه منهم أن ينالوه بسوء.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾

قوله: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحَرْث﴾ أكثر المفسرين على أنه كان كَرْماً[٢] قد تدلَّتْ عناقيده، وهو قول ابن مسعود[٣].

وقال قتادة: كان زرعاً[٤].

﴿إذ نَفَشَتْ فيه غَنَمُ القوم﴾ أي: رَعَتْ ليلاً.

قال قتادة: النَّفْشُ بالليل، والهَمَلُ بالنهار[٥].

قال ابن السكيت[٦]: النفش: أن تنتشر الغنم بالليل ترعى بلا راع[٧].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٠).

(٢) الكَرْم: شجرة العنب، واحدتها: كَرْمة (اللسان، مادة: كرم).

(٣) أخرجه البيهقي في سننه (١٠/ ١١٨)، والحاكم (٢/ ٦٤٣ ح٤١٣٨)، والطبري (١٧/ ٥١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٤٥) وعزاه لابن جرير وابن مردويه والحاكم والبيهقي في سننه.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠). وذكره الماوردي (٣/ ٤٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧١).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٤٦) وعزاه لابن جرير. والهَمَل: الإبل بلا راعٍ (اللسان، مادة: همل).

(٦) إصلاح المنطق (ص:٤١).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧١).

الإشارة إلى القصة

قال العلماء بالتفسير والسِّيَر: كان رجلان على عهد داود عليه السلام، أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، فتفلّتَتْ الغنمُ فَرَعَتْ الحَرْث ليلاً، فلم تُبق منه شيئاً، فاختصما إلى داود، فقال لصاحب الحرث: لك رقاب الغنم. فقال سليمان: أو غير ذلك؟ قال: ما هو؟ قال: ينطلق صاحب الحرث بالغنم فيُصيب من ألبانها ومنافعها، ويقوم أصحاب الغنم على الكَرْم، حتى إذا كان كَلَيْلَةِ نفشت فيه، دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم، ودفع هؤلاء إلى هؤلاء أرضهم. فقال داود: القضاء ما قضيت، وحكم داود بذلك، فذلك قوله: ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾[1]. أراد: داود وسليمان والخصمين.

وقال الفراء[2]: أراد: داود وسليمان، فذكرهما بلفظ الجمع؛ لأن الاثنين جمع.

وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس: "وكنا لحكمهما شاهدين"[3].

﴿ففهمناها﴾ يريد: الحكومة أو القصَّة أو الفتوى ﴿سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً﴾ قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت أن القضاة قد هلكوا، ولكنه أثنى على سليمان لصوابه، وعذَرَ داود باجتهاده[4].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٥١-٥٢) عن ابن عباس. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٥-٢٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧١)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٤٥-٦٤٦) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٢) انظر: معاني الفراء (٢/ ٢٠٨).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٧١).

(٤) ذكره الماوردي (٣/ ٤٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٢).

فصل

وفي هذه القصة بيان ظاهر وبرهان باهر على جواز كون النبي ﷺ وغيره من الأنبياء متعبدين بالاجتهاد فيما لا نص فيه، وأنكر ذلك قوم لكونهم قادرين على استكشاف ذلك بطريق الوحي.

ولأن قول النبي ﷺ نص قاطع، والظن يتطرق إليه احتمال الخطأ فيتضادَّان.

ونحن نقول في الجواب عن قولهم: "هم قادرون على استكشاف الحكم" ماذا تقولون لو استُكشف؟ فقيل له: حكمنا عليك أن تجتهد، أَلَهُ أن ينازع الله فيه، وعن قولهم: "قول النبي نص قاطع" أنه إذا قيل له: ظَنُّكَ علامةُ الحُكْم، فهو يَسْتَيْقِنُ الحُكْمَ والظَنَّ جميعاً، ولا يَحْتَمِلُ الخطأ.

واختلفوا هل وقع ذلك أم لا؟ فأثبته أكثر أصحابنا وبعض الشافعية لهذه القصة وأمثالها، وأنكره أكثر المتكلمين.

فصل

وفي هذه القصة أيضاً دليل على أن الحق في قول واحد من المجتهدين، وهو مذهبنا، وقول أكثر العلماء، وسواء كان ذلك في أصول الدين أو فروعه.

وقال بعض المتكلمين: كل مجتهد مصيب، وهو منقول عن أبي حنيفة والشافعي على خلاف فيه عنهم، وهذا في فروع الدين فقط.

وشذَّ الجاحظ وعبيد الله بن الحسن العنبري فقالا: كل مجتهد مصيب في الأصول والفروع، حتى قال الجاحظ: إن مخالف ملة الإسلام إذا نظر فعجز عن درك الحق فهو معذور غير آثم. وهذا كُفر صُراحٌ وإفكٌ مبين.

فصل

واختلف العلماء الإسلاميون في هذه المسألة؛ فذهب علماؤنا رحمهم الله إلى وجوب الضمان على صاحب الغنم؛ لتفريطه في الحفظ، وهو قول الشافعي.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا ضمان عليه، إلا أن يكون معها سائق أو قائد، ليلاً كان أو نهاراً. والآية حجة لنا؛ لأن النبيَّيْن عليهما السلام اتفقا على وجوب الضمان، وإن اختلفا في كيفيته، وشَرْعُ من قبلنا شرعٌ لنا ما لم يقم دليلُ النسخ.

وروي: «أن ناقةً للبراء دخلت حائط رجل فأفسدت، فقضى رسول الله ﷺ على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل»[1].

قوله تعالى: ﴿وسَخَّرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ قال أبو هريرة: كان إذا سبّح أجابته الجبال والطير بالتسبيح والذِّكْر[2].

وقُدِّمت الجبالُ على الطير؛ لأن تسبيحها أعجبُ وأدلُّ على القدرة.

﴿وكنا فاعلين﴾ قادرين على ما نريد.

وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

﴿وعَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لكم﴾ يريد: الدروع، وكانت صفائح، فأول من

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٢٩٨ ح٣٥٦٩)، وأحمد (٥/ ٤٣٦ ح٢٣٧٤٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٣).

سرَدَها وحلّقها داود، فجَمعت الخفّة والتحصُّن واللَّبوس للناس.

وضَمَّ اللام: ابن السميفع[(١)].

﴿ليُحْصِنكُم﴾ قرأ ابن عامر وحفص: "لِتُحْصِنكُم" بالتاء[(٢)]، حملاً على المعنى. أي: لتُحصنكم الدروع أو الصنعة.

وقرأ أبو بكر: بالنون، حملاً على قوله: "وعَلَّمناه".

وقرأ الباقون: بالياء، على معنى: ليحصنكم الله، أو اللبوس، أو داود، أو التعليم.

﴿من بأسكم﴾ أي: من حربكم، ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ نعم الله تعالى.

قوله: ﴿ولسليمان الريح﴾ أي: وسَخَّرنا لسليمان الريح ﴿عاصفة﴾ شديدة الهبوب.

فإن قيل: فقد قال في موضع آخر: ﴿تجري بأمره رُخَاءً﴾ [ص:٣٦] أي: لَيِّنَةً؟

قلتُ: كانت تجري بتسخير الله لها على وفق إرادة سليمان وأمره، فإن أَمَرَها أن تجري عاصفة جَرَتْ، وإن أمرها أن تجري رُخَاءً جَرَتْ.

﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ وهي: أرض الشام، فكانت تسير به حيث شاء، ثم تعود به إلى منزله بالشام.

﴿وكُنَّا بكل شيء عالمين﴾ فعلِمْنا أن سليمان أهلٌ لما أنعمنا به عليه، وأنه يدعوه إلى زيادة الخضوع لعزتنا وجلالنا.

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٧٣).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٩)، ولابن زنجلة (ص:٤٦٩)، والكشف (٢/ ١١٢)، والنشر (٢/ ٣٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١١)، والسبعة في القراءات (ص:٤٣٠).

﴿ومن الشياطين من يغوصون له﴾ في البحر لاستخراج اللآلئ والجواهر ﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾ أي: سوى ذلك من بناء المدائن والقصور، ونقل الصخور، واختراع الصنائع العجيبة، ﴿وكنا لهم حافظين﴾ نحفظهم أن يَزيغوا عن أمره، أو يُفسدوا ما عملوه.

۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني﴾ أي: ناداه بأني.

وقرأ أبو عمران الجوني: "إني" بكسر الهمزة[1]؛ لتَضَمُّن النداء معنى القول، أو على إضمار القول.

﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ وحمزة يسكّن الياء من "مَسَّنِيَ"[2]، والمعنى: أصابني الجَهْدُ، ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ تعريضٌ بالسؤال بألطَفِ الطُّرُق.

الإشارة إلى قصته عليه السلام

قال الليث بن سعد رحمه الله: كان مَلِكٌ يظلم الناس، فكَلَّمَهُ في ذلك جماعة من الأنبياء وسكت عنه أيوب لأجل خيل كانت له في سلطانه، فأوحى الله إليه: تركتَ كلامه من أجل خيلك، لأُطيلنَّ بلاءك[3].

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٧٥).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣١١).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٦).

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد[١] بإسناده عن ابن عباس قال: عَرَجَ الشيطان فقال: أيْ رب، سلّطني على أيوب، فقال: قد سَلَّطتك على ماله وولده، ولم أُسلطك على جسده، قال: فنزل فَجَمَعَ جنوده فقال: إني سُلِّطتُ على أيوب فأرُوني سُلطانكم؟ قال: فصاروا نيراناً، ثم صاروا ماءً. قال: فبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق، فأرسل طائفة إلى زَرْعِهِ، وطائفة إلى إبلِهِ، وطائفة إلى بَقَرِهِ، وطائفة إلى غَنَمِهِ، وقال: اعلموا أنه لا يعتصم منكم إلا [بالمعروف][٢]. فأتُوه بالمصائب، بعضِها على إثر بعض.

قال: فجاء صاحب الزرع فقال: يا أيوب، أَلَمْ تَرَ إلى ربك أرسل على زرعك ناراً فأحرقته؟ وجاء صاحب الإبل فقال: يا أيوب، أَلَمْ تَرَ إلى ربك أرسل إلى إبلِكَ عَدُوّاً فذهب بها؟ وَجَاءَ صاحب البقر فقال: يا أيوب، أَلَمْ تَرَ إلى ربك أرسل إلى بَقَرِكَ عَدُوّاً فذهب بها؟ ثم جاء صاحب الغنم فقال مثل ذلك.

قال: وَتَفَرَّدَ هُوَ لِبَنِيهِ فَجَمَعَهُم في بيت أكبرهم، فبينما هم يأكلون ويشربون جَمَعَ أركان البيت فَهَدَمَ عليهم البيت، فجاء إلى أيوب في هيئة الغلام وفي أذنيه قُرْطَان[٣]، فقال: يا أيوب، أَلَمْ تَرَ إلى بَنِيكَ اجتمعوا في بيت أكبرهم يأكلون ويشربون، فبينما هم كذلك إذ جاءت ريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم، فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم ولحومهم بطعامهم وشرابهم. فقال له أيوب:

---

(١) لم أقف عليه في المطبوع من كتاب الزهد. وقد أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٤-٣٢٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٩٢-١٩٣) وعزاه لأحمد في الزهد وابن أبي حاتم وابن عساكر.

(٢) في الأصل: بمعرفة. والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٤).

(٣) القُرط: نوعٌ من حُلِيّ الأُذُن، يُعَلَّق في شحمة الأُذُن (اللسان، مادة: قرط).

فأين كنتَ أنت؟ قال: كنتُ معهم، قال: فكيف انْفَلَتَّ؟ قال: انْفَلَتُّ، قال: أنـتَ الشيطان، ثم قال: أنا الآن مثلي يوم خرجتُ من بطن أمي، فقام فَحَلَقَ رأسه، ثـم قام يصلي، فَأَرَنَّ الشيطان رَنَّةً سمعها أهل السموات وأهل الأرض.

ثم عَرَج فقـال: أي رب إنـه قـد اعتـصم، وإني لا أسـتطيعه إلا بتَـسْلِيطِكَ، فَسَلِّطْنِي عليه، قال: قد سَلَّطْتُكَ على جسده ولم أُسَلِّطْكَ على قلبه. قال: فنَزَلَ فَنَفَخَ تحت قَدَمِهِ نَفْخَةً فَقَرِحَ[1] من قَرْنِهِ إلى قَدَمِهِ، حتى بدا حجابُ بطنه، وألقي عليـه الرَّماد قال: فقالت امرأته ذات يوم: يا أيوب قَدَّرَ الله، نَزَلَ بي من الجَهْدِ والفاقة ما بعْتُ قَرْناً من قروني برغيف فأطعمتُك، فادْعُ ربك فَلْيَشْفِكَ، فقال: ويحك! كُنّا في النَّعْماء سبعين عاماً، فاصبري حتى نكون في الضَّرَّاء سبعين عاماً.

قال: وكان في ذلك البلاء سبع سنين.

قال: وقعد الشيطان في الطريق فأخذ تابوتاً يَتَطَبَّبُ، فأتته امرأة أيوب فقالت: يا عبدالله! إن هاهنا إنساناً مبتلىً، فهل لك أن تداويه؟ قال: إن شاء فعلتُ على أن يقول لي كلمة واحدة إذا برأ، يقول: أنتَ شفيتني، فأتته فقالت: يا أيوب إن هاهنا رجلاً يزعم أنه يداويك على أن تقول له كلمة: أنـتَ شـفيتني، قـال: ويلـك ذاك الشيطان، لله عَلَيَّ إن شفاني الله تعالى أن أجلدك مائة جلدة.

فبينماهم كذلك إذ جاءه جبريل فأخذ بيده فقال له: قُمْ، فقام فقال: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص:٤٢]، فَرَكَضَ فنبعت عَيْن، فقال: اغتسل، فاغتسل ثم جـاءه، ثـم قال له: ﴿اركض برجلك﴾، فركض فنبعت عين فقـال: اشْرَبْ، فَـشَرِبَ، قـال:

---

(١) القَرْحُ: جَرَبٌ شديد يأخذ الفُصلان فلا تكاد تنجو (اللسان، مادة: قرح). وقد غلَّط هـذا القـول الأزهري فقال: هو داءٌ يأخذ البعير فَيَهْدَلُ مِشْفَره منه (تهذيب اللغة ٤/ ٣٨).

يقول الله: ﴿هذا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وشراب﴾ [ص:٤٢]، قال: ثم أَلبَسَهُ حُلَّةً من الجنة.

وجاءت امرأته فقالت: يا عبدالله، أين المُبْتَلَى الذي كان هاهنا، لعل الذئاب ذهبت به أو الكلاب؟ قال: فقال: ويحك أنا أيوب، قد ردّ الله إليّ نفسي، فقالت: يا عبدالله، اتَّقِ الله لا تَسْخَرْ بي، قال: ويحك أنا أيوب، فَرَدَّ الله إليه ماله وولده عَيَاناً ومثلَهُم معهم، وأمطر الله عليه جَرَاداً من ذهب، قال: فجعل يأخذ الجراد بيده ثم يجعلُه في ثوبه، وينشر [كساءه][(١)] فيأخذ فَيَجْعَلُهُ فيه، فأوحى الله إليه: يا أيوب ما شَبعْتَ؟ فقال أيوب: من ذا الذي يَشْبَعُ من فضلك ورحمتك.

قال: فأخذ ضِغْثاً[(٢)] بيده فَجَلَدَها به.

قال: وكان الضِّغْثُ مائة شِمْرَاخ، فجلدها به جلدةً واحدة.

وأخرج الإمام أحمد أيضاً في كتاب الزهد بإسناده عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال: كان لأيوب أَخوان، فأتياه ذات يوم فوجدا ريحاً، فقالا: لو كان الله علم من أيوب خيراً ما بلغ به كل هذا. قال: فَمَا سَمِعَ شيئاً كان أشدّ عليه من ذلك، فقال: اللهم إن كُنْتَ تعلم أني لم أَبِتْ ليلة شبعاناً، وأنا أعلم بمكان جائع فَصَدِّقْني، قال: فَصُدِّقَ وهما يسمعان. ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أني لم ألبس ثوباً قط، وأنا أعلم بمكان عارٍ فَصَدِّقْنِي، قال: فَصُدِّقَ وهما يسمعان، ثم خَرَّ ساجداً ثم قال: اللهم لا أرفع رأسي حتى تكشف ما بي، فكشف الله ما به[(٣)].

---

(١) في الأصل: أثناءه. والتصويب من تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٥).

(٢) الضِّغْث: الحُزْمة من الحشيش والثُّدَّاء والضَّعَةِ والأَسَلِ، قدر القبضة ونحوها، مختلطة الرَّطب باليابس (اللسان، مادة: ضغث).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٥٤)، والطبري (١٧/ ٧١)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٩)، وابن أبي

قال العلماء بالتفسير والسِّيَر: لما نزل به البلاء لم يَبْكِ مخافة الجزع، وبَقِيَ لِسَانُهُ للذِّكْرِ، وقلبه للشُّكْر، وكان يرى مِعَاهُ وعُروقه وعِظامه، وكان مَرَضُهُ أنه خرج في جميع جسده ثَآلِيل[1] كَأَلْياتِ الغَنَم، ووقعت به حَكَّةٌ لا يملكها، فَحَكَّ بأظفاره حتى سقطت، ثم بالمُسُوح، ثم بالحجارة، فأنتن جسمه وتقطّع، وأخرجه أهل القرية فجعلوا له عريشاً على كُنَاسَةٍ، ورفَضَه الخلق سوى زوجته رحمة بنت إفراييم[2] بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، فكانت تختلف إليه بما يصلحه[3].

واختلفوا في مدة لبثه في البلاء، فروي عن النبي ﷺ: أنها ثماني عشرة سنة[4].

وقال ابن عباس: سبع سنين[5].

وقال وهب: ثلاث سنين[6].

واختلفوا في السبب الحامل له على قوله: ﴿مسني الضر﴾؛ فقال ابن عباس:

= شيبة (٧/ ٢٢٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٥٤) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم في الحلية.

(١) الثآليل: جمع ثُؤلُول، وهو الحَبَّة تظهر في الجِلْد كالحِمَّصة فما دونها (اللسان، مادة: ثأل).

(٢) وفي الدر المنثور (٧/ ١٩٧) أن اسمها: رحمة بنت ميشا. وفي تفسير الماوردي (٣/ ٤٦٤): ماخيرا بنت ميشا.

(٣) انظر: الطبري (١٧/ ٥٩)، وزاد المسير (٥/ ٣٧٦).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٦).

(٥) مثل السابق.

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٦٦).

قال ذلك حين قالت له امرأته: بِعْتُ قَرْناً من قُروني برغيفٍ فأطعمتك[١].

وقال نوف البكالي: حين مرّ به نَفَرٌ من بني إسرائيل، فقال بعضهم لبعض: ما أصابه هذا البلاء إلا لذَنْبٍ عظيم[٢]. وقد حكينا نحوه عن ابن عمير.

وقال الحسن: جاء إبليس إلى زوجته بِسَخْلَةٍ فقال: ليذبح أيوب هذه لي وقد برأ، فأخبرته فقال: إن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة، أَمَرْتِني أن أذبح لغير الله، ثم طردها عنه فذهبت، فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا صديق خرّ ساجداً وقال: ﴿مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾[٣].

قيل لأبي عبدالله الساجي: «الراضي يسأل ربه؟ قال: يُعَرِّض. قيل: مثلُ أي شيء؟ قال: مثلُ قول أيوب: ﴿مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾»[٤].

قال بعض العلماء: لم يكن هذا جَزَعاً من أيوب، وكيف وقد أثنى الله عليه فقال: ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ [ص:٤٤]، إنما هو دُعاء، ألا تراه يقول: ﴿فاستجبنا له﴾، على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلْق.

قال سفيان بن عيينة: وكذلك من شكا إلى الناس وهو في شكواه راضٍ بقضاء الله لم يكن ذلك جزعاً، ألم تسمع قول النبي ﷺ لجبريل في مرضه: «أجدُني مغموماً وأجدُني مكروباً»[٥]، وقوله عليه السلام: «بل أنا وا رأساه»[٦].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٦٣٥ ح٤١١٤)، والبيهقي في الشعب (٧/ ١٤٧ ح٩٧٩٤).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٥٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٥٥) وعزاه لأحمد.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٧).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢١٧ ح١٠٠٦٥).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٢٩).

(٦) أخرجه أحمد (٦/ ١٤٤ ح٢٥١٥٦). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٧).

قوله تعالى: ﴿وآتيناه أهله﴾ يعني: أولاده الذين هلكوا.

قال ابن مسعود والحسن وقتادة: أحياهم الله له بأعيانهم وآتاه مثلهم في الدنيا(١).

وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: كانت امرأتُه وَلدت له سبع بنين وسبع بنات فنُشروا له، وولدت امرأتُه له سبع بنين وسبع بنات(٢).

وقال السدي: ردَّ الله عليه أهله في الجنة، وأصاب امرأته فجاءت بمثلهم في الدنيا.

وقال مجاهد: آتيناه ثواب أهله في الدنيا في الجنة، ومثلهم في الدنيا(٣).

والأول أصح.

﴿رحمة من عندنا﴾ أي: فعلْنا به ذلك رحمةً من عندنا، ﴿وذكرى للعابدين﴾ أي: عظة لهم.

قال محمد بن كعب: من أصابه بلاء فليذكر ما أصاب أيوب فليقل: إنه قد أصاب من هو خيرٌ مني(٤).

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده عن مجاهد قال: يُجاء بالغني فيقول: ما مَنَعَكَ أن تكون عبدتني؟ فيقول: رب كَثَّرت لي من المال، فَيَذْكُرُ مَا ابْتُلِيَ

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٧٣). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٥٥) وعزاه لابن جرير عن الحسن وقتادة.

(٢) ذكره الماوردي (٣/ ٤٦٤) من قول الفراء، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٨-٣٧٩).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٧٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٥٦) وعزاه لابن جرير.

به. قال: فَيُجَاء بسليمان بن داود عليهما السلام في مُلْكِهِ فيقول: أَكُنْتَ أغنى أم هذا؟ فيقول: بل هذا، قال: فلم يمنعه ذلك أن عبدني. قال: ويُجَاء بالمريض فيقول: ما منعك أن تعبدني؟ فيقول: رب ابتليتني، فيُجَاء بأيوب في ضُرِّه، فيقول: أكنت أشد مرضاً أم هذا؟ فيقول: بل هذا، فيقول: لم يمنعه ذلك أن عبدني[(١)].

وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾ قال عطاء رحمه الله: أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء أني أريد قبض روحك، فَاعْرِضْ مُلْكَكَ على بني إسرائيل، فمن يَكْفُل لك أنه يصلي الليل لا يَفْتُر، ويصوم النهار لا يُفْطِر، ويقضي بين الناس ولا يَغْضَب، فادفع مُلْكَكَ إليه، ففعل ذلك. فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا، فتَكَفَّلَ به فوفى، فشكر الله له ذلك، ونَبَّأَهُ، وسُمِّيَ ذا الكِفْل[(٢)].

قوله: ﴿كُلٌّ من الصابرين﴾ أي: على طاعة الله وعن معصيته.

﴿وأدخلناهم في رحمتنا﴾ قال ابن عباس: يريد: الجنة[(٣)].

وقال مقاتل[(٤)]: النبوة.

---

(١) لم أقف عليه في المطبوع من كتاب الزهد. وقد أخرجه البيهقي في الشعب (٧/ ٢٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٦١) وعزاه لأحمد في الزهد والبيهقي في الشعب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٠).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٠).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٦٧).

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾

قوله: ﴿وذا النُّونِ﴾ يعني: صاحب الحوت، وهو يونس بن متّى عليه السلام.

﴿إذ ذهب مغاضباً﴾ لقومه، مراغماً لهم حين تمادوا في غيّهم وضلالهم، وكان عليه السلام يظن أن ذلك سائغ له، وإنما كان عليه أن يصابرهم حتى يأذن الله له في المهاجرة عنهم، فلما عجل عُوقب بالحوت.

قال وهب بن منبه: كان يونس عليه السلام رجلاً فيه حدّة وضيقٌ وغضبٌ، فلما حُمِّلَت عليه أثقالُ النبوة تَفَسَّخَ تحتها تَفَسُّخُ الرُّبَعِ[1] تحت الحِمْل، -يعني: الفصيل-، فقذفها من يده وخرج هارباً، فركب البحر فالْتَقَمَهُ الحوت[2].

وقال غيره: لما توعَّد قومَه بالعذاب ثم رُفِعَ عنهم بالتوبة، قيل له: ارجع إليهم، فقال: كيف أرجع فيجدوني كاذباً، فانصرف مُغاضباً لقومه، عاتباً على ربه[3].

قوله: ﴿فظَنَّ أن لن نقدر عليه﴾ جعله قوم من القُدْرَة، وقدَّروا همزة الاستفهام، تقديره: أَفَظَنَّ أن لن نقدر عليه. وله نظائر في القرآن والكلام الفصيح. قال ابن أبي ربيعة:

---

(١) الرُّبَع: الفصيل الذي يُنْتَج في الربيع، وهو أول النتاج، سُمِّيَ رُبَعاً، لأنه إذا مشى ارْتَبَعَ. وَرَبَعَ: أي وَسَّعَ خطوه وعدا (اللسان، مادة: ربع).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٧٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٢٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٢).

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّها قُلْتُ بَهْراً عَدَدَ الرَّمْلِ وَالحَصَى وَالتُّرابِ[(١)]

أي: أتحبها.

وقال آخر:

وَقَوْلُها وَالرِّكَابُ سَائِرَةٌ تَتْرُكُنا هَكَذَا وَتَنْطَلِقُ

وزعم جماعة، منهم الأصمعي: أنه لا يجوز حذف حرف الاستفهام إلا إذا كان عليه دليل. وإلى هذا المعنى ذهب كثيرٌ من المفسرين[(٢)].

وروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة: أنه من القَدَر، الذي هو بمعنى: التقدير والقضاء، على معنى: فَظَنَّ أن لن نقضي عليه من العقوبة ما قضينا[(٣)].

يقال: قَدَرَ الله الشَّيْءَ يَقْدِرُ وَقَدَّرَهُ -بالتشديد- يُقَدِّرُهُ، بمعنى: قَضَاهُ[(٤)]، وهذا اختيار الفراء والزجاج[(٥)].

وأنشد الفراء لأبي صخر:

وَلاَ عَائِدٌ ذاكَ الزَّمَانُ الذِي مَضَى تَبَارَكْتَ مَا تَقْدِرُ يَكُنْ، وَلَكَ الشُّكْرُ[(٦)]

---

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة. وهو في: اللسان، مادة: (بهر)، وأخبار مكة للفاكهي (٣/ ٢٨٢)، ومعجم البلدان (١/ ٨٢)، وروح المعاني (٣٠/ ١٣٩).
وبَهْراً: أي: جَمّاً (انظر: اللسان، مادة: بهر).

(٢) انظر: الطبري (١٧/ ٧٩-٨٠)، والماوردي (٣/ ٤٦٦)، وزاد المسير (٥/ ٣٨٣).

(٣) ذكره الماوردي (٣/ ٤٦٦)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٢).

(٤) انظر: اللسان (مادة: قدر).

(٥) انظر: معاني الفراء (٢/ ٢٠٩)، ومعاني الزجاج (٣/ ٤٠٢).

(٦) البيت لأبي صخر. وهو في: القرطبي (١١/ ٢٣٢)، وزاد المسير (٥/ ٣٨٢)، والتمهيد (١٨/ ٤٤).

وقال عطاء والحسن: هو من القَدْر الذي هو بمعنى: التضييق، على معنى: فَظَنَّ أن لن نضيّق عليه الحبس. ومنه قوله: ﴿ومن قُدِرَ عليه رزقه﴾ [الطلاق:٧]، أي: ضُيّق، وقوله: ﴿وقَدِّرْ في السَّرْدِ﴾ [سبأ:١١] أي: ضَيّقْ في النَّسْج[١].

ويروى: أن ابن عباس دخل يوماً على معاوية فقال له: يا ابن عباس: لقد ضربتني البارحة أمواج القرآن، فغرقتُ فيها، فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك، فقال: وما هي؟ فقرأ هذه الآية، ثم قال: أَوَ يظن نبي الله أن الله لا يَقْدر عليه؟ فقال: هذا من القَدَر لا من القُدرة[٢].

قوله تعالى: ﴿فنادى في الظلمات﴾ قال أكثر المفسرين: ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت[٣].

وقيل: ابتلع الحوتَ حوتٌ آخر، فحصل في ظلمتي بطني الحوتين، وظلمة البحر[٤].

﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ وحَّدَ الله ونزَّهه واعترف

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٩).

(٢) ذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٦٦-٦٦٧) وعزاه للزبير بن بكار في الموفقيات.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٨٠) عن ابن عباس وغيره. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٦٦) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن ابن مسعود وعزاه لأحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في كتاب الفرج بعد الشدة وابن أبي حاتم والحاكم وصححه. ومن طريق آخر عن محمد بن كعب وعمرو بن ميمون وقتادة، وعزاه لابن جرير. ومن طريق آخر عن سعيد بن جبير، وعزاه لأحمد في الزهد.

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٤٤)، والطبري (١٧/ ٨٠) كلاهما عن سالم بن أبي الجعد. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٦٦) وعزاه لابن جرير عن سالم بن أبي الجعد.

على نفسه بالخطيئة.

قال الحسن: هذا القول من يونس اعتراف بذنبه وتوبة من خطيئته[١].

﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم﴾ من تلك الظلمات، ﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾ إذا تابوا وأنابوا ودعونا.

وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم: "نُجِّي" بنون واحدة مشددة الجيم[٢].

قال الزجاج[٣]: الذي ثبت في المصحف بنون واحدة، ولأن النون الثانية تَخْفَى مع الجيم. فأما ما روي عن عاصم بنون واحدة فلحنٌ لا وجه له؛ لأن ما لم يُسَمَّ فاعله لا يكون بغير فاعل.

قال[٤]: وقد قال بعضهم: نُجّي النجاء المؤمنين، وهذا خطأ بإجماع النحويين كلهم، لا يجوز ضُرِبَ زيداً وأنت تريد ضُرِبَ الضَّرْبُ زيداً؛ لأنك إذا قلت: ضُرِبَ زيد فقد علم أن الذي ضُرِبَه ضَربٌ، فلا فائدة في إضماره وإقامته مقام الفاعل.

وقال أبو علي الفارسي[٥]: القول فيه أن عاصماً -ومن قال كقوله- ينبغي أن يكون قرأ بنونين وأخفى الثانية؛ لأن هذه النون تخفى مع حروف الفم، وتبيينها معها لَحْنٌ، فلما أخفى النون ظَنَّ السامع أنه مُدغم، والتبس عليه الإخفاء بالإدغام؛

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٨١) عن ابن عباس. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٣).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٩-٤٧٠)، والكشف (٢/ ١١٣).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٣).

(٤) أي: الزجاج.

(٥) الحجة (٣/ ١٦٠-١٦١).

من حيث كان كل واحد منهما غير مبيّن، ويبين ذلك إسكانُه الياء من "نُجِّيْ"، ولو كان فعلاً ماضياً مبنيّاً للمفعول به، لكان "نجي" مفتوح الآخر، فإسكان الياء يدل على أنه فعل مضارع، وأنه يريد "نُنْجِي"، كما قرأه غيره. ومما يؤكد ذلك ويوضحه نصبُ "المؤمنينَ" ولو كان على ما لم يُسَمَّ فاعله لوجب أن يرتفع.

فإن قيل: إنه يُسندُ الفِعلَ إلى المصدر ويضمره؛ لأن الفعل دَلَّ عليه، كما قال الشاعر:

ولو وَلَدَتْ [قُفَيرةُ][1] جِرْوَ كَلْبٍ لَسُبَّ بذَلِكَ الجِرْوِ الكِلابَا[2]

أراد: لسُبَّ السَبُّ، فأضمره لدلالة الفعل عليه، فإن ذلك مما يجوز في ضرورة الشعر لا في حال الاختيار والسَّعَة، والقراءة لا تُحْمَل على الضرورات.

فإن قيل: إنه في الخطّ بنونٍ واحدة؟

قلت: إنما حُذفت النون من الخطّ؛ كراهيةً لاجتماع صورتين مُتّفقتين، كما كتبوا: الدُّنْيا والعُلْيا بألفٍ؛ كراهة اجتماع ياءين، ولولا الياء التي قبل الألف لكتبوها بالياء، كما كتبوا: بُهْمى وحُبْلى وأُخْرى ونحو ذلك.

وهذا الذي ردَّه الزجاج وأبو علي من الإعراب هو الوجه الذي نَحَلَهُ القراء وأكثر النحويين الذين تغلغلوا في تصحيح هذه القراءة، وقد قالوا في تَعْليلها وجوهاً بعيدة، منها: أنهم قالوا: "نجّي" فعل مضارع أصله: ننجي، فحذفت النون الثانية كما تُحذف إحدى التاءين من "تتذكر"، وقيل: أبدلوا من النون جيماً، وقيل:

---

(١) في ب: ففيرة. والمثبت من المصادر التالية. وقُفَيْرَة: اسم أم الفرزدق.

(٢) البيت لجرير. ولم أقف عليه في ديوانه. انظر: خزانة الأدب (١/ ٣٣٧)، والخصائص (١/ ٣٩٧)، وشرح المفصل (٧/ ٧٥)، وهمع الهوامع (١/ ١٦٢)، والحجة للفارسي (٣/ ١٦٠).

أدغموا النون في الجيم، وهذا لا نظير له في كلام العرب.

وقيل: أخفوا النون في الجيم، وهذا بعيد أيضاً؛ لأن الرواية بتشديد الجيم، والإخفاء لا يكون معه تشديد.

قال مكي[1]: وإنما تعلّق مَنْ قرأ هذه القراءة: أن اللفظة في أكثر المصاحف بنون واحدة. والله أعلم.

فصل

أخرج الإمام أحمد في المسند من حديث سعد بن أبي وقاص قال: «مررت بعثمان بن عفان في المسجد فسلَّمتُ عليه، فملأ عينيه مني ثم لم يرُدَّ عليَّ السلام. فأتيت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقلت: يا أمير المؤمنين هل حدث في الإسلام شيء؟ مرتين، قال: لا، وما ذاك؟ قلت: لا، إلا أني مررت بعثمان آنفاً في المسجد فسلمتُ عليه فملأ عينيه مني ثم لم يردّ عليّ السلام. قال: فأرسل عمر إلى عثمان فدعاه، فقال: ما منعك أن [لا][2] تكون رددت على أخيك السلام؟ قال عثمان: ما فعلت. قال سعد: قلت: بلى. قال: حتى حلف وحلفت. قال: ثم إن عثمان ذكر فقال: بلى، أستغفر الله وأتوب إليه، إنك مررت بي آنفاً وأنا أُحدّث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ، لا والله ما ذكرتها قط إلا تَغَشَّى بصري وقلبي غِشَاوَةٌ. قال سعد: فأنا أنبئك بها، إن رسول الله ﷺ ذكر لنا أول دعوة، ثم جاء أعرابي فَشَغَلَهُ، حتى قام رسول الله ﷺ فاتَّبَعْتُهُ، فلما أشفقت أن يسبقني إلى منزله ضربت بقدميَّ الأرض، فالتفتَ إليّ رسول الله ﷺ فقال: من هذا، أبو إسحاق؟ قال: قلت:

---

(١) الكشف (٢/ ١١٣).

(٢) زيادة من المسند (١/ ١٧٠).

نعم يا رسول الله، قال: فَمَهُ؟ قال: قلت: لا والله، إلا أنك ذَكَرْتَ لنا أول دعوة، ثم جاء هذا الأعرابي فَشَغَلَكَ، قال: نعم، دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يَدْعُ بِها مُسْلِمٌ رَبَّهُ في شيء قط إلا استجاب له))[١].

وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

قوله تعالى: ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فَرْداً﴾ قال ابن عباس: وحيداً بلا ولد[٢].

﴿وأنت خير الوارثين﴾ قال الواحدي[٣]: هو ثناءٌ على الله بأنه الباقي بعد فناء خلقه، وأنه أفضل من [يبقى][٤] حياً بعد ميت، وأن الخلق كلهم يموتون ويبقى هو.

وقال غيره: سأل ربه أن يرزقه ولداً يرثه، ثم ردَّ أمره إلى الله مستسلماً فقال: ﴿وأنت خير الوارثين﴾ أي: إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي، فإنك خير وارث.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٧٠ ح١٤٦٢).

(٢) ذكره الطبري (١٧/ ٨٣) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٤) بلا نسبة.

(٣) الوسيط (٣/ ٢٥٠).

(٤) في الأصل: بقي. والمثبت من الوسيط، الموضع السابق.

﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زَوْجَهُ﴾ أي: أصلحناها للولادة وَأَزَلْنَا عُقْرَها[١].

قال الكلبي: فولدت له وهي بنت تسع وتسعين سنة[٢]، وهذا قول الأكثرين.

وقال عطاء: كانت بذيئة طويلة اللسان، فَأُصْلِحَتْ له[٣].

وقال السدي: كانت سَلِيطَةً فكفَّ عنه لسانها[٤].

وقال محمد بن كعب: كان خُلُقُها سيئاً[٥].

﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات﴾ يعني: زكريا وزوجه وابنه يحيى.

وقيل: المراد: جميع الأنبياء المذكورين في هذه السورة.

﴿ويدعوننا رَغَباً ورهباً﴾ أي: رَغَباً فيما عندنا ورَهَباً مِنّا.

﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ قال الحسن: ذُلُلاً لأمر الله تعالى[٦].

وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾

---

(١) وإلى هذا المعنى ذهب ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٨٣).

(٢) ذكره الماوردي (٣/ ٤٦٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٠).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٥). وذكره الماوردي (٣/ ٤٦٨)، والسيوطي في الدر (٥/ ٦٧٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي في مساوئ الأخلاق وابن عساكر.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٤).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٨٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٧٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن عساكر.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٠) عن قتادة.

قوله: ﴿والتي أحصنت فرجها﴾ حفظته ومنعته من الحلال والحرام، كما قالت: ﴿ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً﴾ [مريم:٢٠].

وقال الفراء[١]: ذكر المفسرون: أنه جَيب دِرْعها[٢].

وهذا محتمل؛ لأن الفرج معناه في اللغة: كل فَرْجَةٍ بين شيئين[٣]، وموضع جيب درع المرأة مشقوق فهو فَرْج، وهذا أبلغ في الثناء عليها؛ لأنها إذا منعت جيب درعها فهي لنفسها أمنع.

﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ أي: أمرنا جبريل فنفخ في درعها فأجرينا فيها روح عيسى، كما تجري الريح بالنفخ.

وإنما قال في موضع آخر: ﴿فنفخنا فيه﴾ [التحريم:١٢] حملاً على الجيب، وإضافة الروح إليه سبحانه إضافة تشريف، وقد قررنا ذلك في مواضع.

وقيل: المراد بالرُّوح: جبريل، كما قال: ﴿نزل به الروح الأمين * على قلبك﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤]؛ لأن النفخ جاء من جهته.

﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ قال الزجاج[٤]: لما كان شأنهما واحداً، كانت الآية فيهما آية واحدة، وهي ولادة عيسى من غير فَحْلٍ.

وقيل: التقدير جعلناها آية وابنها آية، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه.

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٢١٠).

(٢) ذكره الطبري (١٧/ ٨٤)، والماوردي (٣/ ٤٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٥).

(٣) انظر: اللسان (مادة: فرج).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٤).

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤﴾

قوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُم﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم: المراد بالأُمَّةِ هاهنا: الدِّين[1]. ومنه: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أُمَّةٍ﴾ [الزخرف:٢٢] أي: على دين أُمَّة واحدة غير مختلفة.

قال ابن عباس: ديناً واحداً[2]، والإشارة بقوله: "هذه" إلى مِلَّةِ الإسلام. والنَّصْبُ في "أمةً" على القَطْعِ أو الحال[3].

قال الزجاج[4]: المعنى: إن هذه أُمَّتُكُم في حال اجتماعها على الحق، فإذا افْتَرَقَتْ فليس من خالَفَ الحق داخِلاً فيها.

وقرأ ابن عباس وابن أبي إسحاق [وأبي الأشهب][5]: "أمةٌ واحدةٌ" بالرفع فيهما[6].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٨٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٦). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥١)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٧٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لابن جرير.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٨٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٧٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٣٦)، والدر المصون (٥/ ١٠٧).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٤).

(٥) في ب: والأشهب. والصواب ما أثبتناه.

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣١٣).

قال أبو الفتح[(١)]: يكون بدلاً من "أُمَّتُكُم"؛ كقولك: زيد أخوك رجل صالح، كأنه قال: أخوك رجل صالح.

وقرأ الحسن: "أُمَّتَكُم" بالنصب، بدلاً من "هذه"، "أمةٌ واحدةٌ" بالرفع، على أنه خبر "إن"[(٢)].

﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾ وَحِّدُون. والخطاب لأُمَّة محمد ﷺ. وقيل: للأنبياء عليهم السلام.

ثم ذمّ اليهود على اختلافهم وعدم ائتلافهم فقال: ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أي: جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قِطَعاً، وصاروا فِرَقاً وأَحْزاباً.

ثم توعدّهم فقال: ﴿كُلٌّ إلينا راجعون﴾.

قوله: ﴿فمن يعمل من الصالحات﴾ أي: شيئاً من أعمال البِرِّ، ﴿وهو مؤمن﴾ في محل الحال ﴿فلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي: لا جحود [لعمله][(٣)]، ﴿وإنا له كاتبون﴾ مثبتون في صحائف عمله.

وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾

---

(١) المحتسب (٢/ ٦٥).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢).

(٣) في ب: لعلمه. والصواب ما أثبتناه.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ﴾ قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً: "وحِرْمٌ" بكسر الحاء وسكون الراء من غير ألف، وبها قرأت أيضاً لأبي عمرو من رواية عبد الوارث عنه. وقرأ الباقون: "وَحَرَامٌ"، وهما لغتان بمعنىً؛ كالحِلّ والحلال[1].

قال ابن عباس: المعنى: واجب ﴿على قرية أهلكناها﴾[2]، وأنشدوا قول الخنساء:

فَإِنَّ حَرَاماً لا أَرَى الدَّهْرَ بَاكِياً … عَلَى شَجْوِهِ إِلاَّ بَكَيْتُ عَلَى عَمْرو[3]

وقال عطاء: حَتْمٌ من الله[4].

وقال الزمخشري[5]: استُعير الحرام [للممتنع][6] وجوده، ومنه قوله: ﴿إن الله حرمهما على الكافرين﴾ [الأعراف:٥٠] أي: منعهما.

والمراد بالقرية: أهلها.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٦١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٠)، والكشف (٢/ ١١٤)، والنشر (٢/ ٣٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢)، والسبعة في القراءات (ص:٤٣١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥١)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٧٢) وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٣) البيت للخنساء. ولم أجده في ديوانها، وهو في: اللسان، مادة: (حرم) ونسبه لعبد الرحمن بن جُمانة المُحاربي، والقرطبي (٦/ ٢٩٩، ١١/ ٣٤٠)، وزاد المسير (٥/ ٣٨٧)، والبحر المحيط (٦/ ٣١٤) وفيه: (حرام على أن لا أرى..)، والدر المصون (٥/ ١٠٩) وفيه: (وإني حرام لا أرى..)، وروح المعاني (١٧/ ٩١).

وفي كل المصادر عدا زاد المسير: "صخر" بدل "عمرو".

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥١).

(٥) الكشاف (٣/ ١٣٥).

(٦) في الأصل: للمتنع. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

قال الكلبي: معنى الآية: وجب على أهل قرية أهلكناها ﴿أنهم لا يرجعون﴾ إلى الدنيا[(١)]، وهذا قول قتادة[(٢)]، ويروى نحوه عن ابن عباس[(٣)].

وذهب ابن جريج وأبو عبيد وابن قتيبة[(٤)] إلى أن "لا" في قوله: "لا يرجعون" مزيدة[(٥)]، وقالوا: المعنى: وحرام على قرية مُهلكة رجوعهم إلى الدنيا.

وقيل: المعنى: حرام على قرية قضينا أو أردنا إهلاكها وعذابها أنهم لا يرجعون عن الكفر إلى الإسلام؛ لأنه مطبوع على قلوبهم[(٦)].

قال الزجاج[(٧)]: لما قال: ﴿فلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أعلمنا أنه قد حَرَّمَ قبولَ أعمال

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٧٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٧). وانظر: الطبري (١٧/ ٨٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٧٢) وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٤) ذكره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص:٢٨٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٨).

(٥) وقيل: أن (لا) نافية، والمعنى: يمتنع عدم رجوعهم إلى الدنيا (انظر: الإتقان ١/ ٥٠٢).

وقال الزركشي في البرهان: قال ابن الشجري: قد تجيء مؤكدة للنفي في غير موضعها الذي تستحقه؛ كقوله: ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ (انظر: البرهان في علوم القرآن ٤/ ٣٥٧).

(٦) فائدة: قال ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٨): فإن قيل: كيف يصح أن يحرم على الإنسان ما ليس من فعله، ورجوعهم بعد الموت ليس إليهم؟

فالجواب: أن المعنى منعوا من ذلك كما يمنع الإنسان من الحرام وإن قدر عليه، فكان التشبيه للحالتين من حيث المنع.

(٧) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٥).

الكفار، فالمعنى: حرام على قريةٍ أهلكناها أن يُتقبَّل منهم عملٌ؛ لأنهم لا يرجعون، أي: لا يتوبون، كما قال: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ [البقرة:٧]، فأعلم أنهم لا يتوبون أبداً.

قوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحت يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ﴾ سبق ذكر يأجوج ومأجوج في الكهف[١]، و"حتى" هذه هي التي يُحْكَى بعدها الكلام، والكلام المَحْكِيُّ هـو: الجملة من الشرط والجزاء.

وفي الآية إضمار، تقديره: حتى إذا فُتح سُدُّ يأجوج ومأجوج.

﴿وهم﴾ يعني: يأجوج ومأجوج.

وقيل: الذين يُسْتاقُونَ إلى المحشر.

﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ أي: نَشَزٍ[٢] وَأَكَمَةٍ.

وقرأ ابن عباس وابن مسعود: "جَدْثٍ" بالجيم والثاء[٣]، أي: من كل قبر.

والقول الثاني: في "وَهُم" يُعاضِدُ هذه القراءة.

﴿يَنْسِلُونَ﴾ من النَّسَلان، وهو مُقَارَبَةُ الخَطْوِ مَعَ الإِسْراع؛ كمشي الـذئب إذا أسرع[٤]، والعَسَلان مثله[٥].

---

(١) آية رقم: ٩٤.

(٢) النَّشَزُ: المَتْنُ المرتفعُ من الأرض، وهو أيضاً ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض وليس بالغليظ (اللسان، مادة: نشز).

(٣) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣١٤).

(٤) انظر: اللسان (مادة: نسل).

(٥) انظر: اللسان (مادة: عسل).

وقرأ أبو رجاء وعاصم الجحدري: "يَنْسُلُون" بضم السين[١].

قوله تعالى: ﴿واقترب الوعد الحق﴾ قال الفراء[٢]: هذا جواب "حتى"، يريد قوله: ﴿حتى إذا فتحت﴾. قال: والواو زائدة، ومثله: ﴿حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها﴾ [الزمر:٧٣]، وقوله: ﴿فلما أسلما وتلّه للجبين * وناديناه﴾ [الصافات:١٠٣-١٠٤] أي: ناديناه.

قال الزجاج[٣]: الواو عند البصريين لا يجوز أن تُطرح، والجواب عند البصريين هاهنا قوله: ﴿يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا﴾، وهاهنا قولٌ محذوف، المعنى: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق قالوا يا ويلنا.

والمراد بالوعد الحق: يوم القيامة.

قال ابن مسعود: الساعة من الناس بعد يأجوج ومأجوج كَالحَامِلِ المُتِمِّ، لا يدري أهلها متى تَفْجَؤُهُم بِوَلَدِهَا، ليلاً أو نهاراً[٤] [٥].

﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ اختلفوا في "هي"؛ فقيل: كناية عن الأبصار، والأبصار تفسير لها؛ كقول الشاعر:

لَعَمْرُو أَبيها لاَ تَقُولُ ظَعِينَتِي ... إِلاَّ فَرَّ عَنِّي مَالكُ بنُ أَبي كَعْبِ[٦]

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٨٩).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢١١).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٥).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٥ ح٣٥٥٦)، والحاكم (٢/ ٤١٦ ح٣٤٤٨).

(٥) إلى هنا ينتهي السقط من مصورة الأصل، والذي استدرك من ب. وقد أكملنا من مصورة الأصل مرة أخرى.

(٦) البيت لمالك بن أبي كعب، يقوله في حرب كانت بينه وبين رجل من بني ظفر. انظر البيت في: =

فذكر الظَّعِينَةَ وقد كَنَّى عنها في لعمرو أبيها.

وقيل: أَنَّ "هي" عِمادٌ، ويصلح في موضعها "هو". ذكرهما الفراء[(١)].

وقيل: إنها كناية عن القصة والحالة في موضع الرفع بالابتداء.

وقوله: ﴿أبصار الذين كفروا﴾ مبتدأ، وخبره "شاخصة"[(٢)]، والجملة تفسير قوله: ﴿فإذا هي﴾، أي: القصة والحالة أَنَّ أبصار الذين كفروا شاخصة في ذلك اليوم، ولا[(٣)] تكاد تَطْرِفُ من هول ما ترى.

﴿يا ويلنا قد كُنَّا في غَفْلَةٍ من هذا﴾ أي: قد كُنّا في الدنيا في غَفْلَةٍ من هذا الخَطْب الجليل والأمر العظيم.

ولما كان ما شاهدوه من القيامة وأهوالها ما أنذرتهم به الرسل أضربوا عن ذكر الغَفْلة وأقرّوا على أنفسهم بالظُّلْم فقالوا: ﴿بل كنا ظالمين﴾.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا
وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ
﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم
مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي

= الطبري (١٧/ ٩٢)، والقرطبي (١١/ ٣٤٢)، ومعاني الفراء (٢/ ٢١٢)، وزاد المسير (٥/ ٣٨٩)، والبحر المحيط (٦/ ٣١٥)، والدر المصون (٥/ ١١٢) وفيهما: (فلا وأبيها لا تقول خليلتي).
والظَّعِينَة: المرأة (اللسان، مادة: ظعن).

(١) معاني الفراء (٢/ ٢١٢).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٣٧)، والدر المصون (٥/ ١١٢).

(٣) في ب: لا.

مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾ يعني: الأصنام ﴿حَصَبُ جهنم﴾ وهو ما رميت به في النار[١].

وقرأ أبو مجلز: "حَصْبُ" بسكون الصاد[٢]، على الوصف بالمصدر، أو يكون من باب الخَلْق والصَّيْد، في معنى: المخلوق والمصيد، وقد تقدَّم نظيره فيما مضى.

وقرأ ابن عباس: "حَضَبُ" بالضاد المعجمة المفتوحة، ومثله عروة وابن أبي عبلة إلا أنهما أسكنا الضاد[٣].

وقرأ أبو المتوكل ومعاذ القارئ: بكسر الحاء وسكون الضاد المعجمة[٤]، وهو ما تُذْكَى به النار.

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأُبَيّ بن كعب وعائشة وعكرمة وأبو العالية وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم: "حَطَبُ" بالطاء المهملة[٥].

قال الزجاج[٦]: قرئ هذا الحرف على ثلاثة أوجه: "حَصَبُ وحَطَبُ

---

(١) انظر: اللسان (مادة: حصب).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢). وانظر: زاد المسير (٥/ ٣٩٠-٣٩١).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٩٠).

(٤) مثل السابق.

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢). وانظر: زاد المسير (٥/ ٣٩٠).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٦).

وحَضَبُ". فمن قرأ: "حَصَبُ" فمعناه: كل ما يُرمى به في جهنم[١]. ومن قرأ: "حَطَبُ" فمعناه: ما تُوقَدُ به جهنم[٢]، كما قال تعالى: ﴿وَقُودُها الناس والحجارة﴾ [التحريم:٦]. ومن قرأ: "حَضَبُ" بالضاد المعجمة، فمعناه: ما تُهَيَّجُ به النار وتُذْكَى به[٣].

﴿أنتم﴾ أيها العابدون والمعبودون ﴿لها واردون﴾.

﴿لو كان هؤلاء﴾ يعني: الأصنام ﴿آلهة﴾ على الحقيقة ﴿ما وَرَدُوها﴾ أي: ما دخلوا النار.

وقيل: المشار إليهم بقوله: ﴿ما وَرَدُوها﴾: عابدوها[٤].

وقيل: العابدون والمعبودون؛ لقوله: ﴿وكلٌّ فيها خالدون﴾[٥].

قال صاحب الكشاف[٦]: إن قلت: إذا عنيت "بما تعبدون" الأصنام، [فما][٧] معنى: ﴿لهم فيها زفير﴾؟

قلت: إذا كانوا هم وأصنامهم في قرن واحد، جاز أن يقال: لهم زفير، وإن لم يكن الزفير إلا لهم دون الأصنام للتغليب وعدم اللبس.

فإن قلت: لم قُرنوا بآلهتهم في النار؟

---

(١) انظر: اللسان (مادة: حصب).

(٢) انظر: اللسان (مادة: حطب).

(٣) انظر: اللسان (مادة: حضب).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩١).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩١).

(٦) الكشاف (٣/ ١٣٧).

(٧) زيادة من ب والكشاف، الموضع السابق.

قلتُ: لأنهم لا يزالون بمقارنتهم في زيادة غم وحسرة، حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم، والنظر إلى وجه العدو بابٌ من أبواب العذاب، ولأنهم قَدَّرُوا أنهم ينتفعون بشفاعتهم، فإذا صادفوا الأمر على عكس ما قَدَّرُوا لم يكن شيء أَبْغَضَ إليهم منهم.

وقد سبق تفسير "الزفير" في هود[1].

﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ روى أبو أمامة عن النبي ﷺ قال: «يُوضَعُ في مَسَامِعِهِم مسامير من نار، ثم يُقْذَفُونَ في توابيتَ من نار مُقْفَلَةٍ عليهم »[2].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا بقي في النار من يُخلد فيها جُعلوا في توابيت من نار، ثم جُعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى فلا يسمعون شيئاً، ولا يرى أحد منهم في النار أحداً يعذب غيره[3].

وقال أبو سليمان الدمشقي: "وهم فيها لا يسمعون"؛ لِشِدَّةِ غليان جهنم[4].

وقال: السَّماعُ أُنْس والله لا يُحِبُّ أَنْ يُؤْنِسَهُم[5].

وتحتمل الآية عندي تأويلين آخرين:

أحدهما: أن يكون المعنى: وهم فيها لا يسمعون كلاماً يسرّهم ولا شيئاً

---

(١) آية رقم: ١٠٦.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩١).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٨)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٤ ح٩٠٨٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في صفة النار والطبراني والبيهقي في البعث.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٢).

(٥) مثل السابق.

ينفعهم.

الثاني: أن يكونوا سُلبوا حاسّة السمع؛ ليُمنعوا راحة التأسي بالمشارك لهم في العذاب مبالغة في عذابهم، ويكون هذا كقوله عز وجل: ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ [الزخرف:٣٩]، فإنهم حُرموا هذا القدر من الراحة. ولا شُبهة بأن التأسي يهوّن المصيبة ويخفّفها. قالت الخنساء:

وَلَوْلاَ كَثْرَةُ البَاكِينَ حَوْلِي ... عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ ... أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بالتَّأَسِّي [(١)]

قوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ قال ابن عباس: هي الجنة[(٢)].

وقيل: السعادة[(٣)]. وقد ذكرنا فيما مضى أنها تأنيث الأحسن.

﴿أولئك عنها﴾ أي: عن جهنم ﴿مُبْعَدُون﴾ قال ابن عباس وغيره: السبب في نزول هذه الآية: أنه لما نزلت: ﴿إنكم وما تعبدون... الآية﴾ قال ابن الزبعرى لرسول الله ﷺ: يا محمد! هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل ما عُبِدَ من دون الله؟ قال: لا بل لكل ما عُبِدَ من دون الله، فقال ابن الزبعرى: خُصِمتَ [ورب][(٤)] الكعبة، ألست تزعم أن الملائكة عبادٌ صالحون؟ وأن عيسى عبدٌ صالح؟ وأن عُزيراً عبدٌ

---

(١) البيتان للخنساء. انظر: ديوانها (ص:٨٥)، والقرطبي (١٦/ ٩١)، وزاد المسير (٧/ ٣١٧)، والدر المصون (٦/ ٩٩)، وروح المعاني (٢٥/ ٨٤).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٨) عن ابن زيد. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٨١) وعزاه لابن مردويه وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد.

(٤) في الأصل: رب. والتصويب من ب.

صالح؟ فضجّ أهل مكة، فنزلت: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى... الآية﴾[١].

وقال الحسين بن الفضل: إنما أراد بقوله: "وما تعبدون" الأوثان؛ لأنه لو أراد الملائكة والناس لقال: ومن تعبدون[٢]، يشير إلى أن "مَنْ" لمن يعقل.

قال الثعلبي[٣]: ولأن المخاطبين بهذه الآية مشركوا مكة، وهم كانوا يعبدون الأصنام.

ويروى: أن علياً عليه السلام قرأ هذه الآية فقال: أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد[٤] وعبد الرحمن[٥].

قوله تعالى: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ وهو الصوت الذي يُحَسُّ.

قال ابن عباس: لا يسمع أهل الجنة حسيس أهل النار إذا نزلوا منازلهم من الجنة[٦].

قوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير:

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٥٣). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣١٤-٣١٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٧٩-٦٨٠) وعزاه لأبي داود في ناسخه وابن المنذر وابن مردويه والطبراني من وجه آخر.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٣).

(٣) تفسير الثعلبي (٦/ ٣١٠-٣١١).

(٤) في هامش الأصل بخط مغاير زيادة قوله: وسعيد.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٨١) وعزاه لابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه.

وفي هامش الأصل بخط مغاير زيادة قوله: بن عوف وعبيدة بن الجراح.

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٨٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

الفزع الأكبر: الإطباق على النار[١].

وقال في رواية أخرى: هو ذَبْحُ الموت بين الجنة والنار[٢].

وقال الحسن: حين يؤمر بالعبد إلى النار[٣].

وقال ابن عباس في رواية أيضاً: هو النفخة الأخيرة[٤] حين يقوم الناس من قبورهم[٥]. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ قال مقاتل[٦]: تتلقاهم إذا خرجوا من قبورهم.

وقال ابن السائب: تتلقاهم على أبواب الجنة، قائلين لهم: ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾[٧].

يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى: ﴿يوم﴾ العامل فيه: "لا يحزنهم" أو "الفزع" أو "تتلقاهم"، ﴿نطوي

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٨٢) وعزاه لابن أبي الدنيا في صفة النار.

(٢) انظر: الطبري (١٧/ ٩٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٢) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٩)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٨٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) وهو الذي رجحه ابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٩)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٨٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٣٧١).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٤).

السماء﴾ وقرأتُ لأبي جعفر: "تُطْوى" بالتاء المضمومة على ما لم يُسَمَّ فاعله، ﴿السماءُ﴾ بالرفع، ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ للكتاب﴾(١).

وقرأ الحسن وأبو المتوكل وأبو الجوزاء ومحبوب عن أبي عمرو: "السِّجْل" بكسر السين وتسكين الجيم خفيفة(٢).

وقرأ أبو السَّمَّال كذلك إلا أنه فتَحَ السين(٣).

وقرأ أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبدالله البجلي -وكان قرأ على أبي هريرة-: "السُّجُّل" بضم السين والجيم مشددة(٤).

وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "للكُتُبِ" على الجمع(٥).

قال علي عليه السلام: السِّجِلّ: مَلَكٌ(٦).

---

(١) النشر (٢/ ٣٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٦/ ٣١٧).

(٤) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣١٧).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٠-٤٧١)، والكشف (٢/ ١١٤)، والنشر (٢/ ٣٢٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢)، والسبعة في القراءات (ص:٤٣١).

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٩) عن ابن عمر. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٥) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والسيوطي في الدر (٥/ ٦٨٣) وعزاه لعبد بن حميد عن علي.

والذي رجحه ابن جرير الطبري (١٧/ ١٠٠): أن السجل في هذا الموضع: الصحيفة؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لنبينا ﷺ كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة مَلَكٌ ذلك اسمه.

ووافقه القرطبي (١١/ ٣٤٧) وقال: وليس بالقوي؛ لأن كُتّاب رسول الله ﷺ معروفون ليس هذا منهم، ولا في أصحابه من اسمه السّجل.

قال ابن عباس في رواية عطاء: هو الـذي يطـوي كُتـب بنـي آدم إذا رُفعـت إليه[١].

وقال السدي: السِّجل: مَلَكٌ مُوَكَّل بالصُّحف، فإذا مات الإنسان دفع كتابه إليه فطواه[٢].

وقال ابن عباس في رواية عنه: هو كاتب كان لرسول الله ﷺ[٣].

فعلى هذه الأقوال يكون المصدر مضافاً إلى الفاعل، تقديره: كما يطوي المَلَكُ أو الرَّجُل الكتاب.

وقال في رواية: السِّجل: الصَّحِيفة[٤]، وهذا قـول مجاهـد وقتـادة، واختيـار الفراء وابن قتيبة[٥].

المعنى: يطوى كما يطوى الطُّومَارُ للكتابة، أي: ليكتب فيه، أو لما يكتب فيـه،

---

(١) ذكره القرطبي (١١/ ٣٤٧) عن ابن عباس وابن عمر والسدي.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٨٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ١٣٢)، والنسائي (٦/ ٤٠٨)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٧٠)، والطبري (١٧/ ١٠٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٢٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٤) وعزاه لأبي داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن منده في المعرفة وابن مردويه والبيهقي في سننه وصححه.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٠)، ومجاهد (ص:٤١٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) معاني الفراء (٢/ ٢١٣)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٢٨٨).

والكتاب أصله مصدر؛ كالبناء، ثم تَوَقَّعَ[(١)] على المكتوب. ومن جمع فمعناه: [للمكتوبات][(٢)]، أي: لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة.

وقال أبو علي[(٣)]: من قرأ: "للكتاب" فإنه واحد يراد به الكثرة، ومن قرأ: "للكُتُب" جَمَعَ اللفظ، كما أن المراد به في المعنى الجمع.

قوله تعالى: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ وإن كان متقدماً، ومثله قوله: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم﴾ [البقرة:١٥١]، وقوله تعالى: ﴿كما علمه الله فليكتب﴾ [البقرة:٢٨٢]، فهذه الكافات الثلاث من صلة "ما" بعدها، "وَأَوَّلَ خَلْقٍ" مفعول "نُعِيدُهُ"[(٤)].

والمعنى: نعيد أول الخلق كما بدأناه.

قال صاحب الكشاف[(٥)]: إن قلت: ما أول الخَلْقِ حتى يعيده كما بدأه؟

قلتُ: أوله إيجادُه عن العدم، فكما أوجده أولاً عن عدم، يعيدُه ثانياً عن عدم.

فإن قلت: ما بال "خَلْقٍ" منكَّراً؟

قلتُ: هو كقولك: هو أول رجل جاءني، تريد أول الرجال، [ولكنك وحَّدته][(٦)] ونكَّرته إرادة تفصيلهم رجلاً رجلاً، فكذلك معنى "أَوَّلَ خَلْقٍ" بمعنى: أول الخلائق؛ لأن الخَلْق مصدر لا يجمع.

(١) في الكشاف: يوقع.

(٢) في الأصل: المكتوبات، والتصويب من الكشاف (٣/ ١٣٨).

(٣) الحجة (٣/ ١٦٣).

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ١١٦).

(٥) الكشاف (٣/ ١٣٨).

(٦) في الأصل: ولكنه وحد به. وفي ب: ولكنه وحدته. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

فإن قيل: فَبِمَ وقعت المشابهة؟

قلت: عنه أجوبة:

أحدها: في صفة الخَلْق، وذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «يُحشر الناس يوم القيامة عُراةً حُفاةً غُرلاً كما خُلِقُوا، ثم قرأ: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾»[١]، وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد[٢].

الثاني: أن المشابهة وقعت في سبب وجود الخَلْق، فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: تُمطر السماء أربعين يوماً كَمَنِيِّ الرجال، فَيَنْبُتُونَ بالمطر في قبورهم كما يَنْبُتُونَ في بطون أمهاتهم[٣]. وقد أشرنا إلى هذا المعنى عند قوله: ﴿كذلك نخرج الموتى﴾ [الأعراف:٥٧].

الثالث: أنه شَبَّه الإعادة بالابتداء[٤] في معنى دخولهما تحت القدرة على السواء، وهو قول الزجاج[٥].

﴿وعداً علينا﴾ قال الزجاج[٦]: هو منصوب على المصدر؛ لأن قوله: "نعيده" بمعنى: قد وعدنا هذا وعداً.

﴿إنا كنا فاعلين﴾ ما وعدناكم من ذلك وغيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٢٢ ح٣١٧١)، ومسلم (٤/ ٢١٩٤ ح٢٨٦٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٠)، ومجاهد (ص:٤١٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٨٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٦).

(٤) في ب: بالإبداء.

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٦).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٦).

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذِّكْر﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: الزَّبُور: جميع الكتب المنزلة من السماء، والذِّكْر: أمُّ الكتاب الذي عند الله(١)، يعني: اللوح المحفوظ.

وقال سعيد بن جبير في رواية عنه: الزبور: القرآن، والذِّكْر: التوراة والإنجيل(٢).

وقال الشعبي: الزبور: زبور داود، والذِّكْر: [التوراة](٣).(٤).

﴿أن الأرض﴾ قال ابن عباس والجمهور: أرض الجنة(٥).

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٥) وعزاه لسعيد بن منصور وابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. ومن طريق آخر عن ابن زيد، وعزاه لابن جرير.
وهذا القول هو الذي رجحه الطبري.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٧).

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧١)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٥٢)، والحاكم (٢/ ٦٤٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٦) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٥) وعزاه للفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال في رواية أخرى: أرض الدنيا يورثها أمة محمد ﷺ بالفتوح[(١)].

وقال ابن السائب: الأرض المقدسة[(٢)].

﴿يرثها عبادي الصالحون﴾ يعني: بنو[(٣)] إسرائيل.

ونظير هذا على القول الأول قوله تعالى: ﴿يرثون الفردوس﴾ [المؤمنون:١١]، وقوله: ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾ [مريم:٦٣].

وعلى القول الثاني: قوله تعالى: ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها﴾ [الأحزاب:٢٧].

وعلى القول الثالث: قوله تعالى: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها﴾ [الأعراف:١٣٧].

قوله تعالى: ﴿إن في هذا﴾ قال أكثر المفسرين: يعني: القرآن[(٤)].

وقيل: إن في هذا المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ.

﴿لبلاغاً﴾ لكفاية، يقال: في هذا الشيء بَلاَغٌ وَبُلْغَةٌ وَتَبْلِيغٌ، أي: كِفَايَة.

﴿لقوم عابدين﴾ قال كعب: هم أمة محمد ﷺ الذين يُصلُّون الصلوات

---

(١) الطبري (١٧/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧١)، والماوردي (٣/ ٤٧٥)، وزاد المسير (٥/ ٣٩٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الماوردي (٣/ ٤٧٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٧).

(٣) في ب: بني.

(٤) ذكره الطبري (١٧/ ١٠٥)، والماوردي (٣/ ٤٧٥)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٨).

الخمس، ويصُومون شهر رمضان[١].

والمعنى: أن من اتّبع القرآن من أمة محمد ﷺ كان بلاغه إلى الجنة.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ قال ابن زيد: هو رحمة لمن آمن به خاصة[٢].

وقال ابن عباس والأكثرون: هو رحمة للبرِّ والفاجر[٣]، ولهذا قال ﷺ حين قيل له: ادعُ على المشركين: « إني لم أُبْعَثُ لَعَّاناً، وإنما بُعثْتُ رَحْمَـة »[٤]. هـذا حـديث صحيح، انفرد به مسلم من حديث أبي هريرة.

قال بعضهم: أرسل الله تعالى محمداً ﷺ رحمة للعالمين؛ لأنه جاء بما يُسعدهم إن تبعوه[٥]، ومن خالف [ولم][٦] يتبع فإنما أُتِيَ من عند نفسه، حيث ضَيَّعَ نصيبه منها، ومثاله: أن يُفجّر الله تعالى عيناً غَدِيقَةً[٧]، فيسقي ناس مواشيهم[٨] بمائها فيُفْلِحوا، ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيَضِيعُوا، فالعين المفجّرة في نفسها نعمة ورحمـة للفريقين.

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٧) وعزاه لابن جرير.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٨).

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٧/ ١٠٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٨).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٦ ح٢٥٩٩).

(٥) في ب: اتبعوه.

(٦) في الأصل: ولمن. والتصويب من ب.

(٧) عين غديقة: كثيرة الماء (اللسان، مادة: غدق).

(٨) في ب: ومواشيهم.

وقيل: كونه رحمة للفُجَّار من حيث إن عقوبتهم أُخِّرَتْ بسببه.

قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾
فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا
تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ
وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾ قال ابن عباس: مخلصون له العبادة[1]. وهذا استفهام في معنى الأمر؛ كقوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة:٩١]، أي: أسلموا وانتهوا.

﴿فإن تولوا﴾ عن الإسلام ﴿فقل آذنتكم على سواء﴾ أي: أعلمتكم بالحرب إعلاماً نستوي فيه نحن وأنتم. وهذا من الكلام البديع المختصر، ومثله: ﴿فَانْبِذْ إليهم على سواء﴾ [الأنفال:٥٨].

فعلى هذا الجار والمجرور في موضع الحال من الفريقين الفاعلين والمفعولين جميعاً في النظيرين.

وقال الزجاج[2]: المعنى: آذنتكم بما يوحى إليّ لتستووا في الإيمان به.

﴿وإن أدري أقريب﴾ سَكَّنَ الياء جمهور القُرَّاء. وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٨).

رحمه الله لابن عامر من رواية الوليد عنه: "أَدْرِيَ" بفتح الياء[١]، ولحنه كثير من العلماء؛ لأن "إن" ليست من الحروف النواصب.

وقال بعضهم معتذراً له: هو من باب إلقاء حركة الهمزة على الساكن قبلها، وأخذ يَتَبَجَّحُ بهذا القول، وهو غَلَطٌ وَهَوَسٌ.

والمعنى: وما أدري أقريب ﴿أم بعيد ما توعدون﴾ من العذاب وأجل القيامة.

﴿إنه يعلم الجهر من القول﴾ وهو قولهم تكذيباً واستهزاءً: ﴿متى هذا الوعد﴾ [يس:٤٨]، وغير ذلك مما كانوا يُجاهرون به الرسول ﷺ والمؤمنين من التكذيب والطعن في الدين.

﴿ويعلم ما تكتمون﴾ من الإِحَنِ[٢] والأحقاد.

﴿وإن أدري لعله فتنة لكم﴾ أي: وما أدري لعل تأخير هذا الوعد[٣] ابتلاء [واختبار][٤] لكم ليرى كيف صنيعكم.

﴿ومتاع﴾ تمتيع لكم ﴿إلى حين﴾ أي: [إلى][٥] زمان تقتضي الحكمة الإلهية التأخير إليه.

قال المفسرون: إلى حين انقضاء آجالكم[٦].

---

(١) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣١٨).

(٢) الإِحَن: جمع، مفرده: إِحْنَة. والإِحْنَة: الحِقْدُ في الصدر (اللسان، مادة: أحن).

(٣) في ب: الموعد.

(٤) في الأصل: واختباراً. والتصويب من ب.

(٥) زيادة من ب.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٩).

﴿قُلْ رَبِّ احكم بالحق﴾ قرأ عاصم في رواية حفص: "قَالَ رَبِّ"[١]، على الخبر عن الرسول ﷺ.

وقرأ أبو جعفر: "ربُّ احْكُم" بضم الباء[٢]، على معنى: يا رب، فحذف حرف النداء، أو أنه ضَمَّ الباء تبعاً لضَمَّة الكاف، طلباً للمشاكلة والمطابقة.

والمعنى: احْكُم بعذاب الكفار الذي هو أمر ثابت وحق كائن لا محالة فيه نازل بهم.

قال الكلبي: فَحَكَمَ عليهم بالقتل يوم بدر ويوم أحد ويوم الأحزاب ويوم حنين ويوم الخندق. والمعنى على هذا: افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع[٣].

وقرأتُ ليعقوب من رواية زيد عنه: "قل ربيَ" بفتح الياء، "أَحْكَمُ" بقطع الهمزة وفتحها وفتح الكاف ورفع الميم، على أَفْعَل التفضيل[٤].

قال بعضهم: ولعله اختار هذا؛ نظراً إلى أن الله تعالى لا يحكم إلا بالحق. وليس هذا بطائل؛ لأن الله تعالى قد أمر رسوله ﷺ بهذه المقالة، وقد مضت بها سُنَّة الأنبياء، ومنه قول شعيب: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ [الأعراف:٨٩]، والمعنى: احكم بحكمك الذي هو حق، فهو خارج مخرج الوصف.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧١)، والكشف (٢/ ١١٥)، والنشر (٢/ ٣٢٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢)، والسبعة في القراءات (ص:٤٣١-٤٣٢).

(٢) النشر (٢/ ٣٢٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٥-٢٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٩-٤٠٠).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٩٩).

﴿وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ وقرأتُ للمُفَضَّل عن عاصم: "يَصِفُون" بالياء[١].

والمعنى: على ما يصفون من الكذب والباطل. والله أعلم.

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٣)، والنشر (٢/ ٣٢٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢)، والسبعة في القراءات (ص:٤٣٢).

فهرس المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
٣	سورة النحل
١١٢	سورة بني إسرائيل
٢٣٨	سورة الكهف
٣٨٦	سورة مريم عليها السلام
٤٧٢	سورة طه
٥٨٩	سورة الأنبياء عليهم السلام